

الخصائص الكبرى

أو

كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب

تأليف

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي

٨٤٩ - ٩١١ هـ

تحقيق

الدكتور محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر

الجزء الأول

الناشر

دار الكتب العلمية

١٤ شارع الجمهورية بعبدين

تلفون ٩١٦١٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين . أما بعد .

فلعل من أهم العلوم الدينية وأقربها إلى الوجدان ، وأباغها أثرا في تقويم السلوك وتربية العواطف الشريفة ، هو علم السيرة النبوية والخصائص الحمديدية ، فإنه المرأة التي تنعكس منها تلك الصورة التي تعتبر بحق أرقى صورة للحياة البشرية ، حيث كان محمد صلى الله عليه وسلم يرسم بأعماله وأقواله وجميع تصرفاته المثل الإنساني الأعلى الذي يجب أن تهدف إليه جهود البشر في سيرهم نحو الكمال المنشود .

إن ثلاثة وعشرين عاما وهى جملة السنين التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا قد لا تكون فى مقياس الزمن شيئا مذكورا ، إذا قيس إلى ما قضته الإنسانية من حقب وأجيال ، ولكنها فى مجال التربية والإصلاح ورسم قواعد السلوك البشرى الفاضل ووضع العالم والحدود لحياة الإنسان كما يحب رب الإنسان ، وبما يحقق الغاية من وجوده لأرجح فى الميزان من كل ما عُبِّرَ من حقب وأجيال ، وإن ألفا وأربعمائة سنة إلا قليلا قد مضت على نهاية تلك الحياة تطورت الإنسانية خلالها تطورات هائلة حتى وصلت فى تقدمها المادى إلى ما نراه الآن من تسخير كل قوى الكون والكشف عن مسائيره ، وحتى أصبحت تتطلع إلى الصعود فوق الكواكب الأخرى ، غازية ومكتشفة . ومع ذلك لا تزال تلك الحقبة من الزمن - وهى حقبة النبوة - تراءى للعقول والنفوس قوية مشرقة لم يُبْلِ جِدَّتْهَا تقادم العهد ولا تطاول الزمان .

ولكن أى سيرة نعى ؟ إنها السيرة التى تنقل إلينا تلك الحياة مجلوةً
 بخصائصها ومُؤَمَّاتِها ويكون الخبر فيها مطابقاً للواقع بلا مبالغة ولا تزيد ، فإنه
 لاشئ أفسد للتاريخ والسير من تلك الروايات الحلقية فى سماء الخيال ، والتى تنقل
 الحياة البشرية من عالم الواقع إلى جو الأساطير ، وليست هناك حياة كانت على
 الأرض هى أغنى بواقعها المجرد من حياة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ،
 فهى حياة تنطق كل حركة منها ويشهد كل موقف من مواقفها بأنها حياة باغت
 فى السلوك البشرى حد الإعجاز . وإن خصائصه ومعجزاته التى نطقت بها آيات
 الكتاب الكريم والسنن الصحيحة والآثار المعتمدة ، لهى من السكينة والوفرة
 بحيث لا تحتاج إلى تلك الزيادات التى يمجها الذوق السليم وتعاُفها حياة الفطرة ، والتى
 لا يشهد لها سند صحيح ولا نقل مُوثَّق ، بل عامتها من وضع الزنادقة والمنحرفين ..

هذه مقدمة أسوقها إليك أيها القارئ العزيز لتجعلها دستوراً لك عندما
 تقرأ فى كتب السيرة فلا تسارع إلى قبول كل رواية أو خبر ولا تعجل بالتصديق
 قبل البحث والتحصيل للأثر ، وامش الهويناً ونح من طريقك الشوك والأذى ،
 ولا تأخذ إلا بما تحقق لديك صدقه واطمأن إليه قلبك من الروايات والأخبار ..
 ودع عنك الطرق المظلمة وما تحويه من غرائب ومناكير ، واعلم أن الاستغناء
 بالحق وإن قل خير من التورط فى الباطل وإن جال . والله يقول الحق وهو
 يهدى السبيل .

محمد خليل هراس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أطلع فى سماء النبوة سراجا لامعا وقمرا منيرا ، وأطلع من
أكام^(١) الرسالة ثمرا يانعا^(٢) وزهرا منيرا ، تبارك اسمه ، وتمت كلمته ،
وتمت نعمته ، وجمت^(٣) حكمه ، وجرى بما كان وبما سيكون قلمه^(٤)
أوجد الأنام من العدم ، وجعل الضياء والظلم ، وخلق اللوح والقلم ، وقدر
الآجال والأرزاق والأعمال وقسم ، أحده وهو الحمود أزلا وأبدا ، وأشكره
مستريدا من نعمه مسترفدا^(٥) وأشهد به ، ومن يضل الله فان تجد له وليا

(١) جمع كم كسر الكاف وهو الغلاف الذى يحيط بازهر أو الثمر أو الطلع
فيستره ثم ينفش عنه ويجمع على أكام وأكمة وكام وكاميم .

(٢) يقال : ينع النمر ينع بفتح النون وكسر ها ، وأينع بمعنى أدرك وطاب
روحان قطافه .

(٣) الجم الكثير من كل شيء يقال جاؤوا جما غفيرا ومنه الجملة لآبئ الكثير
الماء والجملة لمجتمع شعر الرأس .

(٤) حديث القلم وارد من طرق عن أبي هريرة وعبادة بن الصامت وابن عباس
من رواية مقسم وأبي الضحى وأبي ظبيان ومجاهد ولفظ رواية مجاهد (قيل لا ين
عباس إن هاهنا قوماً يقولون فى القدر فقال إنهم يكذبون بكتاب الله عز وجل .
لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه إن الله عز وجل كان عرشه على الماء قبل أن
يخلق شيئا ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال اكتب فكتب ما هو
كائن إلى قيام الساعة وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه) .

(٥) الرشد العطاء واسترفده طلب عطاءه .

مرشداً ، وأستنصره ولن تجد من دونه مُلتَحِداً ^(١) ، وأستكفيه ^(٢) وله
الحول ^(٣) ، والقوة سرمداً ^(٤) ، وأستعينه ونعم المولى والنصير مُؤيداً ،
وأعتصم به وأستمسك بحبله فلا انفصام له أبداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له إلهاً واحداً ، أحداً ، فرداً صمداً ^(٥) لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ،
تنزه عن سِمَاتِ ^(٦) الحادثات فلا جسم ولا عرض ولا صوت ولا انتقال ،
ولا يحويه مكان ولا زمان ولا يخطر بالبال ، ولا يدركه العقل ولا يحيط
به الإدراك ولا للذهن إلى حقيقة مجال ^(٧) . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله نبي ماضٍ وماغوى ، وما ينطق عن الهوى ، ولقد رآه نزلة أخرى ،
عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ^(٨) ، وسمع صريف الأقاليم بأُستَوَى ،
وكتب الرحمن اسمه على العرش إذ أُستَوَى ^(٩) وأذن باسمه في المبتدأ في الأرض

(١) أى ملجأً نميل إليه .

(٢) اطلب كفايته .

(٣) الحول هو القوة والقدرة على التصرف .

(٤) السرمد : الدائم .

(٥) الصمد السيد الغنى الذى يصمد إليه الخلق فى حوائجهم وقيل المصمت الذى

لا جوف له .

(٦) جمع سمة وهى العلامة .

(٧) قوله فلا جسم الخ فيها أسلوب لا دليل عليها من الكتاب أو السنة

والواجب هو الاعتصام بهما فى الإثبات والنفي جميعاً .

(٨) يعنى أن محمداً عليه السلام رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى على صورته

الملكية وذلك ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى والسدرة شجرة النبق ومميت سدرة
المنتهى لأنه عندها ينتهى علم الملائكة فلا يتجاوزونها .

(٩) أخرجه الحاكم وصححه وأفره السبكي فى شفاء السقام والبلقينى فى فتاويه ،

واسكنه غير صحيح فى سنده عمرو بن أوس وهو مجهول .

وفي السماء ، وبوم النشأة الأخرى سَلَّمَ عليه الحجر والشجر ، ودَّر له ضَرْعُ
الجَذَعَةِ بِالذَّرَرِ^(١) وحنَّ الجذع لفراقه حتى خار خوار البقر ، ونبع الماء من
أصابعه ومن الأرض انفجر ، وانشقَّ له وكان يناعيه في مهده القمر ، وَحَىَّ له
الميت ، وآمنت لدعوته أَسْكُفَّةُ الباب وحوائط البيت^(٢) ، وأشار إلى السحاب
بالغيث ، فأجاب من غير رِيثٍ هَيْثَ^(٣) صلى الله عليه وسلم صلاة تُسَعِّدُ عند
المات ، وَتُسَعِّنُ عند أهوال المسألة بالثبات ، وَتُحِيزُ على الصراط إذا كثُر
الزَّالُونَ وَالزَّالَاتِ ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ، وَلُيُوثُ العدى ، وَغُيُوثُ
الندى ، ماصحاح حَادٍ وَشَدَّ^(٤) . وراح شَادٍ وَغَدَا ، وَضَابَ غَادٍ وَهَدَى ، وَغَابَ
صَادٍ وَنَدَا ، وَصَالَ بَادٍ وَوَدَى ، وسال وَادٍ وَجَدَى ، هذا كتاب مرقوم يشهد
بفضله المقربون . وسحاب مركوم يحیی بَوَا بِلَهِ الْأَقْصَوْنَ والأقربون . كتاب
نفيس جليل ، مَحَلُّهُ من الكتب مَحَلُّ الدَّرَةِ من الإكليل ، أو موضع السِّتْدَةِ
من آى التنزيل ، كتاب أَمَرَعَتْ^(٥) قَطَرَاتُهُ ، وَأَيْنَعَتْ ثمراته وَعَبَقَتْ^(٦)
زَهْرَاتُهُ ، وَأَشْرَقَتْ أنواره وَنِيرَانُهُ ، وَصَدَّقَتْ أَخْبَارَهُ آيَاتُهُ ، كتاب
بَسَقَتْ^(٧) فُنُونُهُ ، وَأَوْرَقَتْ غصونه ، وَاتَسَقَّتْ أسانيده وَمُتُونُهُ ، كتاب يُوجِرُ

(١) در الضرع أى كثر لبنه .

(٢) حنين الجذع ونبع الماء وانشقاق القمر كلها معجزات صحيحة واردة
في الصحيحين وغيرهما وأماناغة القمر في المهد وإحياء الميت وإيمان الأسكفة والحيطان
فهي آثار موضوعة أو واهية .

(٣) يقال راث يريث ريثا وتريث إذا أبطأ .

(٤) يقال شدا يشدو شدوا إذا أنشد شعرا فمد به صوته كالغناء ويقال شدا

الإبل حدالها .

(٥) أخصبت .

(٦) انتشر ريحها .

(٧) طالت وامتدت .

خارئهُ ومستمعه ، ويحفظ به إن شاء الله تعالى مؤلفه فيما يأتيه ويدَّعه ، ويُثبتهُ بالقول الثابت إذا حان مَصْرَعُهُ^(١) ويكون له في عَرَصَاتِ^(٢) القيامة نورا يسعى بين يديه ويتبعه ، كتاب جمع فأوعى ، ما كل عن جمعه ووهى^(٣) ، كل بطل شديد القوى ، كتاب فاق الكتب في نوعه جمعاً وإتقاناً ، يشرح صدور المهتدين بإتقاناً ، ويزداد به الذين آمنوا إيماناً ، ديوان مستوف لما تناسخته السَّفَرَةُ الكرام البررة ، مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيدھا المعتمدة ، مشتمل على ما اختصَّ به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة ، والخصائص التي أشرقت بإشراق البدور السافرة ، وأوردت فيه كل ماورد ، ونزهته عن الأخبار الموضوعة ، وما يُردُّ^(٤) وتتبع الطرق . والشواهد ، لما ضعف من حيث السند ، ورتبته أقساماً متناسقة ، وأبواباً متلاحقة ، بحيث جاء بحمد الله كاملاً في فنِّه ؛ وإبلا مَطَرٌ دُجْنِه^(٥) سَابِغَةٌ^(٦) ذُيُولُهُ ، سَائِغَةٌ نِيُولُهُ^(٧) ، حُلَلُهُ ضَافِيَةٌ ، وَمَنَاھِلُهُ صَافِيَةٌ ، وموارده كافية ، ومصادره وافية ، لا تُجْمَعُ واردة إلا وهي فيه مسموعة ، ولا تُسْمَعُ شَارِدَةٌ^(٨) إلا و تراها في ديوانه مجموعة ، قَرَّبْتُ فيه ما كان بعيداً . وآنَسْتُ^(٩) ما كان فريداً ، وأَهْلَسْتُ^(١٠) ما كان شريداً وفتحت لكل

(١) هلاكه . (٢) جمع عرصة وهي الساحة أو الفناء .

(٣) ضعف .

(٤) هذا ليس بصحيح فإن في هذا الكتاب كثيراً من الأخبار الواهية وللوضوعة :

(٥) كثيراً مطر سحابه . (٦) طويلة وافرة .

(٧) جميع نيل بفتح النون بمعنى ما ينال أو نيل بكسرهما بمعنى السحاب .

(٨) أي غريبة شاذة .

(٩) من الإناس الذي هو ضد الإيحاش .

(١٠) يعني جعلت له أهلاً يقال تاهل فلان إذا تزوج .

غريبة وصيداً^(١) وشرحت به صدور قوم مؤمنين . وقلوب طائفة آمنين ،
وَوَغِظَتْ به الجاحدين والمفسدين ، والطائفة المبتدعة والملحدون^(٢) والفلاسفة
المتعبدون^(٣) ، ورجوت به الحسنى ومن يهده الله فهو من المهتدين .

باب خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم

بكونه أول النبيين في الخلق وتقدم نبوته وأخذ الميثاق عليه

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو نُعَيْمٍ في الدلائل من طرف عن قتادة
عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ
أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ الآية . قال : « كنت أول النبيين في الخلقِ وَآخِرُهُمْ
في البعث فبدأ به قباهم ﴾^(٤) .

وأخرج أبو سهل القطان في جزء من أماليه عن سهل بن صالح التَّمَدَانِيَّ
قال : سألت أبا جعفر مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم
الأنبياء وهو آخِرُ مَنْ بُعِثَ ؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ من بنى آدم من
ظهورهم ذُرِّيَّاتِهِمْ وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ كان محمد صلى الله عليه
وسلم أوَّلَ مَنْ قَالَ بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من يُبْعَثُ^(٥) .

(١) الوصيد الباب . (٢) جمع ملحد وهو المنكر للنبوت والشرائع .

(٣) الفلاسفة جمع فيلسوف وهى كلمة يونانية مركبة من فيلو بمعنى محب
وسوف بمعنى الحكمة فالفيلسوف هو محب الحكمة .

(٤) الحديث غير صحيح رواه أبو نعيم في الدلائل والديلمى في الفردوس وفي سنده
بقية وهو متهم وسعيد بن بشر وقد ضعفه بن معين وغيره وقد حكم الصغاني وابن
تيمية على هذا الحديث بالوضع ، ودلائل أبي نعيم وحليته مليتان بالمنكرات .

(٥) لا شك أنه صلى الله عليه وسلم أعظم من شهد لله بالربوبية وقام بالتوحيد
علماً وعملاً وحالاً ودعوة ، ولكن مثل هذا الكلام يحتاج إلى توقيف لأنه ليس مما
يقال بالراى .

وأخرج أحمد والبخارى فى تاريخه والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم
عن ميسرة الفخر قال : قالت يارسول الله متى كتبت نبيا ؟ قال « وآدم بين
الروح والجسد »

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقى عن العرْبَاضِ بن سارية قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني عند الله فى أم الكتاب لخاتم
النبيين وإن آدم كمنجدل فى طينته ^(١) » .

وأخرج الحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ
الروح فيه » .

وأخرج البزار والطبرانى فى (الأوسط) وأبو نعيم من طريق الشعبى
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قيل يارسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :
« وآدم بين الروح والجسد ^(٢) » .

وأخرج أبو نعيم عن الضَّنَّابِجِى قال : قال عمر رضى الله عنه : متى جعلت
نبيا ؟ ^(٣) قال (وآدم مُنْجَدِلٌ فى الطين) ^(٤) مرسل .

(١) هذا الحديث صريح فى أن المراد بتقديم نبوته على خلق آدم إنما هو تقدمها
فى علم الله عز وجل لقوله (إني عند الله فى أم الكتاب) وبهذا لا يحتاج إلى تلك
التفسيرات العجيبة التى أوردها المؤلف عن السبكي لا سيما وقد بناها على علو صوفي
مقيت يضاهى به ما قالته النصارى فى عيسى عليه السلام .

(٢) فيه جابر ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف وانفرد الحديث متى كتبت نبيا ؟ .

(٣) ليس فى الأحاديث ما يدل على الخصوصية والرسول عليه السلام إنما أراد
إجابة السائل ولم يرد التعريف بشىء يخصه فيجوز أن يكون حكم الأنبياء كلهم كذلك .

(٤) المرسل ما سقط منه الصحابى ، والصحابى هنا مذكور فكيف يكون مرسل .

وأخرج ابن سعد عن ابن أبي الجذعاء قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال «إذ آدم بين الروح والجسد» .

أخرج ابن سعد عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا؟ قال «بين الروح والطين من آدم» .

وأخرج ابن سعد عن عامر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم متى استنبئت؟ قال «وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق» .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي مريم الغساني أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أي شيء كان أول نبوتك؟ قال «أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ودعوة أبي إبراهيم وبُشْرَى عيسى ورأت أمي في منامها أنه خرج من بين رجلين سراج أضاءت له قصور الشام» .^(١)

(فائدة)

قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه (التعظيم والمنة في تؤمن به ولتصبر نه) في هذه الآية من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى ما لا يخفى . وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسل إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله (بعثت إلى الناس كافة) ، لا يختص به الناس من

(١) الظاهر أن الميثاق المأخوذ على النبيين هو غير الميثاق العام الذي أخذه الله على جميع بني آدم ، فهو ميثاق خاص بهم أن يبلغوا رسالة الله وأن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وأما قوله دعوة أبي إبراهيم فيعني قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك) الآية من سورة البقرة وأما بشرى عيسى فهي قوله لبي إسرائيل (إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) الآية من سورة الصف .

تزمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً^(١) ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » وأن من فسرهُ بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل إلى هذا المعنى لأن علم الله محيط بجميع الأشياء، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت ولهذا رأى آدم اسمه مكتوباً على العرش محمد رسول الله^(٢) فلا بد أن يكون ذلك معنى ثابتاً في ذلك الوقت ، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبلة فلا بد من خصوصية^(٣) للنبي صلى الله عليه وسلم لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى فيحصل لهم الخير بذلك ، فإن قلت : أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد فإن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ وإن صح ذلك فغيره كذلك، قلت، قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله « كنت نبيا إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته^(٤) » والحقائق تقصّر عقولنا

(١) هذا غلو بارد وتقدير فاسد ولم يقل أحد من السلف أن رسالته تشمل الرسل السابقين ومن أرسلوا إليهم وإلا لكان الجميع قد ماتوا كفاراً لأنهم لم يؤمنوا به، ولفاتت بذلك خصائص هذه الأمة التي وردت في الكتاب والسنة وإنما محموم رسالته بالنسبة لمن كانوا في زمانه ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة .

(٢) الحديث بذلك غير صحيح وثبوت نبوته في ذلك الوقت هو في أم الكتاب كما بينه حديث العرياض وقد روى الرسول عليه السلام غنى عن هذا الهذيان .

(٣) ليس في الأحاديث ما يدل على الخصوصية والرسول عليه السلام إنما أراد إجابة السائل ولم يرد للتعريف بشيء يخصه فيجوز أن يكون حكم الأنبياء كلهم كذلك .

(٤) ياعجبا لهذا الذي لم يرض بتأويل القائلين بأن المراد ثبوت النبوة في العلم والكتابة يذهب به الخيال إلى هذا الحد فكيف تسمى الروح نبيا وما هي هذه =

عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمدّه بنور إلهي ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء ، حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم ، آناه الله ذلك الوصف بأن يكون خالقها مهيباً لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليُعْلَم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ، حقيقة موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المُفَاضة عليه من الحضرة الإلهية وإنما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله تعالى ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته مُعَجَّل لا تأخير فيه وكذلك استنبأوه وإبتأوه الكتاب والحكم والنبوة^(١) وإنما المتأخر تَكُونُهُ وتُنْقَلُهُ إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل الكرامة قد تكون إفاضة الله تعالى تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه ولا شك أن كل ما يقع فالله عالم به من الأزل ونحن نعلم علمه بذلك بالأدلة العقلية والشرعية ، ويعلم الناس منها ما يصل إليهم عند ظهوره كعلمهم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه القرآن في أول ماجاء جبريل وهو فعل من أفعاله تعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وإرادته واختياره في محل خاص يتصف بها فئتان مرتبتان الأولى

= الحقيقة التي يدعى وجودها ؟ أنه لاحقيقة اشيء قبل وجوده إلا نبوته في العلم الأزلي والقدرة السابق أو الذكر باللسان ومثل هذا الوجود لا تترتب عليه آثار الوجود في الأعيان على أن مثل هذا الكلام يمكن أن يقال في حق جميع الأنبياء فإن أرواحهم وحقايقهم كانت موجودة فهل كانت متصفة بالنبوة أم لا ؟ فإن كان الأول فلا خصوصية وإن كان الثاني فمناه أن أرواحهم وحقايقهم لم تخلق أهلاً لذلك المنصب وهذا قدح في أقدارهم الشريفة .

(١) كيف يتأني إبتأؤه الحكم والكتاب والنبوة في عالم الأرواح أو الحقائق أم كيف يتفق هذا مع قوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » وقوله « وإن كنت من قبله لمن الغافلين » اللهم إنه الهوى يعنى صاحبه ويصم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالى تحدث على حسب اختياره ، منها ما يظهر لهم بعد ذلك ، ومنها ما يحصل به كمال لذلك الحل ، وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك الحل من حين خلقه وإلى كمال يحصل له بعد ذلك ، ولا يصل علم ذلك إلينا إلا بالخبر الصادق والنبي صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرّفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك السكّال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه ، وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم^(١) وفي أخذ المواثيق وهى فى معنى الاستخلاص ولذلك دخلت لام القسم فى (لتؤمنن به ولتنصرنه) الآية^(٢) .

﴿ لطيفة أخرى ﴾ وهى كأنها أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ الَّتِي تُوْخَذُ لِلْخُلَفَاءِ وَلَعَلَّ أَيْمَانَ الْخُلَفَاءِ أَخَذَتْ مِنْ هُنَا فَانْظُرْ هَذَا التَّعْظِيمَ الْعَظِيمَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

(١) هذا تعبير فيه سوء أدب بالنسبة لارسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم بل هو أخوهم والمصدق لهم نعم لو بعث أحدهم من قبره أو لو بقى حيا إلى زمان مبعثه لوجب عليه أن يؤمن به وينصره .

(٢) الآية المشار إليها هى قوله تعالى من سورة آل عمران « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » وقد اختلف المفسرون فى المراد بها فذهب الجمهور إلى القول بأن الله أخذ الميثاق على كل نبي أنه إن عاش إلى زمان الرسول الذى يجرى بعده أن يؤمن به وينصره لأنهم بعثوا جميعا بدين واحد فيجب أن يصدق بعضهم بعضا ويتناصروا فى الدعوة إليه وروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالآية أن الله أخذ الميثاق على جميع النبيين أنهم إن أدركوا زمان محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه ثم أمرهم أن يأخذوا العهد على أعمهم ذلك ولا تعارض .

ربه سبحانه وتعالى فإذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم^(١) ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه . وفرف بين توقف الفعل على قبول الحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة ، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه ، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك^(٢) ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله ، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة نعم هو واحد من هذه الأمة لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيها من أمر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقض منه شيء وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم^(٣) فنبوته

(١) هذا لا يستلزم أن يكون نبيا لهم بل يستلزم تقدمه إليهم في الفضل والشرف وهو أمر مقطوع به .

(٢) لا ندرى فيم يجهد هذا الرجل نفسه وما الذي يعنيه بهذه الفلسفة الغريبة .

(٣) العجب من إصرار السبكي على هذا الهذيان كيف يتأتى أن يرسل هؤلاء

إلى أممهم ثم يكون رسولنا مرسلًا إليهم ونبيا عليهم ؟ إن هذه وظيفة الرسول للملكي جبريل الذي ينزل بالوحي عليهم ، والقول الصحيح في هذا الباب أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل وجاء بالشريعة الكاملة التي لا كمال وراءها كان جميع الناس مأمورين باتباعه ، فلو بعث الرسل أحياء ماوسعهم إلا أن يؤمنوا به ويتبعوه .

ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف .
وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع ، إمامة
على سبيل التخصيص . وإماما على سبيل النسخ . أولا نسخ ولا تخصيص بل
تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك
الأمم ما جاءت به أنبيائهم وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة^(١)
والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ، وبهذا بان لنا معنى حديثين
كانا خفيين عنا . أحدهما : قوله صلى الله عليه وسلم « بعثت إلى الناس كافة » كناية
نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم^(٢) ، والثاني .
قوله صلى الله عليه وسلم « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » كنا نظن أنه
بالعلم فبان أنه زائد على ذلك على ما شرحناه وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود
جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الأربعين وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث
إليهم وتأهلهم لسماح كلامه لا بالنسبة إليه^(٣) ولا إليهم لوتأهلوا قبل ذلك

(١) هذا هراء فإن الله يقول « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ويقول
لنبيه عليه السلام « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » فشريعته هي ما
أنزل عليه هو وأمر بتبليغه كما أن الشرائع السابقة هي شرائع من أزات عليهم
لجعل الشرائع كلها من جملة شريعته خبيل في العقل والعياذ بالله .

(٢) يلزم طى هذا أن يسكون عليه السلام موجودا مع أهل كل عصر من لدن
آدم يبلغهم ما أنزل عليه ويأمرهم وينهاهم تحقيقا لمعنى الرسالة وإلا كان مقعرا في
التبليغ ولست أدري لماذا عفى هذا الرجل نفسه بمثل هذا الكلام الذى يضحك منه
حتى العامة والصبيان

(٣) يعنى أنه كان مستكلا لجميع شروط التبليغ قبل بلوغ الأربعين فكان عالما
بالقرآن وجميع العلوم التى أمر بتبليغها وإنما تأخر التبليغ لعدم أهلية المخاطبين فهل
يقول مثل هذا الكلام مؤمن ، وهل هناك طعن في الإسلام أشد من هذا ؟ وفيه =

وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب الخلل القابل وقد يكون بحسب
 الفاعل المتصرف ، فهنا التعليق إنما هو بحسب الخلل القابل وهو المبعوث
 إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بأسانه وهذا كما
 يوكل الأب رجلاً فى تزويج ابنته إذا وجدت كفواً فانتوكيل صحيح ، وذلك
 الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفو
 ولا يوجد إلا بعد مدة ، وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى
 كلام السبكي بلفظه والله أعلم .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم

بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر مافى الملكوت
 أخرج الحاكم والبيهقى والطبرانى فى الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما اقترف
 آدم الخطيئة قال يارب بحق محمد لمّا غفرت لى قال وكيف عرفت محمداً ؟ قال
 لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم
 العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك
 إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك ^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن كعب الأحبار قال (إن الله أنزل على آدم عَصِيّاً
 بعدد الأنبياء والمرسلين ، ثم أقبل على ابنه شيث فقال أى بنى أنت خليفتى من بعدى
 نخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد .

== كان تعب جبريل صاعداً ونازلاً ثلاثاً وعشرين سنة وكيف يتفق هذا مع قوله سبحانه
 « ووجدك ضالاً فهدى » وقوله « وعلمك ما لم تكن تعلم » وقوله « وإن كنت من
 قبله لمن الغافلين »

(١) هذا الحديث باطل والله لم يخلق آدم ولا غيره من أجل أحد وإنما خلق
 السلك لعبادته كما قال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) كما لا يجوز أن يسأل
 الله بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على الله .

صلى الله عليه وسلم فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم إني طفت السموات فلم أرفى السموات موضعاً إلا اسم محمد مكتوباً عليه وإن ربي أسكنني الجنة فلم أرفى الجنة قصر أو لا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين وعلى ورق داود قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعتها^(١).

وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلِّي»^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليلة أسرى بي رأيت على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين»^(٣).

وأخرج أبو يعلى والطبرانى فى (الأوسط) وابن عساكر والحسن بن عرفة فى جزئه المشهور عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليلة أسرى بي عرج بي إلى السماء ما مررت بسما إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي».

(١) ينبغي أن لا يوثق بهذه الإسرائيليات التى ينقلها كعب الأخبار وغيره من مسلمى أهل الكتاب وديننا محمد الله ليس فى حاجة إليها.

(٢) هذا الحديث من وضع الشيعة لقوله فى آخره (أيدته بعلِّي) والله عز وجل يحول (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) لم يخص علياً ولا غيره وجميع الأحاديث التى ذكرها فى هذا الباب لا يصح منها شيء ولم يروها أحد من الستة فينبغى أن لا يفرح بها وقدر نبينا صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة إلى أن تحتلق له الأحاديث فيعسبه ثناء الله عز وجل عليه فى قوله «وإنك لعل خلق عظيم» وقوله «ورفعنا لك ذكرك».

وأخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما عرج
بني إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً بمحمد رسول الله .

وأخرج الدارقطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر عن أبي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ليلة أسري بي في العرش قرندة ، خضرة
فيها مكتوب بنور أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر
الفاروق ^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما في
الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله .
وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما في الجنة شجرة عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد
رسول الله » .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال « أوحى الله إلى عيسى آمن
بمحمد وصر من أدركه من أمته أن يؤمنوا به فلو لا محمد ما خلقت آدم ولا
الجنة ولا النار ولتد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله
محمد رسول الله فسكن » قال الذهبي في سننه عمرو بن أوس لا يدرى من هو ^(٢)
وأخرج ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر قال « بين كني آدم
مكتوب محمد رسول الله خاتم النبيين » .

(١) قال الشوكاني في الفوائد إنه موضوع .

(٢) يعني أن الحديث في سننه محمول ومثله لا يقبل فلا عبرة بتصحيح الحاكم
«لا بإقرار السبكي والبلقيني لذلك التصحيح .

باب

أخرج البزار عن أبي ذر رَفَعَهُ أَنَّ السِّكِّزَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مُصَمَّتٍ فِيهِ بِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَجِبْتُ لِمَنْ أَيقِنَ بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَنْصَبُ ؟ عَجِبْتُ مَنْ ذَكَرَ النَّارَ ثُمَّ يَضْحَكُ ؟ عَجِبْتُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ ثُمَّ غَفَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) . وَوَرَدَ مِثْلُهُ عَنْ عُمَرَ وَعَلَى أَخْرَجَهُمَا الْبَيْهَقِيُّ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْرَجَهُ الْخُرَائِطِيُّ فِي (كِتَابِ قَعِ الْحَرَصِ) .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ فَصْخَاتِمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ سَمَاوِيَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ فَوَضَعَهُ فِي خَاتَمِهِ وَكَانَ نَقْشُهُ أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي » ^(٢) .

وَأَخْرَجَ الْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ وَابْنُ عَدَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكَرٍ وَابْنُ النَّجَّارِ فِي تَارِيخَيْهِمَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيِّ الرَّقِّيِّ قَالَ « دَخَلْتُ بِلَادَ الْهِنْدِ فَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ قَرَاهَا شَجَرَةً وَرَدَّ أَسْوَدٌ يَنْفَتَحُ عَنْ وَرْدَةٍ كَبِيرَةٍ طَيِّبَةِ الرَّائِحَةِ سُودَاءَ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ بِخَطِّ أَبِيضٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عُمَرُ الْفَارُوقُ فَشَكَّكْتُ فِي ذَلِكَ » وَقُلْتُ إِنَّهُ مَعْمُولٌ فَعَمِدْتُ إِلَى حَبَّةٍ لَمْ تَفْتَحْ فَفَتَحْتُهَا ، فَرَأَيْتُ فِيهَا كَمَا رَأَيْتُ فِي سَائِرِ

(١) هَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ وَهُوَ مُنَافٍ لظَاهِرِ الْآيَةِ فِي أَنَّهُ كَنْزٌ حَقِيقِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَحْفَظَهُ عَلَى الْيَتِيمِينَ حَتَّى يَبْلُغُوا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَاهُ لَا أَنَّهُ يَجْرُدُ مَوْعِظَةً فَإِنَّ الْوَاعِظَ تَمْلَأُ الْكِتَابَ وَتَجْرَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَلْقِ فَلَا مَعْنَى لِأَنَّهُ تَسْكَنُ وَتَدْخُرُ .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ وَالَّذِي بَعْدَهُ كِلَاهُمَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقَشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابَهُ إِلَى الْمُلُوكِ فَقِيلَ لَهُ يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا مَحْتُومًا .

«لورد وفي البلد منه شيء كثير ، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل» ^(١) .

باب ذكره في الأذان في عهد آدم وفي الملائكة الأعلى

أخرج أبو نعيم في (الحلية) وابن عساكر من طريق عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزل آدم بالهند واستوحش فنزل جبرائيل عليه السلام فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن محمداً رسول الله مرتين قال آدم من محمد؟ قال آخر ولدك من الأنبياء» ^(٢) .

وأخرج البزار عن علي قال «لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبرئيل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت ، فقال لها جبرئيل

(١) هذا كلام يستحي العاقل من ذكره وأن يسود به الأوراق ، ولكن لله في خلقه شئون .

(٢) ليس بلاء هذه الأمة في أعدائها بأشد من بلائها في الأغرار من أبنائها ، فهؤلاء المحدثون الذين لا هم لهم إلا أن يجمعوا المناكير في كتبهم في غير أكثرات ولا مبالاة قد جنوا على الدين وعلى السنة أعظم جناية وهم يظنون أنهم يقومون بخدمتها ونصرتها وإلا فما هذه الحشود المائلة من الأخبار الغريبة التي برويها أمثال أبي نعيم وابن عساكر كما لا يوجد منه شيء في الصحاح كهذا الحديث المروي في الأذان ونحن نعلم أن الأذان على كل هذا الأمة وأنه لم يكن معروفاً في الملل السابقة حتى إن المسلمين هموا أول الأمر أن يتخذوا بوقاً كبوق اليهود أو ناقوساً كناقوس النصارى (فرأى بعضهم الأذان في النوم ثم نزل له الوحي فهو حديث ينادى على نفسه بالوضع ومثله بل وأسوأ حالاً منه حديث البزار عن علي بن ركب البراق كانت ليلة الإسراء ومشروعية الأذان كانت بالمدينة .

اسكنى فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا إله إلا أنا فقال الملك أشهد أن محمداً رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمداً قال الملك حى على الصلوة حى على الفلاح قد قامت الصلوة ثم قال الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا إله إلا أنا ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم قدمه فأَمَّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ فَيَوْمَئِذٍ أَكَمَّلَ اللَّهُ لِحَمْدِ الشَّرَفِ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

« باب خصوصيته بأخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به »

قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .

أخرج ابن أبي حاتم عن الشدّي في الآية قال « لم يبعث نبي قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد لينصرنه إن خرج وهو حى وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء » ^(١) .

(١) هذا موافق لما روينا من تفسير على وابن عباس رضى الله عنهما وقد ذكرنا أن للجمهور تفسيراً آخر للآية وهو أن كل نبي أخذ عليه العهد إن أدرك زمان الذى بعده أن يؤمن به ويتبعه .

وأخرج ابن عساكر من طريق كريب عن ابن عباس قال « لم يزل الله تعالى يتقدم في النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم فمن بعده ولم تزل الأمم تتباصر به وتستفتح به حتى أخرجه الله في خير أمة وفي خير قرن وفي خير أصحاب وفي خير بلد فأقام به ما شاء الله وهو حرم إبراهيم ثم أخرجه إلى طيبة وهو حرم محمد فكان مبعثه من حرمٍ ومُخْرَجُهُ إلى حرمٍ »^(١).

باب دعاء إبراهيم عليه السلام به

أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية قال « لما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية قيل له قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان .

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقي عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةُ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ »^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن عبادة بن الصامت قال : قيل يا رسول الله أخبرني عن نفسك قال « نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وكان آخر من بشرني عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام » .

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة ما بين لابتيها » وفي الصحيفة التي كتبها على قل « المدينة حرام من عاثر إلى كذا من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله » .

(٢) المراد بتلك البشارة قوله تعالى من سورة الصف (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وقد اشتملت الأنجيل الموجودة الآن لاسيما إنجيل برنابا على بشارات صريحة بالنبي عليه السلام .

وأخرج ابن سعد من طريق جوير عن الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا دعوة أبي إبراهيم قال وهو يرفع القواعد من البيت » ربنا وابعث فيهم رسولا منهم « حتى أتم الآية » .

باب إعلام الله به إبراهيم عليه السلام وآله

أخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : « لما أمر إبراهيم بإخراج هاجر حمل على البراء فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة إلا قال : أنزل ها هنا يا جبريل ؟ فيقول لا حتى أتى مكة فقال جبريل إنزل يا إبراهيم ؟ قال : حيث لا ضرع ولا زرع ؟ قال نعم ها هنا يخرج النبي الأمي من ذرية ابنك الذي تم به الكلمة العليا ^(١) » .

وأخرج عن الشعبي قال في بحلة إبراهيم عليه السلام « إنه كائن من ولدك شعوب وشعوب حتى يأتي النبي الأمي الذي يكون خاتم الأنبياء » .

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال (لما خرجت هاجر بابنها إسماعيل تلقاها متلق ، فقال يا هاجر إن ابنك أبو شعوب كثيرة ومن شعبه النبي الأمي ساكن الحرم ^(٢)) .

(١) كان فرعون مصر قد أهدى هاجر إلى سارة زوجة إبراهيم وكانت سارة عقيمًا لاتلد فوهبت هاجر لإبراهيم ليستولدها فولدت له إسماعيل ف وقعت الغيرة في قلب سارة فأمرته أن يذهب بها هي وولدها إلى مكان بعيد عنها ووافق ذلك من سارة قدر الله عز وجل في إحياء بلده الأمين وتجديد بيته الحرام فأمر الله إبراهيم أن يهاجر بأمر ولده إلى هناك .

(٢) وقد جاء في التوراة أن الله عز وجل قال لإبراهيم « أما إسماعيل فإني أسمع لك فيه فأباركه وأكثره اثنا عشر رئيسًا يلد »

وأخرج عنه أيضاً قال : « أوحى الله إلى يعقوب إني أبعث من ذريتك
ملوكاً وأنبياء حتى أبعث النبي الحُرِّمِيَّ الذي تَبْنِي أُمَّتُهُ هَيْكَلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ
وهو خاتم الأنبياء واسمه أحمد

باب إعلام الله به موسى عليه السلام

أخرج الطبراني عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ^(١) قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « لما بلغ وُلْدُ مَعْدٍ بنِ عَدْنَانَ أربعين رجلاً وقعوا في عسكر
موسى فأنهبوه فدعا عليهم موسى فأوحى الله إليه لا تدع عليهم فإن منهم النبي
الأمي النذير البشير ومنهم الأمة المرحومة أمة محمد الذين يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله عنهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا
الله نبينهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتواضع في هيئته المجتمع له اللب في
سكوته ينطق بالحكمة ويستعمل الحلم أخرجه من خير جيل ^(٢) من أمة قريش
ثم أخرجه صَقَوَةً مِنْ قريش فهو خير من خير إلى خير هو وأُمَّتُهُ إلى خير
يصيرون ^(٣) » .

(١) اسمه صدى بن عجلان وكان فيمن شهد صفين مع علي ثم نزل الشام . توفي
سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٢) صح عنه عليه السلام أنه قال « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم » .

(٣) لاشك أن ممة الوضع بادية على هذا الحديث فأين ولد معد بن عدنان من
عسكر موسى حتى يقموا فيهم وموسى وقومه حين خرجوا من مصر أقاموا بطور سيناء
مدة التيه أربعين سنة مات موسى وهارون خلالها ثم دخلوا فلسطين زمان يوشع
ابن نون وولد معد إنما كانوا يسكنون الجزيرة هذا فضلا عما في الحديث من ركافة
في التعبير .

باب ذكره في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة^(١)

قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) وقال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأمن في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) الآية .

وأخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: «لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» وحزراً للأمين أنت عبدى ورسولى سَمِّيتُكَ المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ولا سَخَاب في الأسواق ولا يحزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُمًّا وقلوباً غُلْفًا^(٢) .

(١) لاشك أن التوراة والإنجيل كانا مشتملين على كثير من نعوت صلى الله عليه وسلم ونعت أمته والكتاب للنزل عليه وكان فيهما تحديد زمان مبعثه حتى إن اليهود والنصارى قبيل البعثة كانوا يبشرون بقرب ظهوره ولكنهم لما بعث حسدوا العرب على ذلك الفضل فجحدوا كثيراً من هذه النعوت وبما جاء في التوراة (طلع الرب من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران) ومعلوم أن بركة فاران هي الحجاز .

(٢) يقال إن عبد الله بن عمرو بن العاص حين فتحت الشام وقع على زمامين من زوامل أهل الكتاب فكان يجد فيهما كثيراً من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته .

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله ابن سلام عن جده عبد الله بن سلام أنه لما سمع بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَاقْبَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنْتَ ابْنُ سَلَامٍ عَالِمٌ أَهْلُ يَثْرِبَ؟ » قَالَ نَعَمْ، قَالَ: نَاشِدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ انْسِبْ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَأَرْتَجِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُظَاهِرُكَ وَمُظَاهِرُ دِينِكَ عَلَى الْأَدْيَانِ وَإِنِّي لِأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكِّلُ . لَيْسَ بَفُظٍ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَلَنْ يَقْبُضَهُ اللَّهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ بِهِ الْمَلَّةُ الْمَعُوجَةُ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عَمِيًّا وَأَذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا ^(١) ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ (صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوْرَةُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا فَذَكَرْتُ إِلَى آخِرِهِ) .

وأخرج الدارمي في مسنده والبيهقي من طريق عطاء بن يسار عن ابن سلام مثله .

(١) الذي في صحيح البخاري وغيره أن إسلام عبد الله بن سلام إنما كان بالمدينة وذلك أنه حين سمع بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمن إلا نبي فأجابه النبي عنها فأسلم والذي في الصحيح أيضا أن سورة قل هو الله أحد نزلت لما قال المشركون لرَسُولِ اللَّهِ انْسِبْ لِنَارِكَ فَأَعْجَبَ لِهَذَا التَّفْطِيقِ وَالْخُلَاطِ .

وأخرج الدارمي في مسنده وابن عساكر عن كعب^(١) قال (في السطر الأول محمد رسول الله عبدى المختار لأفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسينة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر مَوْلده بمكة وهجرته بطيبة ومُلْكُه بالشام وفى الثانى محمد رسول الله أمته المحادون يحمدون الله فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رُعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كفاسة^(٢) ويأتزرون^(٣) على أوساطهم ويوضئون أطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل .

وأخرج الدارمي وابن سعد وابن عساكر عن أبى فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة؟ فقال كعب نجده (محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة^(٤)) ويكون ملكه بالشام وليس بفخّاش ولا بسخاب فى الأسواق ولا يكافى بالسينة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته المحادون يحمدون الله فى كل سراء ، ويكبرون الله على كل نجد يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديتهم فى جو السماء .

(١) كان كعب الأحبار يهوديا وأسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه وعامة ما يرويه اسرائيليات يجب أن تؤخذ بحذر وقد قال عليه السلام (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تسكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) وبعض هذه النعوت وارد فى الصحيح كما فى حديث عبد الله ابن عمر والنقدم .

(٢) مزبلة .

(٣) يشدون الأزر .

(٤) اسم من أسماء المدينة .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة وأبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صفى أحمد المتوكل مولده مكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزى بالحسنة الحسنه ولا يكافى بالسئته أمتة الحادون ياتزرون على أنصافهم أناجيلهم في صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذي يتقربون به إلى دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار .

وأخرج ابن سعد والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن عائشة قالت (إن النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزى بالسئته مثلها ولكن يعفو ويصفح) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أم الدرداء امرأة أبي الدرداء^١ قالت لكعب : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟ قال كنا نجده موصوفاً فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعيناً عوراً^٢ ويسمع به آذاناً صمّاً ويقم به السنّة معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من أن يستضعف .

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون^٣ فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلها أمتي قال تلك

(١) هو عويمر بن مالك ويقال عويمر بن زيد من بني الحارث بن الخزرج وكان آخر أهل داره إسلاماً وكان قبل إسلامه تاجراً ومات بالشام سنة ٣٢ هـ وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم .

(٢) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناها من بعدهم) .

أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنه ظاهراً^(١) فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفء فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة^(٢) فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب إني أجد في الألواح أمة يُؤْتُونَ؟ العلم الأوَّل والعلم والآخِر فيقتلون قُرُون الضلالة والمسيح الدجال فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب فاجعلني من أمة أحمد فأعطى عند ذلك خَصَمَتَيْنِ فقال (ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت يارب)^(٣) .

(١) يعنى أنهم يحفظون القرآن ويستظهِرونه ثم يقرأون من حفظهم دون نظر في المصحف .

(٢) الظاهر أن مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر ومجازاة السيئة بمثل حكم عام ليس من خصائص هذه الأمة .

(٣) هذا حديث واضح البطلان فإن موسى عليه السلام أعقل من أن يطلب من الله عز وجل أن يكون نبياً لأمة ستكون بعده وهو يعلم أن هذه صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم والذي يشهد على هذا الحديث بالوضع قوله في آخره (فأعطى عند ذلك خصلتين الخ) فإن موسى عليه السلام كان رسولا مكلما قبل أن يقرأ في الألواح ما قرأ وقوله تعالى لموسى (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) إنما كان في قصة طلب الرؤية فلما منعها أمره الله أن يقنع بما أعطاه وأن يشكره عليه ، ويظهر أن أبا هريرة سمع هذا الحديث من كعب فإنه كثيراً ما يأخذ عنه مثل هذه الإسرائيليات .

وأخرج أبو نعيم عبد الرحمن المَعافِرِي أن كعب الأحبار رأى حَبْرَ اليهود^(١) يسبكي فقال له « ما يسبكك ؟ قال ذكرت بعض الأمر فقال له كعب أنشدك بالله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدّقني قال نعم قال أنشدك هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب إني أجد أمة في التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي . قال هم أمة أحمد ؟ قال الخبر نعم . »

قال كعب فأنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب إني أجد أمة هم المحادون رُعاة الشمس المُحَكِّمُونَ إذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ؟ قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا هبط واديا حمد الله . الصعيد لهم ظهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أحمد ؟ قال الخبر : نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب إني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب واصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا أجد أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ؟ قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب ، إني أجد في التوراة أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب

(١) حبر اليهود عالمهم وجمعه أحبار ، وكان يقال لابن عباس حبر الأمة لكثرة علمه .

أهل الجنة يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد إلا من برى من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد؟ قال الخبر نعم .

فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله محمداً وأمته قال ياليتني من أمة أحد فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) الآية فرضى موسى كل الرضاء ^(١) .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمرو قال لكعب الأخبار أخبرني عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ^(٢) قال أجدهم في كتاب الله أن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله على كل خير وشر يكبرون الله على كل شرف ويسبحون الله في كل منزل نداؤهم في جو السماء لهم دوى في صلاتهم ^(٣) كدوى النحل على الصخر يصفون في الصلاة كصفوف الملائكة ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم

(١) هذا الحديث يشهد لما قلناه آنفاً في حديث أبي هريرة من أنه مأخوذ من كلام كعب الأخبار وكثيراً ما كان أبو هريرة يلقي كعباً ويأخذ عنه والذي نعلمه يتينا أن نمت هذه الأمة مذكور في التوراة كما قال تعالى من سورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأمنهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثابهم في التوراة » وأما ماجاء في كلام كعب وغيره فهو وإن كان صحيحاً في نفسه لا ندرى إن كان ورد بهذه الصورة في التوراة أم لا ولا حاجة لنا به فإن الله أغنانا بكتابه وسنة نبيه عن كل ما سواهما .

(٢) لم يكن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما بحاجة إلى أن يسأل كعباً عن هذا ففعله كان أعلم به منه لما وقع في يده من زوامل أهل الكتاب كما تقدم .
(٣) لعله في قراءتهم فإن الصلاة الجهرية لا يقرأ فيها سوى الإمام ولعله أراد صلاتهم بالليل في التهجد .

ومن خلفهم برماح شداد^(١) إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً ، وأشار بيده كما تظل النور على وكورها ، لا يتأخرون زحفاً أبداً حتى يحضرهم جبرئيل عليه السلام .

وأخرج أبو نعيم في (الحلية) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله إلى موسى نبىء بنى إسرائيل أنه من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار^(٢) قال يارب ومن أحمد ؟ قال ما خلقت خلقاً أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض ، إن الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمه قال ومن أمته ؟ قال الحمدون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أو ساطهم ويظهرون أطرافهم ، صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله قال اجعلنى نبى تلك الأمة قال نبيها منها قال اجعلنى من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال^(٣) »

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو نعيم عن وهب بن منبه قال « أوحى الله إلى أشعيا » إنى باعث نبيا أميا أفتح به آذاناً صامو قلوباً غلغلا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحجب المختار

(١) لم يكن الإمداد بالملائكة فى كل الغزوات بن كان فى بدر واحد والأحزاب وحنين .

(٢) ليس فى هذا خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل من جحد نبواً أحد من الأنبياء فهو فى النار كذلك طى أن الرسول لم يكن قد بعث حتى يجب الإيمان به .

(٣) هذا الحديث كما ترى يشبه ما تقدم من كلام كعب الأحبار ، فلهل أنسا هو الآخر لقيه فسمع منه ولقد كان الصحابة يثقون فى كعب ويأخذون عنه ، هذا إن صح الحديث عن أنس وإلا فأنت تعلم حال ما يرويه أبو نعيم .

لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويفغر ، رحيا بالمؤمنين يسكى
 للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم في حِجْر الأرملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
 الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالحنأ لو يمر إلى جنب السراج لم
 يطفئه من سكينته ولو يمشى على القصب الرِّعْرَاع - يعنى اليافع - لم يُسمع من تحت
 قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل
 السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله - والصدق والوفاء
 طبيعته والعفو والغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
 إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به من بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة
 وأرفع به بعد الخلالة وأسمى به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد
 العيلة وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين قلوب وأهوء متشتته وأمم مختلفة ،
 وأجعل أمة خير أمة أخرجت للناس أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وتوحيداً
 نبي وإيمانا نبي وإخلاصا لي وتصديقا لما جاءت به رسلي وهم رعاة الشمس طوبى
 لتلك القلوب والوجوه والأرواح ، التي أخاضت لي الهمهم التسبيح والتكبير
 والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجهم ومثقلهم ومشواهم ،
 ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي ، هم أوليائي وأنصاري
 أتنقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان يصلون لي قياما وقعودا ورُكعا وسجدا ،
 ويخرجون من ديارهم وأمهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً ويقفون في سبيلي صُفوفاً ورُخوفاً
 تأختم بكتابتهم الكتب وبشريعهم الشرائع وبدينهم الأديان ، فمن أدركهم فلم
 يؤمن بكتابتهم ولم يدخل في دينهم وشريعهم ، فليس مني وهو مني برى
 وأجعلهم أفضل الأمم وأجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس إذا غضبوا هلولي ،
 وإذا قبضوا كبروني ، وإذا تنازعوا سبحانه يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون
 الثياب إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأشرف ، قربانهم دماؤهم وأنجيلهم
 صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار ، يناديه مناديهم في جو السماء لهم دوى كدوى

الفضل طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم. ذلك فضلى أوتيته
من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم»^(١)

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال : قدم الجارود بن عبد الله فأسلم وقال
«والذى بعثك بالحق لقد وجدت وصفك فى الإنجيل ولقد بشر بك ابن البتول»^(٢).

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن المسيب أن العباس قال لكعب الأحبار
«ما منعك أن تسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حتى أسلمت الآن
فى عهد عمر»^(٣) فقال إن أبى كتب لى كتابا من التوراة فدفعه إلى وقال أعمل بهذا

(١) لاشك أن عامة ما جاء فى هذا الحديث من نعت النبى وأمنته صحيح وهو
مادة دسمة لا وعاظ واقصاص ولكن هل هو من وحى الله إلى أشعياء كما زعم
وهب علم ذلك عند الله عز وجل والعهد على الراوى وأشعياء هذا لعله يوشع بن
نون فى موسى والذى صار نبيا بعده ودخل بنو إسرائيل فلسطين فى زمنه ولعل
المناسب هنا أن نفسير بعض ألفاظ هذا الحديث بقوله غلفا ، جمع أغلف وهو
«المغطى بالغلاف» والبهيمة المثقلة التى أثقل ظهرها بالحمل عليه والفظ السوء الحلق
الجافى الطبع والصخاب الصياح والحناء الفحش والحالة الخمول ضد الشهرة ، والعيلة
الفقر ورعاة الشمس يعنى يرقبونها ليتحينوا مواقيت الصلاة وزحوا فى جمع زحف
هو الجيش الزاحف وهلمونى قالوا لا إله إلا الله ويظهرون الوجوه والأطراف
يعنى يتوضئون ويشدون الثياب إلى الانصاف يعنى أنصاف السابقين والتلال والأشرف
«الأماكن المرتفعة وقربانهم دماؤهم» يعنى أنهم يتقربون إلى الله ببذل دمائهم فى سبيله .
(٢) هو الجارود بن العلاء قدم فى وفد عبد القيس فأسلم وأسلم أصحابه والمراد
بإبن البتول عيسى عليه السلام ومعنى البتول المتبذلة المنقطعة لعبادة الله وهى مريم
عليها السلام .

(٣) يلوح من سؤال العباس أنه كان مرتابا فى إسلام كعب ولهذا اعتذر له
كعب بهذا العذر الذى نرجو أن يكون صادقا فيه ، فإن بعض الناس يشكك فى إسلام
هذا الرجل ويتموهونه بالمشاركة فى المؤامرة التى دبرت لقتل عمر والعقل يستبعد =

وَاتَّبِعْهُ وَأَخِذْ عَلَىٰ بِحَقِّ الْوَالِدَانِ لَا أَفْضَلَ هَذَا الْخَاتَمِ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَائِرِ كُتُبِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الْإِسْلَامَ قَدْ ظَهَرَ وَلَمْ أَرِ إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ لِي نَفْسِي لَعَلَّ أَبَاكَ قَدْ غِيبَ عَنْكَ عِلْمًا ، فَفَضَضْتَ الْخَاتَمَ ، فَإِذَا فِيهِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتُهُ خُجْتُ الْآنَ فَأَسَلَمْتُ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ كَعْبٍ قُلَّ إِنَّ أَبِي كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَكَانَ لَمْ يَدَّخِرْ عَنِّي شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَعْلَمُ فَلَمَّا حَضَرَ مَوْتَهُ دَعَانِي فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَمْ أَدْخِرْ عَنْكَ شَيْئًا مِمَّا كُنْتُ أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنِّي قَدْ حَبَسْتُ عَنْكَ وَرَقَتَيْنِ فِيهِمَا نَبِيٌّ يَبِيعُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ فَكُرِهْتُ أَنْ أَخْبِرَكَ بِذَلِكَ فَلَا آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ يُخْرِجَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْكَذَّابِينَ فَتَطِيعُهُ ، وَقَدْ جَعَلْتُهُمَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ الَّتِي تَرَى وَطَيَّنْتُ عَلَيْهِمَا فَلَا تَعْرِضَنَّ لَهَا وَلَا تَنْتَظِرَنَّ فِيهِمَا حِينَكَ هَذَا ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ يَرِدُ بِكَ خَيْرًا وَيُخْرِجَ ذَلِكَ النَّبِيَّ تَتَّبِعْهُ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ فَدَفَنَاهُ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْظُرَ فِي الْوَرَقَتَيْنِ فَفَتَحْتُ الْكُوفَةَ ثُمَّ اسْتَخْرَجْتُ الْوَرَقَتَيْنِ فَإِذَا فِيهِمَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لِأَنْبِيِّ بَعْدِهِ ، مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجِرُهُ بِطَبِيعَةِ لَافِظٍ وَلَا غَايِظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَيُحْزَى بِالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ ؟ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ أُمَّتَهُ الْحَمَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ، تَدُلُّ أَلْسِنَتُهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَيُنْصَرُّ نَبِيَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَاوَاهُ يَغْسِلُونَ فُرُوجَهُمْ وَيَأْتِزُّونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ أَنْجَالِيَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ يَنْبِغُ تَرَاحُمُ بَنِي الْأُمِّ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأُمِّ فَمَسَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ بَاغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ فَأَخْرَجْتُ حَتَّى اسْتَبْثْتُ ثُمَّ بَاغَنِي أَنَّهُ نُوْفِي وَأَنَّ خَلِيفَتَهُ قَدْ قَامَ مَقَامَهُ وَجَاءَ تَنَا جُنُودَهُ ، فَقَالَتْ لَا أَدْخُلُ فِي هَذَا الدِّينِ حَتَّى أَنْظُرَ سِيرَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فَلَمْ أَزَلْ أَدَافِعُ ذَلِكَ وَأَوْخِرُهُ لَأَسْتَبْثُ حَتَّى قَدْ دَامِنْتُ

= أن يوصى يهودى ولده بالخروج من يهوديته والدخول في دين يباهضها، بل يطهر من قول كعب فلما رأيت الإسلام قد ظهر أنه كان ينتظر نتيجة الصراع بين الإسلام وخصومه .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رأيت وفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فوالله إني ذات ليلة فوق سطحي فإذا رجل من المسلمين يتلو قول الله (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها) الآية . فلما سمعت هذه الآية خشيت أن لا أصبح حتى يحول الله وجهي في قفائي ، فما كان شيء أحب إلي من الصباح فعدوت على المسلمين^(١) وأخرجته ابن عساكر من طريق المسيب ابن رافع وغيره عن كعب .

وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه قال : « إن الله أوحى إلى داود في الزبور يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا نبيا ، لا أغضب عليه أبدا ، ولا يعصيني أبدا ، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمتة أمة مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الأنبياء ، وأمرتهم بالفصل من الجنباء كما أمرت الأنبياء ، وأمرتهم بالحلج كما أمرت الأنبياء ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل . يا داود إني فضلت محمدا وأمته على الأمم كلهم ، أعطيتهم ست خصال لم أعطاها غيرهم من الأمم لا أوأخذهم بالخطأ والنسيان » الحديث وسيأتي بقيته^(٢) .

(١) هذا الكلام يظهر بجلاء أن كعبا قد استأنى بإسلامه حتى يظهر أمر الإسلام وتستقيم ريمه ويغلب على كل أعدائه ولم يتم ذلك إلا في عهد عمر رضي الله عنه .

(٢) لو صح هذا الحديث لدل بوضوح على أن الوضوء والفصل من الجنباء بل والحلج والجهاد من خصائص هذه الأمة ، ولكن العقل لا يهتدئ إلى كثير مما يرويه هؤلاء وإن كنا لا نكذبه خشية أن يكون صحيحا .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن الفَلَتَانِ بن عاصم قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجا رجل ^(١) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أتقرأ التوراة ؟ قال نعم . قال والإنجيل ؟ قال نعم ، فناشده هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ قال نجد نعتا مثل نعتك ومثل هيئتك ومخرجك وكنا نرجو أن يكون منا فلما خرجت تخوفنا أن تكون أنت هو ، فنظرنا فإذا ليس أنت هو . قال ولم ذلك ؟ قال إن معه من أمة سبعين ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وإنما معك نفر يسير ، قال والذي نفسي بيده لأنا هو إنهم لأمتي وإنهم لا أكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا » .

وأخرج الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال « إن الله لما أراد هدى زيد بن سَعْنَةَ قال زيد بن سَعْنَةَ : إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق حامه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حاماً ، فكنت أنطف له لأن أخاطبه فأعرف حلمه وجهله ، فابتعت منه تمرأ معلوماً إلى أجل وأعطيته الثمن ، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو بثلاثة أتيتته فأخذت بمجامع قيصره وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت ألا تقضى يا محمد حقى فوالله إنكم يا بني عبدالمطلب لم تطل ولقد كان لي بمخالطكم علم ، فقال عمر بن الخطاب : أي عدو الله أقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فؤته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر يسكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو

(١) لم يذكر اسم هذا الرجل والظاهر أنه من اليهود بدليل قوله وكنا نرجو أن يكون منا والحديث يبدو عليه صمة الوضع فإنه ، لم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن نعته في التوراة أو الإنجيل ولهذا لما نزل عليه (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) قال لا أشك ولا أسأل .

كنا أخرج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التَّبَاعَة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رَوَّعْتَهُ ، ففعل ، فقلت : يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أَخْبَرُهَا منه يسبق حِلْمُهُ جَهْلَهُ ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلْمًا ، فقد خبرتهما فَأَشْهَدُكَ أَنِّي قد رضيت بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا» (١) .

وأخرج ابن سعد عن الزهري أن يهودياً قال : « ما كان بقى شيء من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا رأيته إلا الحِلْمَ ، وإني أسلفته ثلاثين ديناراً في تمر إلى أجل معلوم » وذكر نحوه وفي آخره « فقال : يا عمر ما حملني على ما صنعت إلا أني قد كنت رأيت في رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته في التوراة كلها إلا الحِلْمَ فاخترت حِلْمَهُ اليوم فوجدته كما وصف في التوراة فأسلم اليهودي وأهل بيته » .

وأخرج أبو نعيم من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال « إني أجد فيما أقرأ من الكتب أنه ترفع راية بمكة الله مع صاحبها وصاحبها مع الله يظهره الله على جميع القرى » (٢) .

(١) هذا حديث صحيح وفيه دلالة على كمال حِلْمِهِ صلى الله عليه وسلم ويشبه هذا ما رواه أنس « أن أعرابياً لقيه عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه الأعرابي جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال له يا محمد احمل على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك . فتبسم عليه السلام » وقوله في الحديث لمطل جمع أمطل وهو الذي يسوف في سداد الدين . وقوله بحسن التباعة يعنى المتابعة والمطالبة .

(٢) الواقع أنه لم ترفع بمكة راية للمسلمين بل كانت الدعوة سلمية ، وكان المسلمون مأمورين بالكف عن قتال أعدائهم فلما هاجروا إلى المدينة أذن لهم في اقتال خصمهم

وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن سهل مولى غُثَيْمَةَ « أنه كان نصرانيا من أهل مريس وكان يتيمًا في حجر عمه قال فأخذت الإنجيل فقرأته حتى مررت بى ورقة ملصقة بِغُرَى ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا قصير ولا طويل ، أبيض ذو ضفرين بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ويابس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر ، وهو يفعل ذلك ، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد » . قال سهل فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم جاء عمى فلما رأى الورقة ضربني وقال : مَالَكَ وَفَتَحَ هذه الورقة وقراءتها ؟ فقلت فيها نعت النبي أحمد فقال إنه لم يأت بعد ^(١) .

وأخرج البيهقي من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان قال حدثني بعض عمومي وأبائي أنه كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الإسلام ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتوه بها مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يُسَبِّحُونَ أطرافهم ويأتزرون على أوساطهم ، ويخوضون البحار إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح مأهلاً كُؤوا بالطوفان ، وفي عاد مأهلاً كُؤوا بالريح ، وفي ثمود

= الرايات والبنود ، فظهور الإسلام إنما كان بالمدينة ولهذا قال عليه السلام في حقها (أمرت بقرية تأكل القرى) .

(١) لاشك أن أهل الكتاب كانوا يترقبون ظهوره عليه السلام ويبشرونه بقرب مقدمه ، وكان اليهود يستفتحون به إذا حاربوا أهل الشرك ، ويقولون لهم لقد أهل زمان نبي وسننبهه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم وكذلك رهبان النصارى قد انتشروا في أطراف الجزيرة كبصرى وغيرها ، يسألون من يمر بهم عنهم أن يسمعوها شيئا من أخباره .

ما أهلَكوا بالصيحة، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم لما فيها لما قرئت عليه .
وأخرج ابن مندة في الصحاح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال « بعثني الله هدى ورحمة للعالمين وبعثني لأخو المزَامِر والمعاذف . فقال
أوسُ بن سَمْعَانَ : والذي بعثك بالحق إني لأجدها في التوراة كذلك » .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن كعب الأحبار أنه سمع رجلا يقول « رأيت في
المنام كأن الناس جُمِعُوا للحساب فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأى
لكل نبي نورين ، ولكل من اتبعه نورا يمشى به ، فدعى محمد صلى الله عليه وسلم
فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور على حدة يُدَيِّمُهُ من نظر إليه ، ولكل من
اتبعه نوران يمشى بهما كُنُورُ الأنبياء ، فقال كعب بالله الذي لا إله إلا هو لقد
رأيت هذا في منامك ؟ قال نعم والذي نفسى بيده إنها لصفة محمد وأمه وصفة
الأنبياء وأُمَمِها في كتاب الله لكأَمَّا قرأه من التوراة » (١) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال « خمسة بُشِّرَ بِهِمْ قبل أن يكونوا
إسحاق ويعقوب فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . ويحيى (إن الله
يبشرك ببيحي) . وعيسى (إن الله يبشرك بكلمة منه) . ومحمد صلى الله عليه وسلم
(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . فهؤلاء أخبر بهم من قبل أن
يكونوا (٢) .

(١) العجب من كعب الأحبار هذا أن يستعطف الرجل أنه رأى ذلك في منامه
فإذا حان له سارع إلى إدعاء أن ذلك موجود في التوراة ، وكما حمل كعب وأضرابه
كتاب الله ما ليس فيه فإن المعروف أن لكل مؤمن نبيا كان أو غيره نورا واحدا
إلا أنه يتفاوت قوة وضعفا فيكون لبعض الناس كالشمس ، وبعضهم كالسراج الخافت ،
بعض مرة وينطفئ مرة .

(٢) ولأن أن تقول أيضاً إن الله بشر اللئيمة بآدم قبل خلقه بقوله سبحانه
(إني جاعل في الأرض خليفة)

وأخرج أبو نعيم في (الخلية) عن وهب قال «كان في بني إسرائيل رجل عصى الله مائتي سنة ثم مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله إلى موسى أن اخرج فصل عليه قال يارب بنو إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائتي سنة فأوحى الله إليه هكذا كان إلا أنه كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه ، فشكرت له ذلك وغفرت ذنوبه وزوجته سبعين حوراء» (١) .

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فقال أخرجوا إلى أغلكم ، فقالوا عبد الله بن صوريا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه ، وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من الأمن والسّلوى ، وظلّهم به من الغمام ، أتعلم إني رسول الله ؟ قال اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك كمبين في التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك أنت ؟ قال أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم» (٢) .

وأخرج أحمد وابن سعد عن أبي صخر العقيلي قال حدثني رجل من الأعراب قال «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي معه سفر فيه التوراة يقرؤها على ابن له مريض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا يهودي نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى أتجد في توراةك نعتي وصفتي ومخرجي فأومأ

(١) لا نظن أن وهبا تبلغ به الجراءة على الله إلى هذا الحد بل الظاهر أنه من وضع بعض الزنادقة ليهونوا على الناس ارتكاب المعاصي ما دامت تغفر بتقبيل اسم في كتاب أو صلاة على صاحبه ، ألا لعنة الله على الكاذبين

(٢) المعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يأتي بيت المدراس ولا يسأل أحدا من اليهود عن نعمته ، وإنما كان يفعل ذلك بعض أصحابه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

برأسه أن لا ، فقال ابنه لسكنى أشهد بالذى أنزل التوراة على موسى إنه ليجد نعتك وزمانك وصفتك ومخرجك في كتابه ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا اليهودى عن صاحبكم وقبض الفتى فضلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرج البيهقى نحوه من حديث أنس وابن مسعود ^(١) .

وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال « بعثت قريش النَّضْر بن الحارث وعُقْبَةَ ابنَ أَبِي مُعَيْطٍ وغيرهما إلى يهود يَثْرِبَ وقالوا لهم سلوهم عن محمد فقدموا المدينة فقالوا أتيناكم لِأمرٍ حَدَثَ فينا منا غلام يقيم حقير يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الرحمن قالوا صِنُوا لنا صفة فوصفوا لهم قالوا فمن تبعه منكم قالوا سَفَلْتَنَا فضحك حَبْرٌ منهم وقال : هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة » ^(٢) .

وأخرج الحاكم والبيهقى وابن عساكر عن علي بن أبي طالب « أن يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما عندي ما أعطيك قال فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني . قال : إذا

(١) الذي في البخارى من حديث أنس أنه كان غلام يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمضى فأناه النبي يعوده فقعده عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار .

(٢) ورد في سبب نزول سورة الكهف أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن ثلاث فإن أجاب عنها فهو نبي سلوه عن فتية كانوا في الزمان الأول وسلوه عن رجل ملك المشارق والمغارب وسلوه عن الروح فقال سأخبركم غداً فأبطأ الوحي عليه شهراً ثم نزلت سورة الكهف .

فاجلس معك فجلس معه فصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والغروب والعشاء والغداة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتهددون اليهودى ويتوعدونه فقالوا يا رسول الله يهودى يحبسك ؟ قال منعنى ربى أن أظلم معاهداً ولا غيره ، فلما ترجل النهار أسلم اليهودى وقال شطر مالى فى سبيل الله أما والله ما فعلت الذى فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك فى التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحشاء ولا قوال للخنا ^(١) .

وأخرج الترمذى وحسنه عن عبد الله بن سلام قال « مكتوب فى التوراة حصة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى ابن مريم يدفن معه » .

وأخرج أبو الشيخ فى تفسيره عن سعيد بن جبير قال « قال الذين آمنوا من أصحاب النجاشى للنجاشى إئذن لنا فلنأت هذا النبى الذى كنا نجد فى الكتاب فأتوا فأسلموا فشهدوا أحداً » .

وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن كعب قال « إن فى كتاب الله الذى أنزل على موسى أن الله قال للمدينة ياطيبة ياطابة يامسكينة ، لا تقبلى الكنوز أرفع أجابيرك على أجابير القرى » .

وأخرج عن القاسم بن محمد قال بلغنى أن للمدينة فى التوراة أربعين اسماً ^(٢)

(١) لعل هذا هو الحديث السابق الذى قال فيه اليهودى للنبي صلى الله عليه وسلم إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل فهم به عمر فمنعه الرسول وأمره أن يقضى له دينه وإن يزيد جزاء ماروعه .

(٢) هذه مبالغة لا مبرر لها والمدينة ليست بأفضل من مكة ومع ذلك لم تبلغ أسماء مكة هذه الكثرة .

باب إخبار الأحبار والرهبان به قبل مبعثه

أخرج الحاكم والبيهقي عن سلمان الفارسي ^(١) «أنه سئل كيف كان أول إسلامك؟ قال كنت يتيما من رام هُرْمَزَ وكان أبي دُهْمَان ^(٢) رام هرمز مختلف إلى مُعَلِّم يعلمه فلزِمْتُهُ لَأَكُونَ فِي كَنَفِهِ ^(٣)، وكان لي أخ أكبر مني وكان مستغنيا بنفسه وكنت غلاماً فقيراً فكان إذا قام من مجلسه تفرق من يحفظه فإذا تفرقوا خرج فتقمع بثوبه ثم صعد الجبل فكان يفعل ذلك غير مرة متكرراً ^(٤)، فقلت له أما إنك تفعل كذا وكذا فلم لاتذهب بي معك؟ قال أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء. قلت لاتخف. قال: فإن في هذا الجبل قوماً لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة يزعمون أَنَّا عَبَدَةُ النَّيِّرَانِ وعبدة الأوثان وَأَنَا على غير دين. قلت: فاذهب بي معك إليهم قال حتى أستأمرهم فاستأمرهم فقالوا جئ به فذهبته معه فاتهمت إليهم فإذا هم ستة أو سبعة، وكانَّ الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا، فقمعدناه إليهم فحمدوا الله وأثنوا عليه، وذكروا من مضى من الرسل والأنبياء حتى

(١) هو أبو عبد الله سلمان قيل إنه من أهل أصبهان لم يشهد بدر أو أحد لأنه كان في زمانهما عبداً وأول غزاة غزاها الخندق وهو الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بمفره وقد آخى الرسول بينه وبين أبي الدرداء. وفي الحديث (سلمان منا أهل البيت)

مات في أول خلافة عثمان وقيل في خلافة عمر بالمدين.

(٢) الدهقان بضم الدال وكسر ها هو رئيس الإقليم أو البلد والجمع دهقانة ودهاقين والدهقان أيضاً بفتح الدال التاجر.

(٣) يعني في كفالته وحمايته.

(٤) مغيراً هيئته.

خلصوا^(١) إلى عيسى ابن مريم ، قالوا بعثه الله وولد بغير ذكر ، بعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من إحياء الموتى وخلق الطير^(٢) وإبراء الأعمى والأكمه^(٣) والأبرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً^(٤) وإن بين يديك جنة ونارا ، إليها تصير ، وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم غدونا إليهم ، فقالوا مثل ذلك وأحسن ، فلزمتهم فقالوا إلى : يا سلمان إنك غلام وإنك لا تستطيع أن تصنع ما نصنع ، فصل ونم وكل واشرب ، ثم اطاع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده ، فقلت ما أنا بمفارقكم ، فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل^(٥) فلما دخلوا حنّوا بهم ثم أتاهم رجل من كهف فسلم وجلس فحنّوا به وعظاموه فقال لهم أين كنتم ؟ فأخبروه قال ما هذا الغلام معكم ؟ فأتوا على خيرا وأخبروه باتباعي إياهم ، ولم أر مثل إعظامهم إياه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من أرسل الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم ثم وعظهم ، وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوه فيخالف بكم ثم أراد أن يقوم فقلت ما أنا بمفارقك قال يا غلام إنك لا تستطيع أن تكون معي إني لأخرج من كهفي هذا إلا كل يوم أحد . قلت ما أنا بمفارقك

(١) أى انتهوا . يقال خلص إلى كذا يعنى وصل إليه .

(٢) يعنى أنه كان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله .

(٣) هو الذى ولد أعمى .

(٤) مصدر ميمى بمعنى العود وهو الرجوع أى إن لك رجوعا إلى الله بعد الموت .

(٥) هى مدينة فى العراق على نهر دجلة بالقرب منها أنقاض نينوى ومناجم النفط كانت قاعدة بنى ربيعة تناوب فيها الحكم الحمدانيون ثم العفيليون وازدهرت فى أيام السلاجقة وكان صاحبها عماد الدين زنكى .

فتبعته حتى دخل الكهف، فما رأيته نائماً ولا طاعماً إلا راكعاً وساجداً إلى الأبد الآخر^(١) فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا إليه فتكلم نحو المرة الأولى ثم رجع إلى كهفه ورجعت معه، فلبثت ماشاء الله . يخرج في كل يوم أحد ويخرجون إليه ، ويعظمهم ويوصيهم فخرج في أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال ياهؤلاء إني قد كبر سنِّي ودقَّ عظمي واقترَب أجلي وإني لاعهد لي بهذا البيت منذ كذا وكذا ولا بد لي من إتيانه . فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى انتهينا إلى بيت المقدس ، فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي ياسلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج بهامة علامته أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه، الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأما أنا فإني شيخ كبير لأحسبني أدركه فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه . قلت وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال وإن أمرك ، ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مُقْعَدُ فقال ناوِلْنِي يَدَكَ فناولوه فقال : قم بسم الله فقام كأنما نشط من عِقَالٍ فَخَلَّى عَنْ يَدِهِ فَانْطَلَقَ ذَاهِبًا وَكَانَ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ، فقال لي الْمُقْعَدُ يا غلام احمل علي ثيابي حتى أنطاق ، فحملت عليه ثيابه وانطلق الراهب لا يلوي فخرجت في أثره أطلبه ، وكلما سألت عنه قالوا أمامك حتى لقيني رَكْبٌ مِنْ كَلْبٍ فسألتهم فلما سمعوا لَفَتِي أَنَاخَ رجل منهم بعيره ، فحملني فجعلني خلفه حتى أتوا بي بلادهم فباعوني فأشترتني امرأة من الأنصار ، فجعلتني في حائط لها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيئا من تمر حائطِي ثم أتيتها فوجدت عنده أناسا فوضعت بين يديه فقال ما هذا ؟ قلت صَدَقَةٌ . قال للقوم كلوا ولم يأكل هو ، ثم لبثت ماشاء الله ثم أخذت

(١) يعني أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، وليس المراد أنه كان لا يأكل ولا ينام طول الأسبوع . فهذا ليس في طاقة البشر، وعلى كل حال فهذه هي الرهبانية التي نهينا عنها في الإسلام .

مثل ذلك ثم أتيت فوجدت عنده أناساً فوضعتهم بين يديه فقال ما هذا ؟ قلت هدية ، قال بسم الله فأكل وأكل القوم . فقلت في نفسي هذه من آياته فدرت خافه ففطن بي فأرخص ثوبه فإذا الخاتم في ناحية كتفه الأيسر فتبينته ثم درت حتى جاست بين يديه فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله « (١) .

وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من طريق ابن إسحاق قال « حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال حدثني سلمان الفارسي قال : كنت رجلاً من أهل فارس وكان أبي دُهَقَان أرضه فكان يحبني حباً شديداً حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية ، واجتهدت في الجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها ، فكنت كذلك لا أعرف من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه ، وكان لأبي ضيعة فيها بعض العمل فدعاني فقال أي بني ، إني قد شغلت عن ضيعتي هذه ولا بد لي من اطلاعها ، فأطلق إليها فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني شغلتنى عن كل شيء ، فخرجت أريد ضيعة فمررت بكنيسة النصارى فسمعت أصواتهم فيها فقلت ما هذا ؟ فقالوا هؤلاء النصارى يصلون فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم ، فوالله ما زلت جالسا عندهم حتى غربت الشمس وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعة فقال أبي : أين كنت ألم أكن قلت لك . فقلت يا أبتاه ، مررت بناس يقال لهم النصارى فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال أي بني ، دينك ودين آبائك خير من دينهم . فقلت : لا والله .

(١) هذه هي إحدى الروايات في إسلام سلمان ، وفيها أشياء كثيرة مخالفة للرواية المعروفة كقوله : كنت يتيما من رام هرمرز وأن أخاه هو الذي عرفه بهؤلاء النصارى في الجبل ، وأن الملك لما علم بهم أخرجهم من بلاده ، وأن الذي اشتراه امرأة من الأنصار إلى غير ذلك . والرواية الآتية عن ابن إسحاق هي الصحيحة المعول عليها .

ماهو بحير من دينهم هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقتها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت فخافني فجعل في رجلى حديداً وحسنى في بيت عنده ، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أصل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكم من هناك ناس فأذنوني . فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم فبعثوا إلى أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذنوني^(١) فقالوا نفعل فلما قضا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك فطرح الحديدي الذى في رجلى ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قات من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا الأسقف صاحب الكنيسة فخبثته فقلت له : إني أحببت أن أكون معك في كنيستك وأعبد الله فيها معك وأتعلم منك الخير . قال فكن معي قال فكنت معه وكان رجل سوء كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوها إليه اكنزها ولم يعطها للمساكين فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله فلم يلبث أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم : إن هذا رجل سوء كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى إذا جمعتموها إليه اكنزها ولم يعطها للمساكين . فقالوا وما علامة ذلك فقلت أنا أخرج لكم كنزه ، فقالوا فهاهنا فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً^(٢) فلما رأوا ذلك قالوا : والله لا يدفن أبداً . فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فلا والله ما رأيت رجلاً قط لا يصلح الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً ولا زهادة في الدنيا ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه ، ما علمني أحببت شيئاً قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة فقلت يا فلان قد حضر ك ما ترى من أمر الله وإني والله ما أحببت شيئاً

(١) أى أعلموني بوقت خروجهم لأخرج معهم .

(٢) أى فضة يقال : ورق بتلثيت الواو وإسكان الراء . ويقال ورق بفتح

فكسر ويقال ورق بفتحين كل ذلك للدرام المضروبة من الفضة .

قَطُّ حبك فإذا تأمرني وإلى من توصيني ؟ فقال لي : أي بني ما أعلم إلا رجلاً
بالموصل فأتته ، فإنك ستجده على مثل حالي ، فلما مات لحقت الموصل فأتيت
صاحبها فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا ، فقلت له :
إن فلاناً أوصى بي إليك أن آتيك وأكون معك . قال : فأقم أي بني ، فأقمت
عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة . فقلت له : إن فلاناً أوصى بي
إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصيني ؟ قال : والله ما أعلم
أى بني إلا رجلاً بنصيبين ، وهو على مثل ما نحن عليه فالتقي به : فلما دفناه
لحقت بالآخر ، فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان ، وفلان أوصى بي
إليك ، قال : فأقم يا بني فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له
يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصى بي إلى
فلان وأوصى بي فلان إلى فلان ، وأوصى بي فلان إليك فإلى من توصيني ؟
قال أي بني ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض
الروم ، فأتته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه ، فلما واريته خرجت حتى قدمت
على صاحب عمورية فوجدته على مثل حالهم فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كانت
لي غنيمة وبقرات ثم حضرته الوفاة فقلت : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان
وفلان إلى فلان وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله
تعالى فإلى من توصيني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم بقى أحد على مثل ما كنا
عليه آمرك أن تأتية ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجرة بين
حرتين إلى أرض سبخة ذات نخيل ، وإن فيه علامات لا تحفى بين كتفيه خاتم
النبوّة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد
قافعل ، فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت حتى مر بنا رجال من تجار العرب
من كلب ، فقلت لهم : ت حملوني معكم حتى تقدموا بي في أرض العرب وأعطيك

تغنيمتي هذه وبقراتي ، قالوا : نعم فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادى القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادى القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لي صاحبي وما حقت^(١) عندي حتى قدم رجل من بني قُرَيْظَةَ^(٢) (من يهود وادى القرى) فابتاعني من صاحبي الذى كنت عنده ، فخرج بي حتى قدم بي المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتهما فعرفت نعتي ، فأقمت في رقي مع صاحبي وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة لا يدكر لي شيء من أمرٍ مع أنا فيه من الرق ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء وأنا اعمل لصاحبي في نخله ، فوالله إني لفيها إذ جاءني ابن عمي له فقال فلان قاتل الله بنى قبيلة^(٣) والله إنهم الآن لني قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة ، يزعمون أنه نبي ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء يقول الرعدة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبي ونزلت أقول ما هذا الخبر ما هو ؟ فرفع مولاي يده فلكني لكمة شديدة ، وقال مالك : ولهذا أقبل على عمك ؟ فقلت لا شيء إنما سمعت خبراً فأحببت أن أعلمه ، فخرجت وسألت فلقيت امرأة من أهل بلادى فسألتها ، فإذا أهل بيتها قد أسلموا فدللتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبت به إلى

(١) يعنى لم يثبت عنده أنها البلدة التى وصفها الراهب إلا بعد قدوم القرطبي الخ .

(٢) قبيلة كبيرة من اليهود كانت تسكن في ناحية من المدينة ماثوا قريشا في غزوة الخندق ونقضوا العهد فخاربهم المسلمون وحاصروهم في محلتهم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، فحكم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبي نساؤهم وذرايرهم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات .

(٣) يعنى الأوس والخزرج فإنهم بنو أم واحدة ، ثم وقع بينهم من الإحن والعداوة ما أزاله الله بالإسلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بَقَاءٌ^(١) فقلت : إنه باغني أنك رجل صالح وإن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به فيها هو ذا فكلُّ منه . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل ، فقلت في نفسي هذه خلة^(٢) مما وصف لي صاحبي ثم رجعت وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئت به ، فقلت : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ؟ فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه . فقلت : هذه خلتان ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتبع جنازة وعليه شملتان ، وهو في أصحابه فاستدّرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره ، فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم استدّرتُه ، عرف أني استثبتت شيئاً قد وُصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي ، فأكبت عليه أقبله وأبكي . فقال : تحول يا سلمان هكذا فتحولت فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه فحدثته ، فلما فرغت قال كاتب^(٣) يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية ، وأعاني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل ثلاثين ودية^(٤) وعشرين ودية ، وعشر كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرّها^(٥) فإذا فرغت

(١) أقام صلى الله عليه وسلم بقاء نحواً من أربع عشرة ليلة في بني عمرو بن عوف وأسس مسجد بقاء .

(٢) الخلة بفتح الحاء : الخصلة .

(٣) الكتابة والمسكينة : أن يتفق العبد مع سيده على قدر معين من المال يؤديه إليه فيعتق ويصير حراً .

(٤) الودي - بفتح فكسر مع تشديد الياء - هو صغار الفصيل والواحدة ودية .

(٥) أي جعل لها حقراً .

وَأَذِنِي^(١) حتى أكون أنا الذى أضعها بيدي فققرتها وأعانتى أصحابي ، يقول حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نحمل إليه الودِيَّ ويضعه ويسوي عليها^(٢) فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة وبقيت على الدَّراهم ، فأناه رجل من بعض المعادن بمثل بيضة الحمامة من ذهب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ هذه يا سلمان فأدها مما عليك فقلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما على ؟ قال فإن الله سيؤدى بها عنك فوالذى نفسى بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وبقي عندى مثل ما أعطيتهم .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن^(٣) عن سلمان قال « كنت فيمن ولد برام هُرْمُز فكنت أنطلق مع غلمان من قريتنا ، وكان ثمَّ جبل فيه كهف ، فمررت ذات يوم وحدي وإذا أنا فيه برجل طويل عليه ثياب شعر تغلاه شعر فأشار إليَّ فدنوت منه فقال لي يا غلام تعرف عيسى بن مريم ؟ قلت لا ولا سمعت به قال أتدرى من عيسى ابن مريم ؟ هو رسول الله من آمن بعيسى أنه رسول الله وبرسول يأتي من بعده اسمه أحمد أخرجه الله من غم الدنيا إلى روح الآخرة ونعيمها ، فرأيت الخلاوة والنور يخرج من شفتيه فعلقه فؤادى ، فكان أول ما علمنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن عيسى ابن مريم رسول الله ومحمد ، بعده رسول الله ، والبعث بعد الموت ، وعلمنى القيام فى الصلاة ، وقال إذا قمت فى الصلاة فاستقبلت القبلة فإذا احتوشتك النار فلا تلتفت ، وإن دعتك أمك وأبوك وأنت

(١) أعلمنى .

(٢) أى يسوى التراب عليها ويغرسها .

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو تابعى أخذ عن

عائشة وابن عباس وغيرهما .

في صلاة الفريضة فلا تلتفت ، إلا أن يدعوك رسول من رُسُلِ الله ، فإن دعاك وأنت في فريضة فاقطعها ، فإنه لا يدعوك إلا بوَحْيٍ من الله ثم قال إن أدركتَ محمد بن عبد الله الذي يخرج من جبال تهامة ، فأمن به وقرأ عليه السلام مني ، قلت صفه لي ، قال إنه نبي يقال له نبي الرحمة محمد بن عبد الله يخرج من جبال تهامة ويركب الجمل والحمار والفرس والبغل والبغلة ، ويكون الحرو المملوك عنده سواء وتكون الرحمة في قلبه وجوارحه بين كتفيه بيضة كبيضة الحمامة عليها مكتوب باطنها ، الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور . يا كل الهدية ولا يا كل الصدقة ليس بحَقُود ولا حَسُود ولا يظلم مُعَاهِدًا ولا مُسْلِمًا^(١) .

وأخرج الطبراني وأبو نُعَيْمٍ من طريق شَرَحْبِيلَ بْنِ السَّمْطِ عن سلمان الفارسي قال « خرجت أبتغي الدين فوافقت في الرهبان بقايا أهل الكتاب فكانوا يقولون هذا زمان نبي قد أظلم يخرج من أرض العرب له علامات من ذلك شامة مُدَوَّرَةٌ بين كتفيه خاتم النبوة فلحقته بأرض العرب وخرج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت ما قالوا كله ورأيت الخاتم فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »^(٢) .

وأخرج البيهقي وأبو نُعَيْمٍ من طريق بُرَيْدَةَ « أن سلمان كاتب على كذا وكذا نخلة يغرسها ويقوم عليها حتى تُطْعِمَ فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فغرس النخل

(١) هذا أثر منكر ظاهر فيه الافتعال والتسكاف ، ولا يخفى أن الصوفية اتخذوا من سلمان رضي الله عنه مادة يسرح فيها الخيال وتنسج حولها الأساطير ، وما ذكر سابقا في سبب إسلامه هو الصحيح المعول عليه .

(٢) هذا الأثر يعتبر تلخيصا للقصة السابقة .

كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر ، قَاطَعَمَ النخل كله من سَنَةِ إِلا تلك النخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها ؟ قالوا عمر . فزرعها وغرسها بيده فحملت من عامها .»

وأخرج ابن سعد وأبو نُعَيْم من طريق أبي عُثْمَانَ النَّهْدِي عن سلمان قال « كاتبت أهلي على أن أغرس لهم خمسمائة فَسِيلَةٍ فإذا عِيلَتْ فأنا حُرٌّ ، ف جاء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يغرس بيده إلا واحدة غرسها بيدي فَعَلِقْنَ إِلا الواحدة» (١) .

وأخرج الحاكم والبيهقي من طريق أبي الطُّفَيْلِ عن سلمان قال « أعطاني النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذه من ذهب ، وحلَّقَ بِإِصْبَعِهِ السَّيَّابَةَ على الإبهام ، مثل الدرهم ، قال فلو وضع أَحَدُنِي كِفَّةٍ ووضعت في أخرى لرجحت به .»

وأخرج أحمد والبيهقي من وجه آخر عن سلمان قال « لما أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذهب ، فقال اقْضِ به ، قلت يا رسول الله وأين تقع هذه مما عليَّ ؟ فَقَلَّبَهَا على لسانه ثم قَذَفَهَا إِلَيَّ ثم قال انطلق بها فإن الله سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت منها حتى أَوْفَيْتُهُمْ منها أربعين أَوْقِيَّةً .»

وأخرج ابن إسحاق وابن سعد والبيهقي وأبو نُعَيْم من طريقه قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من سمع عمر بن عبد العزيز قال حدثت عن سلمان « أن صاحب عَمُورِيَّةَ قال لسلمان حين حضرته الوفاة إيتَ غَيْضَتَيْنِ من أرض الشام ، فإن رجلا يخرج من إحداهما إلى الأخرى في كل سنة ليلة يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شفى فاسأله عن هذا الدين الذي تسألني

(١) هذا الأثر الذي قبله معارض لما سبق في الرواية الصحيحة من أنها كانت ثلاثمائة نخلة وأن النبي عليه السلام هو الذي غرسها كلها بيده .

عنه فخرجت حتى أقمت بها سنة حتى خرج تلك الليلة فأخذت بمنكبه ، فقالت
رحمك الله الحنيفية دين إبراهيم ، قال قد أظلك نبي يخرج عند هذا البيت بهذا
الحرم يُبعثُ بذلك الدين ، فلما ذكر ذلك سلمانُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد رأيت عيسى ابن مريم ^(١) .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي من طريقه قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة
قال حدثني أشياخ منا قالوا لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم منا ، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن ، وكنا إذا
بالغنا منهم ما يسكرون قالوا إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، تتبعه معكم
فنقتلكم قتل عاد وإرم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به
ففيهم أنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) ^(٢) الآية .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن علي الأزدي قال « كانت اليهود تقول اللهم
ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس » .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال « كانت يهود خيبر تقاتل
غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعادت اليهود بهذا الدعاء ، فقالت اللهم إنا
نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا
عليهم ، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء ، فهزموهم غطفان فلما بعث النبي

(١) قال السهيلي : هذا حديث مقطوع وفيه رجل مجهول ، ونحن نقول إنه حديث
منكر أشد النكارة مخالف لما هو مجمع عليه من رفع عيسى إلى السماء وأنه لن
ينزل إلا قرب قيام الساعة ، فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية ،
كما صحت بذلك الأحاديث .

(٢) وهذا يفسر لنا سهولة قبول أهل المدينة للإسلام وعدم تعاليهم في وثنياتهم
كأهل مكة وذلك لمخاطبتهم لليهود ومما هم منهم .

صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون) الآية^(١).

وأخرج ابن إسحاق وأحمد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم من طريق محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال «كان بيننا يهودى نفرج على نادى قومه بنى عبد الأشهل^(٢) ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحاب وثني لا يرون أن بعثنا كأئن بعد موت وذلك قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يا فلان وهذا كأئن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم ؟ قال نعم والذى يُخلف به لو ددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحملوه ثم تقذفوني فيه ثم تطينون عني وأن أنجو من النار غداً . قيل يا فلان فما علامة ذلك ؟ قال نبى يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن . قالوا فتى تراه ؟ فرمى بطرفه إلى وأنا أحدث القوم فقال إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدر كنهه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، إنه كحى بين أظهرنا فأما بعو صدقناه وكفر به بغيا وحسداً فقلنا له يا فلان ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قلت وأخبرتنا به ؟ قال ليس به^(٣) .

وأخرج البيهقى والطبرانى وأبو نعيم والخرائطى فى المواتف ، عن خليفة ابن عبدة قال سألت محمد بن عدي بن ربيعة كيف سمأك أبوك فى الجاهلية محمداً ؟ قال أما إني سألت أبي عما سألتني عنه ، فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا

(١) الآية صريحة فى أن اليهود كانوا ينتظرون مبعثه ويتهددون به من بقائهم من العرب ، ومعنى يستفتحون كما قال ابن جرير يستنصرون بخروج محمد على مشركى العرب فلما بعث الله محمداً وراوه من غيرهم كفروا به وحسدوه .

(٢) بطن من الأوس ينسب إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه .

(٣) هذا أثر صحيح وهو يدل على تعنت اليهود قبحهم الله وحسدهم للعرب على أن كان نبى آخر الزمان منهم مع أنهم يعلمون أنه سيكون من ذرية إسماعيل .

أحدهم وسفيان بن مجاشع بن دَارِمٍ ويزيد بن عمر بن ربيعة وأسامة بن مالك
ابن خندف ، فلما وَرَدْنَا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات ، فُشِرَ عَلَيْنَا
دِرَانِي^(١) فقال من أنتم ؟ قلنا قوم من مُضَر ، قال أما إنه سوف يُبْعَثُ مِنْكُمْ
وَشَيْكَائِي فَسَارِعُوا إِلَيْهِ ، وَخَذُوا بِحُظَمِكُمْ مِنْهُ ، تَرُشِدُوا فَإِنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ . فقلنا
ما اسمه ؟ قال محمد . فلما صرنا إلى أهلنا وَلَدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ غِلَامٍ فِسْمَاهُ مُحَمَّدًا .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المُسَيَّب قال « كانت العرب تسمع من أهل
الكتاب ومن الكُفَّان أن نبيا يُبْعَثُ من العرب اسمه محمد ، فسَمَّى مِنْ بَلَاغِهِ
ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا طَمَعًا فِي النَّبُوَّةِ^(٢) » .

وأخرج ابن سعد عن قتادة بن السَّكَنِ العُرَنِيِّ قال : « كان في بني تميم
محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أَسْقَفُ ، قال لأبيه إنه يكون للعرب نبي اسمه محمد
فسماه مُحَمَّدًا » .

وأخرج البيهقي من طريق مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ عن معاوية بن أبي سفيان
قال حدثني أبو سفيان بن حَرْبٍ قال خرجت أنا وأُمِّيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ إلى الشام
فررنا بقرية فيها النصراري فلما رَأَوْا أُمِّيَّةَ عَظُمُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ
يَنْطَلِقَ مَعَهُمْ فَقَالَ لِي أُمِّيَّةُ : يَا أَبَا سَفْيَانَ انْطَلِقْ مَعِيَ فَإِنَّكَ تَمْضِي إِلَى رَجُلٍ
قَدَانْتَهُ إِلَى إِلِهِ عِلْمِ النَّصْرَانِيَّةِ . فَقُلْتُ لَسْتُ أَنْطَلِقَ مَعَكَ ، فَذَهَبَ وَرَجَعَ .

(١) نسبة إلى الدبر وهو مكان التعبد لرهيان النصراري وجمعه أديرة وديارات .

(٢) للعروف أن العرب كانوا في غفلة عن أمر النبوة وقد حكى القرآن عنهم
الإنكار الشديد لأن يكون بشر رسولاً فكيف يطعمون في النبوة لأبنائهم ؟
نعم هناك نفر قليل من العرب فارقوا وثنياتهم ودخلوا في دين النصرانية كأمية ابن
أبي الصلت . وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جعش ونحوهم . وكان بعضهم يطعم في
النبوة كأمية فلما فاتته كفر حسداً .

قال تكتم عليّ ما أحدثك به ؟ قلت : نعم . قال : حدثني هذا الرجل الذي انتهى إليه علم الكتاب أن نبيا مبعوثٌ فظننت أننى أنا هو . فقال ليس منكم هو من أهل مكة . قلت ما نسبه ؟ قال وسط من قومه . وقال لى آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى ابن مريم ثمانين رجفة وبقيت رجفة يدخل على الشام منها شر ومصيبة ، فلما صرنا قريبا من ثنية^(١) إذا راكب قلنا من أين ؟ قال من الشام . قلنا هل كان من حدث ؟ قال نعم . رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة .

وأخرج أبو نعيم عن كعب ووهب بن منبه قالا « رأى بُحْت نَصْر في منامه رؤيا عظيمة أفرزته ، فلما استيقظ نسيها فدعا كَهَنَتَهُ وَسَحَرَتَهُ فأخبرهم بما أصابه من الكرب في رؤياه ، وسألهم أن يعبروها له ، فقالوا قصّها علينا قال قد نسيتهما . قالوا فإننا لا نقدر على تأويلها حتى تقصّها ، فدعا دانيالَ فأخبره فقال إنك قد رأيت صَمًا عظيمًا رجلاه في الأرض ورأسه في السماء أعلاه من ذهب ووسطه من فضة وأسفله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فَخَّار ، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حُسْنُهُ وإحكامُ صنعته ، فقدفه الله بحجر من السماء فوقه على قُنَّةِ رأسه فدَقَّه حتى طحنه فاختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديدته وفخاره ، حتى تحيّل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ، ولو هبَّت ريح لأذَرَتْه ونظرت إلى الحجر الذي قُدِفَ به يربو ويعظم وينتشر ، حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا السماء أو الحجر ، قال بُحْت نَصْر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها ؟ قال أما الصم فأمم مختلفة في أوله الزمان وفي أوسطه وفي آخره . وأما الحجر الذي قُدِفَ به الصم فدين الله يقذفه

به الأمم في آخر الزمان لِيُظْهِرَهُ اللهُ عَلَيْهَا ، فَيُبْعَثُ اللهُ نَبِيًّا أُمِّيًّا مِنَ الْعَرَبِ فَيَدُوحُ
اللهُ به الأمم والأديان ، كما رأيت الحجر دَوَّخَ أصناف الضم ويظهر على الأديان
والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض .^(١)

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عيسى بن داب قال: قال أبو بكر
الصدِّيق «كنت جالسا ببناء الكعبة وزيد بن عمرو بن نُفَيْل^(٢) قاعد فمرَّ به أُمِّيَّةُ
ابن أبي الصَّلْتِ فقال : أَمَا إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي يُنْتَظَرُ مِنَّا أَوْ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينَ
قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك نبي ينتظر ولا يُبْعَثُ ، فخرجت أريدُ وَرَقَةَ بْنَ
نَوْفَلٍ ، فقصصت عليه الحديث فقال : نعم يا ابن أخي ، أخبرنا أهل الكتاب
والعلماء : أن هذا النبي الذي يُنْتَظَرُ مِنْ أَوْسَطِ الْعَرَبِ نَسَبًا وَلِيْ عِلْمٍ بِالنَّسَبِ وَقَوْمِكَ
أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا . قلتُ : يا عم وما يقول النبي ؟ قال يقول ما قيل له ، إلا أنه
لَا يُظْلَمُ وَلَا يُظَالَمُ قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمَنْتُ وَصَدَقْتُ .

وأخرج الطيالسي والبيهقي وأبو نُعَيْمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ زَيْدَ
بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَوَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ^(٣) خَرَجَا يَلْتَمِسَانِ الدِّينَ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى رَاهِبٍ بِالْمَوْصِلِ

(١) قال ابن قتيبة في كتابه (للمعارف) . (وكان في الأسارى الذين في يد
بختنصر دانيال وعزير ، فأما دانيال فهو الذي عبر رؤياه ففرل منه بأفضل المنازل
وكان قبره بناحية السوس ووجده أبو موسى الأشعري فأخرجه وكفنه وصلى عليه
ثم قبره وأما عزير فأقام لبني إسرائيل التوراة بعد أن أحرقت فصاروا لا يعرفونها
حين عاد إلى الشام ، فقالت طائفة من اليهود هو ابن الله) اهـ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان زيد رغب عن عبادة الأوثان وطلب الدين حق وقع
على رجل بالجزيرة فوصف له دين إبراهيم وقال ارجع إلى بلادك فقد دنا خروج نبي ،
فإذا خرج فاتبعه ثم رجع إلى الشام فقتله النصارى .

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن عم خديجة أم
للؤميين وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني في فيكتب من
الأنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ولهذا انطلقت خديجة برسول الله صلى الله =

فقال لزيد من أين أقبلت؟ قال: من بَنِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) قال وماتلتمس؟ قال: ألتمس الدين. قال ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك.

وأخرج أبو يعلى والبَغَوِيُّ في مُعْجَمِهِ والطَّبْرَانِيُّ والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ والبيهقي وأبو نُعَيْمٍ من طريق أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ « أن النبي صلى الله عليه وسلم لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا عَمُّ مَالِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَفَوْكَ؟ قال أما والله إن ذلك لَبَغْيٌ نَائِرَةٌ، كانت مِنِّي إِلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ حَتَّى أَتِيْتُ عَلَى شَيْخٍ بِالْجَزِيرَةِ فَأَخْبَرَنِي بِالَّذِي خَرَجْتُ لَهُ فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتِ؟ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ قَالَ فَانْهَ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ بِلَدِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ قَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ فَارْجِعْ فَصَدَّقُوهُ آمَنَ بِهِ فَرَجَعْتُ فَلَمْ أُحِسَّ شَيْئًا بَعْدَ قَالِ وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَوْلُهُ شَفَوْكَ بِمَعْجَمِهِ وَنُونٌ وَفَاءٌ أَيْ أَبْغَضُوكَ ^(٢).

أخرج ابن سعد وأبو نُعَيْمٍ عن عامر بن ربيعة قال: لقيتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ مَكَّةَ يَرِيدُ حِرَاءَ وَإِذَا هُوَ قَدْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ سُوءٌ؟ فِي صَدْرِ النَّهَارِ فِيمَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِهِمْ وَاعْتَزَالِ آهَتِهِمْ، وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ.

= عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ لِيُخْبِرَهُ خَبْرَ مَا رَأَى فِي حِرَاءَ، فَقَالَ لَهُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى وَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأَمَّةُ وَتَمْنَى لَوْ عَاشَ حَتَّى يَقُومَ الرَّسُولُ بِدَعْوَتِهِ لِيَنْصُرَهُ نَصْرًا مُؤْزَرًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلِثْ أَنْ تَوَفَّى.

(١) هي السكبة المشرفة تنسب إلى بابنها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

(٢) لم يثبت في الصحيح لقاء بين زيد وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدث زيد عن نبوة منتظرة ولا دخل في يهودية ولا نصرانية بل بقي على دين الحنيفية حتى قتل وقد جاء في الحديث (إنه يبعث أمة وحده).

فقال زيد : يا عامر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد فأننا
 أنظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبدالمطلب اسمه أحمد ، ولا أراني أدركه
 فأننا أو من به وأصدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرَّأه مني
 السلام وسأخبرك يا عامر مانعته ؟ حتى لا يخفى عليك ، هو رجل ليس بالقصير
 ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس تُفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة
 بين كتفيه واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرج قومه منها
 ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تخدع عنه
 فخاني بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، وكل من أسأل من اليهود والنصارى
 والجوس يقول : هذا الدين ورأيتك . وينعتونه مثل مانعته لك . ويقولون :
 لم يبق نبي غيره قال عامر فلما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فترحم
 عليه وقال : قد رأيتَه في الجنة يُسحبُ ذيلَه .

وأخرج ابن سعد من طريق الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
 قال قال : زيد بن عمرو بن نفيل « كنت بالشام فأتيت راهباً فذكرت له كراهتي
 عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال لي أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل
 مكة إنك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به فالحق ببلدك فإن نبياً يبعث من قومك
 في بلدك يأتي بدين إبراهيم بالحنيفية وهو أكرم الخلق على الله » .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي أمانة الباهلي ^(١) عن عمرو بن عبسة
 السلمي ^(٢) قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون

(١) هو صدق بن عجلان شهد مع علي صفين وهو بعد فيمن تأخر موته من
 الصحابة توفي سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٢) هو من بني سليم ويكنى أبا نعيم وكان يقال له ربيع الإسلام لأنه حين جاء
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قال له : من أتبعك على هذا الأمر ؟ فقال : حر
 وعبد يعني أبا بكر وزيد بن حارثة رضي الله عنهما فكان عمرو بن عبسة يقول :
 لقد رأيتني وإني لربيع الإسلام

الحجارة فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين ؟ فقال يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها وهو يأتي بأفضل الدين فإذا سمعت به فاتبعه فلم يكن لي هم إلا مكة آتيا ، فاسأل هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون : لا فأنصرف إلى أهلي وأعرض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون لا ، فإنى لقاعد على الطريق إذ مر بي راكب قلت من أين جئت ؟ قال : من مكة ، قلت : هل حدث فيها خبر ؟ قال نعم رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها ، فقلت صاحبى الذى أريد فأتيته فوجدته مستخفيا قلت ما أنت ؟ قال نبي قلت ما النبى ؟ قال رسول قلت ومن أرسلك ؟ قال : الله . قلت بماذا أرسلاك ؟ قال أن توصل الأرحام وتحقق الدماء وتؤمن السبل وتكسر الأوثان وتعبد الله لا تشرك به شيئا قلت نعم ، ما أرسلك به أشهدك أنى قد آمنت بك وصدقت أفأمكث معك أو ما ترى ؟ قال قد ترى كراهية الناس لما جئت به فأمكث فى أهلك فإذا سمعت بى خرجت فخرجت فأتبعنى فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرت حتى قدمت عليه .

وأخرجه ابن سعد من طريق شهر بن حوشب عن عمرو بن ميسرة به .
وأخرج أبو نعيم وابن عساکر عن أبى هريرة قال « باغى أن بنى إسرائيل لما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يحدون محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوتاً فى كتابهم وأنه يظهر فى بعض هذه القرى العربية فى قرية ذات نخل ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يتعزّضون ^(١) كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يحدون نعمتها تمت يثرب فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه حتى نزل من بنى هارون ممن حمل التوراة يثرب منهم طائفة فات أولئك الآباء وهم

(١) يعنى يقيمون القرى التى يحدونها مطابقة لما عندهم من أوصاف القرية التى ستكون إليها هجرة الرسول عليه السلام .

مؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه جاء ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء فأدرکه من أدرکه من أبناءهم وكفروا به وهم يعرفون .

وأخرج أبو نعیم عن حسان بن ثابت^(١) أنه قال « والله إني لفي منزلي ابن سبع سنين وأنا أحفظ ما أرى وأعي ما أسمع ، وأنا مع أبي إذ دخل علينا فتى منا يقال له ثابتُ بن الضحاک^(٢) فتحدث ، فقال زعم يهودي في قريظة الساعة وهو يلاحيني قد أظلم خروج نبي يأتي بكتاب مثل كتابنا يقتلكم قتل عاد ، قال حسان فوالله إني لعلی فارع یعنی أطعم حسان في السحر إذ سمعت صوتا لم أسمع صوتا قط أنفذ منه فإذا يهودي على ظهر أطعم من أطام المدينة معه شُعلة من نار ، فاجتمع إليه الناس فقالوا : مالك ويليک ؟ قال حسان فأسمعه يقول هذا كوكب أحمد قد طلع هذا الكوكب لا يطلع إلا بالنبوة ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد قال فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما يأتي منه . وكان حسان عاش مائة سنة وعشرين سنة ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام . »

وأخرج الواقدي وأبو نعیم عن حوَيِّصَة بن مسعود « قال كنا ويهود فينا كانوا يذكرون نبيا يبعث بمكة اسمه أحمد ، ولم يبق من الأنبياء غيره ، وهو في كتبنا و أخذ علينا منه صفته كذا وكذا ، حتى يأتوا على نعتة قال : وأنا غلام وما أرى أحفظُ و أسمعُ أعی إذ سمعت صياحا من ناحية بني عبد الأشهل

(١) أنصاري خزرجي كنيته أبو الوليد وهو متقدم في الإسلام إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا لجنبه وقد عاش مائة وعشرين سنة ستين منها في الجاهلية وستين في الإسلام .

(٢) هو والد زيد بن ثابت قتل يوم بعث قبل قدوم النبي عليه السلام بنحو خمس سنوات وقد أسلم ابنه زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ولهذا استصغر عن عزوة أحد .

فإذا قومي فزعوا وخافوا أن يكون أمر حدث ، ثم خفي الصوت ثم عاد فصاح
ففهمنا صياحه يا أهل يثرب هذا كوكب أحمد الذي ولد به ، قال: فجعلنا نعجب
من ذلك ، ثم أقمنا دهرًا طويلا ونسينا ذلك فهلك قوم وحدث آخرون وصرت
رجلا كبيرا فإذا مثل ذلك الصياح بعينه يا أهل يثرب قد خرج محمد وتنبا
وجاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه الصلاة والسلام ، فلم ننسب
أن سمعت أن بمكة رجلا خرج يدعى النبوة وخرج من خرج من قومنا وتأخر
من تأخر ، وأسلم فتيتان منا أحداث ولم يُقَضَ لي أن أسلم ، حتى قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس قال « كانت يهود قريظة والنضير
وفدك وخيبر يمدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث
وأن دار هجرته المدينة ، فلما ولد قالت أخبار يهود ولداً أحمد الليلة هذا الكوكب
قد طلع ، فلما تنبأ قالوا قد تنبأ أحمد كانوا يعرفون ذلك ويُقرُّون به ويصفونه » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن أبي ثَمَلَةَ قال: « كانت يهود
بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمونه
الولد أن بصفته واسمه ومهاجره إلينا المدينة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسدوا وبغوا وأنكروا .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي سعيد الخدري قال سمعت أبي مالك بن سنان
يقول: جئت بني عبد الأشهل يوما لا أحدث فيهم فسمعت يوشع اليهودي يقول
« أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم فليل له ماصفته ؟ قال رجل ليس
بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه ،
وهذا البلد مهاجره . فرجعت إلى قومي بني خُدرة وأنا أتعجب مما قال فأسمع رجلا
منا يقول ويوشع يقول هذا وحده ؟ كل يهود يثرب تقول هذا ، فخرجت حتى
(٥ - الخصائص الكبرى)

جث بنى قريظة فأجد جمعاً، فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الزبير ابن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ولم يبق أحد إلا أحمد وهذه مهاجرة .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة^(١) قال « لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودى واحد يقال له : يوشع ، فسمعته يقول : وإنى لأعلم قد أظلم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى مكة فمن أدركه فليصدق ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ، فلم يُسلم حسداً وبقياً » .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال : « لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود يثرب يُخبرونه » .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : « لما قدم تبع المدينة ونزل بقناة ، بعث إلى أحبار يهود فقال : إني مُحَرَّب هذا البلد ، فقال له شامون اليهودى وهو يومئذ أعلمهم ، أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من بنى إسماعيل مولده بمكة اسمه أحمد وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتل والجراح أمرٌ كثير فى أصحابه وفى عدوم ، قال تبع : ومن يقاتله يومئذ ؟ قال يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا ، قال : فأين قبره ؟ قال بهذا البلد ، قال فإذا قوتل لمن تكون الدبرة ؟ قال تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا فى موطن مثاها ، ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه فى هذا الأمر » .

(١) هو محمد بن مسلمة بن سلمة من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج ، كان يقال له فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد للشاهد كلها . ومات بالمدينة سنة ست وأربعين أو ثلاث وأربعين .

أحد ، قال وما صفته ؟ قال : رجل لا بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة ، يركب البعير ، ويلبس الشملة ، سيفه على عاتقه ، لا يبالي من لاقى حتى يظهر أمره »^(١) .

وأخرج ابن سعد من طريق عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : « كان الزبير ابن بآطاً وكان أعلم^(٢) اليهود يقول : إني وجدت سِفْراً كان أبي كَتَمَهُ عَلَىَّ فيه ذكر أحمد بن يخرج بأرض القِيُوطِ^(٣) ، صفته كذا وكذا ، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة ، عَمِدَ إلى ذلك السِّفْرِ فحاه وكتب شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ليس به » .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن ثابت قال « كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لاني بعده اسمه أحمد مهاجرة إلى يثرب ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة ونزلها أنكروا وبغوا وحسدوا » .

وأخرج أبو نعيم عن زياد بن ليبيد أنه حدث « أنه كان على أطم من أطام

(١) ذكر ابن قتيبة أن أهل يثرب ممن خرج مع عمرو بن عامر مزينة كانوا قد شكوا إلى تبع سوء مجاورة اليهود ونقضهم الشرط الذي شرطه لهم عند نزولهم ، فأحفظه ذلك وعزم على أخراب يثرب ، فقال له رجل من اليهود إنك لا تستطيع ذلك فقال له ولم ؟ قال إنها مهاجرة نبي من ولد إسماعيل يخرج من عند هذه البنية يعني السكبة فكف تبع عنها .

(٢) لا شك أن أعلم اليهود هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما جاء في قصة إسلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عنه فقالوا : هو عالمنا وابن عالمنا فلما أخبرهم أنه قد أسلم شتموه ونقضوه .

(٣) جمع قيظ ، وهو الحرارة الشديدة ويعني بها مكة .

للمدينة سمع يا أهل يثرب قد ذهبت والله نبوة بنى إسرائيل ، هذا نجم قد طلع بمولد أحمد وهو نبي آخر الأنبياء مهاجرة إلى يثرب^(١) .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه قال : « ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصَفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر^(٢) الراهب كان يألف اليهود ويسأئهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وأن مهاجرة يثرب ، فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنيفة ، فأقام مترهباً ولبس اللسوخ ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام وأنه ينتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج إليه وأقام على ما كان عليه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة حسد وبغى وناق ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم بعثت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفة ، فقال : أنت تخلطها بغيرها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتيت بها بيضاء نقية أين ما كان يخبرك الأخبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟ قال لست بالذي وصفوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت ، فقال : ما كذبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذب

(١) من العلوم أن أهل يثرب كانوا عباد أصنام فلا يعنهم ذهاب نبوة ومجيء أخرى كما أنه من المستبعد أن يعلن اليهود في أعدائهم بذهاب النبوة منهم وانتقالها إلى العرب . ولهذا يجب أن تؤخذ هذه الأخبار كما قلنا سابقاً بخذر .

(٢) اسمه عبد عمرو بن صفي وكان رأس الأوس في الجاهلية ولقب بالراهب . لكثرة تعبدية فلما جاء الإسلام شق به وجهه بالعداوة وخرج يؤلب قريشاً ويحمسها للأخذ بثأر قتلى بدر وكان شديد النكابة على المسلمين يوم أحد وهو الذي بنى له بعض المنافقين مسجد الخيبر ليسكون مركزاً للتجسس على المسلمين .

أَمَاتَهُ اللهُ طَرِيداً وَحِيداً ، فَقَالَ آمِينَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ يَتَّبِعُونَهُمْ وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ نَحْوَهُ ، وَزَادَ « نَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا فَتَحَتْ مَكَّةَ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ لَحِقَ بِالشَّامِ ، فَمَاتَ بِهَا طَرِيداً غَرِيْباً وَحِيداً » .

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ « كَانَ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ بْنُ غَالِبٍ يَجْمَعُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخَاطِبُهُمْ فَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ فَاسْمَعُوا وَتَعَلَّمُوا ، وَافْهَمُوا وَعَلِّمُوا ، لَيْلٍ سَاجٍ وَنَهَارٍ ضَاحٍ ، وَالْأَرْضُ مَهَادٌ ، وَالسَّمَاءُ بَنَاءٌ ، وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ ، وَالنَّجُومُ أَعْلَامٌ ، وَالْأَوَّلُونَ كَالْآخِرِينَ ، وَالذِّكْرُ وَالْأُنْثَى ، وَالرُّوحُ إِلَى بَلَى ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، وَاحْفَظُوا أَصْهَارَكُمْ ، وَتَمَرُّوا أَمْوَالَكُمْ ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ مَنْ هَالَكَ رَجَعَ ، أَوْ مَيِّتٍ نُشِرَ ، الدَّارُ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ غَيْرُ مَا تَقُولُونَ ، حَرَمَكُمْ زَيْنُوهُ وَعَظْمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ فَيَسِئَاتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ^(١) .

ثُمَّ يَقُولُ :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلُّهُمَا بِحَادِثٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ يُخَبِّرُ أَخْبَاراً صَدُوقٌ خَيْرُهَا

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا يَدٍ وَذَا رَجُلٍ لَتَنَصَّبْتُ فِيهَا تَنْصِبٌ
لِجَلٍّ . وَلَأَرْقَلْتُ فِيهَا إِرْقَالُ الْفَحْلِ .

(١) لَا يَحْفَظُ مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الْإِفْتَعَالِ ، فَإِنَّ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ لَا يَعْرِفُ لَهُ اتِّصَالَ
بِأَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُخْبِرَ بِمَخْرُوجِ نَبِيٍّ مِنْ مَكَّةَ وَبَعْضِ أَلْفَاظِ خُطْبَتِهِ مَحْفُوظٌ مِنْ خُطْبَةِ
عُثْمَانَ بْنِ سَاعِدَةَ فِي سَوْقِ عَكَاظِ .

ثم يقول :

يا ليتني شاهد نجواء دعوته حين العشرة تبغى الحق خذلانا

وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس «أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه في سوق عكاظ ، فقال في خطبته : سَيُعْظَمُ حق من هذا الوجه ، وأشار بيده نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه . لكنت أول من يسعى إليه » (١) .

وأخرج الخرائطي في (كتاب الهوائف) وابن عساكر عن جامع بن جرّان ابن جُمَيْع بن عثمان بن سَمَال بن أبي الحصن بن السَّمَوَّال بن عَادِيَا ، قال : لما حضرت الأوس بن حارثة (٢) الوفاة أوصى ابنه مالكا بوصايا ثم أنشأ يقول :

شهدت السبايا يوم آل مُحَرَّق وأدرك عمرى صيحة الله في الحجر
فلم أر ذا ملك من الناس واحداً ولا سوقة إلا إلى الموت والقبر

(١) روى أهل الأدب أنه كان يقول في خطبته بعكاظ . (يقسم قس بالله قسمًا لا حنث فيه إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم ونبيا قد حان حينه وأظلم أوانه فطوبى لمن أدركه فأمر به وهواه وويل لمن خالفه وعصاه .

(٢) هو جد قبيلة الأوس من الأنصار فمن ولده مالكا تفرعت كل قبائل الأوس وبطونها وهو أخو الخزرج بن حارثة وأمهما قبيلة بنت كاهل التي تنسب إليها اللقيطان .

إلى أن قال :

ألم يأت قومي أن الله دعوة يفوز بها أهل السعادة والبر
إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصره ببلادكم نى عامر إن السعادة فى النصر
وأخرج ابن سعد عن حَرَام بن عثمان الأنصارى قال «قدم أسعد بن زُرَّارة^(١)
من الشام تاجرا فى أربعين رجلا من قومه فرأى رؤيا ، أن آتيا أتاه فقال ، إن نبيا
يخرج بمكة يا أبا أمامة فاتبعه ، وآية ذلك أنكم تنزلون منزلا فيصاب أصحابك
فتنجؤ أنت وفلان يطعن فى عينه فنزلوا منزلا فبئسهم الطاعون فأصيبوا جميعا غير
أبى أمامة وصاحب له طعن فى عينيه .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى وأبو نعيم عن الشعبى قال «حدثنى شيخ
من جهينة أن رجلا منا فى الجاهلية يقال له عُمَيْرُ بنُ حَبِيبٍ رضى فأغمى عليه
فسجّناه فظناه أنه مات وأمرنا بحفرته أن تحفر ، فبينما نحن عنده إذ جلس فقال :
إني أتيتُ حيث رأيتُمونى أغمى علىَّ فقيل لى لا مُكَّ الهَبَل . ألا ترى إلى حفرتك
تُنتَثَلُ . وقد كادت أمك تشكّل . أرايت إن حواها عاك بمحول . وقذفنا
فيها القُصَل ، ثم ملأناها عليه بالجندل ، أتؤمن بالنبي المرسل ؟ وتشكر لربك
وتصل ، وتدعُ سبيل من أشرك فأضل . قلت نعم فأطلقتُ فانظروا ماذا فعل
القُصَل . فذهبوا ينظرون فوجدوه قد مات فدُفِنَ بالحفرة ، وعاش الرجل حتى
أدرك الإسلام»^(٢) .

(١) أنصارى خزر جى شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكان نقيبا لبني الجارة
وفى الصبح أنه أول من جمع بالمسلمين فى المدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم

(٢) هذه حكاية من نسج خيال الشعبى أو الشيخ الذى روى عنه ولو صحت
فهى من فعل الجن ، والكلام هنا من قبيل سجع السكمان .

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن كعب قال: «كان إسلام أبي بكر الصديق سببه نوحى من السماء، وذلك أنه كان تاجرا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب فقال له من أين أنت؟ قال من مكة. قال من أيها؟ قال من قريش قال فإيش أنت؟ قال تاجر قال صدق الله رؤياك فإنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته، فأسرها أبو بكر حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم لحجاء فقال: يا محمد ما الدليل على ماتدعى؟ قال الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبل ما بين عينيه، وقال أشهد أنك رسول الله»^(١).

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن البياض عن أبيه عن جده قال: «قيل لأبي بكر هل رأيت قبل الإسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم. وهل بقى أحد من قريش أو من غير قريش لم يجعل الله لحمد في نبوته حجة بيننا أنا قاعد في شجرة في الجاهلية إذ تدلّى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر إليه وأقول ما هذا؟ فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا، فكن أنت من أسعد الناس به»^(٢).

(١) هذا يناقى ماجاء في الحديث الصحيح من قوله عليه السلام (مادعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت له فيه كبوة وزدد إلا أبا بكر) فأبو بكر لم يسأل الرسول آية على صدقه بل دخل في الإسلام بمجرد دعوته إليه.

(٢) هذه حكاية ظاهر فيها السكذب والافتعال، ولبت شعري لمصلحة من يروى السيوطى كل هذه الأباطيل؟ وهل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خفي حتى يحتاج إلى تدعيمه بهذه السنادات الواهية.

« باب »

اختصاصه بذكر أصحابه في الكتب السابقة ووعدهم بوراة الأرض

قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) .

أخرج ابن أبى حاتم في تفسيره عن ابن عباس في الآية قال « أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات الأرض أن يورث أمة محمد الأرض » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء أنه قرأ قوله تعالى (إن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فقال نحن الصالحون . قلت : وقد وقفت على نسخة من الزبور وهو مائة وخمسون سورة ورأيت في السورة الرابعة منه مانصه : « يادود اسمع ما أقول ومُر سليمان فإيقلة للناس من بعدك إن الأرض لى أورثها محمداً وأمة »

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : « قال أبو بكر الصديق : خرجت إلى اليمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت على شيخ من الأزدي عالم قد قرأ الكتب ، وأتت عليه أربع مائة سنة إلا عشر سنين فقال لى أحسبك حرمياً؟^(١) قلت نعم . وأحسبك قرشياً قلت نعم قال وأحسبك تميمياً^(٢) قلت نعم . قال بقيت لى منك واحدة ، قلت ماهى؟ قال تكشف لى عن بطنك قلت لم ذاك؟ قال أجد فى العلم الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاون على أمره فتى وكهل .

(١) نسبة إلى الحرم ، أى من أهل مكة ، والكلام على الاستفهام ولهذا أجابه أبو بكر رضى الله عنه بنعم .

(٢) أى من بنى تميم بن مرة بطن من قريش ينسب إليهم أبو بكر وطلحة ابن عبد الله .

فَأَمَّا الْفَتَى فَعَرَّوْا ضُ غَمَرَاتٍ وَدَفَّاعُ مُعْضَلَاتٍ . وَأَمَّا الْكَهْلُ فَأَبْيَضُ نَحِيفٌ عَلَى بَطْنِهِ شَامَةٌ وَعَلَى نَفْذِهِ الْيَسْرَى عَلَامَةٌ ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تُرِيَنِي ؟ فَقَدْ تَكَامَلْتُ لِي فِيكَ الصِّفَةُ إِلَّا مَا خَفِيَ عَلَيَّ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَشَفْتُ لَهُ عَنْ بَطْنِي فَرَأَى شَامَةً سَوْدَاءَ فَوْقَ سَرْتِي . فَقَالَ أَنْتَ هُوَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ » ^(١) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنِ الرَّبِيعِ ابْنِ أَنَسٍ ^(٢) قَالَ «مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ مِثْلُ الْقَطْرِ أَتَيَا يَقَعُ نَفْعٌ» ^(٣) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ^(٤) قَالَ : أَتَيْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ يَا كُلُّونَ فَرَمِي بِبَصْرِهِ فِي مُؤَخَّرِ الْقَوْمِ إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ مَا تَجِدُ فِيمَا تَقْرَأُ قَبْلَكَ مِنَ الْكُتُبِ ؟ قَالَ خَلِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِدِّيقُهُ .

(١) وهذه أيضاً أسطورة من أساطير ابن عساكر فإنه يبعد جداً في العادة أن يعمر رجل إلى هذه السن ، ولو فرض فإنه يبعد أن يبقى له عقل يني وعين يرى وأذن تسمع ، كما أنه لا معنى لتخصيص أبي بكر وعلى بالإعانة على أمر الإسلام فهناك كثير غيرها كعمر الذي أعز الله به الإسلام وحمزة أسد الله وأسود رسوله وطلحة بطل أحد وسعد بطل القادسية الخ من لا يقع تحت الحصر من المهاجرين والأنصار .

(٢) كان من أهل البصرة من بنى بكر بن وائل لقي ابن عمر وجابراً وأنس ابن مالك وهرب من الحجاج فأتى مرو وسكن بها ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .
(٣) من المستبعد أن يذكر أبو بكر رضى الله عنه في الكتب السابقة باسمه الصريح ولكن بصفات عامة كما نطق بذلك القرآن على أن هذا المثل ليس بصحيح فإن القطر لا ينقع إذا وقع على أرض صلبة أو سبخة ، بل قد يضر كما لو وقع على بعض الأبنية فهدمها .

(٤) هو نفيع ، بن الحارث بن كلدة طبيب العرب تدلى إلى الرسول عند حصار الطائف فأسلم وحسن إسلامه وتوفي سنة إحدى وخمسين وقد اعتزل الفتنة التي كانت بين علي ومعاوية وروى في ذلك حديثه المشهور (إذا التقى المسلمان بسيفيهما خالقا نال والمقتول في النار) .

وأخرج الدينوري^(١) في المجالسة وابن عساكر من طريق زيد بن أسلم قال أخبرنا عمر بن الخطاب قال « خرجت مع ناس من قريش في تجارة إلى الشام في الجاهلية . فلما خرجنا إلى مكة نسيت قضاء حاجة فرجعت فقلت لأصحابي ألحقكم فوالله إنى لنى سوق من أسواقها ، إذا أنا ببَطْرِيق قد جاء فأخذ بعنقى فذهبت أَنَازِعُهُ فأدخلنى كنيسته ، فإذا تراب متراكب بعضه على بعض فدفعت إلى مجرفة وفأساً وزنبيلاً وقال : انقل هذا التراب فجلست أتفكر فى أمرى كيف أصنع فأتانى فى المهاجرة فقال لى : لم أرك أخرجت شيئاً ثم ضم أصابعه فضرب بها وسط رأسى فقامت بالمجرفة فضربت بها هامته فإذا دماغه قد انتثر ثم خرجت على وجهى ما أدرى أين أسلُكُ ؟ ، فمشيت بقية يومى وليالى حتى أصبحت فأنتهيت إلى دير فاستظلمت فى ظله فخرج إلى رجل فقال يا عبد الله ما يجلسك هاهنا ؟ قلت أضلت عن أصحابى فجاءنى بطعام وشراب وصعد فى النظر وخففه ، ثم قال يا هذا قد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم منى بالكتاب وإنى أجد صفتك الذى تخرجنا من هذا الدير وتغلب على هذه البلدة فقلت له أيها الرجل قد ذهبت فى غير مذهب . قال ما اسمك ؟ قلت عمر بن الخطاب . قال أنت والله صاحبنا فهو غير شك فاكتب لى على ديرى وما فيه قلت : أيها الرجل قد صنعت معروفاً فلا تكدره . فقال اكتب لى كتاباً فى رَقٍّ ليس عليك فيه شيء فإن تك صاحبنا فهو ما نريد وإن تكن الأخرى فليس يضررك قلت هات فكتبت له ثم ختمت عليه ، فلما قدم عمر الشام فى خلافته أتاه ذلك الراهب وهو صاحب دير القدس بذلك الكتاب فلما رآه عمر تعجب منه وأنشأ يحدثنا حديثه فقال أوْفِ لى بشرطى فقال عمر : ليس لعمر ولا لابن عمر منه شيء . »

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المؤلفات المشهورة كأدب الكاتب وتأويل مختلف الحديث والعارف .

وأخرج ابن سعد عن ابن مسعود قال «رَكِضَ عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نَجْرَانَ ^(١) بفخذه شامة سوداء فقالوا : هذا الذى كنا نجد فى كتابنا أَنَّهُ يخرجنا من أرضنا» ^(٢) .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من طريق أبى إسحاق عن أبى عُبَيْدَةَ قال «رَكِضَ عمر فرساً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فانكشفت فخذه من تحت القباء فأبصر رجل من أهل نجران شامةً فى فخذه ، فقال هذا الذى كنا نجده فى كتابنا يخرجنا من ديارنا» .

وأخرج أبو نعيم من طريق شهر بن حوشب ^(٣) عن كعب قال « قلت لعمر بالشام إنه مكتوب فى هذه الكتب أن هذه البلاد مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، سرُّه مثلُ علانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، القريب والبعيد سواء فى الحق عنده ، أتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحون متواصلون متبارون . قال عمر : أحق ماتقول ؟ قال أى والله . قال : الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم» ^(٤) .

(١) بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٢) كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى قبل موته بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقال (لا يبقى بأرض العرب دينان) وقد تم ذلك على يد الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه ولكن أين رأى نصارى نجران عمر وهو يركض فرسه ؟ لعل ذلك حين قدم وقدم إلى الدينة .

(٣) قال ابن قتيبة هو من الأشعريين وكان ضعيفا فى الحديث مات سنة ثمان وتسعين وقيل سنة اثنتى عشرة ومائة .

(٤) لا ندرى أى الرجلين افتعل هذا الكذب هل هو شهر أم كعب فإن ماورد هنا من الصفات عام فى كل مسلم لا يختص به عمر قال تعالى « والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وأخرج ابن عساكر عن عُبَيْدِ بْنِ أَدَمَ وَأَبِي سَرِيمٍ وَأَبِي شُعَيْبٍ بْنِ عَمْرِو «أن عمر بن الخطاب كان بالجالية ، فقدم خالد بن الوليد إلى بيت المقدس فقالوا له : ما اسمك ؟ قال خالد بن الوليد . قالوا : وما اسم صاحبك ؟ قال عمر بن الخطاب . قالوا انعته لنا فنعته ، قالوا : أما أنت فلست تفتحها ولكن عمر ، فإننا نجد في الكتب كل مدينة تفتح قبل الأخرى ، وكل رجل يفتحها نعته ، وإننا نجد في الكتاب أن قيسارية تفتح قبل بيت المقدس فاذهبوا فافتحوها ثم تعالوا بصاحبكم» .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن مُغِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : « كيف تجدُ نعتي في التوراة ؟ قال خليفة قرن من حديد ، أمير شديد لا يخاف في الله لومة لائم ، ثم يكون من بعدك خليفة تقتله أمة ظالمين له ، ثم يقع البلاء بعده ^(١) » .

وأخرج ابن عساكر عن الأفرع مؤذن عمر «أن عمر دعا الأسقف ^(٢) فقال : هل تجدوننا في شيء من كتبكم ؟ قال نجد صفتكم وأعمالكم ولا نجد أسماءكم اسما اسما . قال : كيف تجدوني ؟ قال قرناً من حديد قال ما قرن من حديد ؟ قال أمير شديد . قال عمر : الله أكبر قال : فالذي من بعدى ؟ قال رجل صالح يؤثر

= وقال (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ولا نظن أن عمر في حصافته وصدق فراسته كان يخفى عليه أمر كعب .

(١) هذا وصف صحيح لعمر رضى الله عنه وإن كان الخبر مشكوكاً فيه ، فإن شدة عهده في الدين وقوة شكيمته أمر معلوم للأخص والعام .

(٢) هو عالم النصارى ، وجمعه أساقفة ، ولسنا ندرى من هذا الأسقف الذي دعاه عمر ولعله أسقف بيت المقدس حين ذهب إليها .

أقرباءه قال عمر : يرحم الله ابن عفان ^(١) فالذى من بعده ؟ قال صداء حديد ^(٢) فقال عمر وادفراه . قال : مهلاً يا أمير المؤمنين فإنه رجل صالح ولكن تكون خلافته في هراقة من الدماء والسيوف مسلول .

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين ^(٣) قال : « قال كعب الأحبار لعمر : يا أمير المؤمنين هل ترى في منامك شيئاً ؟ فأنشده فقال أنا أجد رجلاً يرى أمر الأمة في منامه » .

وأخرج بن راهويه في مسنده بسند حسن عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري قال « كان عبد الله بن سلام قبل أن يأتي أهل مصر يدخل على رؤس قريش فيقول لهم : لا تقتلوا هذا الرجل - يعني عثمان - فيقولون : والله ما نريد قتله ، فيخرج وهو يقول : والله ليقتلنه ثم قال لهم لا تقتلوه فوالله ليموتن إلى أربعين يوماً ، فأبوا فخرج عليهم بعد أيام فقال لهم لا تقتلوه فوالله ليموتن إلى خمس عشرة ليلة ^(٤) » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن طاوس قال « سئل عبد الله بن سلام

(١) كيف عرف عمر من هذا الوصف أنه ابن عفان مع أن إشار عثمان لأقربائه إنما كان في خلافته بعد مقتل عمر ، ولعل هذا وحده يكفي للدلالة على افتعال الخبر .
(٢) هو كناية عن كثرة حروبه لأنه يضطر إلى لبس الحديد دائماً حتى يصدأ .
والمراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) تابعي جليل كان أبوه سيرين عبد الانس بن مالك ، كاتبه على عشرين ألف وأداها وكانت أمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان محمد كاتب أنس بن مالك بفارس توفي سنة عشر ومائة عن سبع وسبعين سنة .

(٤) هذا خبر عجيب فإن من البعيد أن تكون التواراة قد حدثت يوم مقتل عثمان ولو صحت نسبة هذا الخبر إلى عبد الله بن سلام فإنه صدوق وقد بشره الرسول بالجنة ولو كنا نشك في صحة نسبته إليه .

حين قتل عثمان : كيف تجدون صفة عثمان في كتبكم ؟ قال نجده يوم القيامة أميراً على القاتل والخاذل»^(١).

وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن يوسف عن جده عبد الله بن سلام أنه دخل على عثمان فقال له ما ترى في القتال والكف ؟ قال الكف أبلغ للحجة وإننا لنجد في كتاب الله أنك يوم القيامة أمير على القاتل والأمر .

وأخرج من هذه الطريق أن عبد الله بن سلام قال للمصريين « لا تقتلوا عثمان فإنه لا يستكمل ذا الحجة حتى يأتي على أجله » .

وأخرج أبو القاسم البغوي عن سعيد بن عبدالعزيز قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لذي قربات الحميري وكان من أعلم يهود إذا قربات من بعده ؟ قال الأمين - يعني أبا بكر - قيل : فمن بعده ؟ قال قرن من حديد يعني عمر . قيل فمن بعده ؟ قال الأزهر يعني عثمان . قيل : فمن بعده ؟ قال الوضاح المنصور يعني معاوية »^(٢)

وأخرج ابن راهويه والطبراني عن عبد الله بن مُعَفَّل قال « قال لي عبد الله ابن سلام لما قتل عليُّ هذا رأس أربعين سنة وسيكون عندها صالح »^(٣).

وأخرج ابن سعد عن أبي صالح قال « كان الحادي يحدو بعثمان وهو يقول :

(١) المراد بهم الذين خذلوه وقعدوا عن نصرته .

(٢) عجباً لهذا اليهودي كيف أسقط خلافة علي وهي خلافة نمرعية تمت ببيعة صحبة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين وفي الحديث « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير لمساك عضودا » .

(٣) تم الصلح بناء على تنازل الحسن بن علي لمعاوية حقناً لدماء المسلمين ، وقد سمى هذا العام عام الجماعة ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحسن « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به طائفتين متقاتلتين من المسلمين »

إن الأمير بعده على وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : لا بل هو معاوية ، فأخبر معاوية بذلك فقال : « يا أبا إسحاق أتى يكون هذا ، وهاهنا أصحاب محمد على والزبير قال أنت صاحبها » .

وأخرج الدارمي وابن رَاهَوِيَه بسند حسن عن أبي جرير الأزدي عن عبد الله بن سلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، إنا نجديك يوم القيامة قائماً عند ربك وأنت مُحَمَّرَةٌ وجنتك مستحى من ربك مما أحدثت أمتك من بعدك ^(١) .

وأخرج الطبراني والبيهقي عن محمد بن يزيد الثقفي قال « اصطحب قيس بن خرشة وكعب الأبحار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال ليهرقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله ^(٢) فقال قيس : ما يدريك ؟ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به ، فقال كعب مامن الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى ما يكون عليه ، وما يخرج منه إلى يوم القيامة ^(٣) .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن عبد الله بن الزبير ^(٤) أنه قال « لما أتى

(١) كيف يعقل أن يخبر عبدالله ابن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من أمور الآخرة التي هو أعلم الناس بها ، وما ذنبه هو فيما جنته أمته من بعده ، حق يستحي من ذلك عند الله ؟ وكيف يتفق هذا مع قوله « إني مباه بكم الأمم » ؟
(٢) روى أن عدة القتلى بلغت يومئذ ثلاثون ألفاً .

(٣) هذا غلو من كعب اليهودي في تعظيم التوراة حتى جعلها كاللوح المحفوظ فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة .

(٤) هو أحد العبادلة الأربعة وأول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ببيع له بالخلافة في الحجاز والعراق واليمن ومصر ، ومكثت خلافته تسع سنين إلى أن سار إليه الحجاج في زمن عبد الملك بن مروان وحاصره بمكة فقتل وصلب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

برأس المختار^(١) ما حدثني كعب بحديث إلا وجدت مصداقه إلا أنه حدثني أن رجلا من ثقيف سيقته لي قال الأعشى ما درى أن الحجاج خبيء له « وأخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمرو قال « إني أجد مكتوبا في الكتاب رجلا من شجرة معاوية يسفك الدماء ويستحل الأموال وينقض هذا البيت حجرا حجرا ، فإن كان ذاك وأنا حي وإلا فاذا كرني يقول لامرأة من بني المغيرة كان منزلها على أبي قبيس ، فلما كان زمن الحجاج وابن الزبير ورأت البيت ينقض قالت رحم الله عبد الله بن عمرو »^(٢) .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن هشام بن خالد الرُّبَعي قال « قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز^(١) أربعين سنة . وأخرج عن محمد بن فضالة أن راهبا قال « إنا نجد عمر بن عبد العزيز من أئمة العدل موضع رجب من أشهر الحرم » .

وأخرج عن الوليد بن هشام بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط قال « نزلنا أرض كذا فقال رجل ألا تسمع ما يقول هذا الراهب ، زعم أن سليمان^(٢) أمير المؤمنين كذا »
(١) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي خرج بالعراق بعد موت يزيد وغلب على الكوفة وما حولها وقد زعم أنه نبي يوحى إليه وقد سير إليه عبد الله بن الزبير جيشا بقيادة أخيه مصعب فقتله وأتى برأسه .

(٢) الذي نقض البيت وضر به بالمنجنيق هو الحجاج في زمن عبد الملك بن مروان وهو من من شجرة بنى أمية وليس من أولاد معاوية أو لعله يريد بالشجرة البيت الأموي كله .

(٣) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان أشج بنى أمية وأفضل خلفائها وخامس الخلفاء الراشدين ملأ الأرض عدلا ورد المظالم إلى أهلها وسار في الناس سيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه توفي بدير سمعان من أرض حمص سنة إحدى ومائة والعهد في هذا الخبر على هشام هذا فإن في النفس منه شيئا .

(٤) هو سليمان بن عبد الملك بوبع له بالخلافة بعد أخيه الوليد وكان من أجل الناس أبيض جعدا فصيحاً توفي بدابق سنة ثمان وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة .
 (٦ - الخصائص الكبرى)

توفي قال فمن استُخلف بعده؟ قال الأشج عمر بن عبد العزيز فلما قدمت الشام إذا هو كما قال، فلما كان العام الرابع نزلنا ذلك المنزل فأتاه ذلك الرجل فقال: ياراهب الحديث الذي حدثناه وجدناه كما قلت، قال: فإنه والله قد سقى عمرُ الشَّمَّ فأثيناه فوجدناه كذلك» .

وأخرج ابن عساكر من طريق المغيرة بن النعمان عن رجل من أهل البصرة «خرجت أريد بيت المقدس فلوانى المطر إلى صومعة راهب فأشرف على فقال إنا نجد في كتابنا أن قوما من أهل دينكم يقتلون بعذراء لا حساب عليهم ولا عذاب، فما مكثت إلا يسيراً حتى جىء بمجبر بن عدى^(١) وأصحابه فقتلوا بعذراء» .
وأخرج البيهقي عن كعب قال «تظهر رايات سُود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم^(٢)» .

وأخرج الدُّولَابِيُّ في الكُفَى من طريق حَمَّاد بن سَلَمَةَ عن يَعْلَى بن عطاء عن بُجَيْرِ أَبِي عُمَيْدٍ عن سَرْحِ الْيَزْمُوكِيِّ - وكان من أهل الكتاب - قال «أجد في الكتاب أن في هذه الأمة اثني عشر رئيساً نبههم أحدهم فإذا وَفَّتِ الْعِدَّة طَغَوْا وبغوا وكان بأسهم بينهم^(٣)» .

(١) هو الذي قتله معاوية ويكفي أبا عبد الرحمن وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وشهد القادسية والجل وصفين مع علي فقتله معاوية بمرج عذراء مع جماعة سنة ٥٣ .

(٢) لا شك أن هذه الرايات السوداء تكون في مصالحة الإسلام بل كانت نكبة على الإسلام فقد قامت دولة بني العباس على اكتاف الفرس فأصبح لهم النفوذ في الدولة وذلك العرب وفشت الزندقة والإلحاد وترجمت كتب الفلاسفة في عهد المأمون فدخل منها على الإسلام بلاء عظيم فبذل هذا الخبر مما يقوى الشبهة حول كعب .
(٣) هذا موافق للحديث الصحيح «لا يزال أمر الناس قائماً ما بقي فيهم اثنا عشر خليفة كما هم من قريش» .

باب إخبار الكهان^(١) به قبل مبعة

أخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق إسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي عن ابن عباس «أن رجلا أتاه فقال : بلغنا أنك تذكر سطيحا الكاهن تزعم أن الله تعالى لم يخلق من ولد آدم شيئا يشبهه ، قال : نعم الله خالق سطيحا لهما على وضم وكان يحمل على وضمه فيؤتى به حيث يشاء ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجُمَّمة والعنق والكفين ، وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضمه فأتى به مكة فخرج إليه أربعة نفر من قريش عبد شمس وعبد مناف ابنا قصي والأحوص بن فهر وعقيل بن أبي وقاص فانتموا إلى غير نسبهم فقالوا نحن أناس من جمح أئينناك لزورك لما بلغنا قدومك ورأينا أن إتيانا إليك حقا واجبا لك علينا وأهدى له عقيل صفيحة هندية وصعدة ردينية ، فوضعتا على باب البيت الحرام لينظروا هل يراها سطيح أم لا ؟ فقال يعقيل تناولني يدك فناوله يده فقال وَالْعَالَمِ الْخَفِيَّةِ ، والغافر الْخَطِيَّةِ ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك لَلْجَائِءُ بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية ، قالوا صدقت يا سطيح فقال واللات بالفرح ، وقوس قزح ، والسابق القرح ، والطيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حينما طار سَنَحَ ، وأخبر أن القوم ليسوا من جمح^(٢) ، وأن نسبهم من قريش ذى البطح ، قالوا

(١) الكهان جمع كاهن والكهانة هي الإخبار بالأمور المستقبلية وكان للعرب في الكهان اعتقاد عريض في الجاهلية ، لزعمهم أنهم يعلمون الغيب فلما جاء الإسلام أبطل الكهانة والعرافة والتنجيم وزجر الطير والسحر ، وعد ذلك كله من الأمور الشركية التي تنافي التوحيد .

(٢) من المعروف أن جمح بطن من قريش من أولاد هصيص بن كعب بن أؤى ومنهم أبي بن خلف قتيل رسول الله وأخوه أمية الذي قتله بلال يوم بدر ومنهم في الإسلام عثمان بن مظعون وأخواه عبد الله وقدامة وابنه السائب .

صدقت ياسطیح نحن أهل البلد أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا وما يكون من بعده إن يكن عندك في ذلك علم . فقال : الآن صدقتم خذوا مني ومن إلهام الله إياي ^(١) انتم الآن يامعشر العرب في زمان الهَرَم ، سواء بصائرکم وبصيرة العَجَم ، لاعلم عندكم ولا فهم ، وينشأ من عقبكم دَهم ، يطلبون أنواع العلم ، يكسرون الصَّخَم ، يبالغون الرَّدَم ^(٢) يقتلون العجم ، يطلبون الغنم ^(٣) ، قالوا ياسطیح ممن يكون أولئك ؟ قال : والبيت ذی الأركان ، والأمن والسلطان ، لينشأ عن عقبكم ولدان ، يكسرون الأوثان ، ويتركون عبادة الشيطان ، يوحدون الرحمن ، ويسئون دين الديان ، ويُسْرِفون البنیان ^(٤) ، ويسبقون العُثمیان ، قالوا ياسطیح فَمَنْ نسل من يكون أولئك ؟ قال وأشرف الأشراف ، والمُحصى الإسراف والمزعزع الأحقاف ، والمُضعف الأضعاف ، لينشئون آلاف ، من بنى عبد شمس ومناف ، يكون فيهم اختلاف ، قالوا ياسطیح ماتخبرنا بأمرهم ومن أى بلد يخرج ؟ قال والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد ، نبى مهتد ، يهدى إلى الرُّشد ، يرفض يَغوثا والفند ، يبرأ من عبادة الصَّدَد ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه الله محمداً ، ومن الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لاخرق ولا نزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، محجب غطريف ، قد أضاف

(١) لو صح أن كلام السكهان من قبيل الإلهام لاقتضى أن يكونوا أنبياء وهم أبعد ما يكون عن النبوة وإنما جل أخبارهم مما توحى إليهم الشياطين كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفك أئيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) .

(٢) الظاهر أن المراد به ردم السد الذى بناه ذو القرنين والمراد بذلك اتساع الفتوح .

(٣) جمع غنيمة وهى ما يؤخذ من الكفار في الحرب .

(٤) يرفعونها . والشرف المكان المرتفع .

المضيف ، وأحكم التحنيف ، ثم إلى أمره دارع لأمره مجرب^(١) ، فيجتمع له
 جموعٌ وعُصَبٌ ، فيقتلونه نعمة عليه وغضب ، فيؤخذ الشيخ فيذبح أرباباً ، فيقوم
 له رجال خطباء ، ثم إلى أمره الناصر^(٢) ، يخلط الرأي برأى ماكر ، يظهر في
 الأرض العساكر ، ثم إلى أمره من بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده ويأخذ
 المال فيأكل وحده ويكنز المال لعقبه بعده ثم إلى من بعده ملوك ، لاشك أن
 الدم فيهم مسفوك ، ثم إلى أمره من بعده الصُّعْلُوك يطأهم كَوْطَاءُ الدُّرُوك ، ثم
 إلى عَضُوضِ أبو جعفر^(٣) يقصى الحق ويدنى مُضَرٌ ، يفتتح الأرض افتتاحاً
 منكر ، ثم إلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موت السلامة ، ثم يأتي قليل
 ماكر ، يترك الملك مجلى باير ، ثم إلى أخوه بسنته سائر ، يختص بالأموال والمنابر ،
 ثم إلى أمره من بعده أهوج صاحب دنيا ونعيم مُحَلَج ، يثاوره مُعَاشِرُهُ وذووه ،
 ينهضون إليه ويخاعوه ، يأخذون الملك ويقتلوه ، ثم إلى من بعده السابع ، فيترك
 الملك مُحَلَّى ضائع ، يسور في ملكه سورة جائع ، عند ذلك يطعم في الملك كل
 عريان ، فيلى أمر الناس اللهفان ، يوطى زَرَارٌ^(٤) جَمْعَ قَحْطَانَ ، إذا التقى بدمشق
 جَمْعَان ، بين ميسان ولُبْنَانَ يصنف اليمين يومئذ صِنْفَيْن صِنْفٌ مُشَوِّهٌ وصِنْفٌ
 مخذول ، لا ترى إلا خِباءً مخلولاً ، ولواءً مخلولاً ، وأسيراً مغلولاً ، بين الفرات
 والجبول عند ذلك تحرب المنابر وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل ، وتظهر

(١) يعنى عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(٢) يعنى به معاوية يخلط رأيه برأى ماكر وهو عمرو بن العاص داهية قریش .

(٣) هو أبو جعفر المنصور ولى الخلافة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة بويج
 بالأنبار يوم مات أخوه أبو العباس ومكث خليفة اثنتين وعشرين سنة ومات على
 بشر ميعون عن ثلاث وستين سنة .

(٤) زار هو ابن معد بن عدنان وإليه تنسب ربيعة ومضر وأما قحطان فتنسب

إليه القبائل اليمنية فإنه ولد يعرب وولد يعرب يشجب فولد يشجب سبأ بن يشجب
 فولد سبأ حمير وكملان وعمرو والأشعر وأمار وعاملة ومر الخ .

الزلازل، ويطلب الخلافة وائل^(١)، فعند ذلك تغضب نزار، وتُدنى العبيد والأشرار، ويُقصى النُّسَّاك والأخيار، تجوع الناس وتغلو الأسعار، وفي صَفَر من الأَصْفَار يقتل كل جبار ممن تَشَرَّف إلى خنادق وأنهار، ذات أسْعَال وأشجار، تُعَمِّدُ لهم الأعْمار، تهزمهم أول النهار، يظهر لأمره الأخبار، فلا ينفعهم نوم ولا قرار حتى يدخل مصرًا من الأمصار، فيدركه القضاء والأقدار، ثم تجيء الرُّثَماء، تزحف مُشاة، لقتل الكُفَّاء، وأسر الحُماء، وجهل الغَواة، هناك يدركه بأعلى المياه، ثم يبور الدين وتَقَلُّبُ الأمور، ويكفر الزُّبُور، وتقطع الجُسُور، ولا يغلب إلا من كان في جزائر البُحُور، ثم يثور الجُنُوب، وتظهر الأُعاريب، ليس فيهم معين على أهل الفسوق والأحاريب، في زمان عصيب لو كان للقوم حياء وما يغني المني، قالوا ثم ماذا يَاسْطِيح؟ قال ثم يظهر رجل من اليمن، أبيض كالشَّطَن، يخرج من بين صَنْعَاء وَعَدَن، يسمى حسين أو حسن، يُذْهِبُ الله على رأسه الفِتْنُ^(٢).

الْوَضَم: كل شيء يحمل عليه اللحم من خشب أو بارية، والصَّعْدَةُ القنافة المستوية، ورُدَيْنَةُ اسم امرأة كانت تُقَوِّمُ الْقَنَافَتِيبَ إليها الرماح الرُّدَيْنِيَّةَ، والقُرْج: بضم القاف وفتح الراء المشددة جمع قارج وهو الفرس إذا استكمل خمس سنين وانتهت أسنانه، واللطيم: من الخيل الذي سالت غرته في أحد شقي وجهه، والدم بفتح الدال وسكون الهاء العدد الكثير، والمزعزع بزايين معجمتين

(١) قال ابن قتيبة (واما وائل بن معن فمنهم بنو سلمة وبنو هلال ابن عمرو وبنو زيد وبنو عامر بن عوف وبنو عصية).

(٢) لاشك أن هذا الأثر قطعة فنية رائعة ولكنه في باب البحث العلمي لا يساوي شيئاً فمن هو سطيح هذا؟ وكيف تبلغ به كهنته إلى حد أن يخبر عن كل ما يقع لهذه الأمة من أحداث وكل من سبى أمرها من الخلفاء والملوك، مع أن الكهانة إنما تقوم كما جاء في الحديث على ما يلقبه الشيطان إلى الكاهن مما استرقه من السبع من كلمة أو كلمتين فيضيف إليهما مائة كذبة.

الحرك ، والصدد من أسماء الحجر ، والخرق بفتح الراء ضد الرفق ، والنزق بفتح الزاى الخفة والطيش ، والوصف منهما بكسر الراء والزاى ، والعطريف بكسر الغين المعجمة والراء السيد ، والدرونك بضم الدال المهملة والراء نوع من البسط ، ومحاج بجاء مهملة وآخره جيم من الحليجة ، وهى عصارة نحى أولبن تقع فيه تمر .

وأخرج ابن عساكر من طريق ابن اسحاق عن بعض أهل الرواية أن ربعة ابن نصر اللخمي رأى رؤيا هالته وفُطِعَ بها فبعث إلى أهل الحِزاة^(١) من أهل مملكته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عاتفا ولا مُنَجِّمًا إلا جمعهم إليه فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي فأخبروني بتأويلها قالوا : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال إني إن أخبركم بها لم أطمئن إلى تأويلها إنه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل من القوم إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانك . فقدم إليه سَطِيحٌ قبل شق ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكهان فقال له ياسطيح إني رأيت رؤيا هالتي فأخبرني بها قال رأيت حُمَّة^(٢) ، خرجت من ظلمة فوقت في أرض تهامة^(٣) ، فأكلت منها كل ذات جُمَّة ، قال الملك ما أخطأت منها شيئاً فما عندك في تأويلها ؟ قال أحلف بما بين الحرتين من حنّس ، ليهبطن أرضكم الخبش ، فليملكن ما بين أبتين إلى جرّش ، قال الملك : إن ذلك لغائظ مٌوجع فتى هو كائن أفي زمانى أو بعده ؟ قال بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، تمضى من السنين . قال : فهل يدوم

- (١) الحزاة جمع حازى وهو الذى ينظر فى الأعضاء والغضون يتكهن ومنه قولهم (على الحازى سقطت) تفسير الغريب من كلام سطيح .
 (٢) الحمّة هى الفحمة والرماد وكل ما احترق بالنار .
 (٣) تهامة بلاد جنوبى الحجاز والنسبة إليها تهامى .

ذلك من مُلكهم أو ينقطع ؟ قال ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعين ، ويخرجون هاربين ، قال الملك : ومن الذى يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال يليه إرمُ ذى يَرَن ^(١) ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن ، قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، قال ومن يقطعه ؟ قال نبي زَكِيٌّ ، يأتيه الوَحْيُ ، من قبل العلى ، قال : ومن هذا النبي ؟ قال من وُلد غالب بن فِهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال وهل للدهر من آخر يَسطيح ؟ قال نعم . يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون ، قال أحقُّ ما تخبرنى به يَسطيح ؟ قال نعم والشَّق ^(٢) والنَّسَق والفَلَق ، إن ما نبأتك به لحق ، فلما فرغ سطيح من قوله قدم عليه شق فقال ياشق : رأيت رؤيا هالتي وكتمه ما قاله سطيح لينظر أيتفان أم يثتلفان ؟ قال نعم رأيت حُمة ، خرجت من ظلمة ، فوضعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذاتِ نَسمة ، قال وما عندك فى تأويلها ؟ قال أحاف بما بين الحرتين من إنسان ، لتردن أرضكم السودان ، ^(٣) فليغلبن على كل ذى طَمَلَة ^(٤) البنان ، وليملكن مابين أبين إلى نجران . قال الملك إن هذا لنا لغائظ موجه فتى هو كائن فى زمانى أم بعده ؟ قال بعده بزمان ، ثم يستنقذك منه عظيم ذو شأن يذيقهم أشد الهوان ، قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟

(١) هو سيف بن ذى يزن لما ساءت سيرة الحبشة فى اليمن أتى كسرى أنو شروان وشكا إليه ما هم فيه تحت حكم الحبشة ، فبعث معه جيشا تحت قيادة وهرز فخاربوا الحبشة حتى هزموهم وفر قوهم وسبوا نساءهم وذرايرهم .

(٢) الشفق هو الحمرة التى تظهر فى الأفق بعد غروب الشمس والنسق هو ظلمة الليل والفلق هو الصبح قال تعالى (فالق الإصباح) .

(٣) المراد بهم الأجاش وسماهم سودان لسواد بشرتهم .

(٤) أى ناعمة أطراف الأصابع واللغنى أنهم يسبين النساء ذوات الحدور الناعمت .

قال غلام ليس بدني^(١) ولا مدني، يخرج من بيت ذي زن، قال فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟ قال بل ينقطع برسول مُرسل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفصل، يكون الملك في قومه إلى يوم^(٢) الفصل. قال وما يوم الفصل؟ قال يوم يُجْزَى فيه الولاة. يُدعى من السماء دَعَوَات. يسمع منها الأحياء والأموات. ويجمع فيه الناس للميقات. يكون فيه لمن اتقى الله الفوز والخيرات. قال ابن عساكر: باغنى أن سَطِيحًا وُلِدَ في أيام سيل العرم^(٣). وتوفي في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنه عاش خمسًا سنة. وقيل ثلاثًا سنة.

وأخرج أبو موسى العَدَنِي في الذَّيْل عن ابن الكلبي عن عَوَانَةَ^(٤) قال «قال عمر لجلسائه: هل فيكم أحد وقع له خبر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية؟ فقال طُفَيْلُ بن زيد الحارثي وكان قد أتت عليه ستون ومائة سنة: نعم يا أمير المؤمنين كان للمأمون بن معاوية على ما بلغك من كهاتته فذكر الحديث في إنذاره بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ياليت أنى أحقه وليتني لا أسبقه

قال طفيل: فأتانا خبر النبي صلى الله عليه وسلم ونحن بتهامة فقلت: يانفس

(١) الذي اسم فاعل من الدناءة وهو الضعيف الساقط المروءة وللدن اسم مفعول وهو الضعيف من الرجال وأصله مدني.

(٢) يوم القيامة وسمى يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين الخلائق.

(٣) هو السيل الذي ذكره الله في سورة سبأ بقوله (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) وإضافة سيل العرم من إضافة الموصوف إلى الصفة أى السيل الشديد وهو الذي هدم سد مأرب وبدل جنات سبأ وقضى على حضارتها بسبب إغراضهم عن آيات الله ولا شك أن ما يرويه ابن عساكر هنا عن سطيح يجعله شخصا أقرب إلى الحرابة منه إلى الحقيقة.

(٤) اسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء البزار وهو وابن الكلبي ضعيفان.

هذا ذاك الذى أنذر به المأمون قال وترخت الأيام إلى أن وفدت فأسلمت^(١) -

باب

ما وجد على الحجارة القديمة من نقش اسمه صلى الله عليه ولم

أخرج ابن عساكر من طريق الحسن عن سليمان قال «قال عمر بن الخطاب لكعب أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده^(٢) قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت فيما قرأت أن إبراهيم الخليل وجد حجراً مكتوباً عليه أربعة أسطر . الأول : أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى . والثانى : إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولى طوبى لمن آمن به وأتبعه . والثالث : إني أنا الله لا إله إلا أنا من اعتصم بى نجا . والرابع : إني أنا الله لا إله إلا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى آمن عذابى » .

وأخرج البخارى فى التاريخ والبيهقى من طريق محمد بن الأسود بن خلف ابن عبد يغوث عن أبيه «أنهم وجدوا كتاباً أسفل المقام فدعت قریش رجالاً من حمير، فقال إن فيه لَحَرَفًا لو أَحَدٌ كُوه لَقَتَلْتُمُونِى فظننا أن فيه ذكر محمد فكتمناه»^(٣)

(١) هذه قصة أبطالها كلهم مجاهيل فلا ندرى من طفيل بن زيد ولا من المأمون بن معاوية ولا نعرف أحداً من الصحابة أسلم وهو فى هذه السن الكبيرة جداً .

(٢) عمر رضى الله عنه أجل وأعقل من أن يسأل مثل كعب عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أعلم بها منه ، ولقد أصبح اسم كعب رزاً على الافتراء والكذب فكل من يريد أن يخلق فرية ينطق بها كعباً فهو يشبه شخصية جعاً فى هذه الأيام .

(٣) لا يعقل أن تتواطأ قریش كلها على كتمان هذا الكتاب ولعلمهم كانوا أحرص الناس على علم ما فيه بدليل أنهم استقدموا رجالاً من حمير لحل طلاسمه .

وأخرج أبو نعيم من طريق حُرَيْش بن أَبِي حُرَيْش عن طلحة قال « وجدنا في البيت حجر منثور في التَّهْدِمة الأولى فدُعِيَ رجل فقرأه فإذا فيه عبدى المنتخب المتوكل المنيب المختار مولده بمكة ومهاجره طيبة لا يذهب حتى يقيم السنة العوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله أمته المحادون يحمدون الله بكل أكمة يأتزون على أوساطهم ويطهرون أطرافهم » ^(١) .

أخرج ابن عساكر عن أبي الطيب عبد المنعم بن غَلْبُون المقرئ قال : « لما فتحت عَمُورية ^(٢) وجدوا على كنيسة من كنائسها مكتوبا بالذهب شر الخلف خلف يشتم السلف . واحد من السلف ، خير من ألف من الخلف . يا صاحب الغار نلت كرامه الافتخار . إذ أثنى عليك الملك الجبار . إذ يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسل (ثاني اثنين إذ هما في الغار) يا عمر ما كنت والياً . بل كنت والدا . يا عثمان قتلوك مقهورا . ولم يزوروك مقبوراً . وأنت يا على إمام الأبرار ، والدَّابُّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار . فهذا صاحب الغار . وهذا أحد الأخيار . وهذا غِيَاث الأمصار . وهذا إمام الأبرار . فعلى من ينتقصهم لعنة الجبار . قال فقلت لصاحب له قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر منذ كم هذا على باب كنيسةكم مكتوبا ؟ قال من قبل أن يُبعث نبيكم بألفي عام ^(٣) .

(١) لو وجد مثل هذا الحجر اتوفرت المهم على حفظه ولما كان حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع بها الحاجة قریش في عدوانها ولكن قاتل الله الكذب .
(٢) مدينة بيزنطية في الأناضول فتحها العرب أيام المعتصم تحت قيادة (أفشين) بعد حصار دام ثلاثة عشر يوما .

(٣) هذه قصة تنادى على نفسها بالكذب والافتعال فعباراتها ركيكة متكلفة ومشملة على بعض آية من القرآن ومعلوم أنه لم ينزل من القرآن شيء قبل البعثة أصلاً ، وهي تذكر الخلفاء الراشدين بأسمائهم وهم لم يذكرُوا في الكتب السالفة إلا بأوصافهم وأعمالهم وفيها معان شركية صارخة كقوله في عثمان (ولم يزوروك)

أخرج أبو محمد الجوهري في أماليه عن يحيى بن اليمان قال : أخبرني إمام
مسجد بن سليم قال : « غزا أشياخُ لنا الرُّومَ فوجدوا في كنيسة من كنائسهم :
أُترجو أُمّةٌ قتلت حُسَيْنًا شفاعَةَ جده يوم الحساب
فقالوا : منذ كم وجدتمُ هذا الكتاب في هذه الكنيسة ؟ قالوا قبل أن
يُخرج نبيكم بستائة عام ^(١) » .

باب

اختصاصه صلى الله عليه وسلم بطهارة نسبه
وأنه لم يخرج من سفاح من لدن آدم

أخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح » .
وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني ، إلا نكاح كنكاح الإسلام » .
وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « خرجت من نكاح غير سفاح » .

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبه في المصنف عن محمد بن علي بن حسين
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح
من لدن آدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء ولم أخرج إلا من طهرة » .

= مقبورا وهذا غياث الأملصار) الخ فليت الذين يذمون هذه الأكاذيب فطنوا إلى
افتضاح كذبهم ولكنهم وجدوا من الأغرار والحق من ينخدع بهم ويصدقهم .
(١) شفاعَة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وإنهم قتل الحسين طي من قتلوه
فما ذنب الأمة حق تحرم من شفاعَة نبيها بما ارتكبه سفهاء منها ؟ وحال هذه الفصة في
الكذب كحال التي قبلها فكان فطنا .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن الكلبي قال « كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية » .
وأخرج العَدَنِي في مسنده والطبراني في الأوسط - وأبو نعيم وابن عساكر عن علي بن طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » ^(١) .
وأخرج أبو نعيم من طرق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يلتق أبو أي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاص الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَنِّئِي مُهَذَّبًا لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » .
وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير العرب مُضَرٌ وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما » ^(٢) .

(١) هذا الحديث مروي عن علي بن أبي طالب من رواية محمد بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين فهو نفس سابقه وهذه الطرق وإن كانت ضعيفة إلا أنها إذا اجتمعت يقوى بعضها بعضا .

(٢) اتفق النسابون على انتهاء نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان وعلى أنه عدنان من ولد إسماعيل ثم ولد عدنان معدا وولد معد نزار وولد نزار مضر وربيعة وأنمارا وولد مضر إلياس وولد إلياس مدركة وولد مدركة خزيمة وولد خزيمة كنانة وولد كنانة النضر وولد النضر مالك وولد مالك فهر وولد فهر قريش كلها وولد فهر غالبا وولد غالب أؤيا وإليه ينتهي عدد قريش وشر فها وولد أؤي كعبا وولد كعب مرة وولد مرة كلابا وولد كلاب قصيا واسمه زيد وكان يسمى مجعما لأنه جمع قبائل قريش من خزاعة وأنزلها مكة وبني دار الندوة وغلبه خزاعة على مفاتيح السكبة وولد قصي بن كلاب عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وولد عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا وولد هاشم عبد المطلب وأسدا أما أسد فولد حنيئا وقاطمة أم علي بن أبي طالب وليس لحنين عقب فليس في الأرض هاشمي إلا وهو من ولد عبد المطلب .

وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وتقلب في الساجدين) . قال «ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه» .^(١)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه» .

وأخرج مسلم عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم» .

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وأبو نعيم عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه»^(٢)

(١) لانظن أن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس ، وعكرمة ضعيف الحديث فإن من آبائه عليه السلام من ليس بنبي بل منهم من هو مشرك فأبوه عبد الله وآبؤه من عبد المطلب إلى إسماعيل بن إبراهيم ليس فيهم نبي وأزر أبو إبراهيم كان من طغاة المشركين . وفي صحيح مسلم أنه قال للرجل الذي سأله أين أبوه ، أبي وأبوك في النار . ولما عرض الاسلام على عمه أبي طالب حين حضرته الوفاة كان آخر كلمة قالها هو على دين الشيوخ ، أو هو على ملة عبد المطلب . على أن هذا التفسير بعيد جداً عن سياق الآية فهي تدعوه عليه السلام إلى إقامة التوكل على ربه العزيز الرحيم الذي هو بعينه في كل أحواله يراه قائماً وساجداً ويرعاه ويكأله . قال الحافظ ابن كثير قال قتادة (الذي يربك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) قال في الصلاة يراك وحدك صورك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء والحسن البصري . وقال البغوي يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقال الحسن أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك الخ . وهذا ما يفهم من معنى القلب ولو كان ما رواه عكرمة هو المقصود لقال وتقلبك ولم يقل وتقلبك .

(٢) بل هو خير خلقه على الإطلاق كما دلت على ذلك خصائصه الكثيرة ومعجزاته العديدة ولقد قال هو عن نفسه (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) .

ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفساً .

وأخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم فأنا من خيار إلى خيار » .

وأخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسمًا ثم جعل القسمين اثلاثًا فجعلني في خيرها ثلثًا ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ، ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) الآية (١) » .

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق مالك عن الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر^(٢) الجاهلية ، وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبا » .

وأخرج البيهقي عن محمد بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) لا يخفى أن الآية إنما نزلت في شأن أمهات المؤمنين والأمر فيها متوجه اليهن قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله)

(٢) العهر الزنى ، والعاهر الزاني ، وفي الحديث « الولد للفراش وللماهر الحجر » .

« إن الله اختار فاختر العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم » .

وأخرج البيهقي والطبراني في الأوسط وابن عساكر عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبرائيل : قلبت الأرض مشرقها ومغارها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » . وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ولدتنى بِنَعْيٍ قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابرأ عن كابر حتى خرجت من أفضل حَيَّين من العرب هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ » ^(١) .

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ بفتح الفاء ، وقال أنا أنفسكم نسباً وصهرأً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح » .

وأخرج ابن أبي عمر العدني في مسنده عن ابن عباس « أن قريشاً كانت نُوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يُسَبِّحُ ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صُلبه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح ، وقذف بي في صلب إبراهيم ، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبويَّ لم يلتقيا على سفاح قط ^(٢) » .

(١) هو زهرة بن كلاب جد بني زهرة وهم أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمه آمنة منهم وكان يقال لسعد بن أبي وقاص خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) حاشا لجبر الأمة أن يقول مثل هذا الهراء وهو يعلم أن قريشاً قبل أن يشرقها الله بالإسلام كانت تعبد الطواغيت والأصنام ولسكن هذه الأقاصيص الفارغة من وضع غلاة الصوفية قبهم الله ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وما ذكره =

ويشهد لهذا ما أخرج الحاكم والطبراني عن خريم بن أوس قال : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ فَسَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِّحَكَ ، قَالَ : قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ ، فَقَالَ » :

من قبلها طِبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادَ لَا بَشَرَ أَنْتَ وَلَا مُضْغَةً وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُظْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمُ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ
وَرَدَتْ نَارًا لَخْلِيلٍ مُسْتَتَرًا فِي صَلْبِهِ أَنْتَ كَيْفَ يَحْتَرِقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنَ مِنْ خَنْدَفٍ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطْقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ أَلْأَرْضَ وَضَاءَتْ بَنُورُكَ الْأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ وَسَبِيلُ الرِّشَادِ تَحْتَرِقُ

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَرَاهُ بَنِيهِ فَجَعَلَ يَرَى فِضَائِلَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فَرَأَى نُورًا سَاطِعًا فِي أَسْفَافِهِمْ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ أَحْمَدُ

== للؤايف هذا الحديث في الآلىء وقال عنه إنه موضوع وصفه بعض القصاص وقال إنه هنا دالايونق به ، ولعله من وضع شيخه أوشيع شيخه وما ذكره من الشاهد لهذا من حديث خريم بن أوس هو أكذب منه ، فإنه لا يعقل أن يجري مثل هذا الكلام على لسان العباس ولا أن يسمع له الرسول بذلك ، ولم يعرف عن العباس أنه كان يقول الشعر ، وظاهر من معاني هذا الشعر أنه من وضع المحدثين وفي سند هذا الحديث زكريا بن يحيى بن عمر بن حصن الطائي قال عنه الدارقطني إنه متروك يحدث بأحاديث ليست مضيئة .

وهو أول وهو آخر وهو أول شافع^(١) . قال أبو نعيم وجه الدلالة على نبوته من هذه الفضيلة أن النبوة مُلك وسياسة عامة والملك في ذوى الأحساب والأخطار من الناس ، لأن ذلك أدعى إلى انقياد الرعية له وأسرع إلى طاعته ولذلك سأل هرقل أبا سفيان كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب ، قال هرقل : وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها^(٢) .

باب رؤيا عبد المطلب

أخرج أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جدّه قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال : « بينا أنا نائم في الحجر رأيت رؤيا ها كنتني ففرغت منها فزعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قريش فقلت لها : إني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضرب بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين ، وهي تزدد كل ساعة عظماً ونوراً ، وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تظهر ، ورأيت رَهْطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها ،

(١) الذي ورد في الصحيح أن آدم لما عرض عليه ذريته رأى من بينهم رجلاً أزهق فقال من هذا يارب ؟ فقال هذا ابنك داود فقال يارب أعطه من عمري أربعين سنة فلما حضرت آدم الوفاة قال ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ فقال له الله عز وجل ألم تنبها لابنك داود ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم فنتى آدم فنتى ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته وقوله في الحديث « وهو أول » يجب أن تحمل الأولية إن صح الحديث بها على الأولوية في الفضل أو في القيام من القبر أو في الشفاعة ودخول الجنة . كما قال عليه السلام (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) .

(٢) هذا قطعة من حديث طويل رواه البخارى في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان حدثه بذلك فليرجع إليه .

«رَأَيْتَ قَوْمًا مِنْ قَرِيْشٍ يَرِيدُونَ قِطْعَهَا ، فَإِذَا دَنَوْا مِنْهَا أَخَذَهُمْ شَابٌ لَمْ أَرِ قِطْعًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَجِيْهًا وَلَا أَطْيَبَ مِنْهُ رِيْحًا ، فَيَكْسِرُ أَظْهُرَهُمْ وَيَقْلَعُ أَعْيُنَهُمْ ، فَرَفَعَتْ يَدِي لِأَتَنَاوَلَ مِنْهَا نَصِيْبًا فَلَمْ أُنَلْ ، فَقُلْتُ : لِمَنِ النَّصِيْبُ ؟ فَقَالَ : النَّصِيْبُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْلُقُوا بِهَا وَيَسْبِقُونَ إِلَيْهَا ، فَانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فَرَزَعًا فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْكَاهِنَةِ فَقَدْ تَغَيَّرَ ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ صَدَقْتُ رُؤْيَاكَ لِيُخْرِجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يَمْلِكُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَيُدِينُ لَهُ النَّاسَ ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ : لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ ، فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْدِثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ يَقُولُ : كَانَتْ الشَّجَرَةُ وَاللَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ ^(١) الْأَمِينُ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَلَا تَتُؤَمِّنُ بِهِ ؟ فَيَقُولُ السَّبِيَّةُ وَالْعَارُ ..»

باب ما وقع في حمله صلى الله عليه وسلم من الآيات

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَابَيْهَقِي وَالتَّطَبَّرَانِي وَأَبُو نَعِيمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْمِسُورِ ^(٢) بَنَ مُحَمَّدَ بْنَ مَخْرَمَةَ عَنْ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُبَيْدُ الْمَطْلَبِ «قَدِمْنَا الْيَمِينَ فِي رَحْلَةِ الشِّتَاءِ فَتَزَلَّتْ عَلَى حَبْرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ رَجُلٌ

(١) يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ هَذِهِ كُنْيَتُهُ ، وَقَدْ أَخْطَأَ أَبُو طَالِبٍ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا فَإِنَّ الشَّجَرَةَ هِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَظَلَّ بَنُوهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَالشَّابُّ الَّذِي كَانَ يَذْودُ عَنْهَا هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا نَظْنَ أَمْرَ هَذِهِ الرُّؤْيَا بِصَحِيحِهَا فَهِيَ كَمَا بَقِيَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَمْ يَصْغَحْ سَنَدُهَا ، وَلَا نَدْرِي لِمَاذَا احْتَصَصَ أَبُو جَهْمٍ بِسَبَاحِ هَذِهِ الرُّؤْيَا مِنْ أَبِي طَالِبٍ ؟ وَنَعْوُزُ عِلْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ .

(٢) هُوَ الْمِسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ ابْنُ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زَهْرَةَ أُمِّهِ أُخْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَكَانَ يَعْدِلُ بِالصَّعَابَةِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ . قَبَضَ النَّبِيُّ (ص) وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ سَنِينَ . سَوَمَاتُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً كَانَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَهُوَ مُحْصُورٌ فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَمَاتَ ..

من أهل الزُّبُور - وبني الكتاب - : ممن الرجل ؟ قلت : من قريش ، قال :
 من أيَّهم ؟ قلت : من بني هاشم ، قال : أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قلت :
 نعم ما لم يكن عورة ، قال : ففتح إحدى مِنْخَرَيْهِ فنظر فيه ، ثم نظر في الأخرى
 فقال : أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة^(١) وأرى ذلك ،
 وفي لفظ : وإنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذاك ؟ قلت لأدري قال هل لك
 من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة ، قلت : أما اليوم فلا ، قال :
 فإذا رجعت فتزوج منهم . فرجع عبد المطلب إلى مكة فتزوج هالة بنت وهب
 ابن عبد مناف ، فولدت له حمزة وصفية ، وتزوج ابنه عبد الله آمنه بنت وهب
 فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : فَلَجَّ عبدُ الله على أبيه « -
 وأخرجه أبو نعيم من طريق مُحمَّد بن عبد الرحمن عن أبيه أن عبد المطلب
 فذكره .

وأخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق جعفر بن عبد الرحمن بن المسور
 ابن مخزومه عن أبيه عن جده قال : وإن عبد المطلب ... فذكره . وفيه فنظر
 إلى الشعر في منخريه فقال : أرى نبوة وأرى ملكا وأرى أحدهما في بني زهرة -
 وفي آخره ... فجعل الله في بني عبد المطلب النبوة والخلافة .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص قال : أقبل عبد الله بن عبد المطلب
 أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء له وعايه أثر الطين والغبار ، فمر ببليل
 القُدَوِيَّة ، فلما رأته ورأت ما بين عينيهِ دَعَتْهُ إلى نفسها ، وقالت له : إن وقعت
 بي فَلَكِ مائة من الإبل ، فقال لها عبد الله بن عبد المطلب : حتى أغسل عني

(١) لا ندرى كيف جعل الله في منخري عبد المطلب علامات على النبوة والملك ،
 وكيف وجد ذلك في الكتب السابقة؟ وأمر النبوة ظاهر ، وأما الملك فلعله يريد أنباءه
 من ولده العباس .

هذا الطين فأرجع إليك ، فدخل عبد الله على آمنة بنت وهب فوقع بها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى ليلي فقال لها : هل لك فيما قلت ؟ قالت : لا ، قال : ولم ؟ قالت : لأنك مررت بي وبين عينيك نور ، ثم رجعت إلى وقد انتزعته آمنة منك . وفي لفظ لقد دخلت بنور ما خرجت به ولئن كنت أَلَمَّتْ بآمنة كَتَلَدَنَّ مَلِكًا^(١) .

وأخرج أبو نعيم والخراطي وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرةً به على كاهنة من أهل تَبَالَةَ ، مُهْرُودَةٌ قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مَرٍّ الخثعمية فرأت نور النبوة^(٢) في وجه عبد الله فقالت له : يا فتى هل لك أن تقع عليَّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرام فإلما ت دونه والحل لا حل فاستبدينه

فكيف لي الأمر الذي تبغيه يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب فأقام عندها ثلاثاً ثم إن نفسه دَعَتْهُ إلى ما دَعَتْهُ إليه الخثعمية^(٣) فأتاها فقالت : ما صنعتَ بعدى ؟ قال زوجني أبي آمنة

(١) لاندري أيضاً لماذا اختصت ليلي العدوية برؤية ذلك النور الذي كان بين عيني عبد الله حتى جعلت له مائة من الإبل إن هو وقع عليها ، وفي الرواية التي بعدها أنها فاطمة الخثعمية وهكذا المكذب دائماً متردد مضطرب .

(٢) كل الأحاديث التي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نوراً اشتق منه الخلق أو كان نوراً منتقلاً في جهات آبائه لأصل لها ولا يعزل عنها بل هي مضاهاة لانصارى في غلوم في عيسى وقدر نبينا صلى الله عليه وسلم وشرف منزلته لا يحتاج إليها .

(٣) عجباً للباطل كيف يتهاوت ؟ شاب تدعوه امرأة إلى نفسها فيعف عنها ويذكرها بأن هذا ، حرام قاذح في العرض والدين حتى إذا منَّ الله عليه بالحلال الذي يكفيه نازعته نفسه إلى الحرام حتى ذهب فعلاً إلى المرأة فدعاها إلى ما دَعَتْهُ إليه أولاً .

بنت وهب فأقمت عندها ثلاثاً، قالت : إني والله ما أنا بصاحبة رِيَّة : ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ وأبى الله إلا أن يُصَيِّرَهُ حيثُ أَحَبَّ ، ثم قالت فاطمة :

إني رأيت نَحِيْلَةً^(١) لمعت
ظُلماً^(٢) بها نور يضيء له
ورجوته نَخْراً أبْوَه^(٣) به
لله ما زُهْرِيَّة^(٥) سلبت
فتلاأت بحناتم القطر
ما حوله كإضاءة البدر
ما كل قاذح زنده يُورِي^(٤)
ثوبيك ما استلبت وما تدرى
وقالت أيضاً :

بني هاشم قد غادرت من أخيم
كما غادر الصباح بعد خُبُوهِ
وما كل ما يحوى الفتى من تلاده
فأَجِلْ إذا طالبت أمراً فإنه
أمنية إذ للباهِ عَتَلِجان
فتأبَّلَ قد مِثَّتْ له بِدِهَان^(٦)
بحزم ولا ما فاته لَتَوَانِي^(٧)
سيكفيكه جَدَّان يصطرعان^(٨)

(١) هي السحابة للتهيشة للمطر .

(٢) لعلها : ظلمت .

(٣) أى أظفر به وأرجع .

(٤) يقال قدح واقتدح بالزند حاول إخراج النار منه ويورى بمعنى يوقد قال

تعالى (أفرايتم النار التي تورون) .

(٥) تعنى أمانة لأنها من بنى زهرة .

(٦) تعنى أن أمانة حين وافقها عبد الله سلبت النور الذى كان معه فصار كالعتيقة

التي غادرها الصباح بعد خبوه أى انطفائه ومعنى مِثَّتْ أى خلطت .

(٧) أى ليس كل ما حسه الفتى من ناله ماله وقديمه بسبب حزمه وحسن تصرفه

ولا كل ما فاته المال بسبب توانيه وتقصيره . ولكن الحظ يلعب دوراً كبيراً فى ذلك .

(٨) الإجمال فى الطلب الرفق وعدم التسكاب وجدان تثنية جد وهو الحظ

ويصطرعان يتعالبان .

سيكفيكه إما يد مُقَفَّلَةً وإما يد مبسوطة بينان
ولما قضت منه أمانة ما قضت نبأ بصري عنه وكلّ لسانى^(١)
وأخرجه ابن سعد عن هشام بن الكلبي عن أبي الفَيَّاض الخثعمي مُعَضَّلًا
وفيه «أنه لما رجع إليها قال هل لك فيما قلت . قالت: قد كان ذاك مرّةً فاليوم
لا فذهبت مثلاً» وفي آخره بلغ شبان قريش ما عرضت على عبد الله فذكروا
لها ذلك فقالت الأبيات وفيه بعد قوله أقام عندها ثلاثاً، وكانت تلك السنّة عندهم
إذا دخل الرجل على امرأته في أهلها . وقال ابن سعد أنا وهب بن جرير بن
حازم ثنا أبي سمعت أبا يزيد المدني قال نبئت أن عبد الله أتى على امرأة من خثعم
فراّت بين عينيه نوراً ساطعاً إلى السماء فقالت هل لك في؟ قال: نعم ، حتى أُرْمِيَ
الجمرة ، فانطلق فرمى الجمرة ثم أتى امرأته آمنة ثم ذكر الخثعمية ، فأتاها فقالت
هل أتيت امرأة بعدى؟ قال نعم ، امرأتى آمنة قالت فلا حاجة لى فيك إنك
مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء فلما وقعت عليها ذهب فأخبرها أنها قد
كملت بخير أهل الأرض . أخرجه ابن عساكر .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس
قالى « كانت امرأة من خثعم^(١) تعرض نفسها فى موسم من المواسم وكانت
ذات جمال ومعها^(٢) آدم تطوف به كأنها تبيعه ، فأتت على عبد الله بن
عبد المطلب فلما رآته أعجبها فعرضت نفسها عليه فقال مكانك حتى أرجع إليك

(١) تعنى أنه لما أفضى إلى آمنة وذهب ما كانت ترجوه زهدت فيه فأشاحت
ببصرها عنه ولم تنبسط لمحدثه .

(٢) خثعم قال ابن قتيبة فى (المعارف) (ونساب مضر تزعم أن خثعما وبجيلة
أبناء أنمار بن نزار فجر أنمار بن سبأ نسبهم إلى سبأ باسم أبيهم . وقال آخرون خثعم
وبجيلة ها أبناء عمرو بن العوث أخى الأزد بن العوث .

(٣) الأدمة والأدم باطن الجلد وأما الأدم بالضم فهو ما يؤتدم به

فانطلق إلى أهله فبداه فواقع أهله فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع إليها قالت ومن أنت ؟ قال أنا الذي وعدتك قالت لا ما أنت هو ولئن كنت ذاك لقد رأيت بين عينيك نوراً ما أراه الآن ^(١) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن شهاب ^(٢) قال « كان عبد الله أحسن رجل رؤى قط خرج يوماً ما على نساء قريش فقالت امرأة منهن أيتكن تنزوج بهذا الفتى فتصطب النور الذي بين عينيه فإني أرى بين عينيه نور ؟ فتزوجته آمنة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عروة وغيره قالوا إن قتيلة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ^(٣) كانت تنظر وتعتاف ^(٤) فمر بها عبد الله فدعته ليستضع منها ولزمت طرف ثوبه ^(٥) فأبى وقال حتى آتيك وخرج سريعاً حتى دخل على آمنة فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى المرأة فوجدها تنظره ، فقال لها هل لك في الذي عرضت علي ؟ قالت لا مررت

(١) هذا الاختلاف بين الروايات يشهد بتهافتها وكذبها .

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب من بني زهرة بن كلاب ، ويقال إنه أول من دون الحديث وكان عاملاً بنبى مروان توفى في رمضان سنة ١٢٤ هـ .

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد عبد العزى ابن عم خديجة أُمّت خويلد بن أسد أم المؤمنين وكان تنصر في الجاهلية وهو الذى سأله خديجة عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه الناموس الذى أنزل على موسى وقال (ياليتنى فيها جذعا) وقال (لئن يدركنى يومك لأنصرك نصراً مؤزرا) .

(٤) هو من العباقة وهى زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها .

(٥) لاهك أن قتيلة حرة من صميم قريش ولم تكن الحرة تزنى في الجاهلية ولهذا لما نزلت آية بيعه النساء من آخر الممتحنة وفيها قوله تعالى (ولا يزنين) قالت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان (وهل تزنى الحرة ؟) وهذا ما يدل على أن هذه أخبار سوء كلها لم يكن ينبغي للمؤلف ولا لغيره أن يلطخوا بها تلك السيرة العطرة التى تلعب في نواح الإنسانية كلها .

موفى وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس فيه ذلك النور . فى لفظ مررت وبين عينيك غُرَّة مثل غُرَّة^(١) الفرس ورجعت وليس هى فى وجهك » .

أخرج ابن سعد وابن عساکر من طريق الکلبى^(٢) عن أبى صالح عن ابن عباس قال « المرأة التى عَرَضَتْ على عبد الله ماعرضت ، هى أخذتُ وَرَقَةً بن نَوْفَل .

وقال ابن سعد أنا الواقدى^(٣) حدثنى على بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن رُمَعة عن أبيه عن عمته قالت ، « كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به أمته ، كانت تقول ماشَعَرْتُ أنى حملت به ولا وجدت ثِقْلَه ، كما تجد النساء إلا أننى قد أنكرت رَفَعُ حيضتى ، وربما كانت ترفع وتعود وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان ، فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فأقول ما أدرى ؟ فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبىها ، وذلك يوم الإثنين ، ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال لى قولى أعيذه بالواحد . من شر كل حاسد . فكنت أقول ذلك فذكرت ذلك لنسائى ، فقلن لى تَعَلَّقِى عليك حَدِيداً فى عَضْدَيْكَ وفى عَقِكَ قالت : ففعلت فلم يكن يُتْرَكُ عَلَىَّ إلا أياما فأجده قد قطع فكنت لا أتعلقه » .

(١) الغرة بياض فى جبهة الفرس وجمعها غرر وفى الحديث (إن ألقى يبعثون غرا محجلين من آثار الوضوء) .

(٢) طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس من أوهى الطرق وعامتها أكاذيب .

(٣) هو أبو عبد الله محمد ، ولد فى المدينة . من مؤلفاته المغازى وفتوح الشام وفتوح مصر ، وكان بصيرا بالسير وأيام الناس وأنساب العرب ، وله روايات غريبة فى الكتب تنقل عنه . ونقع كتبه عبد الزهرى المعروف بكتاب الواقدى ، وليس الواقدى بالقوى ولا ثقة فى عامة ما يرويه .

وأخرج ابن سعد عن الزُّهْرِي قال «قالت آمنَةُ: لقد عَلِمْتُ به فما وجدت له مشقة حتى وضعته» .

وأخرج عن أبي جعفر محمد بن علي قال «أَمِرْتُ آمنَةُ وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد» ^(١) .

وأخرج أبو نُعَيْم عن بُرَيْدَةَ وابن عباس قال «رأت آمنَةَ في منامها فقيل لها إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً، وعَلَّقِي عليه هذه، فاتبعت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها أعيذه بالواحد من شر كل حاسد . وكل خاق رائد . من قائم وقاعد . عن السبيل عائد . على الفساد جاهد . من نافث أو عاقد . وكل خلق مارد . يأخذ بالمرصد . في طرق الموارد . أنهما عن الله الأعلى . وأحوطه منهم باليد العليا . والكف الذي لا يرى . يد الله فوق أيديهم . وحجاب الله دون عاديهم . لا يطرده ولا يضروه في مقعد ولا منام . ولا سير ولا مقام . أول الليالي وآخر الأيام» ^(٢) .

﴿ فائدة ﴾

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب وغيره «أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بالمدينة مَرَجِعَهُ من الشام في تجارة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمْلٌ ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة» قال الواقدي هذا أثبت الأقاويل في الروايات في وفاته وسمته .

(١) المشهور أن جده عبد المطلب هو الذي سماه محمداً وختنه يوم ساج مولده وصنع له مأدبه .

(٢) سجع بارد متكلف مهما زوقه الكاذب أو زخرف .

فائدة

قال الواقدي المعروف عندنا وعند أهل العلم أن آمنة وعبد الله لم يلداه غير رسول الله عليه وسلم .

باب

كيف فعل ربك بأصحاب الفيل عام ولادته صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولبلده .
أخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا وابن عساكر عن أبي جعفر محمد بن علي .
قال « كان قدوم أصحاب الفيل للنصف من الحرم ، فبين الفيل وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون ليلة » ^(١) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لما بهم ما جاء بك إلينا؟ ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت فقال أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا آمن ، فحُتُّ أخيف أهله . فقال له إنا نأتيك بكل شيء تريد ^(٢) فارجع فأبى إلا أن يدخله ، وانطاق يسير نحوه وتحاف عبد المطلب فقام على جبل فقال لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال :

(١) المشهور أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلة التاسع أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول فإذا صح أن حادثة الفيل كانت للنصف من الحرم كان بين الفيل وبين مولده نحو من أربع وخمسين أو سبع وخمسين ليلة .

(٢) الصحيح أن عبد المطلب إنما طلب من أبرهة أن يرد عليه ابلا له كانت جنده قد أغاروا عليها فقال له أبرهة : لقد كنت أعجبت حين رأيتك ولكنك زهدتني فيك حين كلفتني طلب الإبل وترك البيت الذي هو دينك ودين آبائك ؟ فقال له عبد المطلب : أما الإبل فهي لي وأما البيت فله رب يحميه .

اللهم إن لكل إله حلالاً فامنع حلالك لا يغلبن محالهم محالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدالك^(١)

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر ، حتى أظلمت طيراً أبابيل فجعل الفيل يَعْمِجُ^(٢) عَجْجاً فجعلهم كَعَصْفٍ مَا كُولَ .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن عكرمة في قوله تعالى (طيراً أبابيل) قال « نشأت من قِبل البحر لها مثل رؤوس السباع لم تُرَ قبل ذلك ولا بعده ، فأنثرت في جلودهم أمثال الجُدْرَى ، فإنه لَأَوَّلُ مَا رَوَى الجُدْرَى »^(٣) .

وأخرج عن عبيد^(٤) بن عمير الليثي قال : « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً نشأت من البحر ، كأنها الخطاطيف بلق كل طير منها معه ثلاثة أحجار في منقاره حجر وحجران في رجليه ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، إن وقع على رأسه خرج من دبره ، وإن وقع على شيء من

(١) روى أن عبد المطلب لما رأى من أبرهة العزم على دخول مكة وهدم البيت تعلق بالسكبة وأنشد أبياتاً منها :

لألم إن المرء فائتـ مع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلاك
لا يغلبن محالهم وصليهم أبدا محالك

(٢) العج رفع الصوت ومنه قوله عليه السلام (أفضل الحج الحج العج) أى إراقة الدماء ورفع الصوت بالتلبية .

(٣) لا يلزم من إهلاك الله لأصحاب الفيل بالجُدْرَى أن لا يكون الجُدْرَى موجوداً قبل ذلك فأغاب الظن أن الميكروبات المسببة للجُدْرَى كانت موجودة من زمان بعيد .

(٤) من كنانة من بني جندع بن ليث وكان قاضى أهل مكة ، وكان موته قريباً من موت ابن عباس سنة ثمان وستين .

جسده خرج من جانب آخر ، وبعث الله ريحا شديدة فضربت أرجلها فزادها شدة فأهلكوا جميعا .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح ، فجاءهم عبد المطلب فقال إن هذا بيت الله لم يسط الله عليه أحداً ، قالوا : لا نرجع حتى نهزمه . قال وكانوا لا يُقدِّمون فيلهم إلا تأخر فدعا الله الطير الأبايل ، فأعطاهم حجارة سوداء عليها الطين ، فلما حاذتهم رمتهم ، فمات منهم أحد إلا أخذته الحكة فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه » .
وأخرج أبو نعيم عن وهب قال : « كانت الفيلة معهم فشجع منها فيل فحصب فرجعت الفيلة » ^(١) .

باب ما وقع في حفر عبد المطلب زمزم من الآيات

أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن علي بن أبي طالب قال : « بينا عبد المطلب نائم في الحجر أُنِي ^(٢) فقيل له : احفر برة ، قال ومابرة ؟ فذهب عنه حتى إذا كان الغد نام في مضجعه ذلك ، فأتى فقيل له : احفر المضمونة ، قال : وما مضمونة ؟ فذهب عنه حتى إذا كان الغد فنام في مضجعه ذلك فأتى فقيل له : احفر طيبة قال وما طيبة ؟ فذهب عنه فلما كان الغد عاد لمضجعه ، فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم ، قال وما زمزم ؟ قال لا تُنزَفُ ^(٣) ولا تُذَمُّ ، ثم نعت له موضعها فقام يحفر حيث نعت له فقالت قریش ما هذا يا عبد المطلب ؟ قال أمرت بحفر زمزم ، فلما كشف عنه وبصروا بالطي ^(٤) قالوا يا عبد المطاب ، إن لنا فيها حقاً معك ،

(١) ما قصه الله علينا في سورة أصحاب الفيل على قصرها فيه أعظم العبرة ولا يحتاج معه إلى آثار لا ندري مدى صحها .

(٢) يعني أنه آت في المنام .

(٣) يعني لا ينقطع ماؤها بل هي ثرة دائماً .

(٤) هو بناء البئر يقال بئر مطوية أى مبنية بالحجارة .

إِنَّمَا لَشَرِبُ أَيْنَا إِسْمَعِيلَ . قَالَ مَا هِيَ لَكُمْ لَقَدْ خُصِّتُ بِهَا دُونَكُمْ . قَالُوا
تَحَاكِمُنَا ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَاهِنَةٌ بَنَى سَعْدُ بْنُ هَذِيمَ ^(١) وَكَانَتْ
بِأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي أَبِيهِ وَرَكِبَ مَعَهُ مِنْ كُلِّ
بَطْنٍ مِنْ أَفْنَاءِ ^(٢) قُرَيْشٍ نَفَرٌ وَكَانَتْ الْأَرْضُ مَفَاوِزَ فِيمَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ ،
حَتَّى إِذَا كَانُوا بِمَفَازَةٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ فَتَى مَاءَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَصْحَابِهِ ، حَتَّى أَقْبَنُوا
بِالْهَلَكَةِ ، ثُمَّ اسْتَسْقَوْا الْقَوْمَ قَالُوا مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسْقِيَكُمْ ، وَإِنَّا نَخَافُ مِثْلَ الَّذِي
أَصَابَكُمْ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِأَصْحَابِهِ مَاذَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا مَا رَأَيْنَا إِلَّا تُبْعُ لِرَأْيِكَ .
قَالَ فَإِنِّي أَرَى أَنْ يَخْفِرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ فَكَلِمَاتٍ رَجُلٌ مِنْكُمْ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ
فِي حُفْرَتِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ يَدْفَعُهُ صَاحِبُهُ فَضَيْعَةُ رَجُلٍ أَهْوَنُ مِنْ ضَيْعَةِ جَمِيعِكُمْ
فَفَعَلُوا ثُمَّ قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ إِلْقَاءَنَا بِأَيْدِينَا لِلْمَوْتِ لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَنَسْتَقِي لَعَلَّ
اللَّهِ يَسْقِينَا لَعَجْزٌ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ ارْتَحِلُوا فَارْتَحِلُوا ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى نَاقَتِهِ فَانْبَعَثَتْ
بِهِ انْفَجَرَتْ عَيُونَ تَحْتَ خَفِّهَا بِمَاءٍ عَذْبٍ ^(٣) فَأَنَاحَ وَأَنَاحَ أَصْحَابُهُ فَشَرَبُوا
وَاسْتَقَوْا وَاسْتَقَوْا ثُمَّ دَعَا أَصْحَابَهُمْ هَامُوا إِلَى الْمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ فِجَاءُوا وَاسْتَقَوْا
وَاسْتَقَوْا ، ثُمَّ قَالُوا يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَدْ وَاللَّهِ قُضِيَ لَكَ إِنْ الَّذِي سَقَاكَ الْمَاءَ بِهِذِهِ الْفَلَاةِ ،
لَهُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمْزَمَ انْطَلَقَ فَهِيَ لَكَ فَمَا نَحْنُ بِمَخَاصِيكَ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ « أَوَّلُ مَا ذُكِرَ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجَتْ مِنَ الْحَرَمِ فَارَّةً مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَأَجَلَّتْ

(١) يَطْنُ مِنْ بَطُونِ قِضَاعَةَ بْنِ مَالِكٍ مِنَ الْبَيْنِ ، وَكَانَ هَذِيمُ عَبْدًا حَبَشِيًّا حَضَنَ
سَعْدُ أَفْنَسَبَ إِلَيْهِ .

(٢) أَيْ بَطُونَهَا وَأَخْذَاهَا .

(٣) كَيْفَ تَجْرَى مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَخْصُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ
عِبَادِ الْأَصْنَامِ كَعَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ ثُمَّ إِنْ الطَّرِيقُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ كَانَ مَعْرُوفًا لِقُرَيْشٍ
وَقَدْ أَلْفَهُمُ اللَّهُ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَكَيْفَ يَضْلُونَ فِي مَفَاوِزِهَا ؟

عنه قريش فقال : والله لا أخرج من حرَم الله أبتغى العز في غيره ، فجلس عند البيت ^(١) فقال اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك ^(٢) . فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه ، فرجعت قريش وقد عظم فيهم لصبره وتعظيمه محارم الله ، فبينما هو على ذلك أتى في المنام فقيل له : احفر زمزم خبثه الشيخ الأعظم ، فاستيقظ فقال اللهم بين لي فأرى في المنام مرة أخرى احفر تكتم ، بين الفرث والدم . في مبحث الغراب الأعصم . في قرية النمل مستقبلة الأنصاب المحرق قام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر مأمي له من الآيات ، فنحرت بقرة بالخزورة فانفلتت من جازرها بحشاشة نفسها ، حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم ، فنحرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحما ، فأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث ، فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هنالك ، فجاءته قريش فقالت له : ما هذا الصنيع ؟ قال إني لحافر هذا البير حتى إذا أمكن الحفر واشتد عليه الأذى نذر أن ينحر أحد ولده . ثم حفر حتى أنبط الماء ثم بنى عليها حوضاً يملأه ويشرب منه الحاج فيكسره أناس حسدة من قريش بالليل ، فيصلحه عبد المطلب حين يصبح فلما أ كثروا إفساده ، دعا عبد المطلب ربه فأرى في المنام فقيل له قل اللهم إني لا أحلها لمغتسل . ولكن هي لشارب حل وبلى ^(٣) ثم كفيهم فقام عبد المطلب فنأدى بالذي أرى ثم انصرف ، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد إلا رمى في جسده بداء ، حتى تركوا حوضه وسقايته ثم قال اللهم إني نذرت لك نحر أحد أولادي ، وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ، فأقرع : بينهم فصارت القرعة على عبدالله ، وكان أحب ولده إليه ، فقال عبد المطلب : اللهم

(١) للعروف أن عبد المطلب هو الذي أمر قريشا أن تخرج من مكة إلى الجبال

المحيطة بها حتى لا يوقع بهم الحبشة ، وأن هذا السلام قاله قبل أن يخرج .

(٢) لم لها رحالك .

(٣) يعني حلال وشفاء .

هو أحب إليك أم مائة من الإبل . ثم أقرع بينه وبين المائة فكانت القرعة على مائة من الإبل فنحرها مكان عبد الله « (١) » .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : « لما رأى عبد المطلب قلة أعوانه في حفر زمزم نذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور ، حتى يراهم أن يذبح أحدهم فلما تكاملوا عشرة ذكور جمعهم ثم أخبرهم بنذره فأجابوه وقالوا أوف بنذكرك وافعل ما شئت فضرب بينهم القرعة فخرجت على عبد الله فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المدينة فبكي بنات عبد المطلب وقالت إحداهن أعذر في ابنك بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم فضرب عليه وعلى عش من الإبل وكانت الدية يومئذ عشرا من الإبل فخرجت على عبد الله فجعل يزيد عشرا عشرا كل ذلك يخرج على عبد الله حتى كملت المائة فخرجت على الإبل فكبر عبد المطلب والناس معه (٢) » وقدم الإبل فنحرها ، وكان عبد المطلب أول من سنّ دية النفس مائة من الإبل فجبرت في قريش والعرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأخرج الحاكم وابن جرير والعمري في مغازيه من طريق الصنابحي عن معاوية قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أعرابي فقال يا رسول

(١) المحفوظ في كتب السير أن عبد المطلب حين خرجت القرعة على عبد الله لم يذبحه فمنعته قريش وأشارت عليه باستفتاء الكاهنة فأشارت بتقديم عبد الله وعشرة من الإبل فإن خرجت القرعة على عبد الله زيد في الأبل حتى يخرج عليها القرعة فتؤخذ فتذبح فبلغت الإبل مائة فخرجت عليها القرعة فأخذت وذبحت ففرح الوالد بنجاة ولده وأخذته إلى بيت آمنة بنت وهب فزوجه إياها وطى كل حال فهذه أخبار يعوزها السند الصحيح ولا يجوز التعويل عليها وأما ما روى من قوله عليه السلام (أنا ابن الديبعين) فهو حديث غير صحيح .

(٢) هذا صريح الكذب فإن عبد المطلب وعامة قريش كانوا لا يعرفون التكبير ولا غيره من أنواع الذكر بل يقولون باسمك اللهم كما حدث في صالح الحديبية .

الله خلفت الكلاً يابساً والماء عابساً ، هلك العيال وضاع المال ، فَعُدُّ عَلَىَّ مِمَّا أَفَاءَ
الله عليك يا ابن الدَّيِّحَيْنِ ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ،
فقال القوم من الذبيحان يا أمير المؤمنين ؟ قال إن عبد المطلب لما أُمِرَ بحفر
زمزم نذر إن سَهْلَ أمرها أن ينحربعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم وكانوا عشرة
فخرج السهم على عبد الله فأراد أن ينحزه فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا : أرض
ربك وافد ابنك ، ففداه بمائة ناقة . قال معاوية : فهذا واحد والآخر إسماعيل .

باب

ما ظهر في ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من المعجزات والخصائص

أخرج البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال إني لغلام يَفَعَّة ابن سبع
سنين أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودى ييثرب يصرخ ذات غداة
على أَطْمِهِ : يامعشر يهود ، فاجتمعوا إليه وأنا أسمع قالوا : ويلك مالك ؟ قال طلع
نجم أحمد الذى ولد به في هذه الليلة ^(١) .

وأخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عثمان بن أبي العاص
قال « حدثني أُخِّي أنها شهدت ولادة أمّنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسة
ولدتَه ^(٢) » قالت فما شئ أنظر إليه في البيت إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم

(١) هذا موافق لما جاء في حديث هرقل عند البخارى من أنه كان حزاء
ينظر في النجوم ، وأنه نظر في السماء ذات ليلة فقال أرى ملك الختان قد ظهر .

(٢) المعروف أن عثمان بن أبي العاص ثقفي وأنه قدم مع وفد ثقيف سنة تسع
فأسلم وأمره الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف تأتى لأمه وهي من الطائف أن تشهد
ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

تدنو حتى إني لأقول كَيْقَعَنَّ عَلَيَّ^(١) فلما وضعت خرج منها نوراً أضاء له البيت والدار حتى جعات لا أرى إلا نوراً» .

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن العرياض ابن سارية^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إني عبد الله^(٣) وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي^(٤) التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام^(٥) .

وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أبي أمامة قال: قيل لرسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام» .

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا لرسول الله أخبرنا عن نفسك فقال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت كأنه خرج منها نور أضاءت له بضري من أرض الشام» . قلت: قوله حين حين حملت هي رؤيا نوم وقعت في

(١) عجباً لولادة يتغير لها نظام الكون وتخرج بها النجوم من أفلاكها وليت شعري ، هل اختصت تلك المرأة برؤية هذا الحادث الفلكي الهائل أم شهده معها غيرها من الناس فما بالهم لم يتعدهوا بمثل ما حدثت به ألا ليت الكذب يستحي .
(٢) محابي جليل كان أحد السبعة الذين نزل فيهم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) .

(٣) الصحيح أنها عند بالنون وبإسقاط واو العطف (إني عند الله لحاتم الخ .
(٤) هذا ظاهر في أنها رؤيا منام وليست رؤية بالبصر وأنها حدثت بتلك الرؤية من حولها فاشتهرت عنها .

(٥) قوله وأن أم رسول الله الخ مدرج من كلام المؤلف وليس من الحديث .

الحمل . وأما ليلة الولادة فرأت ذلك رؤية عين ^(١) كما روى ابن إسحاق كانت آمنة تحدث أنها أتيت حين حملت فقبل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمداً» وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس أن آمنة قالت لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء ^(٢) .

وأخرج ابن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي العجفاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت أُمِّي حين وضعتني سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى » .

وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة ^(٣) عن آمنة قالت « لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها » ^(٤) .

وأخرج أبو نعيم عن بُرَيْدَةَ عن مُرْضَعَتِهِ ^(٥) من بنى سعد أن آمنة قالت « رأيت كأنه خرج من فرجى شهاب أضاء له الأرض حتى رأيت قصور الشام »

(١) لادليل على أنها رؤية عين ومارواه عن ابن إسحاق غير صحيح .

(٢) كل ما يروى عن آمنة من أحاديث الحمل والوضع موضوع والحق أنها حملت به كما يحمل كل أنثى من الناس ووضعتة كذلك .

(٣) واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة هاجرت المهاجرين هي وزوجها أبو سلمة، ولما مات أبو سلمة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مخزومية .

(٤) كيف روت أم سلمة عن آمنة، وقد ماتت آمنة قبل أن تولد أم سلمة ؟ ألا قاتل الله الوضاعين .

(٥) لاندري هل الضمير في مرضعته لبريدة أم للنبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر الثاني لأنه عليه السلام كان مسترضعاً في بني سعد .

وأخرج ابن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرض بيده » وقال أنبأنا معاذُ العنبري ثنا ابن عون عن ابن القتيبة في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قالت أمه رأيت كأن شهابا خرج مني أضاءت له الأرض »

وأخرج عن حسان بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا بصره إلى السماء .

وأخرج عن موسى بن عبيدة عن أخيه قال « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق إلى الأرض وقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء ، وقبض قبضة من التراب بيده فبلغ ذلك رجلا من لهب ^(١) فقال لصاحب الخبر: لئن صدق هذا القول كيف ينبئ هذا المولود أهل الأرض .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف ^(٢) عن أمه الشفاء بنت عمرو ابن عوف قالت « لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل ^(٣)

(١) بطن من بطون اليمن من بني عامر بن الأزد وكانوا قافة وفيهم قال الشاعر

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهب إذا الطير مرت

(٢) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة فهو زهري ، وكان اسمه في الجاهلية عبد الحارث أو عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وسلم ، وكنيته أبو محمد وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة وأمّه الشفاء زهرية أيضا توفي سنة اثنتين وثلاثين عن خمس وسبعين عاما وصلى عليه عثمان بن عفان .

(٣) الاستهلال هو صوت الصبي بالبكاء عند الولادة وكانت الشفاء هي قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ابن القيم أن أم أيمن بركة الحبشة كانت هي دأته .

فسمعت قائلاً يقول : رحلك الله ورحلك ربك . قالت الشفاء : فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم ، قالت ثم ألبسته ، وأضجعتة فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة عن يميني فسمعت قائلاً : يقول أين ذهبت به قال إلى المغرب وأسفر ذلك عني ثم عاودني الرعب والظلمة والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلاً يقول أين ذهبت به قال إلى المشرق قلت فلم يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله فكنت في أول الناس إسلاماً .

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم (١) قال « لما حضرت ولادة آمنة قال الله للملائكة : افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها ، وأمر الله الملائكة بالحضور فترلت تبشر بعضها بعضها ، وتناولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر ، وأخذ الشيطان فعل سبعين غلاً (٢) وألقى منكوساً في لجة البحر الخضراء وغات الشياطين والمردة (٣) وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء (٤) في الهواء ينتظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحمان ذكورا (٥) كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ولا خوف إلا عاد أمنا فلما ولد النبي صلى الله عليه

(١) إذا كان علم أبيه من هذا النمط فهو إذا وعاء غير نظيف ، فإن كلامه هنا من سج الخيال وهو أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة .

(٢) هو ما يوضع في العنق .

(٣) جمع مارد وهو العاتي .

(٤) من الحور وهو البياض وهي الشديدة بياض بياض العين الشديدة واد سوادها .

(٥) هذا من الكذب المفحوق فلا يعقل أن الحوامل في عام واحد يلدن كلهن ذكورا ولو جرى ذلك لاصبح من الأحداث الهامة التي يؤرخ بها .

وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا وتباشرت الملائكة وضرب في كل عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قيل هذا ما ضرب لك استبشارا بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك^(١) الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلها، وأما اللات والعزى فإنهما خرجا من خزائنها وهما يقولان: ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لاتعلم قريش ماذا أصابها وأما البيت فأيا ماسمعوا من جوفه صوتا، وهو يقول الآن، يرد على نوري الآن يجيئني: زواري الآن أطهر من أنجاس الجاهلية، أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن، وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال (كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهاها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لا ينطق يومه ذلك ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا له في كل شهر من شهوره نداء في الأرض

(١) فات هذا الجاهل أن المسك لا يؤخذ من ثمار الأشجار .

(٢) فما بال قريش لم تذكر هذا الذي نسجه خياله المحموم ، ومحمد عليه السلام قد ولد بين ظهرانيها .

ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا^(١)
قال وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كَمَلًا لا تشكو وجعًا ولا ريحًا ولا مغصًا ولا ما يعرض
للنساء ذوات الحمل، وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه قتالت الملائكة : إلهنا
وسيدنا بقي نبيك هذا يتما ، فقال الله : أنا له وليٌ وحافظ ونصير ، وتبركوا
بمولده فمولده ميمون مبارك ، وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه ، فكانت
آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أناني آت حين مرّ بي من حملي ستة أشهر
فوكزني برجله في المنام وقال لي : يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين^(٢) طُرا ،
فإذا ولدتيه فسميه « محمدًا » ، فكانت تحدث عن نفاسها^(٣) وتقول : لقد
أخذني ما يأخذ النساء ، ولم يعلم بي أحد من القوم ، فسمعت وجبة شديدة وأمرأ
عظيما فهالني ذلك ، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب
عني كل رعب وكل وجع ، كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنًا ،
وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل
الطُّوال كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي ، فبينما أنا أعجب وإذا بديباج
أبيض قد مد بين السماء والأرض ، وإذا بقائل يقول : خذوه من أعين الناس.
قالت : ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ، ورأيت قطعة

(١) قال الفسطاني عنه إنه شديد الضعف ، ولكفي أقول إنه كذب مفترى .
فما نطقت دواب قريش ولا حيل بين الجن وبين إلقاء السمع إلى الحكهان إلا بعد
البعثة ، ولا نسكت عروش الملوك ولا أخرست ألسنتهم ولا انتقل وحش من غابته
ولا حوت من بحره إلخ . فكل ذلك هذيانات وصعها الكذابون ليعيطوا أحداث
الولادة بحج من التهاويل .

(٢) ترى مافائدة إخبار آمنة بهذا وقد علم الله أنها ستموت قبل بعثته وأنها لن
تزال شرف الإيمان به وقد قدمنا أن جده عبد المطلب هو الذي سماه .
(٣) هو ما يأخذ المرأة عند الولادة من الخاض والوجع .

من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري ، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله عن بصرى ، وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات ، علماً في المشرق ، وعلماً في المغرب ، وعلماً على ظهر الكعبة ، فأخذنى الخاض فولدت محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج من بطنى نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيت فغُيِّبَ عن وجهى ^(١) وسمعت منادياً ينادى : طوفوا بحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماسحى ^(٢) لا يبقى شيء من الشرك إلا محى في زمنه ، ثم تجلَّت عنه في السرعة فإذا أنا به مدرجا في ثوب صوف أبيض وتحتة حريرة خضراء ، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب ، وإذا قائل يقول : قبض محمد على مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة ، حتى غشيت فغُيِّبَ عن عيني ، فسمعت منادياً ينادى : طوفوا بحمد الشرق والغرب وعلى مواليد النبيين ، وأعرضوه على كل روحاني من الجن والأنس والطير والسباع ؛ وأعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخلة إبراهيم ،

-
- (١) تصور أما فقدت زوجها ولم يطل مقامه معها ، ثم وضعت حملها ووحيدها وهي ترجو أن يكون العوض والعزاء عن أبيه ثم يغيب عنها ساعة وضعه ويتبرع من بين يديها ماذا يكون حالها؟ وهل كانت آمنة وحدها في ذلك الوقت أم كان معها نسوة من قريش؟ فما بالهن لم يصرخن وينزعن لهذا الحدث الغريب ، ولكن اقرأوا ضحكوا ون ضمت قلوبك على ما بلغت إليه حال العلماء من تسويد صحائفهم بثل هذا الهواء.
- (٢) صح عنه أنه قال (وأنا الماسحى الذى يدعو الله بى الشرك) واسكن تفسير هذا بأنه لا يبقى شيء من الشرك إلا محى في زمنه خطأ وخلاف الواقع فقد توفى ولا يزال الأرض مليئة بأمم الشرك التى حاربها أصحابه من بعده .

ولسان إسماعيل ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وصوت داود ، وصبر
أيوب ، وزهد يحيى ، وكرم عيسى ، واغروه في أخلاق الأنبياء . ثم تجلت عنه
فإذا أنا به قد قبضَ على حريرة خضراء مطوية ، وإذا قائل يقول : بخ بخ^(١)
قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل
في قبضته ، وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة ، وفي يد الثاني
طست من زمرد أخضر ، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها
منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه ، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ،
ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة
ثم رده إلى .

وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف^(٢) عن العباس قال « لما ولد أخى عبد الله
وهو أصغرنا . كان في وجهه نور يزهر^(٣) كنور الشمس ، فقال أبوه : إن لهذا
الغلام لشفاء ، فرأيت في منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض فطار فبلغ
الشرق والغرب ، ثم رجع حتى سقط على الكعبة فسجدت له قريش كلها ،
ثم طار بين السماء والأرض ، فأثيت كاهنة بنى مخزوم فقالت : لى لئن صدقت
رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً ، فلما ولدت
أمنة قلت لها ما الذى رأيت في ولادتك ؟ قالت لما جاءنى الطلق واشتد بى
الأمر سمعت جلبة وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين ، ورأيت علماً من سندس على

(١) معناها حسن وحسن وضدها كخ .

(٢) بعد الالتيا والى وبعد ماروى المؤلف من الغرائب والمذاكير والحكايات
العجيبة ينفه هنا على ضف هذا الحديث فهلا التزم ذلك فى كل ما يرويه حتى يعمل
المؤلفه شيئاً من التقدير .

(٣) زهر السراج أو القمر أو الوجه أضاء وتلألأ .

قضيب من ياقوت قد ضُرب ما بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ، ورأيت قصور الشامات كلها سُعلَةً نار ورأيت قربي سرباً من القطاء قد سجدت له ونشرت أجنحتها ، ورأيت تأبعة سَعِيرَةَ الأسدية قد مرت وهي تقول : مالى الأَصنام والكهان من ولدك هذا ؟ هلكت سعيرة والويل للأصنام ، ورأيت شاباً من أتم الناس طولا وأشدهم بياضاً فأخذ المولود منى فتفل في فيه ومعه طاس من ذهب فشق بطنه شقاً ، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ، ثم أخرج صرة من حرير أخضر ففتحها ، فإذا فيها شيء كالذريرة البيضاء فحشاها ، ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة « وألبسه قميصاً فهذا ما رأيت .

قلت : هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ، ولم تكن نفسى لتطيب بإيرادها لكنى تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك (١) .

وروى الحافظ أبو زكريا يحيى بن عائذ في مولده عن ابن عباس أن أمانة كانت تحدث عن يوم ميلاده وما رأت من العجائب ، قالت : « بينا أنا أعجب إذا أنا بثلاثة نفر ، ظننت أن الشمس تطلع من خلال وجوههم بيد أحدهم إبريق فضة ، وفي ذلك الإبريق ريح كريخ المسك ، وفي يد الثانى طست من زمردة خضراء عليها أربعة نواحي ، على كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء . وإذا قائل يقول هذه الدنيا شرقها وغربها وبرها وبحرها ، فاقبض يا حبيب الله على أى ناحية شئت منها ، قالت : فدرتُ لأنظر أين قبضَ من الطستِ فإذا هو قد قبض

(١) وهذه هي قاصمة الظهر بالنسبة لعلماء هذا العصر أنهم يقلدون أسلافهم تقليداً أعمى ويأخذون عنهم كل ما قالوه دون بحث أو تمحيص فكان ديدنهم هو الجمع والاستدباب ، فجاءت كتبهم قليلة النفع مليئة بالفضول والحشو والذكر من القول لاسيما مؤلفنا السيوطى .

على وسطها ، فسمعت القائل يقول : قبض محمد على الكعبة ورب الكعبة
أما إن الله قد جعلها له قبلة ومسكناً مباركا ، ورأيت بيد الثالث حريرة بيضاء
مطوية طياً شديداً فنشرها ، فإذا فيها خاتم تحار أبصار الناظرين دونه ، ثم جاء
إلى فتناوله صاحب الطست فغسل بذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه
بالخاتم ختما واحداً ولفه في الحريرة مربوطا عليه بخيط من المسك الأذفر ، ثم
حماله فأدخله بين أجنحته ساعة .

قال ابن عباس : كان ذلك رضوان خازن الجنان ، وقال في أذنه كلاما
لم أفهمه ، وقال : أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته فأنت أكثرهم
علما وأشجعهم قلبا ، معك مفاتيح النصر قد ألبست الخوف والرعب ، لا يسمع
أحد بذكرك إلا وجل فؤاده وخاف قلبه ^(١) وإن لم يرك يا خليفة الله .

قال ابن دحية في (التنوير) هذا حديث غريب .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عائشة قالت : « كان
يهودى قد سكن مكة يتجر بها ^(٢) ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش هل ولد فيكم
الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله مانعاه ، قال : احفظوا ما أقول لكم ، ولد هذه
الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن
عُرِف ^(٣) فرس لا يرضع كئيتين ، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل إصبعه

(١) ورد في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ونصرت بالرعب

مسيرة شهر » .

(٢) لانعلم أن مكة كان بها أحد من اليهود ، ولكن كان فيها غلام نصراني زعم
المشركون أنه هو الذي يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فرد الله عليهم بقوله
(لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) .

(٣) هو شعر عنقه ، وأما العرف بفتح العين فهو الرائحة الطيبة .

فى فمه فمنعه الرضاع ، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله ، فقالوا : قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه «محمداً» ، فالتقى القوم حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر ، قال : فاذهبوا معى حتى أنظر إليه ، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة ، فقال : أخرجى إلينا ابنك ، فأخرجته وكشفوا له عن ظهره فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا : وملك مالك ؟ قال : والله ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليستون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى الحكم التنوخى قال : « كان المولود إذا ولد فى قريش دُفع إلى نسوة من قريش إلى الصبح فكفأن عليه برمة^(١) ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة يكفئن عليه برمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين فوجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهن عبد المطلب فقان له : ما رأينا مولوداً مثله وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينه شاخصاً ببصره إلى السماء ، فقال : احفظه فإنى أرجو أن يصيب خيراً ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب ما سميته ؟ قال : سميته محمداً ، قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيتك ؟ قال : أردت أن يحمد الله فى السماء وخلقه فى الأرض^(٢) .

(١) وعاء كبير يطبخ فيه .

(٢) قال أبو عمر ابن عبد البر: الحديث فى هذا مسند غريب ، وهو من رواية عطاء عن عسكرة عن ابن عباس « أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مادية وسماه محمداً » قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث من أئمة إلا عند ابن أبى السرى .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق السيب بن شريك عن محمد بن شريك^(١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده^(٢) قال «كان يَمِرُّ الظَّهْرَانِ راهب من أهل الشام يدعى عيسى ، وكان قد آتاه الله علماً كثيراً ، وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيأقي الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ، فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته وتالله ما تركت أرض الخمر والخمر والأمن ، ولا حلت أرض البؤس والجوع والخوف إلا في طلبه ، فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول : ما جاء بعد ، فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيسى ، فوقف في أصل صَوْمَعَتِهِ فناداه ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا عبد المطلب ، فأشرف عليه . فقال : كُنْ أَبَاهُ فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم به عنه يوم الاثنين ، وهو يبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين ، وأن نجمه طلع البارحة ، وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكى ثلاثاً ثم يعافى ، فاحفظ لسانك فإنه لم يُحْسَدْ حَسَدُهُ أَحَدٌ ، ولم يُبَغْ على أحد كما يُبَغَى عليه ، قال : فيما عُمُرُهُ ؟ قال : إن طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتر دونها في الستين إحدى وستين ، أو ثلاث وستين أعمار جُلِّ أُمَّتُهُ^(٣) ، قال : وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء الحرم ، وولد يوم

(١) قال الذهبي : ذكره البخاري فيه جهالة . ثم قال : ليس بمجهول وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل .

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص أحد العبادة الأربعة وأكثر الصحابة رواية للحديث ورواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اعتبرها بعضهم إحدى السلاسل الذهبية في الحديث .

(٣) ورد عنه عليه السلام أنه قال « أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين » .

الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان» (١) .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : « كان في عهد الجاهلية إذا ولد لهم المولود من تحت (٢) الليل رموه تحت الإناء فلا ينظرون إليه حتى يصبحوا (٣) ، فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم طرحوه تحت البرمة ، فلما أصبحوا أتوا البرمة فإذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه إلى السماء فعجبوا من ذلك ، ورفع إلى امرأة من بني بكر (٤) ترضعه ، فلما أرضعته دخل عليها الخير من كل جانب ولها شويهاً (٥) فبارك الله فيها فزمت وزادت » .

وأخرج أبو نعيم عن داود بن أبي هند قال : « لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم نارت الظراب لوضعه واتقى الأرض بكفيه ، حين وقع وأصبح يتأمل السماء بعينه وكفئوا عليه برمة ضخمة فانفلقت عنه فلقنتين » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعته تحت برمة فانفلقت عنه ، قالت : « فنظرت إليه فإذا هو قد شقَّ بصره ينظر إلى السماء » (٦) .

(١) المشهور بل الصحيح أن ولادته عليه السلام كانت في ربيع الأول ليلة التاسع أو الثاني عشر .

(٢) لعله يعني من آخر الليل .

(٣) لو صح الخبر لهذا فلعل الحكمة فيه الخوف على المولود من مس الجن أو نحو ذلك .

(٤) هي طهره حليمة السعدية من بني بكر بن سعد .

(٥) هو تصغير شياه والمراد أنها عجاف مهازيل من قلة المرعى .

(٦) قد أكثر للأوف من رواية البرمة من طرقها المتعددة ولكنها مع ذلك أخبار ضعيفة لا يعول عليها ولا نظن أن قريشا كانت فيها مثل هذه العادة الخفاء التي ربما قضت على المولود بسبب احتباس الهواء عنه .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة قال : « لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم أشرق الأرض نوراً ، وقال إبليس ^(١) : لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا ، فقال له جنوده : فلو ذهبت إليه نخبلته ^(٢) ، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم بعث الله جبرئيل فركضه ركضة فوق بعْدَن ^(٣) . »

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال : « كان إبليس يحرق السموات السبع ، فلما ولد عيسى حجب من ثلاث سموات فكان يصل إلى أربع ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجب من السبع ^(٤) ، وقال : وولد يوم الاثنين حين طلع الفجر . »

وأخرج البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في المصنف وابن عساكر من طريق أبي أيوب يعلى بن عمران البجلي عن مخزوم بن هاني الخزومي عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة ^(٥) قال « لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه

(١) مشتق من الإبلas وهو اليأس والحيرة وجمعه أباليس وأبالسة ، وقد تكرر ذكر إبليس كثيراً في القرآن مع قصة آدم عليه السلام .

(٢) الخيل هو الجنون وفساد العقل .

(٣) مدينة في جنوب غربي الجزيرة وهي مرفأ حر على خليج عدن ، احتلها الإنجليز سنة ١٧٣٩ وفيها الآن حركة مقاومة قوية .

(٤) المعروف أن الشياطين إنما تسترق السمع من السماء الدنيا فقط ، كما قال تعالى من سورة الصافات (إننا نرى السماء الدنيا بزينة السكاك وحفظاً من كل شيطان مارد) وقد ورد في حديث الإسراء أن لكل مماء باباً مغلقاً وأنه لا يفتح إلا لمن يعرفه حراسها .

ثم من هو معروف بن خربوذ هذا حق يؤخذ بقوله في مثل هذه الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا من قبل الوحي ؟

(٥) إسناد مظلم كله مجاهيل .

وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة^(١) وخذت نارفارس ولم تحمد قبل ذلك ألف عام وغازت بحيرة ساوة ، فلما أصبح كسرى أفرغه ذلك فتصبر عليه تشجعا فلما عيل صبره^(٢) رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه^(٣) فلبس تاجه وقعد على سريرته وجمعهم إليه وأخبرهم بما رأى ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليه الكتاب بخمود النار فإزداد غما إلى غمه فقال له الموبدان^(٤) وأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة إبلا صعبا تقود خيلا^(٥) عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فقال أى شيء يكون يا موبدان قال حادث يكون من ناحية العرب ، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حسان الفسائى ، فلما ورد عليه قال له الملك ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال ليخبرنى الملك فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه فأخبره . قال : علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف^(٦) الشام يقال له سَطِيح قال : فأثته فأسأله فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سَطِيح وقد أشفى على الضريح^(٧) فسلم عليه فلما سمع سَطِيح

(١) الشرفه من الفصير - بضم فسكون - ما أشرف من بنائه ، وجمعها شرف .
وأما شرفة بفتحات فجمعها شرفات وهى مثلثات أو مربعات تنبى متقاربة فى أعلى سور أو قصر ولعلمها هى للارادة هنا .

(٢) يعنى قل صبره ونقد .

(٣) عجبا وهل سقوط الشرفات كان سرا مكتو ماحق يحتاج الوزراء إلى من يخبرهم به ؟ وهى أمور يراها جميع الناس .

(٤) عالم الجوس .

(٥) كريمة سالمة من الهجنة .

(٦) هى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ينسب إليها فيما قيل

السيف الشرفى .

(٧) الضريح المبيد ويقال للقبر أيضا : ضريح . وأهل المعنى الأول هو المناسب هنا .

سلامه رفع رأسه ، وقال عبد المسيح ، على جمل مُشِيح . وأقبل إلى سَطِيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك مَلِك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخود النيران ، ورويا الموبذآن ، رأى إبلاصعابا . تقود خيلا عرايا . قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة . وظهر صاحب الهراوة^(١) . وفاض وادى السماوة . وغاضت بحيرة ساوة . وخمدت نار فارس . فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرقات . وكل ماهو آت آت ، ثم قضى سطيح مكانه ، فأتى عبد المسيح إلى كِسرى فأخبره فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمر ، فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان . قال ابن عساكر حديث غريب لانعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البجلي هكذا قال في ترجمة سطيح في تاريخه . وقال في ترجمة عبد المسيح بعد أن أخرجه من هذا الطريق ورواه معروف بن خربوذ عن بشر بن تيم المسكي ، قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه . قلت . ومن هذا الطريق أخرجه عُبدان في كتاب الصحابة وقال ابن حجر في الإصابة : إنه مُرْسَلٌ^(٢) .

وأخرج الخرائطي في المواتف وابن عساكر عن عروة أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نُفَيْل وعُبَيْد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه فدخلوا عليه ليلة فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلابا عنيفا فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فقال عثمان بن الحويرث إن هذا لأمر قد حدث

(١) الهراوة العصا والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث المرسل ماسقط منه الصحابي ورفع التابعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحتج بهذه المراسيل إلا إذا وجد لها متابع في الصحيح .

وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) فجعل عثمان يقول شعراً :

أيأصنم العيد الذي صف حوله صناديد وفد من بعيد ومن قرب
تَنَكَّسَ مقلوباً فما ذاك؟ قل لنا أأذاك شيء أم تَنَكَّسَ للعب
فإن كان من ذنب أسأنا فإننا نبوء ^(٢) بإقرار و نلوى عن الذنب
وإن كنت مغلوباً تنكست صاغراً فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله ، فلما استوى هتف هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تَرَدَّى ^(٣) لولود أنارت بنوره جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخرت الأوثان طرّاً وأرعدت قابول ملوك الأرض طراً من الرعب
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت وقذبات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جهتها فلا مخبر منهم بحق ولا كذب ^(٤)
فيال قصى إرجعوا عن ضلالكم وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرب

وأخرج الخرائطي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا

(١) المعروف أن ورقة وزيدا وعبيد الله بن جحش قد فارقوا ديانة قومهم في الجاهلية وهجروا عبادة الأصنام .

(٢) من البوء وهو الرجوع عن الذنب وفي الحديث « أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

(٣) التردى هو السقوط والهلاك .

(٤) (يعنى أن الجن لم يعودوا يخبرون الكهان بأمور الغيب حين حيل بينهم وبين خير السماء .

النجاشى بعد رجوع أبرهة من مكة . قالوا ، فلما دخلنا عليه قال : أصدقانى أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح ^(١) فسلم ونُحِرَتْ عنه جمال كثيرة ؟ قلنا : نعم . قال : فهل لكما علمٌ به ما فعل ؟ قلنا : تزوج امرأة يقال لها آمنة تركها حاملا وخرج . قال : فهل تعلمان ولدت أم لا ؟ قال ورقة : أخبرك أيها الملك أنى ليلةً قد بُتْ عند وثنٍ لنا إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

ولد النبي فذلت الأملاك ^(٢) ونأى الضلال وأدبر الإشراك

ثم انتكس الصنم على رأسه . فقال زيد : عندى كخبره أيها الملك إني في مثل هذه الليلة خرجت حتى أتيت جبل أبي قبيس ^(٣) إذ رأيت رجلا ينزل من السماء له جناحان أخضران فوقف على أبي قبيس ثم أشرف على مكة فقال ذلَّ الشيطان . وبطلت الأوثان . وولد الأمين ثم نشر ثوبا معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جَلَلَّ ماتحت السماء وسطع نور كاد يخطف بصرى ، وهالنى ما رأيت وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسقط له نور أشرفت له تهمامة ، وقال زَكَتْ الأرض وأدَّتْ رِيعُهَا وأَوْحَى ^(٤) إلى الأصنام التى كانت على الكعبة فسقطت كلها . قال النجاشى : ويحكما أخبركما عما أصابنى ، إني لنأتم في الليلة التى ذكرتما فى قُبَّتِي وقت خُلُوتِي إذ خرج على من الأرض عُنُقٌ ورأس وهو يقول : حَلَّ الويل بأصحاب الفيل . رمتهم طير أبا بيل ، بحجارة

(١) جمع قدح وهى الأزام التى كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية .

(٢) يعنى ملوك الدنيا وجبابرتها الذين نزل الإسلام عروشهم وأزال ملكهم .

(٣) هو الجبل المشرف على مكة من جهة الشرق ويقابله جبل قيعقان ومكة

بينهما وهما الأخشبان .

(٤) يقال : أوماً يومئذ إيماءة أشار .

من سَجِيل ، هلك الأشرم ، المعتدى المجرم . ولد النبي الأُمِّي الحَرَمِيُّ المَسْكِيُّ . من أجا به سَعِد ، ومن أباه عند ، ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصبح فلم أطلق الكلام ، ورُمَت القيام فلم أطلق القِيَام (١) . فأتاني أهلي فقلت احْجُبُوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي (٢) .

باب

الآية في ولادته صلى الله عليه وسلم مختونا مقطوع السرّة (٣)

أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحدٌ سِوَأَنِّي » . وصححه الضياء في (المختارة) وقال ابن سعد أنا يونس بن عطاء المكي حدثني الحكم بن أبان العَدَنِي حدثنا عِكْرِمَةُ عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا وأعجب ذلك عبد المطلب وحِظِي عنده وقال ليكونَنَّ (٤) لابني هذا شأن . فكان له شأن » أخرجه البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر .

(١) هذه حالة تحصل للنائم ويسمونها الكابوس ولعل سببها النوم مع امتلاء المعدة .

(٢) هذه حكاية . فتملة أراد بها واضعها أن يستنطق كل واحد من هؤلاء الثلاثة بأسطورة تتعلق بحدث الولادة ولوصح أن ورقة كان يزور الحبشة لأنه نصراني طي دين النجاشي فزید لم يرتض النصرانية دينا وبقي على ملة إبراهيم .

(٣) حكى الإمام ابن قيم الجوزية في ذلك ثلاثة أقوال أولها أنه ولد مختونا مسرورا وقال وروى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت .

(٤) المحفوظ أن هذه الكلمة قالها عبد المطلب حين جلس النبي صلى الله عليه وسلم على تكريمته فلما أراد أعمامه دفعه عنها قال : دعوه فسيكون لابني هذا شأن .

وأخرج ابن عدى وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال :
« ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً » .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً .
وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال « ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسروراً
مختوناً » . قال الحاكم في (المستدرک) تواترت الأحاديث أنه ولد مختوناً ^(١) .
وفي (الوشاح) لابن دُرَيْد قال ابن الكلبي بلغنا عن كعب الأحبار أنه قال
« نجد في بعض كتبنا أن آدم خلق مختوناً وأثنى عشر نبياً من بعده من ولده
خلقوا مختونين ^(٢) آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وشيث وإدريس ونوح وسام
ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود وصالح صلى الله عليهم
أجمعين » .

وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر عن أبي بكرة أن
جبرئيل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه ^(٣) .

باب مناغاته صلى الله عليه وسلم للقمر وهو في مهدة ^١

وأخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما
عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك

(١) عجبا للهاكم يزعم التواتر لأمر لم يصح فيه حديث واحد فهل يريد تواتر
الكذب ؟ أم تخيل أن اجتماع مثل هذه الطرق الواهية يحصل به العلم الضروري
بذلك ؟ ألا ليته سمى مستدرکه مستركا .

(٢) هذا يناق ماورد في الصحيح من أن إبراهيم عليه السلام كان أول من
اختتن وأنه اختتن بقدومه وهو ابن ثمانين سنة .

(٣) هذا هو القول الثاني في الختان أنه ختن يوم شق قلبه عند طهره حليلة .

أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بإصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وَجِبَتَهُ حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول . وقال الصابوني هذا حديث غريب الإسناد والمتن في المعجزات ^{هـ} (١) .

باب كلاًه صلى الله عليه وسلم في المهد

قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في (شرح البخارى) في سِير الوافدى أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة ، وأن أول كلام تكلم به أن قال : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً .

باب

ما ظهر في زمان رضاعه صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات .

أخرج ابن إسحاق ^(٢) وابن راهويه ^(٣) وأبو يعلى ^(٤) والطبرانى والبيهقى

(١) كيف يكون هذا حاله ثم يكون حسناً ؟ قال الله الهوى .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخزومة بن عبد مناف ويقال إنه أتى أبا جعفر بالحيرة فكتب له المغازى فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وروى أبو حاتم عن الأصمعى عن المعتز قال قال أبى لاتأخذ من ابن إسحاق شيئاً فإنه كذاب .

(٣) هو عالم خراسان ومن أعلام الحفاظ توفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين عن بضع وسبعين سنة ولم يخلف بخراسان مثله .

(٤) هو محمد بن الحسين بن الفراء البغدادى الحنبلى عالم العراق وكان آية في معرفة مذهب الإمام أحمد وصنف التصانيف الفائقة . توفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن بضع وثمانين سنة .

وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال :
« حَدَّثْتُ عَنْ حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ
قَالَتْ : قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ ،
فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي وَمَعِيَ صَبِي لَنَا وَشَارَفٌ ^(١) لَنَا وَاللَّهُ مَا تَبَيَّضُ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ
لَيْلَنَا ذَلِكَ أَجْمَعَ مَعَ صَبِينَا ذَلِكَ لَا يَجِدُ فِي ثَدْيِي مَا يَغْنِيهِ وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْذِيهِ فَقَدِمْنَا
مَكَّةَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مَنَا امْرَأَةً إِلَّا وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ إِنَّهُ يَتِيمٌ فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةً إِلَّا أَخَذْتُ رَضِيعًا غَيْرِي ،
فَمَا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قَاتَ لَزُوجِي وَاللَّهُ إِنِّي لَأُكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي لَيْسَ
مَعِيَ رَضِيعٌ لِأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَا خِذْنَهُ ، فَذَهَبْتُ فَأَخَذْتَهُ ، فَمَا هُوَ إِلَّا
أَنْ أَخَذْتَهُ فَجِئْتُ بِهِ رَحْلِي ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى رَوَى
وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوَى وَقَامَ صَاحِبِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ إِذَا مَا لَهَا لِحَافِلُ خُجَابٍ
مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْنَا وَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ : فَقَالَ صَاحِبِي ، يَا حَلِيمَةُ وَاللَّهِ إِنِّي
لَأُرَاكَ قَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةً مُبَارَكَةً أَلَمْ تَرَى مَا بَتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ ؟ حِينَ
أَخَذْنَاهُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِنَا ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ طَعْتُ أَتَانِي
بِالرَّكَبِ حَتَّى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا حِمَارِي حَتَّى إِنْ صَوَّاحِبَاتِي يَقْلُنَّ وَيَلَاكَ أَهْدِي أَتَانَكَ الَّذِي
خَرَجْتَ عَلَيْهَا مَعَنَا ؟ فَأَقُولُ نَعَمْ ، وَاللَّهُ إِنَّمَا لَهِيَ ، فَيَقْلُنَّ وَاللَّهُ إِنْ لَهَا لَشَأْنًا حَتَّى
قَدِمْنَا أَرْضَ بَنِي سَعْدِ ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْذَبَ مِنْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ غَنَمِي
لَتَسْرَحَ ثُمَّ تَرْوَحُ شَبَاعًا لَبْنًا فَحَنُّ وَمَا شِئْنَا وَمَا حَوْلْنَا أَحَدٌ تَبِضُّ لَهَا شَاةٌ بِقَطْرَةٍ
لَبَنٍ ، وَإِنْ أَغْنَامُهُمْ لَتَرْوَحُ جِياعًا حَتَّى إِنْهُمْ لَيَقُولُونَ لِرِعَاثِهِمْ وَيَحْكُمُ انْظُرُوا حَيْثُ
تَسْرَحُ غَنَمُ حَلِيمَةَ ، فَاسْرَحُوا مَعَهَا فَيَسْرَحُونَ مَعَ غَنَمِي حَيْثُ تَسْرَحُ فَيَرْوَحُونَ
أَغْنَامَهُمْ جِياعًا مَا فِيهَا قَطْرَةٌ لَبَنٍ وَتَرْوَحُ غَنَمِي شَبَاعًا لَبْنًا فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يُرِينَا الْبَرَكَةَ

وتتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جَقَرًا ، فقدمنا به إلى أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة فلما رآته أمه قلنا لها : يا خُطِرُ دَعِينَا نَرْجِعْ بَابِنَا هَذِهِ السَّنَةَ الْأُخْرَى فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ فوالله ما زلنا بها حتى قالت : نعم ، فسرحتُه معنا ، فأقننا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خَلْفَ بِيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بُهُم لَنَا جَاءَنَا أَخُوهُ يَشْتَدُ فَقَالَ : ذَاكَ أَخِي الْقُرْشِيُّ قَدْ جَاءَ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِياضٌ فَأُضْجَعَاهُ فَشَقَا بَطْنَهُ ، فخرحت أنا وأبوه نشتد نحوه ، فنجدته قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه وقال أَيْ بُنَى مَا شَأْنُكَ ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فَرَجَعْنَا بِهِ مَعَنَا فَقَالَ أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ابْنِي قَدْ أَصِيبُ فَاَنْطَلَقِي بِنَا نَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَفُ ، قالت حليلة فاحتملناه حتى قدمنا به إلى أمه فقالت مارَدٌ كَمَا بِهِ ^(١) ؟ فقد كنما عليه حريصين قلنا نخشى الْأَتْلَافَ وَالْأَحْدَاثَ ، فقالت ما ذَاكَ بِكَمَا فَاصْدُقَانِي شَأْنِكُمَا فَلَمْ تَدْعُنَا حَتَّى أَخْبَرْنَا هَا خَبَرَهُ قَاتِ أَخْشِيئَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَإِنَّهُ ، لَكَاُنْ لَابْنِي هَذَا شَأْنٌ أَلَا أَخْبِرُكُمَا خَبَرَهُ ؟ قَالِقَا بَلَى ، قالت حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه ^(٢) فأريت في النوم حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وَقَعًا مَا يَقَعُهُ الْمَوْلُودُ مَعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَدَعَاهُ عَنْكَمَا .

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن يعقوب ابن جعفر بن سليمان عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال :

(١) تعنى ما حملك كما على الرجوع به .

(٢) معلوم أن آمنة لم تحمل بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لم تتزوج بعد زوجها عبد الله ففعل الرواية حملاً بكسر الحاء .

« كانت حليلة تحدث أنها لما فطمت^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم^(٢) فقال : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً^(٣) ، فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيتجنبهم ، فقال لى يوماً : يا أمّاه : مالى لا أرى إخوانى بالنهار ؟ قلت : فدتك نفسى يرعون غملاً لنا فيروحون من ليل إلى ليل ، قال : ابعثنى معهم . فكان يخرج مسروراً ويرجع مسروراً ، فلما كان يوماً من ذلك خرجوا ، فلما انتصف النهار إذا بابنى ضمرة يعدو^(٤) فزعاً وجبينه يرشح باكياً ينادى يا أبت ويا أمه الحقاً أخى محمداً فما تلاحقانه إلا ميئاً ، قلنا ، وما قصته ؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاخطفه من أوساطنا وعلا به ذروة^(٥) الجبل ، ونحن ننظر إليه حتى شق من صدره إلى عاتقه^(٦) ولا أدري ما فعل به فأقبلت أنا وأبوه نسعى سعياً فإذا نحن به قاعد على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء يتبسم ويضحك فأكبت عليه وقبّلت ما بين عينيه وقلت فدتك نفسى ما الذى دهاك ؟ قال : خيراً يا أمّاه بينا أنا الساعة قائم إذ أتانى رهطٌ ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة ، وفى يد الثانى طستٌ من زمردة

(١) يعنى حجزته عن الرضاع .

(٢) هذا غير صحيح بل الذى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يتكلم فى المهد إلا عيسى ابن مريم وصاحب جريج العابد والطفل الذى كان فى حجر أمه ترضعه فمر بهارجل ذو شارة حسنة على دابة فارهة فقالت اللهم اجعل ابنى مثله فترك الغلام اللئى وقال اللهم لا تجعلى مثله البخ الحديث وكذلك الطفل الذى قال لأمه فى قصة أصحاب الأخدود قمى ولا تتفاعسى فأملك على الحق وزاد بهضم شاهد يوسف ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه تحدث عن نفسه بأنه تكلم فى المهد .

(٣) البكرة أوائل النهار والأصيل أواخره .

(٤) أى يجرى مسرعاً .

(٥) أعلى الجبل وجمعه ذرى .

(٦) العانة من الرجل أو المرأة شعر الفرج .

خضراء ملأى ثاجاً فأخذوني فانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فأضجعوني على الجبل
إضجاعاً لطيفاً، ثم شق أحدهم من صدرى إلى عانتى وأنا أنظر إليه فلم أجد
لذلك حساً ولا ألماً ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك
الثلج فأنعم^(١) غسلها ثم أعادها وقام الثانى فقال للأول تَنَحَّ فقد أنجزت ما أمرك
الله به فدنا منى فأدخل يده فى جوفى فانتزع قلبى وشقه فأخرج منه نُكْتَةً
سوداء مملوءة بالدم فرمى بها فقال : هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله ، ثم حشاه
بشيء كان معه ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور فأنا الساعة أجد برْد الخاتم
فى عروقى ومفاصلى وقام الثالث فقال تَنَحَّيَا فقد أنجزتما ما أمركما الله به فيه ثم دنا
منى فَأَمَرَ يده من مَفْرَقِ صدرى إلى منتهى عَانَتِي وقال زنوه من أمته بعشرة
فوزنوني فَرَجَحْتُهُمْ ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجح بهم ثم أخذ بيدي
فأنهضنى إنهماضاً لطيفاً فَأَكْبَوا على وقبلوا رأسى وما بين عيني وقالوا يا حبيب
الله لن تُرَاعَ ولو تدرى ما يراد بك من الخير لَمَرَّتْ عيناك وتركوكى قاعداً فى
مكانى هذا ثم جعلوا يطيطرون حتى دخلوا حيال السماء قالت فاحتملته فأُتيت به
منازل بنى سعد ، فقال الناس اذهبوا به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه
فقال ما بى شيء مما تذكرون إني أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحاً فقال لى
الناس أصابه ألم^(٢) أو طَائِفٌ من الجن فغلبوني على رأى فانطلقت به إلى الكاهن
فقصصت عليه القصة قال دعينى أنا أسمع منه فإن الغلام أَبْصَرُ بأمره منكم تكلم
يا غلام فقص قصته من أولها إلى آخرها فوثب الكاهن قائماً على قَدَمَيْهِ ونادى
بأعلى صوته يَا لَلْعَرَبِ من شر قد اقترَبَ اقْتُلُوا هذا الغلام واقتلوني معه، فإنكم
إن تركتموه وأدرك مُدْرِكُ الرجال، لَيُسَفَّهَنَّ أحلامكم، وَلَيَكْذَبَنَّ أديانكم

(١) أى ، بالغ فى غسلها .

(٢) الألم . الجنون .

وَلْيَدْعُوْكُمْ إِلَى رَبِّ لَا تَعْرِفُوْهُ وَدِيْنُ تَنْكُرُوْهُ . قالت : فلما سمعت مقالته انزعته من يده وقلت لأنت أَعْتَهُ مِنْهُ وَأَجْنُ (١) ، ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ، اطلب لنفسك من يقتلك ، فإننا لا تقتل محمداً ، فاحتملته فأتيت منزلي فما أتيت به منزلاً من منازل بني سعد إلا وقد شمعنا منه ريح المسك وكان في كل يوم ينزل عليه رجلان أبيضان فيغيبان في ثيابه ولا يظهران ، فقال الناس رُدِّيْهِ يَا حَلِيْمَةَ عَلَى جَدِّهِ وَاخْرِجِيْ مِنْ أَمَّا نَتِكَ . قالت : فعزمت على ذلك فسمعت منادياً ينادي هنيئاً لك يا بَطْحاء مكة اليوم ، اليوم يُرَدُّ عَلَيْكَ النور والدين والبهاء والكمال فقد أُمِنْتَ أَنْ تَحْذَلِيْ أَوْ تَحْزَنِيْ أَبَدَ الْآبِدِيْنَ ، قالت حليلة : وحدث عبد المطلب بحديثه كله فقال : يا حليلة إن لابني هذا شأنًا ، وددت إنني أدرك ذلك الزمان (٢) .

وأخرج البيهقي عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في حجر جده عبد المطلب فاسترضعته امرأة من بني سعد فنزلت به سوق عكاظ فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكاً فراغت به أمه التي ترضعه فأنجاه الله ثم شب عندها حتى إذا سعى وأُخِثَتْ (٣) من

(١) أى أشد عتياً وجنونا .

(٢) لاشك أن في هذه الرواية زيادات كثيرة على ما في الرواية الأولى مما يدل على تدخل الخيال وتعمد الافتعال ، فيجب أن يقتصر من ذلك على ما صح به الخبر من استرضاعه عليه السلام في بني بكر بن سعد وأنه لما تمت مدة رضاعه أرجعته حليلة إلى أمه .

وأما حادثة شق الصدر فقد جاء في الصحيح أنها كانت ليلة الإسراء ويجوز أن تكون قد حصلت مرتين مرة وهو رضيع في بادية بني سعد ومرة ليلة الأسراء .

(٣) هي جدامة بنت الحارث الملقبة بالشبهاء وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن فبسط لها رداءه وأجلسها عليه رعاية لحقها فهي أخته وحاضنته .

الرضاعة تحضنه جاءت أخته فقالت يا أمته إني رأيت رهطاً أخذوا أخى القرشى
 أنفا فشقوا بطنه فقامت أمه فزعة حتى أتته فإذا هو جالس منتقع لونه لا ترى
 عنده أحداً ، فارتحلت به حتى أقدمته على أمه فقالت لها اقبضي عني ابنك فإني
 قد خشيت عليه . فقالت أمه : لا والله ما بابني مما تخافين لقد رأيته وهو في بطني
 أنه خرج معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فافتصلت أمه وجده عبدالمطلب
 ثم تَوَقَّيْتُ أمه قَيْمٍ في حجر جده ، فكان وهو غلام يأتى وِسَادَةَ جَدِّهِ فيجلس
 عليها فيخرج جَدُّهُ وقد كَبُرَ فتقول الجارية التي تقود جده أنزل عن وِسَادَةِ جَدِّكَ
 فيقول عبد المطلب : دعوا ابني فإنه يُحْسُ بُخَيْرُ فتوفى جده فكفله أبو طالب
 فلما ناهز الحُمُ ارتحل به أبو طالب تاجراً قبل الشام ، فلما نزل تَيْمَاءَ رآه حَبْرٌ من
 اليهود^(١) فقال لأبي طالب ما هذا الغلام منك ؟ قال : هو ابن أخى . قال أشفيق
 أنت عليه ؟ قال نعم قال : فوالله لئن قدمت به الشام ليقْتلنهُ اليهود ، إن هذا
 عدوهم فرجع به أبو طالب إلى مكة .

وأخرج أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر عن شداد بن أوس أن رجلاً من
 بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة أمرك ؟ فقال « بدء شأني
 أتى دعوة إبراهيم وبشرى أخى عيسى وأنى كنت بكرأى وأنها حات بي
 كائناتٍ ما تحمل النساء ، وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثَقُلَ ما تجد ، ثم إن أمى
 رأت في منامها أن الذى فى بطنها نور ، قالت فجعلت أتبع بصرى النور يسبق
 بصرى حتى أضاعت لى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم إنها ولدتنى فنشأت ، فلما
 نشأت بُغِضْتُ إِلَى أَوْثَانٍ قَرِيشٍ وَبُغِضَ إِلَى الشَّعْرِ ، فكنت مُسْتَرْضِعاً فى بَنى كَيْثٍ

(١) المعروف فى السيرة أنه راهب من رهبان النصارى اسمه بهيرى كان
 يبصرى من أرض الشام وأنه حذر عمه من أن يذهب به إلى الشام خوفاً عليه
 من اليهود .

ابن بكر^(١) فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن وادمع أتراب^(٢) لى من الصبيان إذ أنا برهط ثلاثة معهم طسّست من ذهب ملىء ثاجاً فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرباً مسرعين إلى الحى ، فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض إضجاعاً لطيفاً ، ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى^(٣) وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسّاً ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثاج فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها ، ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغّة سوداء فرمى بها ، ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئاً فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه ، نختم به قلبى فامتلاً نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً ، ثم قال الثالث لصاحبه : تنح فأمر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى فالتأم^(٤) ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضنى من مكانى إلهاضاً لطيفاً ثم قال للأول زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمئة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها الرجحهم ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير كقرت عينك ، ثم جاء الحى فأخبرتهم فقال بعض القوم إن هذا الغلام أصابه ألم أو طائف من الجن ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه ، فقلت ما بى شيء مما تذكرون إنى أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحاً ،

(١) بل فى بنى سعد بن بكر .

(٢) هو جمع ترب بكسر التاء بمعنى المساوى فى السن .

(٣) هى ما بينت من الشعر حول الفرج أو فوقه .

(٤) يعنى انضم بعضه إلى بعض .

فقال زوج ظئري : ألا ترون أن كلامه كلام صحيح ؟ إني لأرجو أن لا يكون بابني بأس ، فذهبوا بي إلى الكاهن فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنه أعلم بأمره منكم . فقصصت عليه قصتي فلما سمع قولي وثب إلي فضعني إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته يال العرب يال العرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات^(١) والعزى لئن تركتموه وأدرك ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ، وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط ، فعمد ظئري فانتزعني من حجره وقالت لَأَنْتَ أَعْتَه مِنْهُ وَأَجْنُّ ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيت به إليك فاطلب لنفسك من يقتلك فإننا غير قاتلي هذا الغلام ، ثم احتملوني فأدوني إلى أهلي وأصبح أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنه الشراك^(٢) . قال أبو نعيم في هذا الحديث أن أمنة وجدت الثقل في حمله وفي سائر الأحاديث أنها لم تجد ثقلا والجمع أن الثقل

(١) كانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا اللات بتشديد الناء وفسروه بأنه كان رجلا يلبس الجاهلية السويق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

وأما العزى فكانت شجرة عليها بناء وأستار بوادي نخلة بين الطائف ومكة كانت معظمها قريش وكانت سداتها الثقيف وقيل إنهم اشتقوا اسمها من العزيز . (٢) تأمل هذه الرواية تجدها مطابقة تمام المطابقة لما تحدثت به حليلة في رواية علي بن عبد الله بن عباس فهل هذا من توافق الحواطم أم أراد الواضع أن ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نطقت به حليلة ؟ تأكيذاً للرواية ، والذي رواه أحمد وغيره عن لقمان بن عامر قل سمعت أبا أسامة قال قلت يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي ورائت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك روى مثله عن العرياض بن سارية كما تقدم .

به في ابتداء علوقها به ، وأن الخلفة عند استمرار الحمل بها ، فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف ^(١) .

وأخرج أبو نعيم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعاً في بني سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته : أنظري ابني هذا فسلمي عنه فإنني رأيت كأنه خرج من فرج شهاب أضاءت له الأرض كلها حتى رأيت قصور الشام . فلما كان ذات يوم مرّت بكاهن والناس يسألونه ، فلما رآه الكاهن أخذ بذراعه فقال أي قوم اقتلوه اقتلوه قالت فوثبت عليه فأخذت بعصديته ^(٢) وجاء ناس كانوا معنا فلم يزالوا حتى انتزعوه منه وذهبوا به .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عسّاكر عن يحيى بن يزيد السعدي قال قدم مكة عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضّاع فأصبن الرضاع كلهن إلا حليلة فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت تقول يتيم ولا مال له ، وما عست أمه أن تفعل ؟ فقال لها زوجها : خذيه عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً ، فأخذته فوضعت في حجرها فأقبل ثديها حتى تنقّطاً لبنا فشرب وشرب أخوه ، وكان أخوه لا ينم من الغرث ^(٣) وقالت أمه يا ظئر سلى عن ابنك فإنه سيكون له شأن وأخبرتها بما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته ، وقالت قيل لي ثلاث ليال استرضى ابنك في بني سعد بن بكر في آل أبي ذؤيب . قالت حليلة فإن زوجي أبو ذؤيب ثم ركب أتانها وركب زوجها شارقه فطلعا على صواحبها بوادي

(١) كان أولى بأبي نعيم بدلا من أن يجهد نفسه في الجمع بين الروايات أن يتقى الله في رواية هذه الأخبار التي لا فائدة فيها للإسلام وأن يتعري الصحيح الثابت فيه من عقل كفاية والحمد لله .

(٢) تنحية عضد وهو ما غلظ من الذراع ما بين المرفق إلى الكتف وجمعه أعضاد وأعضد .

(٣) الغارث الجائع يقال غرث غرثا إذا جاع فهو غرثان والجمع غرثي .

بوادى السرر وهن مرتعات وهما يتواهاقان ^(١) فقلن يا حليمة ما صنعت ؟ قالت
أخذت خير مولود رأيت قط وأعظمه بركة . قالت فما رحلنا من منزلنا ذلك
حتى رأيت الحسد فى بعض نسائنا .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواحدى حدثنى عبد الصمد بن محمد السعدى
عن أبيه عن جده قال حدثنى بعض من كان يرعى غنم حليمة أنهم كانوا يرون
غنمها ماترفع برءوسها وترى الخضر فى أفواها وأبعارها ماتزيد غنمنا على أن
تربض ^(٢) ماتجد عوداً تأكله ، فتروح الغنم أغرث منها حين غدت ، وتروح غنم
حليمة يخاف عليها الحَبْطُ ^(٣) . قالوا فمكث صلى الله عليه وسلم سنتين حتى فطم
وكأنه ابن أربع سنين فقدموا به على أمه زائرين لها ، وهم أحرص شئ على رده
مكانه ، لما رأوا من عظم بركته . فلما كانوا بوادى السَّدر لقيت نفرأ من الحبشة
فرافقتهم فسألوها فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظراً شديداً ثم
نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه وإلى حُمْرة فى عينيه فقالوا . هل يشتكى عينيه .
قالت : لا . ولكن هذه الحمرة لا تفارقه قالوا هذا والله نبي ، فأنت به أمه ثم رجعت
به معها فمرت يوماً بذي الحجاز ^(٤) وبه عَرَاف يُوئى إليه بالصبيان ينظر إليهم .
فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الحمرة فى عينيه وإلى خاتم النبوة
صاح يامعشر العرب ، اقتلوا هذا الصبي ، فليقتلن أهل دينكم ، وليكسرن أصنامكم ،

(١) يقال واهق البعير ، البعير إذا مد كل واحد منهما عنقه فى السير يتباريان .

(٢) يقال ربضت الدابة تربض ربضاً وربوضاً بركت .

(٣) الحَبْط البشم والتخمة وفى الحديث « إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً

أو يلم » .

(٤) هو أحد أسواق العرب المشهورة التى هى عكاظ المجنة وذو الحجاز .

وليظهرن أمره عليكم ^(١) فانسلت به حليلة وكانت لاتعرضه لأحد من الناس ولقد نزل بهم عراف فأخرج إليه صبيان الحى فأبت حليلة أن تخرجه إلى أن غفلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الخيمة فجهد بهم العراف أن يخرجوه إليه فأبت فقال هذا نبي .

وأخرج ابن سعد والحسن بن الطراح في (كتاب الشواعر) عن زيد بن أسلم أن حليلة لما أخذت النبي صلى الله عليه وسلم قالت لها أمه : اعلمى أنك قد أخذت مولودا له شأن والله أحملته فما كنت أجد ما تجد النساء من الحمل ولقد أتيت ^(٢) فليل لي ستلدين غلاما فسميه أحمد وهو سيد العالمين ، ولقد وقع معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فخرجت حليلة إلى زوجها فأخبرته فسر بذلك وخرجوا على أئامهم منطلقا وعلى شارب فيهم قد درت باللبن فكانوا يحابون منها غبوقا ^(٣) وصبوحا ، قالت حليلة : وكنت لأزوي ابني ولا يدعنا ننام من الغرث فهو وأخوه يرويان ما أحبا وينامان ولو كان معهما ثالث لرؤى ، وأنت عرافا من هذيل فلما نظر إليه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتل أهل دينكم وليكسرن أمتكم وليظهرن أمره عليكم فانسلت به حليلة .

وأخرج ابن سعد وابن الطراح عن عيسى بن عبد الله بن مالك قال : جعل الشيخ الهذلي يصيح يالهذيل وأخته ، إن هذا لينتظر أمرا من السماء وجعله يغري ^(٤) بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم ينشب أن دله ^(٥) فذهب عقله حتى مات

(١) ما للعراف وما لهذا وإنما هي صفات كان يرمفها علماء أهل الكتاب من كتبهم وأما العرافون والسكهان فشأنهم غير ذلك . (٢) يعني في المنام .

(٣) القبوق ما يعلب في المساء والصبوح ما يعلب في الصباح .

(٤) يحمس القوم على قتله .

(٥) يقال دله بكسر العين يدله بفتحها دلهما ودلوها وتدله إذا ذهب قلبه من هم ونحوه أو تحير ودهش .

(١) كافرا

وأخرج ابن سعد وابن الطراح عن إسحاق بن عبد الله أن أم النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعته إلى السعدية التي أرضعته قالت لها : احفظي ابني وأخبرتها بما رأته فمر بها اليهود فقالت ألا تتحدثوني عن ابني هذا فإنني حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت أمه ، فقال بعضهم لبعض اقتلوه ، قالوا أيتيم هو ؟ قالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يقيمًا لقتلناه^(٢) .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر وابن الطراح من طريق عطاء ابن أبي رباح^(٣) عن ابن عباس قال « كانت حليلة لا تدعُ يذهب مكانًا بعيداً فغفلت عنه فخرج مع أخته الشَّيْءاء في الظَّهيرة إلى البُهْمَة فخرجت حليلة تطلبه حتى تجده مع أخته فقالت في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرّاً رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف ووقت وإذا سار سارت حتى انتهت إلى هذا الموضع قالت أحق يا بنية قالت أي والله .

وأخرج ابن سعد عن الزهري قال : قدم وفد هَوَازِن على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عمُّ له من الرضاة أبو ثَرْوَان ، فقال يارسول الله لقد رأيتك مُرَضَعاً فما رأيت مُرَضَعاً خيراً منك ورأيتك فطياً فما رأيت فطياً خيراً منك ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك وقد تكاملت فيك خلال الخير .

(١) ليت شعري من هو ذلك الشيخ الهذلي وما معنى أنه مات كافراً ؟ هل أدرك الإسلام ولم يسلم أو مات قبل البعثة ؟
فهل سأل رواة هذه الأخبار أنفسهم عما تثيره هذه الأخبار من تساؤلات وعما تتضمنه من متناقضات .

(٢) أين مر بها اليهود ؟ أي الطريق إلى البادية أم بعد أن بلغت الدار ؟ وطى كل حال فاليهود أذل وأحق من أن يقتلوا غلاماً من العرب في أرض العرب .

(٣) هو عطاء بن أسلم من ولد الجند وأمه سوداء تسمى بركة نشأ بمكة وعلم بها ثم صار عالماً ومفتياً وكان أسود أعور أفتطس أشل أعرج ثم عمى بعد ذلك ، مات سنة خمس عشرة ومائة .

فائدة

قال ابن الطراح : رأيت في كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمد بن محمد بن المَعْلَى الأزدِي أن من شعر حليلة مما كانت تُرَقِّص به النبي صلى الله عليه وسلم :
 يارب إذ أعطيته فأَبَقِه وأَعْلِه إلى العُلا وأَرْقِه
 وادحض أباطيل العِدَى بحقه ^(١)

وذكر ابن سُبُع في الخصائص أن حليلة قالت : كنت أعطيه الندى الأيمن فيشرب منه ثم أحوِّله إلى الندى الأيسر فيأبى أن يشرب منه ^(٢) . قال بعضهم : وذلك من عدله لأنه علم أن له شريكا في الرضاة .

ذكر المعجزات والخصائص في خلقه الشريف صلى الله عليه وسلم

باب ما جاء في خاتم النبوة

أخرج الشيخان عن السائب بن يزيد قال قتت خاف ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتمته بين كتفيه مثل زُرِّ الْحَجَلَةِ .
 وأخرج مسلم والبيهقي عن جابر بن سمرّة قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . وأخرجه الترمذى بإفظ حمراء مثل بيضة الحمامة .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن سَرْجَسٍ قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نفص كتفه اليسرى جُمعا عليه خِلَآن كما أمثال التأليل . النفص بضم النون وسكون الغين المعجمة وضاد معجمة فرع الكتف . والجمع بضم الجيم

(١) هذا البيت الأخير يشهد بأن هذا الشعر محدث مفتعل فما الذي كان يدري

حليلة أنه سيكون نبيا يبعث بالحق الذي يدحض أباطيل الخصوم ؟

(٢) هذا مخالف لما سبق من قول حليلة فبعثت به رحلى فأقبل عليه نديها

بما شاء من لبن .

الكتف إذا جمع خال وهي الشامات السود والثآليل جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد .

وأخرج أحمد والبيهقي عن قِرّة قال قلت يا رسول الله أرني الخاتم فقال أدخل يدك فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة .

وأخرج أحمد وابن سعد والبيهقي من طرق عن أبي رمثة قال انطلقت مع أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السلعة ^(١) بين كتفيه وفي لفظ لابن سعد : مثل التفاحة ، وفي لفظ لأحمد مثل بيضة الحمامة .

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي عن أبي سعيد قال : الختم الذي بين كفتي النبي صلى الله عليه وسلم لحمه ناتئة ^(٢) وأخرجه الترمذي بلفظ كان في ظهره بضعة ناشزة ، وأخرجه أحمد بلفظ لحم ناشز بين كتفيه .

وأخرج البيهقي عن سلمان الفارسي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتني إلى رداءه وقال انظر ^(٣) إلى ما أمرت به فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

وأخرج أحمد والبيهقي عن التَّنُوخِي رسول هرقل قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أخا تنوخ امض لما أمرت به فجلت في ظهره فإذا بخاتم في موضع عُضْرُوف في الكتف مثل المِحْجَمَةِ الضخمة » . قال ابن هشام يعني

(١) السلعة بفتح فسكون والسلعة بفتحعات والسلعة بكسر ففتح خراج في البدن أو زيادة فيه كالذرة بين الجلد واللحم .

(٢) خارجة بارزة .

(٣) الذي في حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه يدور خلفه يخجل أنه يريد شيئاً فأتى رداءه فلما رأى سلمان الخاتم أكب عليه يقبله ويبكيه ولكنه لم يقل له انظر .

أثر الحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا ^(١) .

وأخرج الترمذى والبيهقى عن على أنه قال فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين كتفيه خاتم النبوة ^(٢) .

وأخرج الترمذى عن أبى موسى قال : « خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة » .

وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه وأبو يعلى والطبرانى من طريق علباء بن أحر عن أبى زيد قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادن فامسح ظهرى فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم فقليل له ما الخاتم ؟ قال شعر مجتمع عند كتفه » ^(٣) :

وأخرج البيهقى عن سلمان قال : عند غضروف ^(٤) كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة لونها لون جلده .

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : أرَدَ فَنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فجعلت فمى على خاتم النبوة فجعل يَنْفَحُ على مِسْكَ .

وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن أبى زيد بن أخطب قال : رأيت الخاتم

(١) لا نعرف أن هرقل أرسل إلى النبى صلى الله عليه وسلم أحدا يستطلع له خبره ولكن الذى فى الصحيح أنه عليه السلام هو الذى بهت إليه بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام وأنه كاد أن يسلم لولا أنه خاف على ملكه .

(٢) الأحاديث فى وجود خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام صحيحة وهو أمر متفق عليه فكان ينبغى للمؤلف أن يجتزئ ببعضها بدلا من هذا التطويل .

(٣) ليست هذه الشعرات هى الخاتم ولكنها موجودة فيه وأما الخاتم فهو جضة من اللحم ناتئة مثل ندا زر الحجلة وبيضة الحمامة .

(٤) الغضروف كل عظم بين رخص كإرن الأنف والجمع غضاريف .

على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مُحَجَّمَةٌ نَاتئة . وفي لفظ : مثل إنسان مال عليه بظفره يعنى كأنه يحتم به .

وأخرج ابن عساكر والحاكم في تاريخ نيسابور عن ابن عمر قال : « كان خاتم النبوة على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب فيها باللحم محمد رسول الله » ^(١) .

وأخرج أبو نعيم عن سلمان قال : بين كتفيه بيضة كبيضة الحمامة عليها مكتوب : باطنها الله وحده لاشريك له محمد رسول الله ، وظاهرها توجه حيث شئت فإنك المنصور .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في المعرفة عن عبيد بن عمرو قال : كان خاتم النبوة على طرف كتفه الأيسر كأنه رُكْبَةٌ عَنَزَ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يرى الخاتم .

وأخرج ابن أبي خيثمة في تاريخه عن عائشة قالت : « كان خاتم النبوة كشامة سوداء تَضْرِبُ إلى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عُرْفُ الفرس » . قال العلماء اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كُلُّ شَيْءٍ بما سَمِعَ له ، فواحد قال كَزِرُ الحِجْلَةِ وهو بيض الطائر المعروف أوزر البُشْخَانَةِ ^(٢) وآخر كبيضة الحمامة وآخر كالتفاحة وآخر بَضْعَةٌ لحم ناشزة وآخر كالحجمة وآخر كركبة الغنز ، وكلها ألقاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ، ومن قال : شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه ، كما في الرواية الأخرى . قال القرطبي في (الْمُفْهِمِ)

(١) كل ما ورد من وجود كتابة في الخاتم أو غيره بلحم أو بشعر كذب موضوع .

(٢) الحجلة طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين وهو يعيش في الصرود العالية وهي أيضا ستر يضرب للمروس في جوف البيت .

دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذا قُلِّل قدر بيضة الحمامة وإذا كُبِّر جمع اليد . قال الشَّهْبَلِي : والصحيح أنه كان عند نُغْض كتفه الأيسر لأنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه دخوله . وقد اختلف العلماء هل ولد وهو به أو وضع بعد ولادته وتمسك القائلون بالثاني بما في حديث شداد بن أوس السابق في الرضاع وقد ورد أنه رفع عند وفاته كما سيأتي في الوفاة .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن مُنَبِّه قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى ، إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه .

باب المعجزة وألخصائص في عينيه الشريفتين

قال الله تعالى (مازاغ البصر وماطفى) ^(١) . وأخرج ابن عدى والبيهقي وابن عساكر عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما يرى في الضوء » ^(٢) .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء » .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هل

(١) الزيف الميل والطغيان مجاوزة الحد ، والمعنى كما قال ابن عباس . مذهب يميناً ولا شمالاً ومجاوز ما أمر به .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس وابن عدى عن عائشة وضعفه ابن دحية في كتاب (الآيات البينات) وقال البيهقي : ليس بقوى .

تروون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري» (١).

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي». وأخرج عبد الرزاق في جامعه والحاكم وأبو نعيم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني لأنظر إلى ما ورأى كما أنظر إلى ما بين يدي». وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري (٢) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني أراكم من وراء ظهري».

وأخرج الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره والبيهقي عن مجاهد في قوله (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه (٣). قال العلماء هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيه العادة، ثم يجوز أن يكون برؤية عينية انخرقت له فيه العادة أيضاً فكان يرى بهما من غير مقابلة لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها المقابلة عقلاً (٤) ولذا حكموا بجواز

(١) قيل إن ذلك مخصوص بحال الصلاة لأن الأحاديث الواردة فيه .

(٢) هو سعد بن مالك منسوب إلى خدرة وم باليمن وكان من حفاظ الصحابة توفي سنة أربع وسبعين .

(٣) هذا للمعنى بعيد عن مفهوم الآية فإن القلب ليس من معانيه الرؤية وقد تقدم الكلام على الآية .

(٤) بل الرؤية البصرية لا بد فيها من المقابلة وأن يكون الشيء المرئي في جهة من الرائي ولهذا لما نفى المعتزلة الجهة عن الله عز وجل نفوا رؤيته يوم القيامة ، وأما أهل السنة أعنى أهل الحديث والأثر ومعهم الأشعرى وقدماء أصحابه فإنهم يشبّهون الجهة ويشبّهون تبعاً لها الرؤية .

رؤية الله تعالى في الآخرة ، وقيل : كانت له صلى الله عليه وسلم عينٌ خلف ظهره يرى بها من ورائه دائماً^(١) . وقيل كان بين كتفيه عينان مثل سم^(٢) الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره .

باب

الآيات في فيه الشريف وريقه وأسنانه صلى الله عليه وسلم

وأخرج أحمد وابن ماجه والبيهقي وأبو نعيم عن وائل بن حجر قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بدلو ماء فشرب من الدلو ثم صبَّ في البئر أو قال ثم مَجَّ في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك^(٣) .

وأخرج أبو نعيم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم : بزق في بئر في داره فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها^(٤) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن رَزِينَةَ^(٥) مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله عليه وسلم يوم عاشوراء كان يدعو برُضْعائه ورُضْعَاء ابنته فاطمة فيتفل

= وأما المتأخرون من الأشعرية كإمام الحرمين والغزالي والرازي ، فإنهم لما نفوا الجهة تبعاً للمعتزلة حاروا في إثبات الرؤية فمنهم من قال : يرى من كل جهة ومنهم من أثبت نوعاً من الكشف ونفى الرؤية بالبصر الخ .

(١) هذا قول بعيد جداً ولو ثبت شيء من ذلك لتحدث به الواصفون له كما تحدثوا عن الخاتم وغيره .

(٢) هو ثقب الإبرة .

(٣) الذي في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء .

(٤) لانعلم أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم بئر في داره .

(٥) كانت مولاة لصفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين .

في أفواههم ويقول للأمهات : لا تُرَضِّعْنَهُمْ إلى الليل فكان ريقه يَجْزِيهِمْ .^(١)
وأخرج الطبراني عن عُمَيْرَةَ بنت مسعود أنها دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم هي وأخواتها يبابعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قَدِيدَةً^(٢) فمضغ لهن قديده
ثم ناولني القديده فمضغتها كل واحدة قطعة قطعه فَلَقَيْنَ الله وما وجد لأفواههن
خُلُوف .^(٣)

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة أن امرأة بَذِيَّة^(٤) اللسان جاءت إلى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديداً فقالت ألا تطعمني ؟ فناولها مما بين يديه
قالت لا إلا الذي في فيك فأخرجه فأعطاها فألقته في فمها فأكلته فلم يعلم من
تلك المرأة بعد ذلك الأمر الذي كانت عليه من البذاء والذَّرابه .^(٥)

وأخرج البيهقي من طريق عمر بن شَبَّة عن أبي عُبَيْد النخوي أن عامر بن
كَرْبُزٍ أتى بابنه عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فتفل في فيه
فكان لو قَدَحَ حجراً أمأهه يعني يخرج من الحجر الماء من بركته .

وأخرج البيهقي عن محمد بن ثابت^(٦) بن قيس بن شماس أن أباه فارق جميلة
بنت عبد الله بن أبي^(٧) وهي حامل بمحمد فلما ولده حلفت أن لا تلبنه من لبنها .

(١) لم يصح في عاشوراء حديث إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم صامه وأمر
بصيامه .

(٢) القديده ما يقدد من اللحم أى يحفف في الشمس .

(٣) هو تغير رائحة الفم من الجوع وفي الصحيح « خلوف فم الصائم أطيب
عند الله من ريح المسك » .

(٤) من البذاءة وهو سلاطة اللسان وفحشه .

(٥) يقال لسان ذرب أى فصيح أو فاحش .

(٦) هو خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المبشرين بالجنة والشهادة .

(٧) كان سيد الخزرج في الجاهلية وهو رأس المنافقين بالمدينة وابنه عبد الله

صحابي جليل .

فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبزق في فيه وقال اختلف^(١) به فإن الله رازقه فأتيته به اليوم الأول والثاني والثالث ، فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس فقلت لها ماتريدن ؟ قالت رأيت في منامي هذه الليلة كأنى أرضع ابنا له يقال له محمد ؟ قال : فأنا ثابت وهذا ابني محمد .

وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر قال : « بينا الحسن^(٢) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمأه فطلب له النبي صلى الله عليه وسلم ماء فلم يجد فأعطاه لسانه فمصّه حتى روى » .

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع صوت الحسن والحسين يبكيان وهما مع أمهما فأسرع السير حتى أتاهما فسمعتة يقول ما شأن ابني ؟ فقالت : العطش ، فطلب الماء فلم يجد أحد قطرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني أحدهما فناولته إياه من تحت الخدّر فأخذه فضمه إلى صدره وهو يصفو^(٣) ما يسكت فأدّلع له لسانه^(٤) فجعل يمصه حتى هدأ وسكن فلم أسمع له بكاء والآخر يبكي كما هو ما يسكت فقال : ناوليني الآخر فناولته إياه ففعل به كذلك ، فسكتا فما سُمع لهما صوتا » .

وأخرج الدارمي والترمذي في الشمائل والبيهقي والطبراني في الأوسط وابن

(١) أى إئت به مرة بعد مرة

(٢) هو الحسن بن على وهو وأخوه الحسين سيدا شباب أهل الجنة وقد تنازلا عن الخلافة لمعاوية حقنا لدماء المسلمين .

وفي الحديث « إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين متقاتلتين من المسلمين »

(٣) يقال ضغفا يضغفو وضغفا إذا صاح .

(٤) أى أخرجه واندلع اللسان خرج

عساكر عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفدج^(١) الثنيتين إذا تكلم روى كالنور يخرج من بين ثناياه »^(٢).

وأخرج الطبراني عن أبي قرصة قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى ، فلما رجعنا قالت لى أمى وخالتى : يا بنى ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً ورأينا كأن النور يخرج من فيه » .

باب الآية فى وجه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عساكر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جاءنى جبريل فقال : إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك حبيبي إني كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت حسن وجهك من نور عرشى » . قال ابن عساكر فى سنده مجهول والحديث منكر^(٣).

وأخرج ابن عساكر عن عائشة قالت : « كنت أخيط فى السحر فسقطت منى الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فأخبرته فقال : يا حبيراء الويل ثم الويل ثلاثاً لمن حرم النظر إلى وجهي »^(٤).

(١) الفلج تفرج ما بين الأسنان وهو من صفات الجمال .

(٢) هى أسنان مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل .

(٣) وناهيك بمحدث يحكم عليه ابن عساكر بالنكارة وقد علمت حال ما يرويه .

والحديث رواه الخطيب عن جابر مرفوعاً . قال الشوكاني هو موضوع .

(٤) هذا الحديث أشد نكارة من سابقه فما لابن عساكر قد سكت عنه وإبته

شعرى لقد رآه أبو جهل وغيره من المشركين ورآه ابن أبى ، وصلى معه فما أغنى عنهم ذلك وآمن به كثير ولم يروه فلم يضرهم .

باب الآفة في إبطه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن أنس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى يُرى بياضُ إبطيه » ^(١).

وأخرج ابن سعد عن جابر قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد يُرى بياضُ إبطيه » ^(٢). وقد ورد ذكر بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة . قال الحب الطبري : من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره . وذكر القرطبي مثل ذلك وزاد وأنه لا شعر فيه .

باب الآفة في لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج أبو أحمد الغطريف في جزئه وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن بُرَيْدَةَ عن عمر بن الخطاب قول : « قلت يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : « كانت لغة إسماعيل عليه السلام قد درست فجاء بها جبرئيل فحفظنها » ^(٣) . وفي بعض طرقه عن بُرَيْدَةَ قال سمعت عمر بن الخطاب يقول يا رسول الله الخ فجعله في مُسْنَدٍ بريدة .

(١) لعل ذلك في الاستسقاء فإنه كان يباليغ في رفع يديه فيه ما لا يبالغ في غيره .

(٢) لأنه كان يرفع ذراعيه عن الأرض جدا حتى لو أرادت بهمة أن تمر من تحت ذراعه لفعلت .

(٣) لغة إسماعيل هي العربية وكان العرب قبيل البعثة قد بلغوا في الفصاحة شأوا بعيدا ، وكانت لهم أسواق يقاربون فيها في الخطابة وإنشاد الشعر مثل عكاظ وذى الحجاز ، ولهذا جعلت معجزته من جلس ما برع فيه قومه فكيف يصح القول بأن لغة إسماعيل اندرست فالواقع خير شاهد على هذا الحديث بالوضع .

وأخرج البيهقي في (شُعَبِ الإيمان) وابن أبي الدنيا في (كتاب المطر)
 وابن أبي حاتم والخطيب^(١) في (كتاب النجوم) وابن عساكر عن محمد بن
 إبراهيم التيمي قال: قالوا يارسول الله مارأينا الذي هو أفصح منك قال:
 «ما يمنعني؟ وإنما أنزل القرآن بلساني بلسان عربي مبين».

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده
 قال: «قال رجل يارسول الله أيدالك الرجل امرأته؟ قال: نعم إذا كان مُلفحاً^(٢)
 فقال له أبو بكر يارسول الله ما قال لك وما قلت له؟ قال إنه قال أياطل الرجل
 أهله؟ قلت له نعم إذا كان مفلساً قال أبو بكر: يارسول الله لقد طفت في العرب
 وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك؟ قال أدبني ربي^(٣) ونشأت في بني سعد
 ابن بكر».

وأخرج ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي قال: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «أنا أعزُّ بكمُ أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر».
 وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم «أنا أعزب العرب ولدت في قريش، ونشأت في بني سعد، فأني يأتيني
 اللحن؟».

باب ما جاء في نلبه الشريف صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) أخرج البيهقي من طريق إبراهيم

(١) هو غفر الدين الرازي ألف كتاباً سماه «السر للكتوم في مخاطبة النجوم»
 فيه توسلات شركية على طريقة الصابئة، ويقال إنه تاب منه فأنه أعلم
 (٢) لعلها مفلجاً
 (٣) قال الشوكاني في اللغات: لا يعرف له إسناد ثابت

ابن طهمان قال سألت سعداً عن قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) فحدثني به عن قتادة عن أنس « قال شُقَّ بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستُخرج منه قلبه ففُصِّل في طُست من ذهب ثم ملئ إيماناً وحكمة ثم أعيد مكانه ^(١) » .

وأخرج أحمد ومسلم عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرئيل ذات يوم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ^(٢) فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه عاة ^(٣) فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده في مكانه وجعل الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا : إن محمداً قد قتل فجاءوا وهو منتقع اللون » . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر الخيط في صدره ^(٤) .

وأخرج أحمد والدارمي والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني وأبو نعيم عن عتبة بن عبد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت : يا أخي اذهب فاتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل إلي طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا بيئدراني فأخذاني

(١) شق الصدر ثابت بالأحاديث الصحيحة فلا مبرية فيه ، ولكن للاراد من الآية مواله أعلم ليس ذلك الشق الحمى بل اتساع صدره عليه السلام ورحابته وعدم ضيقه وبورمه بما كان يلقاه من أذى قومه في سبيل الدعوة إلى الله ، ويجوز أن يراد من الآية الأمران معا .

(٢) يعني أضجعه اضجاعاً رقيقاً كما ورد في الروايات الأخرى لأنه أخذه بعنف وشدة .

(٣) هي الطور الثاني من أطوار خلق الجنين حين يكون قطعة متجمدة من الدم .

(٤) قدمنا الكلام في حادثة شق الصدر والذي ورد عن أنس في الصحيحين وغيرهما أن ذلك كان ليلة الإسراء كما سيأتي .

فببطحاني لِقَفًا فَشَقَّ بطنِي ثم استخرجا قلبي، فشقاه فأخرجا منه عََلَقَتَيْنِ سوداوين
فقال أحدهما لصاحبه : إيتني بماء ثلج ففسلا به جوفِي ثم قال إيتني بماء برد
ففسلا به قلبي ، ثم قال إيتني بالسكينة فَذَرَّاهَا فِي قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه
حصه^(١) فخاصه وختم عليه بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كِفَّةٍ
واجعل أَلَفًا من أمته في كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق أَشْفِقُ أن يخر علي
بعضهم ، فقالا : لو أن أمته وُزِنَتْ به لمال بهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت^(٢)
فرقًا شديدًا ، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت وأشفقت أن يكون
قد التبس فقلت أعيذك بالله وَرَحَّلْتُ بغيراً لها فجعلتني على الرحل وركنت
خلفي حتى بلغنا أمي فقلت أدبت أمانتي وذمتي وَحَدَّثْتَهَا بالذي لقيت فلم يرُعَهَا
ذلك وقالت : إني رأيت أنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام .

وأخرج البيهقي عن يحيى بن جَعْدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن ملكين جاءاني في صورة كَرَكَيْنِ^(٣) معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح
أحدهما صدرى ومج الآخر بمنقاره فيه ففسله . »

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن حَبَّانَ والحاكم وأبو نعيم
وابن عساكر والضياء (في المختارة) من طريق معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي
ابن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب أن أباه ريرة قال : « يارسول الله
ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟ قال : إني لفي صحراء أمشي ابن عشر
حِجَجٍ إذ أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال : نعم فأخذاني
فلصقاني لِجَلَاوَةِ القفا^(٤) ثم شقا بطني فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من

(١) لعلها خطئة من الحياطة .

(٢) فرعت من الفرق بفتح الفاء والراء بمعنى الرعب والفرع .

(٣) تنثية كركي وهو طائر معروف والجمع كركاكي .

(٤) لوسط القفا .

ذهب والآخر يغسل جوفى . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ، فإذا صدرى فيما أرى مفلوقاً لأجد له وجعاً ، ثم قال : اشتق قلبه فشق قلبى ، فقال : أخرج الغل والحسد منه ، فأخرج منه شبه العلقة فنبذ به ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة فى قلبه ، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة ثم أخرج ذروراً كان معه فذرّه عليه ثم نقر إبهامى ثم قال : اغدُ ، فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى على الكبير . قال أبو نعيم : تفرد به معاذ^(١) عن آبائه وتفرد بذكر السن .

وأخرج الدارمى والبخارى وأبو نعيم وابن عساكر عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله : كيف علمت أنك نبي وبما^(٢) علمت حتى استيقنت^(٣) ؟ قال : « أتانى آتيان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض . فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم هو هو : قال فزنه برجل فوزنتى برجل فرجحته ، قال : زنه بعشرة فوزنتى فرجحتهم قال زنه بمائة فوزنتى فرجحتهم ، قال زنه بألف فوزنتى فرجحتهم ثم جعلوا يتساقطون على من كفة الميزان ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فأخرج منه مغمز الشيطان وعالق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسلاً الإناء واغسل قلبه غسلاً الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خطب بطنه نخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وولّياً عني وكأنى أرى الأمر مُعَايَنَةً . »

وأخرج أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حابس قال : قال رسول الله

(١) ومعاذ هذا قال عنه الدارقطى أنه مجهول .

(٢) الصحيح (وبم) بدرن ألف لأن ما الاستفهامية إذا جرت حذف منها الألف لفرق بينها وبين الموصولة .

(٣) لا يعقل صدور هذا السؤال عن أبي ذر .

والرسول عليه السلام لا يعلم أنه نبي قبل نزول الملك عليه بحراء ، كما قال تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب الإيمان) .

صلى الله عليه وسلم : « أتاني ملك بطست من ذهب فشق بطني فاستخرج حشوة جوفى فغسلها ثم ذر عليه ذروراً ثم قال قَلْبٌ وَكِيعٌ يَعْبَى مَا وَقَعَ فِيهِ عَيْنَاكَ بصيرتان وأذنك تسمعان وأنت محمد رسول الله الْمُتَقَى ^(١) الحاشر ^(٢) قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قِيمٌ أَنْتَ قِيمٌ ^(٣) » .

وأخرج الدارمي وابن عساكر عن ابن غنم قال أنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق بطنه ثم قال جبرئيل قلب وكيع فيه أذان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المتقى الحاشر خلقك قيم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

وأخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت وأنا في أهلي فانطلق بي إلى زمزم فشرح صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئاً إيماناً وحكمة فغشي بها صدري » وقال أنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا أثره فعرج بي الملك إلى سماء الدنيا وذكر حديث المعراج ^(٤) . قال البيهقي يحتمل أن شق الصدر كان مرات ، مرة عند مرضعته حليلة ومرة عند المبعث ومرة ليلة المعراج . قلت قد تقدم في الرضاع شق صدره من

(١) المتقى اسم مفعول من قولهم قفاه به إذا أتبعه إياه وسمى نبينا صلى الله عليه وسلم بالمتقى لأن الله عز وجل قفاه به الرسل أى بعثه على أثرهم .

(٢) ومعنى الحاشر الذى يحشر الناس على قدمه كما ورد في الحديث .

(٣) معنى قِيم المعطى بكثرة وهو معدول عن قائم وهذا حديث مرسل تلوح عليه أمارات الوضع فلا يعقل أن يخاطبه الملك بوصف الرسالة قبل أن ينزل عليه الوحي .

(٤) المعراج هو آلة العروج والواجب هو الإيمان به لورود الخير دون المبعث في كيبهته .

عدة طرق^(١) وسيأتى فى أحاديث المبعث وأحاديث الإسراء ذلك أيضاً والتحقيق فى الجمع بينها الحمل على التعدد ووقوع ذلك ثلاث مرات ، ومن صرح بوقوعه مرتين السهيلي وابن دحية وابن المنير ومن صرح بالثلاث ابن حجر^(٢) وأبدي لذلك معنى لطيفاً وهو المبالغة فى الإسباغ والتطهير بالتثليث كما هو فى شرعه صلى الله عليه وسلم فى الطهارة واختصت الأوقات الثلاث بذلك لينشأ من الطفولية على أكل الأحوال من العصمة من الشيطان وليلتقى عند البعث ما يوحى إليه بقلب قوى وليتأهب عند الإسراء للمناجاة ، وقد اختلف هل شق الصدر وغسله مخصوص به أو وقع لغيره من الأنبياء ؟ قال ابن المنير : شق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق^(٣) وأجل لأن تلك معاريض وهذه حقيقة ، وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله صلى الله عليه وسلم .

باب

الآية فى حفظه صلى الله عليه وسلم من التثاؤب

أخرج البخارى فى التاريخ وابن أبى شيبة فى المصنف وابن سعد عن يزيد ابن الأصم قال « ما تثاؤب النبى صلى الله عليه وسلم قط » .

(١) قد علمت حال هذه الطرق .

(٢) هو الحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب كتاب فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للذى يعتبر قاموس السنة .

(٣) هذا غير صحيح فإنه لم يجد لشق الما إلا أنه رجع منه ولم يرد من ذلك الابتلاء وإنما أريد التطهير والانتقاء أما الذبح فكان ابتلاء شديداً للوالد والولد على السواء ولهذا قال عنه القرآن (إن هذا لهو البلاء المبين) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن مسleme بن عبد الملك بن مروان قال « ما تشاء »^(١) .

باب

الآية في سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج الترمذى وابن ماجه وأبو نعيم عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أرى ملا ترون وأسمع ملا تسمعون أطث^(٢) السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله » .
وأخرج أبو نعيم عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ قال لهم لا تسمعون ما أسمع^(٣) ؟ قلوا : ما نسمع من شيء قال إني لأسمع أطيظ السماء وما تلام أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » .

باب

الآية في صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوت غيره .

أخرج البيهقي وأبو نعيم عن البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في خلدورهن^(٤) .

وأخرج أبو نعيم عن بُرَيْدَةَ قَالَتْ قَالَ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَاشِم

(١) لو صحت هذه الآثار فالعلة في نفى التناؤب عن الأنبياء أنه علامة الكسل والفتور وهو من الشيطان كما ورد في الحديث وليس للشيطان سلطان على الأنبياء .
(٢) يقال أط الرجل يئط أطيظا إذا صوت من تقل الراكب والمراد أن السماء قد ازدحمت بمن فيها من الملائكة حتى صار لها أطيظ كأطيظ الرجل .

(٣) الكلام هنا على الاستفهام والتقدير أسمعون ؟

(٤) جاء في الصحيح عن جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب على صوته واشتد غضبه كأن منذر جيئ يهولك : صبحكم ومساكم » .

«انفتل^(١) فنأدى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور

وأخرج أبو نعيم عن أبي بركة قال « خرج علينا رسول الله عليه وسلم بالهاجرة العليا فخطبنا بصوت يسمع العواتق في خدورهن »^(٢).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس « اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة^(٣) وهو في بني غنم فجلس في مكانه » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا وفي لفظ ففتح الله أَسْمَاعُنَا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا^(٤) .

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي^(٥) .

باب الآية في عقله صلى الله عليه وسلم

أخرج أبو نعيم في (الحلية) وابن عساكر ، عن وهب بن منبه قال قرأت أحداً وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضاءها من العقل في جنب عقل محمد صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من

(١) يعني انصرف من الصلاة .

(٢) الظاهر أن هذا الخروج كان لصلاة الجمعة لأنها تصلى بالهاجرة أي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) أنصاري خزرجي وأحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم قتل في غزوة مؤتة :

(٤) كانت خطبته عليه السلام يوم النحر بمنى في حجة الوداع وصية جامعة «وتأكيذاً للمعقوق التي قررها الإسلام .

(٥) يعني سطح بيتها .

بين جميع رمال الدنيا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أرحم الناس عقلاً وأرحمهم رأياً»^(١) .

باب الآية في عرقه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج مسلم عن أنس قال : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال^(٢) «عندنا فعرق ، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تَسْلُبُ^(٣) العرق فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : عرق نجعله لطينا وهو أطيب الطيب » .

وأخرج من وجه آخر عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي أم سليم فيقبل عندها فتبسط له نطعاً فيقبل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال يا أم سليم ما هذا قالت عرقك أدوف^(٤) به طيبى » .
وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن سيرين عن أم سلمة قالت « كان رسول الله عليه وسلم يَقبِلُ عندي على نطع فإذا عرق أخذت سكا^(٥) فمجنته بعرقه .

وأخرج الدارمي والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال (كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه

(١) لا شك أنه صلى الله عليه وسلم أوفر الناس عقلاً وأرشدهم رأياً ولكن ما يزعم وهب أنه قراء في واحد وسبعين كتاباً مبالغة غير مقبولة لا سيما وفي الناس رسل وأنبياء وهبوا من العقل والدكاء ما يتناسب مع مناصبهم الشريفة .

(٢) هو من القيلولة وهى النوم وقت الظهيرة .

(٣) يعنى بيدها سيدها أو بخرقه ثم تعصره في القارورة .

(٤) يعنى أخلطه به وأذيبه فيه .

(٥) هو نوع من الطيب .

قد سلكه من طيب عرقه أو عرقه^(١) ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له .
وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أنس قال « كنا نعرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه » .

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب . وقالوا : مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق .

وأخرج الدارمي عن إبراهيم^(٢) النخعي قال « كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعرف بالليل بريح الطيب » .

وأخرج الخطيب وابن عساكر وأبو نعيم والديلمي من طريقين عن محمد
ابن إسماعيل البخاري ثنا عمرو بن محمد بن جعفر ثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ثنا
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت « كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه
وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فَبُهِتُ^(٣) فقال مالك
بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولورأك أبو كبير
الهدلى لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول :

ومبرأ من كل غُبْرٍ^(٤) حيضة وفساد مُرْضعة وداء مُغِيلٍ^(٥)

(١) الظاهر أن أو هنا شك من الراوى والعرف هو الرائحة مطلقا ولكن
أكثر استعماله في اللطيفة .

(٢) تابعي جليل وهو من مولى النخع من البين رهط علقة والأسود مات سنة
ست وتسعين عن ست وأربعين سنة وصلى عليه عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد .
(٣) أى تحيرت ردهشت .

(٤) والغبر البقية من الشيء والجمع غبرات .

(٥) يقال غالت المرأة ولدها تغيل غيلا وأغالته إغالة فهي غائل ومغيل ومغيل
إذا أرضعته ابنها وهي حامل . وفي الحديث « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة » .

وإذا نظرت إلى أُسْرَةٍ^(١) وجهه بُرُقت بروق العارض التَّهَالُ^(٢)
 فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام إلى فقبل ما بين
 عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا فما أذكر أني سررت كسروري بكلامك». قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي لا أعلم أن أبا عبيدة حدث عن هشام بن عروة
 شيئا قال لكن الحديث حسن عندي حين صار مخرجه محمد بن إسماعيل البخاري.
 وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أحسن الناس وجهاً وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمريَّة
 البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر».

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عساكر عن أبي هريرة قال
 «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني زوجت ابنتي
 وأحب أن تعينني قال ما عندي شيء ولكن إيتني بقارورة واسعة الرأس وعود
 شجرة فأتاه بهما فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسلم العرق من ذراعيه حتى
 امتلأت القارورة قال فخذها ومُر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة
 وتطيب به فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسَمُّوا
 بيتَ الْمُطَيِّبِينَ»^(٣).

وأخرج الدارمي عن رجل من بني حريش قال كنت مع أبي حين رجم

(١) الأسرة والأسارير محاسن الوجه.

(٢) يعني لمعت لمعان السحاب المتلألئ.

(٣) قال الشوكاني في الفوائد : رواه الخطيب عن أبي هريرة مرفوعا

وهو موضوع.

وقال المؤلف في اللالي، موضوع آفته حليس . قلت هذا منكر جدا وحليس
 قال ابن عدي منكر الحديث . وقال الدارقطني : متروك .

النبي صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك فلما أخذته الحجارة أرعبت فضمنى النبي صلى الله عليه وسلم إليه فسال على من عرق إبطه مثل ريح المسك ، وأخرجه عبدان في الصحابة فقال عن : حُرَيْش .

وأخرج البزار عن معاذ بن جبل قال « كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادن مني فدنوت منه فما شمت مسكا ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

باب الآية في طوله صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن خيثمة في تاريخه والبيهقي وابن عساكر عن عائشة قالت « لم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربة ^(١) إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طأله ^(٢) رسول الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربة » . وذكر ابن سبع في الخصائص ذلك وزاد . أنه كان ، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين .

باب الآية في أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى له ظل

أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل في شمس ولا قمر قال ابن سبع من خصائصه أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان نوراً إذا مشى في الشمس أو القمر لا ينظر له ظل ^(٣) . قال بعضهم :

(١) يقال رجل ربع بفتح فسكون وربع بفتحتين وربعة أيضاً إذا كان بين الطويل والقصير وفي وصف أم معبد في حديث الهجرة « لا تقنعه عين من قصر ولا تمنؤه من طول » .

(٢) أي ساواه في الطول أو صار أطول منه .

(٣) لم ترد هذه الخصوصية في شيء من الصحيح ولا نظنها صحيحة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان جسداً يأكل ويشرب وله صفات الأجساد ، وإذا فرض أنه لم يكن لجسده ظل فما بال ثيابه ؟ أم إنه كان يمشى عارياً حتى لا يرى له ظل .

ويشهد له حديث قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه « واجعلني نورا » .

باب

ذكر القاضي عياض في الشفاء والعز في مؤلده : أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينزل عليه الذباب وذكره ابن سبع في الخصائص بلفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط وزاد أن من خصائصه أن القمل لم يكن يؤذيه .

باب الآية في شعره الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد ^(٢) فقد قَانَسُوهُ له يوم الْيَوْمُوك فطلبها حتى وجدها وقال « اعتمر ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رُزِقْتُ النصر » .

(١) كلام لا إسناد له ولا دليل عليه ولو صح هذا لكان . من الشهرة بحيث لا يخفى على كل من رآه .

(٢) هو سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أسلم سنة ثمان هو وعمر بن الخطاب وعتبان بن طلحة ومات سنة إحدى وعشرين بالمدينة وقيل بمصر . وكان خالد يقول « لقد شهدت كذا وكذا زحفاً فما في يدي موضع ألا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

(٣) لم يمين خالد هذه العمرة واسكنها ليست عمرة القضاء قطعاً لأن خالد لم يكن أسلم بعد . وليست كذلك العمرة التي اعتمرها من الجمرات بعد غزوة حنين فإنها كانت ليلاً ولم يشهد بها أحد معه فلم يلحقها العمرة في حجة الوداع مع أن المعروف أنه في هذه المرة أعطى شق شعره الأيمن لأبي طلحة وأمره أن يوزع على الناس الشق الآخر .

باب الآية في دمه صلى الله عليه وسلم

أخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن الزبير أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فشربه فلما رجع قال : يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته في أخفى مكان علمت أنه مخفى عن الناس قال لعائش شربته ؟ قلت نعم قال : ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم .

باب الآية في قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم

أخرج البيهقى عن أبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا وطئ بكاهم ليس له إخصص» .

وأخرج ابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا إخصص له يطأ على قدمه كلها » .

وأخرج البيهقى عن جابر بن سمرة قال « كانت خنصر رسول الله صلى الله وسلم من رجله متظاهرة » .

وأخرج أحمد عن ابن عباس « أن قريشاً أتوا كاهنة فقالوا لها : أخبرينا بأقربنا شياً بصاحب هذا المقام ^(١) : فقالت إن أنتم جررتم كساء على هذه السهلة ثم مشيتم عليها أنباتكم فجرحوا ثم مشى الناس عليها فأبصرت أثر محمد صلى الله

(١) يعنون إبراهيم الخليل عليه السلام والمراد بالمقام الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء الكعبة وقد أثر فيه قدماء قال تعالى (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وعن عمر أنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مقام أيننا أفلا نتخذة مصلى ؟ فنزل قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

عليه وسلم فقالت هذا أقربكم شبيها به فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو قريبا من عشرين سنة ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب الآية في مشيه صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فكنيت إذا مشيت سبقتني فالتفت إلى رجل جنبي فقلت تطوى لله الأرض وخليل الله إبراهيم ^(١) » .

وأخرج ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه » .

باب الآية في نومه صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن عائشة قالت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال « يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنام عيني ولا ينام قلبي » .

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) .

وأخرج ابن سعد عن عطاء عن النبي صل الله عليه وسلم قال « إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا » .

(١) الظاهر أن الواو هنا واو القسم ولا ندرى كيف أقسم أبو هريرة بالخلق مع نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وتسميته إياه شركا ومع قول أبي هريرة « لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا ولعل هذا مما يرشح أن يكون هذا الأثر موضوعا » .

وأخرج عن الحسن مرفوعاً « تنام عيناي ولا ينام قلبي » .
وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان .
تنام عيناه ولا ينام قلبه » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال ^(١) « حضرت عصابة من اليهود يوماً
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم أنشدكم بالله الذي نزل التوراة على موسى
هل تعلمون أن هذا النبي ^(٢) تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم أشهد » .
وأخرج الحاكم وصححه عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام
عينه ولا ينام قلبه » ^(٣) .

باب الآية في جماعه صلى الله عليه وسلم

أخرج البخاري من طريق قتادة عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم
يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة .
قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين » .

وأخرج ابن سعد عن سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت -
« طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلة » ^(٤) .

وأخرج ابن سعد أنا عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان بن
سليم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبرئيل بقدر فأكلت منها »

(١) يعني أسألكم ومنه نشدان الضالة بمعنى طلبها والسؤال عنها .

(٢) يعني الموجود عندهم نعته .

(٣) كان أولى به أن يكتب في بمارواه الشيخان بدلاً من هذا التطويل .

(٤) وورد في الصحيح عن أبي رافع : أنه طاف على نسائه يوماً واغتسل عند

كل واحدة منهن فقال له أبو رافع : كان يكفيك غسل واحد قال هذا طاهر وأطيب ..

فأعطيت قوة أربعين رجلا في الجماع»^(١) .

وأخرج ابن عدى من طريق سَلَام بن سليمان عن نَهْشَل عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعا مثله والطريق الأولى جَيِّدَةٌ على إرسالها بخلاف هذه فإنها واهية . وقال ابن سعد أنا الواقدي حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت من أَقَلِّ الناس في الجماع حتى أنزل الله عليَّ السَّكْفِيَّتَ »^(٢) فما أريده من ساعة إلا وجدته وهو قد رُفِئَ فيها لحم ، وقال أنا الواقدي ، حدثنا ابن أبي سُهْرَةَ وعبد الله بن جعفر عن صالح بن كيسان مثله . وقال أنا الواقدي ، حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت كَأَنِّي أُتِيتُ بِتَدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا حَتَّى تَضَعْتُ فَمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ النِّسَاءُ أَى سَاعَةٍ إِلَّا فَعَلْتُ مِنْذُ أَكَلْتُ مِنْهَا »^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن مجاهد وطاوس قالا « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا في الجماع » .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن مجاهد قال « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة بضع وأربعين رجلا كل رجل من أهل الجنة » .

وأخرج عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت قوة أربعين رجلا في البطش والنكاح » .

(١) كل حديث فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بتدْرٍ أو بهرسة أو بقطف من قطف الجنة فهو موضوع لا يصح وقوته عليه السلام على الجماع أو الصراع لا تحتاج إلى أكلة يأتيه بها جبريل وإياها هو شيء في أصل خلقته وتكوينه بفضل الله عز وجل .

(٢) السَّكْفِيَّتُ يطلق على الجراب وعلى ما يحمل فيه من الطعام .

(٣) ظاهر قوله : رأيت كَأَنِّي أُتِيتُ أَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنْهَا وَأَنْتَ تَعْرِفُ حَالَهُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ فَلَا تَزِيدُكَ بِهَا بَصِيرَةً .

وأخرج الطبراني والإسماعيلي في معجمه وابن عساكر عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش » ^(١) .

باب الآفة في حفظه صلى عليه وسلم من الاحتلام

أخرج الطبراني من طريق عكرمة عن أنس ابن عباس والديفوري في (المجالسة) من طريق مجاهد عن ابن عباس قال « ما احتمل نبي قط وإنما الاحتلام من الشيطان » ^(٢) .

باب المعجزة في بوله وغائطه صلى الله عليه وسلم

أخرج البيهقي من طريق حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الغائط دخلت في إثره فلا أرى شيئاً إلا كنتُ أشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال : أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شيء ابتلعت الأرض ؟ » . قال البيهقي هذا الحديث من موضوعات ابن علوان ، قلت : كلا ليس كما قال فإن الحديث له . طريق آخر ^(٣) . عن عائشة قال ابن سعد أخبرنا إسماعيل بن أبان الوراق حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن زاذان ^(٤) عن أم سعد

(١) لا شك أن فضله على الناس لا يختص بهذه الأربع بل هو أفضل من كل أحد في كل خلق كريم .

(٢) المراد من الاحتلام الجنابة في النوم .

(٣) عجبا للسيوطي يتعمس لتصحیح هذا الخبر العجيب ويسارع إلى تخطئة البيهقي ويأخذ في سرد طرق ليست بأحسن منه حالا ونسى أن الكذب لا يجدي فيه العلاج .

(٤) قال البخاري : لا يكتب حديثه . وقال الترمذي : منكر الحديث . وقال الدارقطني : ضعيف .

عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله تأتي الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى . قال « أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ولا يرى منه شيء » ، أخرجه أبو نعيم من هذا الطريق ، وله طريق ثالث ، قال أبو نعيم حدثنا محمد ابن إبراهيم حدثنا علي بن أحمد بن سليمان المصري حدثنا زكريا بن يحيى البلخي حدثنا شهاب بن معمر العوفي حدثنا عبد الكريم الخزاز^(١) حدثنا أبو عبد الله المدني عن ليلى مولاة عائشة قالت « قلت يا رسول الله إنك تدخل الخلاء فإذا خرجت دخلت إترك » فما أرى شيئاً إلا أنى أجد رائحة المسك قال إنا معشر الأنبياء تنبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة فما خرج منها من شيء ابتلعت الأرض » وله طريق رابع ، قال الحاكم في (المستدرک) أخبرني مخلد بن جعفر حدثنا محمد بن جرير^(٢) حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا المنهال بن عبيد الله عن ذكره عن ليلى مولاة عائشة عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته فدخلت فلم أر شيئاً ووجدت ريح المسك فقلت يا رسول الله إني لم أر شيئاً قال إن الأرض أمرت أن تكفّته منّا معاشر الأنبياء ، وله طريق خامس ، قال الدارقطني في (الأفراد) حدثنا محمد بن سليمان الباهلي حدثنا محمد بن حسان الأموي^(٣) حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إني أراك تدخل الخلاء ثم يحجى الذى بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثر فقال « يا عائشة أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، هذا الطريق أقوى طرق الحديث قال ابن دحية في الخصائص بعد إيراده هذا سند ثابت محمد بن

(١) قال الأزدى : واهى الحديث جداً .

(٢) رافضى خبيث رماه بالرفض عبد العزيز السكتاني .

(٣) قال ابن الجوزى : فى الأحاديث الواهية : ابن حسان كذاب .

حسان بَعْدَ اِدَى ثِقَةٍ صَالِحٍ ، وَعَبْدَةُ مِنْ رِجَالِ الشَّيْخِينَ ، وَلَهُ طَرِيقٌ سَادِسٌ مُرْسَلٌ -
أَخْرَجَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسٍ الزَّعْفَرَانِي (١) عَنْ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ ذَكْوَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمْ يَكُنْ يُرَى لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ ، وَلَا أَثَرُ قَضَاءٍ حَاجَةٍ ، وَلَهُ طَرِيقٌ سَابِعٌ ،
يَأْتِي فِي بَابِ وَفْدِ الْجَنِّ .

باب الاستشفاء ببوله صلى الله عليه وسلم

أَخْرَجَ الْحَسَنُ بْنُ سُوْفْيَانَ فِي مَسْنَدِهِ وَأَبُو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَالدَّارِقُطْنِيُّ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ
عَنْ أُمِّ أَيُّبْنَ قَالَتْ : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ
الْبَيْتِ فَبَالَ فِيهَا ، فَقَمَتَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ
أَخْبَرْتُهُ فَضَحَكَ وَقَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَشْتَكِي بَطْنَكَ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا أَبَدًا (٢) .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَبُولُ فِي قَدَحٍ مِنْ عِيدَانٍ ثُمَّ يَوْضَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ ، فَجَاءَ فَإِذَا الْقَدَحُ
لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، فَقَالَ لَامْرَأَةٍ يَقَالُ لَهَا بَرَكَةٌ ، كَانَتْ تَخْدُمُ أُمَّ حَبِيبَةَ جَاءَتْ مَعَهَا مِنْ
أَرْضِ الْحَبَشَةِ : أَيْنَ الْبَوْلُ الَّذِي كَانَ فِي الْقَدَحِ ؟ قَالَتْ : شَرِبْتُهُ ، قَالَ : صِحَّةٌ يَا أُمَّ
يُوسُفَ ، وَكَانَتْ تُكْنَى أُمَّ يُوسُفَ ، فَمَا مَرَضَتْ قَطُّ حَتَّى كَانَ مَرَضُهَا الَّذِي
مَاتَتْ فِيهِ . قَالَ ابْنُ دَحِيَّةٍ : هَذِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى غَيْرُ قِصَّةِ أُمِّ أَيْمَنَ ، وَبَرَكَةُ أُمِّ
يُوسُفَ غَيْرُ بَرَكَةِ أُمِّ أَيْمَنَ (٣) .

(١) كَذَبَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ وَأَبُو زُرْعَةَ ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : ذَهَبَ حَدِيثُهُ وَقَالَ أَحْمَدُ :
لَمْ يَكُنْ بِشَيْءٍ .

(٢) إِذَا صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ فَهُوَ خُصُوصِيَّةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْإِجْمَاعِ عَلَى نَجَاسَةِ
بَوْلِ الْآدَمِيِّ وَعَائِظَةٌ .

(٣) بَلْ الظَّاهِرُ أَنَّهَا قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وَهْمِ الرِّوَاةِ بِسَبَبِ اتِّحَادِ الْأَسْمَاءِ
(١٢ - الْخَصَائِرُ لِلْمَكْبُرِيِّ)

باب جامع في صفة خَلْقِهِ صلى الله عليه وسلم

أخرج الشيخان عن البراء قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير » .

وأخرج البخاري عن البراء أنه سُئِلَ : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا ولكن كان مثل القمر ^(١) .

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة أنه سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً قال : لا ، بل مثلُ الشمس والقمر مستديراً .

وأخرج الدارمي والبيهقي عن جابر بن سمرة قال « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة إضحيانَ وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فهو كان أحسن في عيني من القمر » . في الصباح ليلة إضحيان بكسر الهمزة والحاء لا غيم فيها .

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك ^(٢) قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه » .
وأخرج أبو نعيم عن أبي بكر الصديق ^(٣) رضى الله عنه قال « كان

== فلتسبوا إلى أم أيمن ما حصل من أم يوسف .

والطريق الأولى عن أم أيمن فيها أبو مالك وهو ضعيف ، ونبيح العنزي ولم يلحق
بأم أيمن قاله الشوكاني في نيل الأوطار .

(١) يعني أنه لم يكن مستطيلاً ولكن كان مستديراً كصفحة القمر .

(٢) أنصاري خزرجي واحد الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك وهم كعب وهلال

ابن أمية ومرارة بن الربيع توفي حوالي سنة ٤٩ هـ .

(٣) هو عبدالله بن أبي قعافة التيمي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة

لاين كعب كان أول من أسلم من الرجال وثاني اثنين في ، الفار وأفضل هذه الأمة بعد =

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدائرة القمر .

وأخرج البيهقي عن أبي إسحاق عن امرأة من همدان ^(١) قالت « حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم قلت لها شَبَّهَ قالت كالقمر ليلة البدر ، لم أرقبله ولا بعده مثله » .

وأخرج الدارمي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم عن أبي عبيدة قال : قلت للربيع بنت معوذة صفي لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

وأخرج مسلم عن أبي الطفيل ^(٢) أنه قيل له : صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان أبيض مليح الوجه .

وأخرج الشيخان عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رُبْعَةً من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، أَزْهَرَ اللون ليس بِالْأَدَمِ ولا الأبيض الأَمْهَقِ ^(٣) ، رَجُلٌ الشَّعْرَ نِيسَ بالسَّبَطِ ولا بِالْجُعْدِ الْقَطَطِ » البائنُ الطويل في نحافة ، والأدَمُ شديد السمرة ، والأَمْهَقُ الشديد البياض الذي لا يخالطه شيء من الحمرة ، وليس بِنِيرٍ . والسَّبَطُ الذي ليس فيه تَكَسُّرٌ ، والقَطَطُ الشديد الجعودة ، والرَّجُلُ بينهما كأنه مُسِطٌ فتكسر قليلا .

== نبيا يوع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اجتماع السقيفة ، توفي سنة ثلاث عشرة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ومات عن ثلاث وستين سنة .

(١) قبيلة من قبائل اليمن من أولاد أوسلة بن ربيعة ابن خيار بن مالك لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبر إسلامهم قال السلام على همدان وسجد لله شكراً .

(٢) هو أبو الطفيل عامر بن وائلة كان آخر الصعابة موتاً وشهد مع علي للشاهد كلها ، وكان مع المختار بن أبي عبيد صاحب رأيته .

(٣) يعني أنه لم يكن شديد السمرة ولا شديد البياض بل كان أَمْرَ يعني أبيض حشر باحمره .

وأخرج البيهقي عن علي قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْرِبًا بِخُمْرَةٍ » .

وأخرج ابن سعد والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة قال : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه ، كأن الأرض تطوى له ، إنا لنجهد وإنه غير مكترث » .

وأخرج ابن سعد عن قتادة وابن عساكر من طريق قتادة عن أنس قال : « ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بعث نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت » .

وأخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب قال : « ما بعث الله نبياً قط إلا صبيح الوجه ^(١) كريم الحسب ، حسن الصوت ، وإن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان صبيح الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت » .

وأخرج الدارمي عن ابن عمر قال : « ما رأيت أحداً أشجع ولا أجود ولا أَوْضاً ^(٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع النِّمِّ ، أَشْكَلَ العينين ، مَنهُوس العينين » الشُّكْلَةُ كهيئة الحرة ، تكون في بياض العين بخلاف الشُّهْلَةِ ، فإنها حرة في سوادها ، وضليع النِّمِّ : واسعها ، ومنهوس العينين : قليل اللحم العقب .

وأخرج البيهقي عن علي قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَبَ الأشْفار ، مُشْرِبَ العين بِخُمْرَةٍ » .

(١) ولا ينافي صباحة الوجه أن بعضهم كان آدم شديد السمرة كموسى عليه السلام .

(٢) من الوضوء وهي الحسن والتمهل .

وأخرج الترمذى والبيهقى من وجه آخر عن على ، « أنه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، لم يكن بالجمع القطط ولا بالسبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكثم ، كان في وجهه تدوير أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، أجرد ذو مسربة ، شثن الكفين ، والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشى في صلب^(١) ، وإذا التفت التفت معاً^(٢) ، بين كتفيه خاتم النبوة » الممغط الطويل البائن ، والمتردد الذى تردد خلقه بعضه على بعض فهو مجتمع ، والمطهم المسترخى اللحم ، والمكثم المدور الوجه ، أى لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ، والمشب : الذى في بياضه حمرة ، والأدعج : الشديد سواد الحدقة ، والأهدب الطويل الأشفار وهى شعر العين ، والمشاش رؤس العظام كالركبتين والمرفقين المنكبين ، وجليها : عظيمها ، والكتد : بفتحتين مجتمع الكتفين ، والأجرد الذى لا شعر على بدنه ، والمسربة خيط شعر بين الصدر والسرة ، وشثن الكفين : غليظ الأصابع .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة ، أهدب الأشفار وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم مفاض الجبين ، أهدب الأشفار ، مفاض واسع .

وأخرج الطيالسى والترمذى وصححه والبيهقى عن على بن أبى طالب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس ، مشرباً وجهه حمرة ، طويل المسربة إذا مشى تكفاً^(٣) تكفاً ، كأنما ينحط من صلب ، لم أر قبله ولا بعده مثله » الكراديس : رؤس العظام كالمشاش .

(١) البصب : ما انحدر من الأرض .

(٢) أى بجسمه كله دون أن يلوى عنقه .

(٣) تكفاً فى مشيته : ماد وتمايل متقلداً .

وأخرج الطيالسي وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شبح الذراعين ^(١) ، بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين ، لم يكن سخائباً في الأسواق ، ولا خاشاً ولا متفحشاً ، كان يُقبلُ جميعاً وبذُرُ جميعاً » .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الثغر ^(٢) » .

وأخرج عن أنس أنه سئل هل شاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « ما شأنه ^(٣) الله بالشيب ، ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة . شرة بيضاء » .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : « كان رسول الله مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، ما رأيت شيئاً أحسن منه » .

وأخرج أحمد والبيهقي عن مُحَرَّش السكعي قال : « اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجِعْرَانَةِ ^(٤) ليلاً ، فنظرت إلى ظهره كأنه سَبِيكةُ فضة » .

وأخرج الطيالسي وابن سعد والطبراني وابن عساكر عن أم هانئ ^(٥) .

(١) طويلهما أو عريضهما .

(٢) الثغر : الفم أو مقدم الأسنان .

(٣) من الشين بمعنى العيب يقال : شأنه يشينه أى عابه ، وليس الشيب عيباً ، فقد ورد أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب في رأسه قال : ما هذا يارب ؟ قال : وقار ، فقال اللهم زدني وقاراً .

(٤) كانت هذه العمرة بعد غزوة حنين ، وفي الجعرانة قسم الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين .

(٥) هى بنت أبي طالب وأخت على ، وهى التى كان الرسول فى بيتها ليلة الإسراء ، وقد أجارت رجلاً من أحماها عام الفتح ، وقال لها النبي عليه السلام « قد أجرنا منى أجرنا يا أم هانى » .

قالت : ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذكرت القراطيس المُنثني بعضها على بعض .

وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، كأنما صيغ من فضة ، رَجَلُ الشعر مُفَاضُ البطن ، عَظِيمُ مُشَاشِ المسكبين يَظاً بقدمه جميعاً^(١) إذا أقبل أقبل جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً » .

وأخرج البخارى عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين سَبَطَ السككين » .

وأخرج البخارى عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين حسن الوجه ، لم أر بعده مثله » .

وأخرج الطبرانى والبيهقى عن ميمونة بنت كَرْدَمَ قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول إصبع قَدَمِهِ السَّبَّابَةِ على سائر أصابعه .

وأخرج البيهقى عن رجل من الصحابة من باعدويه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الأنف دقيق الحاجبين ، وإذا مِنْ لَدُنْ نَحْرِهِ إلى مُرَّتِهِ كالخيط الممدود شعره .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو إلى الطول أقرب ، وكان شثن الكف والقدم ، وكان في صدره مسربة وكان عَرَقَهُ اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ، كأنما يمشى في صَعَدَ » .
التكفؤ : الميل إلى سنن المشى .

وأخرج البيهقى عن على قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالذهاب طولا ، وفوق الربعة ، إذا جاء مع القوم غرهم^(٢) أبيض ضخم الهامة أغرأ^(٣) ،

(١) يعنى ليس له أخمس .

(٢) زاد عليهم فى الطول .

(٣) من الغرة وهى ياض الجبهة ، والأبلج : النير المسفر .

أهدب الأشعار شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى يتقطع كأنما ينحدر في صلب ،
 كأن العرق في وجهه اللؤلؤ ، لم أر قبله ولا بعده مثله « الهامة : الرأس .

وأخرج مسلم عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر
 اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ » .

وأخرج البزار والبيهقي عن أبي هريرة قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم
 أحسن الناس ، كانربعة وهو إلى الطول أقرب ، بعيد ما بين المنكبين
 أسيل^(١) الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكل العينين ، أهدب إذا وطىء بقدمه
 وطىء بكلمها ، ليس له إخص إذا وضع رداءه عن منكبيه ، فكأنه سبيكة فضة ،
 وإذا ضحك يتلألأ في الجدر لم أر مثله قبله ولا بعده » .

وأخرج الشيخان عن أنس قال : « مامست حريراً ولا ديباجاً ألين من
 كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شمت مسكاً ولا عنبر ، أطيّب من
 ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خدي فوجدت ليده برداً وريحاً ، كأنما أخرجها من جونة^(٢) عطار » .

وأخرج البيهقي عن يزيد بن الأسود قال : « ناوطني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يده ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيّب ريحاً من المسك » .

وأخرج الطبراني عن المستورد بن شداد عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى
 الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج » .

(١) يقال : أسيل يأسل أسالة فهو أسيل بمعنى لان واستوى ، ويصار أملس
 وبمعنى طال أيضاً .

(٢) الجونة سائلة مفضاة بالإدم ، تبكون عند العطارين وجمعها : جون .

وأخرج أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : « اشتكت بمكة ^(١) ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فآزلتُ يُخِيلُ إلى إني أجدرُ رَدِّ يده على كبدِي حتى الساعة » .
وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشرباً بحمرة ، شثن الأصابع ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالسيط ولا بالجعد ، إذا مشى هَرَوَل الناس وراءه لا يرى مثله أبداً » .

وأخرج أبو موسى المديني في (كتاب الصحابة) عن أُمِّدِ بْنِ أَبَدٍ الْخَضَرِيِّ قَالَ « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت قبله ولا بعده مثله » ^(٢) .
وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن بريدة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن البشر قدماً » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مشرباً حمرة أدعج العينين دقيق المسربة دقيق العينين سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة له شعر يجري من لبتة إلى سرتة كالقضب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره كأن عرقه في وجهه الأولو ولربح عرقه أطيب من المسك الأذفر . والعننين أعلى الأنف . والوفرة الشعر إلى شحمة الأذن . والأذفر بالذال المعجمة .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي قال : بعثنى النبي صلى الله عليه

(١) كان ذلك في حجة الوداع ، وقد دعا له الرسول بالشفاء وبشره بأنه سيبلى من مرضه وأنه سيخلط حتى ينتفع به أقوام ويضر به آخرون .

(٢) لا شك أن الله عز وجل قد جمع لنبينا صلى الله عليه وسلم من جمال الخلق والخلق ما لم يجمع لأحد من الناس .

وسلم إلى اليمن فإني لأخطبُ يوماً على الناس وحبر من أحبار يهود واقف في يده
سفر ينظر فيه ، فلما رآني قال : صِفْ لنا أبا القاسم ، فقلت : « ليس بالطويل
البائن ، ولا بالقصير وليس بالجعد القطط ولا بالبسط ، هو رجل الشعر أسود
ضخم الرأس ، مشرب لونه حمرة ، عظيم الكراديس ، شثن الكفين والتدمين ،
طويل المسربة ، أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، صلتُ الجبين ، بعيد ما بين
المنكبين إذا مشى يتكفاً ، كأنما ينزل من صلب لم أر قبله ولا بعده مثله . قال على
ثم سكتُ فقال لي الخبر وماذا ؟ قلت : هذا ما يحضرني قال الخبر : في عينيه حمرة حسن
الحية ، حسن الفم تام الأذنين يقبل جميعاً ويدبر جميعاً قال على هذه والله صفته .
قال الخبر : وشيء آخر ، قلت : وما هو قال : وفيه جناة ^(١) قلت : هو الذي
قلت لك ، كأنما ينزل من صلب . قال الخبر : فإني أجده هذه الصفة في سفر آباءي
ونجده يبعث من حرم الله وأمنه ، وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو ^(٢)
ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله . ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم
قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نخل ، وأهل الأرض قبلهم يهود ، قال على :
هو هو . قال الخبر : فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة » .
القرن : اتصال شعر الحاجبين ، وصلتُ الجبين ، واضحه .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال أقبل قوم من اليهود فأتوا علياً فقالوا
صف لنا ابن عمك فقال على لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بالطويل الذاهب
ولا بالقصير المتردد كان فوق الرقعة أبيض اللون مشرب الحمرة جعداً ليس
بالقطط يفرق شعره إلى أذنيه صلتُ الجبين واضح الخدين أدعج العينين مقرون

(١) يقال جنى جنا جنا ، فهو اجنأ ، إذا اكب وحذب أي أشرف كاهله على صدره .
(٢) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم
للمدينة ما بين لايتها لا ينفر صيدها ولا يختل خلاها .

الحاجبين ، ببط الأشفار ، ألقى الأنف دقيق المسربة براق الثنايا ، كث^(١) اللحية ، كأن عنقه إبريق فضة كأن الذهب يجرى في تراقيه^(٢) ، له شعرات من لبتة إلى سرتة ، كأنهن قضيب مسك أسود ، لم يكن في جسده ولا في صدره شعرات غيرهن بين كتفيه كدارة التمر ليلة البدر ، مكتوب بالنور سطرين ، السطر الأعلى : لا الله إلا الله وفي السطر الأسفل محمد رسول الله^(٣) . « الألقى : السائل الأنف المرتفع وسطه »

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال « أتى حبر من أحبار بيت المقدس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي فقال : صف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير ، كان ربعة من الرجال أبيض مشرباً بحمرة ، جعد المقرق شعره إلى شحمة أذنيه ، صلت الجبين ، واضح الخدين ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، سبط الأشفار ، ألقى الأنف ، دقيق المسربة ، مُفْلَجُ الثنايا ، كث اللحية ، كأن عنقه إبريق فضة ، كأن الذهب يجرى في تراقيه عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، شثن الكفين والقدمين ، له شعرات ما بين لبتة إلى صدره ، يجرى كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها ، يفوح منه ريح المسك إذا قام غمر الناس ، وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخرة ، إذا التفت التفت جميعاً ، وإذا انحدر كأنما ينحدر من صلب قال الخبر : إني أصبت في التوراة هذه الصفة ، أشهد أنه رسول الله .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن مقاتل بن حيان قال : أوحى الله إلى عيسى ابن مريم جد في أمري ، ولا تهزل واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول^(٤) إني

(١) يعني كثير شعر اللحية .

(٢) جمع ترقوة وهي العظم النائي في العنق .

(٣) قوله بين كتفيه إلخ زيادة غير صحيحة ، وقد سبق أن نهينا على ذلك .

(٤) البكر التي لم يطمأ بشر ، والبتول المنقطعة لعبادة الله

خلقتك من غير خل ، فجعلتك آية للعالمين ، فإياي فاعبدْ وعلى فتوكل ، فسرَّ إلى أهل سور^(١) أن أنى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول صدقوا النبى الأُمى العربى صاحب الجمل والمِدْرَعَة والعمامة ، وهى التاج ، والنعلين والمِرْأَوَة . وهى القضيْب . الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين ، الأنجل العينين ، الأهدب الأشعار ، والأدعج العينين ، أفى الأنف الواضح الخدين ، الكش اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفخ منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكان الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لبتة إلى سرتة يجرى كالقضيْب ليس على صدره بولا على بطنه شعر ، غيره شئن الكف والقدم ، إذا جاء مع الناس غرمهم ، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر فى صلب ذو النسل القليل^(٢) الأنجل الواسع شق العين . والتراقى : ما بين ثُمرَة النحر والعاتق .

وأخرج ابن سعد والترمذى فى الشمائل والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم وابن السكن فى المعرفة وابن عساكر عن الحسن بن على قال « سألت خالى هند ابن أبى إهالة عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وكان وصافاً فقال : كان فخمًا يتلأأ وجهه تلاًؤلؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربع وأقصر من المُشَدَّب عظيم الهامة رَجَل الشعر ، إن انفرت عَقِيْقَتُهُ فَرَقَ وإلا فلا . يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزجُّ الحواجب سوا بَغ من غير قرْن بينهما له عِرْق يَدْرُهُ الغضب أفى العينين له نور يعلوه يَحْسُبُهُ من لم يتأمله أشم كَثُّ اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم ، أشنب مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيدٌ مُمَيَّة^(٣) فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق بادناماً مسكاً ، سواء البطن والصدر ، مُشِيحٌ للصُّدْر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتَجَرَّد موصول ما بين اللبة والمسرة ،

(١) لعلها صور بالصاد ، وهى مدينة من مدن لبنان على الساحل

(٢) يعنى أن ذريته عليه السلام من بناته لم يهت كثيره .

(٣) هى الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ، والجمع دُمى

بشعر يجرى كما لخط عارى النديين ، مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمكبين ،
 وأعلى الصدر ، طويل الزندَيْن رَحْبُ الراحة ، شن الكفين والقدمين ، سائل
 الأطراف سَبَطُ القَصَبِ خَصَانُ الْأَخْصَيْنِ ، مسيح القدمين ينبو عنها الماء إذا زال
 زال ثقلها ، ويخطو تكفاً ويمشى هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صلب وإذا
 التفت التفت جميعا ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ،
 جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أذنيه ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت صف لى منطقته
 قال : كان متواصل الاحزان دائم الفكر ، ليست له راحة لا يتكلم فى غير حاجة ،
 طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا
 لافضول فيه ولا تقصير ، دَمِثًا ليس بالجافى ولا المهيّن ، يُعْظَمُ النعمة ، وإن دَقَّتْ
 لا يذم منها شيئا ، لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ، ولا يقام لقصبه إذا تعرض للحق
 بشيء ، حتى ينتصر له لا يفضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا
 تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرِبَ بابها به اليمنى بطن راحته اليسرى
 وإذا غضب أعرض وأشاح فإذا فرح غص طرفه جل ضحكه التبسم وفتر عن
 مثل حب الغمام ، الفخم المعظم ، والمشدب بمجمتين مفتوحتين ثابتهما مشددة
 كالباثن ، والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت بنفسها فرقها وإلا تركها معقوفة ،
 وأزهر اللون نيره وقيل حسنه ، الحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر ، والأشم
 الطويل قصبه الأنف ، والشَنَبُ رَوْنَقُ الأسنان وماؤها وقيل رِقَّتْهَا وَتَحَزَّزَتْهَا ،
 وَالْفَانِجُ فَرْقٌ بَيْنَ الثَنَائِ ، وَالْجَيْدُ الْعُنُقُ وَالدُّمِيَّةُ الصُّورَةُ مِنَ الْعَاجِ ، والبادن
 ذو اللحم ، والمتناسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً وسواء البطن والصدر
 مستويهما ، ومشيح الصدر يروى بضم الميم وبمعجمة أى بادی الصدر غير قعس
 من أشاح بمعنى أقبل وبالفتح ومهمله أى عريض ، والزندان عظام الذراعين
 ورحب الراحة واسمها ، وسائل الأطراف طويل الأصابع ، والسبط الممتد
 بلا تقعد ، والقصب بقاف ومهمله كل عظم أجوف ، وخصان الأخصين

متجافيهما وهما بطن القدمين الذي لا تناله الأرض من غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسيح القدمين بالمهملة أملسهما ، والتقلع رفع الرجل بقوة ، والهون الرفق والوقار ، والذريع الواسع الخطو أى أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المحتال ، ويقصدُ سُمته كل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صلب ، وقوله يفتح الكلام ويختمه بأشداقه أى لسعة فمه والعرب تمدح به ، وتذم بصغر الفم ، والدمث سهل الخلق ، والمهين بالضم من الإهانة وبالفتح من المهانة وهى الحقارة ، وأشاح انقبض ، ويفتر يبدى أسنانه ضاحكا ، وحب الغمام البرد .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم

بكثرة الأسماء الدالة على شرف المسمى

قال بعض العلماء : للنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم ^(١) بعضها فى القرآن والحديث وبعضها فى الكتب القديمة .

وأخرج الشيخان عن جبير بن مطعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن لى أسماء أنا محمد ^(٢) وأنا أحمد ^(٣) وأنا الماحى الذى يمحو الله بى

(١) مبالغة ممتجة وكلام لا دليل عليه وكثرة الصفات لا توجب كثرة الأسماء . فليس كل من انصف بصفة يحوز أن يشتق له منها اسم وإلا لم تنحصر الأسماء .
(٢) قال ابن القيم فى الزاد أما محمد فهو اسم مفعول من (حمد) إذا كان كثير الحصول الذى يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فإن محمودا من التلانى المهورد . ومحمد آ من المضاعف للمبالغة ولهذا سمي به فى التوراة لكثرة الحصول المحمود التى وصف بها هو ودينه وأمتة فى التوراة .

(٣) قال ابن القيم ما ملخصه وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعول للتفضيل مشتق أيضاً من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول ؟ فقالت طائفة =

الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبي .

وأخرج أحمد والطيالسي في مُسْنَدَيْهِمَا ، وابن سعد والحاكم والبيهقي عن جبير سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي والخاتم والعاقب .

وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي) .

وأخرج أحمد ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال : سمي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ ، قال : أنا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة^(١) ونبي الرحمة .

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة والترمذي في (الشمائل) عن حذيفة قال : لقيت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة فقال : (أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبي الرحمة ونبي التوبة وأنا المقفي وأنا الحاشر ونبي الملاحم .

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه في تفسيره والديلمي في (مسند الفردوس) عن أبي الطفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لى عشرة أسماء عند

هو بمعنى الفاعل أى حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه . وقال آخرون هو بمعنى المفعول ومعناه أحق الناس وأولاهم بأن يحمده فيكون كحمد في المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمداً هو كثير الحاصل الذى يحمده عليها وأحمد هو الذى يحمده أفضل مما يحمده غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية .

(١) الملحمة معناها الحركة حين يلجم بعضهم بعضاً وإنما سمي بذلك لأنه بعث بالجهاد وقتال المشركين .

ربى أنا محمد وأحمد والفتح والحاتم وأبو القاسم^(١) والحاشر والعاقب والمالحى ويس وطه^(٢).

وأخرج ابن سعد عن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا محمد وأحمد وأنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة أنا المقي والحاشر، بعثت بالجهاد، ولم أبعث بالزراع^(٣).

وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إسمى في القرآن محمد وفي الإنجيل أحد وفي التوراة أحيو وإنما سميت أحيو لأنى أحيو أمتى عن نار جهنم». قال الشوكاني في إسناده وضاع.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى في الكتب القديمة أحمد، ومحمد، والمالحى، والمقي ونبي الملاحم ووخطايا وفارقليط وماذا مَذَّ.

وأخرج ابن فارس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اسمى في التوراة أحد الضحوك^(٤) القتال يركب البعير ويلبس الشملة ويحترى.

(١) هذه كنية وليست أسماء وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال تسعوا باسمى ولا تسكنوا بكنتى.

(٢) الصحيح أن طه ويس ليسا من أسمائه عليه السلام واسكنهما من جملة القوايح التي افترض الله بها بعض سور كتابه فهما كعم وطس وألم الخ.

(٣) يعنى أنه لم يبعث بالزراعة وفلاحة الأرض فإن ذلك ينهى إلى الدعة والإحلال إلى الأرض وترك الجهاد وفي الحديث (لا تتخذوا الصيغيات فرغبوا في الدنيا).

(٤) قال ابن القيم في الزاد (وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عباس ولا نقطب ولا غصوب ولا فظ قتال لأعداء الله لاناخذهم لومة لائم).

بِالْكِسْرَةِ^(١) سيفه على عاتقه . قلت : وقد ألفت كتاباً في شرح أسمائه الكريمة .
أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً ، مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب
القديمية .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بماسمى به من أسماء الله تعالى

قال القاضي عياض : قد خص الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن سَمَّاهُ من
أسمائه بنحو من ثلاثين اسماً^(٢) وهي الأكرم ، والأمين ، والأول ، والآخر ،
والبشير ، والجبار ، والحق ، والخبير ، وذو القوة ، والرؤف ، والرحيم ، والشهيد
والشكور ، والصادق ، والعظيم ، والعَفُو ، والعالم ، والعزیز ، والفَاتِحُ ،
والكريم ، والمُبِين ، والمُؤْمِن ، والمُهَيَّمِن ، والمقدس ، والمُوَلَّى ، والْوَلِيُّ ، والنُّورُ ،

(١) يعني يكتفي بالقليل من الطعام .

(٢) أين سماه الله بهذه الأسماء وليس في الكتاب ولا في السنة منها إلا شيء
يسير جداً ، على أن هذه ليست خصوصية فإن هناك أسماء كثيرة مشتركة بين الله عز
وجل وبين خلقه ، لكن هذا الاشتراك إنما هو في جنس ما دلت عليه هذه الأسماء
دون الخصوصيات ، فإذا سمي الله بها كان معناها مختصاً به ، لا يشاركه فيه غيره ، وإذا سمي
المخلوق بها دلت على معنى مناسب للمخلوق لا يتصف به الخالق ، ولنتأقش ما ذكره
هنا من أسماء ، فالأكرم على الإطلاق هو الله عز وجل ، فلا يجوز أن يوصف به غيره .
وأما الأمين فليس من أسماء الله تعالى والأول والآخر لا يطلقان على غير الله .
إلا مقيدين والبشير ليس من أسماء الله والجبار لا يجوز وصفه به عليه السلام قاله
تعالى (وما أنت عليهم بجبار) والحق ليس مختصاً به والخبير مختص بالله وذو القوة
إنما هو وصف الله والشهيد والشكور والصادق ليست مختصة به والعظيم لا يجوز
وصف مخلوق به على إطلاقه وهكذا باقى الأسماء إما مشترك بينه وبين غيره وإما
مختص بالله لا يجوز إطلاقه على غيره .

والهادي، وطه ويس. قلت : وقد وقع لنا عدة أسماء أخر زيادةً على ذلك^(١) وهي : الأحد والأصدق والأحسن والأجود والأعلى والأمر والناهي والباطن والبر والبرهان والهاشر والحافظ والحفيظ والحسيب والحكيم والحليم والحي والخليفة والداعي والرافع والواضع ورفيع الدرجات والسلام والسيد والشاكر والصابر والصاحب والطيب والطاهر والعدل والعلي والغالب والعفو والغنى والقائم والقريب والمساعد والمعطي والناسخ والناشر والوفى وحم ونون .

باب

باختصاصه صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه الشريف الشهير من اسم الله تعالى

قال حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

أَغْرَهُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمُ مِنْ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يُلَوِّحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهِهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ^(٢)

(١) وكذلك حال هذه الأسماء التي وقع عليها المؤلف لا يخرج معظمها عن واحد من هذين الأمرين ، فهو إما مشترك بينه وبين غيره ، وإما مختص بالله لا يطلق على غيره ، فالأحد والأصدق كلاهما وصف الله المختص به ، وكذلك الأعلى والباطن والبر والحافظ والحفيظ والحسيب والرافع والواضع والسلام والعدل والحي والنفوس والغنى والقريب والمعطي . وأما حم ، ن فهما من فواتح السور فليستا من أسماء الله ولا من أسماء نبيه ، ولست أدري ما الذي يدعو إلى هذا الغلو الذي أفضى بمن قبلنا إلى الوقوع في حماة الشرك ، والذي نهانا عنه هو صلى الله عليه وسلم حيث قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » .

(٢) الزعم بأن محمداً مشتق من محمود جهل باللفظة ، فإن كلاهما اسم مشتق من المصدر وهو الحمد ، على أن محمداً كما قلنا أبلغ من محمود لأن هذا من الثلاث وذلك من المضعف وذلك بالنسبة للخلوق ، وأما الله عز وجل فهذه الحمد المطلق الذاتي ، فالحمد كله ثابت له سواء حمده الخلق أم لم يحمدوه .

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق سفیان بن عیینة عن علی بن زید ابن جُدعان قال : اجتمعوا فتدأكرُوا أي يَدُ أحسنُ فيما قالته العرب ؟ قالوا قوله : وشقَّ له من اسمه البيت .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : « لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ^(١) عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمداً فقيل له : يا أبا الحارث ما حملك على أن سميتَه محمداً ولم تُسمه باسم آبائه ؟ قال : أردت أن يحمدَه الله في السماء ، ويحمده الناس في الأرض » .

باب

ما ظهر من الآيات عند قدومه صلى الله عليه وسلم مع أمه المدينة لزيارة أخواله

أخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزُّهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، دَخَلَ حديثُ بعضهم في بعض قالوا : « لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله^(٢) بني عَدِيَّ بن النجار بالمدينة ، تزورهم ومعه أمُّ أَيْمَن^(٣) ، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مُقامِهِ ذلك ونظر إلى الدار فقال ها هنا نزلت بي أي وأحسنْتُ العوم في بئر بني عَدِيَّ بن النجار^(٤) ، وكان

(١) المتيقة هي الذبيحة عن المولود .

(٢) هم أخوال أبيه عبد الله ، فإن أمه منهم .

(٣) هي بركة الحبشية حاضنته ، وقد أسلمت وزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد ، وكان النبي عليه السلام يقول « لها أنت أي بعد أي » .

(٤) لانظن أن البئر مهما اتسعت تصلح أن تكون مجالا للسياحة .

قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه^(١) . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به إلى مكة ، فلما كانت بالأبواء^(٢) توفيت^(٣) . » .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه مثله . وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى رجل من اليهود يَحْتَلِفُ ينظر إلى فقال لي يا غلام : ما اسمك ؟ قلت أحمد : ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى أخوالي فأخبرهم فأخبروا أُمِّي فخافت عليّ وخرجنا من المدينة وكانت أم أيمن تحدث تقول : أتاني رجلان من يهود يوماً نصف النهار بالمدينة ، فقالا : أخرجي لنا أحمد ، فأخرجته فنظرا إليه وَقَلَّبَاهُ مَلِيًّا ، ثم قال أحدهما لصاحبه هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمرٌ عظيم . قالت أم أيمن : ووعيت ذلك كله من كلامهما .

باب ما وقع عند وفاة أمه صلى الله عليه وسلم من الآيات

أخرج أبو نعيم من طريق الزهري عن أمِّ سَمَاعَةَ بنت أبي رُحْم عن أمِّها قالت : « شَهِدْتُ آمَنَةَ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عِلَّتِهَا التي ماتت فيها^(١) ، ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ، ثم قالت :

(١) يبعد أن يلتفت اليهود إلى غلام صغير في حجر أمه يقيم عند قوم وثنيين في زيارة قصيرة .

(٢) مكان بين مكة والمدينة وقد ورد أنه عليه السلام زار قبر أمه بعد النبوة فيسكى وأبكى من حوله ثم قال « استأذنت ربي أن أزور قبر أُمِّي فأذن لي واستأذنته أن استغفر لها فلم يأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة » رواه مسلم .

(٣) المعروف أن آمنة توفيت بالأبواء عند عودتها من المدينة ، وأنه لم يكن معها إلا طفلها وحاضنته أم أيمن .

بَارَكَ فِيكَ اللَّهُ مِنْ غَلَامٍ يَا ابْنَ الذِي مِنْ حَوْمَةِ الْحِمَامِ ^(١)
 تَجَا بَعُونَ الْمَلِكَ الْمِنْعَامَ فُودِي غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسَّهَامِ ^(٢)
 بِمِائَةٍ مِنْ إِبِلٍ سَوَّامٍ إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي النَّامِ
 فَانْتَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنَامِ مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
 تَبُعْتُ فِي الْحَلِّ وَفِي الْحَرَامِ تَبِعْتُ بِالتَّحْقِيقِ وَالْإِسْلَامِ
 دِينَ أَبِيكَ الْبَرِّ إِبْرَاهِيمَ فَاللَّهُ أَهْلَكَ عَنِ الْأَصْنَامِ ^(٣)

* أَنْ لَا تُؤَالِيَهُمَا مَعَ الْأَقْوَامِ *

ثُمَّ قَالَتْ : كُلِّ حَيٍّ مَيِّتٌ ، وَكُلِّ جَدِيدٍ بَالٍ ، وَكُلِّ كَبِيرٍ يَفْقَى ، وَأَنَا مَيِّتَةٌ
 وَذِكْرِي بَاقٍ ، وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا ، وَوَلَدْتُ طُحْرًا . ثُمَّ مَاتَتْ : فَكُنَّا نَسْمَعُ
 نَوْحَ الْجَنِّ عَلَيْهَا لِحَفَظَتِنَا مِنْ ذَلِكَ :

نَبِيَّ الْفَتَاةِ الْبَرَّةِ الْأَمِينَةِ ذَاتِ الْجَمَالِ الْغَفَّةِ الرَّزِينَةِ
 زَوْجَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَرِينَةِ أُمِّ نَبِيِّ اللَّهِ ذِي السَّكِينَةِ
 وَصَاحِبِ الْمَنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ صَارَتْ لَدَى حُفْرَتِهَا رَهِينَةً ^(٤)

(١) مِنْ سَاحَةِ الْمَوْتِ .

(٢) يَعْنِي فِدَاءَ أَبِيهِ بِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ حِينَ أَقْرَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَخَرَجَتْ الْقِرْعَةُ عَلَيْهَا .
 (٣) هَلْ يَعْقِلُ أَنَّ أَمْنَةَ الَّتِي شَبَّتْ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَتَعْظِيمِهَا تَنْهَى طُغْيَانَهَا عَنْ
 مَوَالِدِ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَتِهَا ؟ كُلُّ ذَلِكَ شَاهِدٌ صَدَقَ عَلَى أَنَّ هَذَا شَقَرٌ عَمِدَتْ مَقْتَلُ
 مِنْ وَضَعِ الْقَصَاصِ الْكَذَّابِينَ لِيَسْتَتِرُوا بِهِ عَوَاطِفَ الْعَامَةِ ، وَيَسْتَدْرُوا بِهِ
 مَا فِي الْجُيُوبِ .

(٤) مَا الَّذِي أَدْرَى الْجَنِّ أَنَّ أَمْنَةَ أُمِّ نَبِيِّ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَنْبَأْ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهَا بِنَعْوِ خَمْسِ
 وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَمَا الَّذِي أَدْرَاهُمْ أَنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ سَيَكُونُ لَهُ مَنْبَرٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ لَمْ يَتَّخِذْ
 الْمَنْبَرَ إِلَّا بَعْدَ زَمَنِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَبْلَهُ يَخْطُبُ عَلَى جَذَعٍ ؛ وَلَكِنَّ الْكَذْبَ لَا يَبْدُ
 أَنْ يَنْتَضِحَ .

باب

استسقاء أهل مكة بحجته صلى الله عليه وسلم وهو معه ، وسقياهم

وما ظهر فيه من الآيات

أخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساکر من طرق عن محمّدة بن نوفل عن أمّه رقيقة بنت صينيّ وكانت لدة^(١) عبد المطلب قالت « تتابع على قريش سنون جدبه أقحلت الجلد وأدقت العظم^(٢) فبينما أنا نائمة أو مهومة^(٣) إذا هاتف يصرخ بصوت صجل^(٤) يقول : يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلمكم أيامه ، وهذا إبان^(٥) نحره^(٥) فخيّ هلاً بالحياة وانخصب ، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظماً جساماً ، أبيض بضاً ، أو طفّ الأهداب ، سهل الخدين ، أشمّ العرنين ، له نحر يكظم عليه ، وسنة يهدي إليه فليخلص هو ووُلده ووُلده ووُلده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل ، فليشئوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت سبعة ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيْس فليستسق الرجل ولْيُؤمِّن القوم ، ففِثْمُ ماشِئِم إذا قالت : فأصبحت مذعورة قد اقشعر جلدِي ووُلِدَ عَقْلِي ، واقتَصَصْتُ رُؤْيَايَ ، فقامت في شعاب مكة فنا يقى بها أبطحى^(٦) ، إلا قالوا : هذا شَيْبَةُ الحُمْدِ ، وتنامت إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشئوا من الماء ومسّوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قُبَيْس ، حتى إذا استووا بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله

(١) لدة الرجل من يولده معه في عام واحد والجمع : لدات .

(٢) يعنى أبيضت الجلد ورققت العظم وأوهنته .

(٣) يقال هوم تهويما أى خفق رأسه إذا نعى وهو النوم الخفيف .

(٤) يقال صجل الصوت صجلاً من باب تمب إذا مج وخشن ، فهو صجل وصجل .

(٥) أى زمان خروجه .

صلى الله عليه وسلم غلام قد أبغع أو كَرَبَ ، فقال عبد المطلب : اللهم سادَّ
 انْخَلَّة^(١) وكاشف الكربة . أنت عالم غير مُعَلَّم . ومسئول غير مُبْخَل . وهذه
 عبدَاؤُك وإِماؤُك بِعِذْرَات^(٢) حرمك يعنى أفنية حرمك يشكون إليك
 سَدَّتْهُمُ أَذْهَبَتْ أَخْفَ وَالظَّلْفَ^(٣) اللهم فأمطرن غيثا مغدقا ومريعا^(٤) فما
 راموا^(٥) حتى انفجرت السماء بمائها وألطَّ الوادى بِشَجِيحِهِ فَلَسَمَعَتْ شِيخَانُ
 قریش يقولون لعبد المطلب هنيئاً أبا البطحاء هنيئاً أى عاش بك أهل البطحاء .
 وفى ذلك تقول رُقَيْقَةً :

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا لما فقدنا الحيا واجلّودَ المطر^(٦)
 فجاد بالماء جونيَّ له سبَلٌ سحّا فعاشت به الأنعام والشجر
 مِنّا من الله باليمون طائرُهُ وَخَيْرُ مَنْ بَشَّرَتْ يوما به مُضر
 مبارك الأمر يُسْتَسْقَى الغمام به مافى الأنام له عِدْلٌ ولا خَطَرُ^(٧)

رُقَيْقَةُ بضم الراء : ولدة الرجل ترّبه . وأقحلت بقاف وحاء مهملة أَيْبَسَتْ -
 وحل بمهملتين ولا م فيه بحه . وإبان الشيء بالكسر والتشديد وقته . وفلان
 وسيط فى قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً . وعُظاماً بضم العين بمعنى
 عظيم . وجساماً بضم الجيم بمعنى جسيم . وبضا بموحدة وضاد معجمة رقيق الجلد
 ممتلئاً . والوطفُ : كثرة شعر العين والحاجبين . وتتامَّ القوم : جاءوا كلهم وتموا

(١) أى مزيل الفقر والحاجة .

(٢) جمع عذرة وهى فناء الدار .

(٣) يعنى ذوات الأخفاف وهى الأبل والاطلاف وهى النعم .

(٤) يعنى كثيراً مخصباً .

(٥) أى انتقلوا من مكانهم يقال : رام يريم .

(٦) الحيا للطر واجلّود يعنى غاب وذهب .

(٧) العدل النظير . والخطر القدر والشرف .

المعذرة : فناء الدار . والمِلْطَاط : حَاقَّةُ الوادى وساحل البحر . والسَّبَلُ بالتحريك
المطر . وعِذْل بكسر العين .

باب

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب في حاجة لجده إلا أنجح فيها^(١)

أخرج البخارى في تاريخه وابن سعد وأبو يعلى والطبرانى وابن عدى
والحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم وابن منده من طريق كَنْدِير بن سعيد عن أبيه
قال : حججت في الجاهلية فرأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول :

رد إلى راكبي محمدًا يارب رُدّه واصطنع عندى يدًا

قلت : من هذا ؟ قالوا عبدالمطلب بعثَ ابن له في طلب إبل له ولم يبعثه في
حاجة قط إلا أنجح فيها ، وقد أبطأ عليه فلم يلبث حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم والإبل .

وأخرج البيهقى وابن عدى عن بَهْزِ بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن
حَيِّدة قال : خرج حَيِّدةُ بن معاوية في الجاهلية معتمرًا فإذا هو بشيخ يطوف ويقول :

رد إلى راكبي محمدًا يارب رده واصطنع عندى يدًا

قلت : من هذا ؟ قالوا : سيد قريش عبدالمطلب له إبل كثيرة ، فإذا ضل منها
شيء بعثَ فيها بنيه يطلبونها ، فإذا أعْيى بنوه بعثَ ابن ابنه ، وقد بعثه في ضالة
أعْيى عنها بنوه ، وقد اختبَس عنه فما برَحْتُ حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم
وجاء بالإبل^(٢) .

(١) يقال : أنجح الرجل إذا صار ذا نجاح ، وأنجح الله حاجته قضاها ، وأنجحت
حاجته قضيت فهو منجج ، والجمع مناجج ومناجيج .

(٢) هل يعقل أن يبعث عبدالمطلب طفلاً في السادسة ليعث عن إبله في التناهات
والنوازل ، وهو الذى كان حريصاً عليه أعَد الحرص .

باب معرفة عبد المطب بشأن النبي صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم من طريقه قال : حدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد عن بعض أهله قال : كان يُوضَعُ لعبد المطب فِرَاشٌ في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يُؤْخِرونه فيقول جدُّه دعوا ابني فيمسح على ظهره ويقول : إن لابني هذا لشأنا ، فتَوَفَّى عبد المطب والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين^(١) وأوصى به أبا طالب .

وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس مثله وزاد دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشيء وأرجو أنه يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن الزهري ومجاهد ونافع بن جبير قالوا : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس على فِرَاش جده فيذهب أعمامه ليؤخروه فيقول : عبد المطب دعوا ابني إنه كَيُؤْنَسُ^(٢) ملكا . قال قوم من بني مُدَلَج^(٣) لعبد المطب احتفظ به فإننا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه . وقال عبد المطب لأم أيمن يابركة لا تغفلِي عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبيِّ هذه الأمة^(٤) .

(١) فتكون كفالة جده له نحواً من سنتين

(٢) يقال آنس الشيء يؤنسه بمعنى أبصره ومعنى يؤنس ملكا يحس من نفسه زهامتة .

(٣) بطن من كنانة من بني عبد مناة وكانوا مشهورين بالقيافة .

(٤) ما نظن أن هؤلاء الجاهليين كان بينهم حديث عن النبوة أصلاً بل كانوا في غفلة من هذه الأمور ولهذا عجبوا أشد العجب حين جاءهم الإسلام .

وأخرج أبو نعيم من طريق الوَاقِدِي عن شيوخه ، قالوا : بينا عبد المطلب يوماً في الحَجَر ، وعنده أَسْقَفُ نَجْرَان ، وكان صديقاً له وهو يحادثه ، ويقول : إنا نجد صفة نبي بقي من وَلَدِ إِسْمَاعِيل ، هذا البلد مولده من صفته كذا وكذا ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه الأَسْقَفُ وإلى عينيه وإلى ظهره ، وإلى قدميه ، فقال : هو هذا ، ما هذا منك ؟ قال ابني ، قال الأَسْقَفُ : لا مانجد أباه . حياً قال هو ابن ابني ، وقد مات أبوه وأمه حُبْلَى به . قال : صدقت ، قال عبد المطلب لبنيه : تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه ^(١) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عَفِيرِ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنٍ عن أبيه قال : «لما ظهر سيفُ ابنِ ذِي يَزَنٍ على الحبشة ^(٢) وذلك بعد مولده صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاها وفود العرب لتهنئته ، وأتاه وفدُ قريش منهم عبد المطلب . فقال له سيف : يا عبد المطلب إني مُقَضِّ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّ عَلِيِّهِ أَمْراً لو غَيْرُكَ يَكُونُ لَمْ أَبْحَ لَهُ بِهِ ^(٣) ولكني رأيتك مَعْدِنَهُ فَأَطْلَعْتُكَ طِلْعَهُ ^(٤) ، فليكن عندك نَحْبِيّاً ^(٥) حتى يأذن الله فيه إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم

(١) ما الذي يجمع بين رجل من عبدة الأوثان وبين رجل نصراني وهو أَسْقَفُ نَجْرَان ؟ وإذا كان أعمامه عليه السلام قد سمعوا مقالة الأَسْقَفِ فيه ، ووصية أبيهم به ، فلماذا تخلف أكثرهم عن الدخول في دينه لاسيما عمه أبو طالب الذي كان من أشد الناس حُباً عليه ، أيظن هؤلاء الرواة أن أيسر لنا عقول ؟ .

(٢) وذلك بمعونة كسرى ملك الفرس ، حيث أرسل معه جيشاً طرد الأحباش واستعمل كسرى سيف بن ذِي يَزَنٍ على اليمن .

(٣) لم يكن سيف بن ذِي يَزَنٍ رجلاً من أهل الكتاب ولا عنده علم بشيء مما هو موجود من البشارات في التوراة أو الإنجيل ، فمن أين جاءه هذا العلم الخزوني والسر المضمون ؟

(٤) يقال أطلعه طلع أمره : كشفه له .

(٥) مكتوما مستورا .

الحزون الذى ادَّخَرْنَاهُ لَأَنْفُسِنَا ، واحتجبناه دون غيرنا خيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة . فقال عبد المطلب ماهو ؟ قال إذا وُلِدَ بتهامة وَلَدٌ بين كفتيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة . ثم قال هذا حينئذ الذى يولدُ فيه أوقد وَلِدَ اسمه محمد يموت أبوه وأُمُّه ويكفله جده وعمه ، وقد ولدناه سراً ، والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أوليائه ، ويذل بهم أعداءه ، ويصرف بهم الناس عن عَرَضٍ ، ويستفتح بهم كرائم أهل الأرض ، يعبد الرحمن ^(١) ، ويدحر الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل . يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، والبيت ذى الحجب ^(٢) والعلامات على الثقب ^(٣) ، إنك جده يا عبد المطلب غير كَذِبٍ . فهل أَحْسَسْتَ شَيْءَ مما ذكرت لك . قال نعم أيها الملك إنه كان لى ابن وكنت به مُعْجَباً وعليه رفيقا وإنى زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب فجاءت بغلام فسميته محمداً مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . فقال له سيف : إن الذى قلت لك كما قلت فاحفظه واحذرْ عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، ولولا أنى أعلم أن الموت محتاجى قبل مبعثه ^(٤) لسرت بخيلى وَرَجَلِي

(١) لم يكن اسمه تعالى الرحمن معروفاً فى الجاهلية ولهذا قال تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟) وفى صلح الحديبية لما أمر النبي عليه السلام علياً أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أمسك سهيل بن عمرو يده وقال : لا نعرف رحماناً ولا رحباً أكتب باسمك اللهم ولكنه الكذب والاتصال لا بد أن يظهر فى خلال المقال .

(٢) يقسم بالسكبة ذات الأستار .

(٣) جمع نقاب وهو الطريق الوعر فى الجبل .

(٤) ومن أين علم سيف أن الموت سيقاحه قبل بعثه والآجال غيب كما قال الله

(وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

حتى أَصْبَرَ يَرْبِ دار مُلْكِي ، فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْكِتَابِ الْناطِقِ وَالْعِلْمِ السَّابِقِ أَنَّ
يَشْرَبُ اسْتِخْكَامَ أَمْرِهِ ، وَأَهْلَ نَصْرِهِ ، وَمَوْضِعَ قَبْرِهِ ^(١) .

وَأَخْرَجَ الْوَاقِدِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
شُبُوحٌ مِنْ قَوْمِي أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَمَاراً وَعَبْدَ الْمَطْلَبِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَمَكَةَ ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ
مِنْ يَهُودِ تَيْمَاءَ صَحِبَهُمْ لِلتَّجَارَةِ يَرِيدُ مَكَةَ أَوْ الْيَمِينَ ، فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَالَ : إِنَّا
نَجِدُ فِي كِتَابِنَا الَّذِي لَمْ يُبَدَّلْ أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ ضِئْضِءٍ هَذَا ^(٢) نَبِيٌّ يَقْتُلُنَا وَقَوْمَهُ
قَتَلَ عَادٍ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ ^(٣) قَالَ : قَدِمَ كَاهِنٌ بِمَكَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْكَاهِنُ مَعَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ اقْتُلُوا هَذَا الصَّبِيَّ فَإِنَّهُ يَقْتُلُكُمْ وَيَفَرِّقُكُمْ فَلَمْ تَزَلْ قُرَيْشٌ تَحْشَى مِنْ أَمْرِهِ
مَا كَانَ الْكَاهِنُ حَذَرَهُمْ .

بَابُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ وَهُوَ فِي كِفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ بَنُو أَبِي طَالِبٍ يَصْبَحُونَ غُمُصًا ^(٤) رُمُصًا وَيَصْبَحُ مُحَمَّدٌ

(١) وَهَكَذَا تَمَّتْ تِلْكَ الْأَسْطُورَةُ لِلْسَّجُوعَةِ الَّتِي نَقَحَهَا الْوَضَاعُونَ ، لِيَلْبَسُوا بِهَا
عَلَى السَّجْدِ وَلَيْسَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ ذَلِكَ كَمَا
فَهُوَ أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ فِي رَاقِعَةِ النَّهَارِ .

(٢) الضُّؤْضُؤُ وَالضِّئْضِئُ الْأَصْلُ وَالْمَعْدَنُ .

(٣) هُوَ سُلَيْمَةُ بْنُ دِينَارٍ مَوْلَى لُبَيْبِ بْنِ جَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ، وَكَانَ أَهْرَجَ وَكَانَ
قَاصًا يَقْصُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ .

(٤) جَمْعُ أَعْمَصٍ وَهُوَ مَنْ يَعْثُلُهُ غَمَصٌ ، وَهُوَ وَسْخٌ أَيْضٌ يَكُونُ فِي جَرَى الدَّمْعِ
مِنْ الْعَيْنِ وَمِثْلُهُ الرَّعَصُ .

صلى الله عليه وسلم صقيلاً^(١) . دهيناً . قال : وكان أبو طالب يقربُ إلى الصبيان بصَحْفَتِهِمْ فيجاسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهبُ معهم فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حِدَةٍ .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس ومن طريق مجاهد وغيره قالوا : « كان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان إذا أراد أن يُعَدِّيَهُمْ أو يعشِّيَهُمْ قال كما أنتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيُفَضِّلُون من طعامهم^(٢) » وإن لم يكن معهم لم يشبعوا وإن كان لبناً شرب أو لهُمُ ثم يتناول القُعب^(٣) العيال فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده فيقول إنك لمباركٌ وكان الصبيان يصبحون رُمَصًا شُعْفًا^(٤) ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحِلا .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي حدثني محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أهله عن أم أيمن قالت « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكاً جوعاً قط ولا عطشاً وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول لا أريد أأشبعان » .

وأخرجه ابن سعد من وجه آخر عنها « وفيه لاصغيراً ولا كبيراً »

(١) أملس مجلواً .

(٢) أى يبق من طعامهم فضلة .

(٣) إناء أو قدح يشرب فيه .

(٤) جمع أشعث وهو المنترق الشعر وفي الحديث « الحج أهدث أغبر » .

وأخرج ابن سعد عن ابن القبطية قال : كان أبو طالب توضع له وسادة
 يات بها ، مَنِيَّةٌ يتكىء عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فبسطها ثم استلقى
 عليها فجاء أبو طالب فأخبر فقال وحل^(١) البطحاء إن ابن أخى هذا ليحس بنعيم .
 وأخرج مثله عن عمرو بن سعيد .

وأخرج الطبراني عن عمار قال : « كان أبو طالب يصنع الطعام لأهل مكة ،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل لم يجلس حتى يأخذ شيئاً فيضعه
 تحتة فقال أبو طالب : إن ابن أخى ليحس بكرامة » .

باب

سفر النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام
 وما ظهر فيه من الآيات وإخبار بحيرا عنه

أخرج ابن أبي شيبة والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم
 والخرائطي في الهواتف عن أبي موسى الأشعري^(٢) قال : خرج أبو طالب إلى الشام
 فخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ قريش فلما أشر فوا على الراهب
 هبطوا فخلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يبرون به فلا يخرج
 إليهم ولا يلتفت لهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال هذا سيد العالمين * هذا رسول رب العالمين * هذا يبعث الله ربه
 للعالمين * فقال له أشياخ قريش ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرقم من لفعة لم تمر

(١) الحل ضد الحرم والبطحاء مكة والواو لا قسم والمراد بالحل النزول .

(٢) هو عبد الله بن قيس من الأشعريين وأول مشاهده خير كان نحيف الجسم

قصيرا حسن الصوت بالقرآن توفي سنة ثنتين وخمسين وقيل سنة أربع وأربعين وهو

ابن نيف وستين .

شجرة ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا للنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة
 في أسفل من غصنُوف كتفه مثل الثَّفَّاحَةِ ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاها به
 وكان هو في رَعِيَةِ الإبل قال: أرسلوا إليه فأقبلَ وعليه غمامة تَظِلُّه فقال انظروا
 إليه عليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء^(١) الشجرة فلما
 جلس مال فيء الشجرة عليه قال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه فيينا هو قائم
 عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم^(٢) فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة
 قتلوه فالتفت فإذا هو بتسعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟
 قالوا جئنا إلى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث
 إليه ناس وإنا أخبرنا خبره فَبَعِثْنَا إلى طريقك هذا قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن
 يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ؟ قالوا لا قال فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا معه فأتاهم
 فقال أيكم وليُّه ؟ قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر
 بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت قال البيهقي هذه القصة مشهورة^(٣)
 عند أهل المغازی . قات : ولها شواهد عدة سأوردها تقضى بصحتها^(٤) إلا أن
 الذهبي ضعف الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالا فإن أبا بكر لم
 يكن إذ ذاك متأهلاً ولا اشترى بلالا^(٥) وقد قال ابن حجر في الإصابة الحديث

(١) النِّيء الظل مما بذلك لأنه بقيء أي يرجع من ناحية إلى أخرى .

(٢) م نوم قيصري ويلقبون ببنى الأصفر .

(٣) بل للشهور المحفوظ رواية ابن اسحق التي أوردها عن البيهقي فهي أصح

وأضبط ، وليس فيها من التكرارات والترايب ما في هذه الرواية .

(٤) إنما تقضى الشواهد بصحة ما يتفق معها من أحداث هذه القصة وأما ما فيها

من الزيادات فليس هناك ما يشهد له .

(٥) وصدق الذهبي فإن أبا بكر كان عمره إذ ذاك نحواً من عشر سنين وعل

بلالا لم يكن قد ولد بعد .

رجاله ثقات ، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة ^(١) فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر ونهما من أحد رواته .

وأخرج البهقي عن ابن إسحاق قال كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه فخرج في ركب من الناس إلى الشام وخرج به معه فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له (بحيرا) في صومعة له وكان أعلم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة قَطُّ راهب إليه يصير علمهم ^(٢) عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا كثيرا مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته فصنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت ^(٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال إني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأنا أحب أن تحضروا

(١) لا بل هناك كثير غيرها مثل قوله في وجه الركب هذا سيد العالمين الخ ولما سألوه ما علمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له فكيف لاحظ ذلك الراهب من صومعته ولم يلاحظه القوم وهم في معبته ؟ وقوله لم حين أقبل انظروا كيف تظله الغمامة ؟ وقوله انظروا كيف مالت الشجرة بأغصانها عليه فكيف يرى القوم هذه الآيات الصارخة ولا يتعجبون بها بعد عودتهم إلى مكة وراوى الحديث وهو أبو موسى الأشعري من أهل اليمن ولم يسلم إلا سنة ثمان من الهجرة .

(٢) أى لم يزل يكون في هذه الصومعة راهب ينتهى إليه علم النصرانية .

(٣) يعنى امتدت ومالت .

كلكم صغيركم وكبيركم وحرثكم وعبدكم ، فقال له رجل منهم يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ فقال بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه في رجال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا ، قالوا له : يا بحيرا ما تخاف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا ، تخلف في رحالهم ، قال : فلا تفعلوا أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من قريش مع القوم واللّات والعزى ، إن هذا لأوأم بنو أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ، قال : ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، قام بحيرا فقال له : يا غلام أسألك باللّات والعزى ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرا ذلك ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : له لا تسألنى باللّات والعزى شيئا ، فو الله ما أبغضت بُغضَهُما شيئا ، فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال سلنى عما بدّ لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته ، وأمره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

قال فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ فقال ابنى فقال له بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ؟ قال له : فإنه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت

ارجع بآبن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه
 ما عرفت كَيْبُغْنَهُ (١) شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده
 فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام
 فزعوا فيما يتحدث الناس أن زبيراً وتَمَاماً ودريساً وهم نفر من أهل الكتاب
 قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السَّفر الذي كان فيه
 مع عمِّه أبي طالب أشياء فأرادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يمجّدون
 في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه (٢) حتى
 عرفوا ما قال لهم وصدّقه بما قال : فتركوه وانصرفوا وقال أبو طالب في ذلك
 أبياتاً منها :

فما رجعوا حتى رأوا من محمد	أحاديث تجلو غمّ كل فؤاد (٣)
وحق رأوا أخبار كل مدينة	سجوداً له من عَصْبَةٍ وفُرَادٍ
زبيراً وتَمَاماً وقد كان شاهداً	دريساً وهُمُّوا كلهم بفساد
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا	له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذين تهوّدوا	وجاهدكم في الله كلّ جهاد
فقال ولم يترك له النّضح رُدّه	فإن له أرصاد كلّ مُصاد
فإني أخاف الحاسدين وإنه	لنّي الكتب مكتوب بكلّ مِدادٍ (٤)

(١) يقصدون به أذى ، يعنى يقتلونه .

(٢) يعنى أنهم إن عزموا على تنقيذ ما أرادوا من قتله لم يستطيعوا الوصول إليه
 لأن الله لم يكن ليلسطهم عليه .

(٣) تذييه وتذهبه .

(٤) لا تدري ما مدى صحة نسبة هذا إلى أبي طالب ولكن يبدو والله أعلم أنه
 شعر عجلت مأخوذ من غوى القصة .

وأخرج أبو نعيم عن الواقدي عن شيوخته مثله ، وفيه وجعل ينظر إلى الحمرة في عينيه ، ثم قال لقومه : أخبروني عن هذه الحمرة تأتي وتذهب أولاً فتأرقه ؟ قالوا : مارأيناها ، فارقته قط ، وسأله عن نومه فقال : تنام عيناى ولا ينام قلبي ^(١) وفيه بعد قوله كأن لابن أخيك ، هذا شأن نجده في كتبنا وماورثنا من آبائنا ، وقد أخذ علينا موثيق قال أبو طالب : من أخذ عليكم الموثيق ؟ قال الله أخذ علينا نزل به عيسى ابن مريم .

وأخرج ابن سعد مثله بطوله عن داود بن الحصين وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ابن ثنتي عشرة سنة .

وأخرج أبو نعيم عن علي قال « خرج أبو طالب في تجارة إلى الشام في نفر من قُرَيْش وأخذ معه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أشرفوا على بحيرا الراهب في وقت قيظ وحرّ رفع الراهب بصره فإذا غمامة تُظِلُّ النبي صلى الله عليه وسلم من بين من معه من الشمس فصنع بحيرا طعاماً ودعاهم إلى صومعته فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الصومعة أشرفت الصومعة نوراً ^(٢) » فقال بحيراً : « هذا نبي الله الذي يُرسله من العرب إلى الناس كافة » .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبد الله بن محمد بن عقيل « قال سار أبو طالب إلى الشام والنبي صلى الله عليه وسلم معه ، فنزلوا على صاحب دير ^(٣) »

(١) هذا امر حصل بعد النبوة ونزول الوحي عليه .

(٢) كل ما فيه وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنور الحسي كذب وغلو بمقوت بل إنما هو نور في الهداية والبيان ولقد ورد في الصحيح عن عائشة « أنها فقدت رسول الله ذات ليلة فخرجت تبحث عنه في ظلمة الليل حتى وقعت يدها على قدمه وهو ساجد وهي لا تراه » فلو كان كما يزعم هؤلاء الغلاة نوراً حسياً لأضاء المسجد فرأته عائشة .

(٣) الدير في الأصل دار الصلاة والتفكير للربان وكان الشرقي الأدنى أهلاً بالأديرة منذ أوائل النصرانية إلى ما بعد الفتح الإسلامي

فقال صاحب الدير : ماهذا الغلام منك ؟ قال ابني قال ماهو بابنك ولا ينبغي أن يكون له أب حي قال ولم ؟ قال لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي قال وما النبي ؟ قال الذي يوحى إليه من السماء فينبئ به أهل الأرض قال الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ، قال : ثم خرج حتى نزل راهب أيضاً صاحب دير ، فقال : ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك : وما ينبغي أن يكون له أب حي قال ولم ذلك قال لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي قال سبحان الله . الله أجل مما تقول قال يا ابن أخي ألا تسمع ما يقولون ؟ قال : أي عم لا تشكر الله قُدْرَةً (١) وأخرج ابن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال : قال الراهب لأبي طالب لا تخرجن بابن أخيك إلى ماهاهنا فإن يهود أهل عداوة وهذا نبي هذه الأمة وهو من العرب ويهود تحسده تريد أن يكون من بني إسرائيل فاحذر على ابن أخيك (٢) .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن أبي مخنف (٣) أن أبا طالب سافر إلى الشام وأخذ معه النبي صلى الله عليه وسلم فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب فقال إن فيكم رجلاً صالحاً ثم قال أين ولي هذا الغلام ؟ قال أبو طالب ها أنا ذا قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسدوني أخشاهم عليه فردّه (٤) .

(١) لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه إلى الشام إلا مرة واحدة وهي التي لقي فيها بحيرا الراهب فهذه الأخبار التي يرويها للؤلف مهما اختلفت إنعته تعود إلى وصف تلك الرحلة وإلا فعلى كذب وهراء .

(٢) لا شك أن المراد بالراهب هنا هو بحيرا .

(٣) هو لاحق بن حميد بن سدوس بن شيبان نزل خراسان وعقب بها وتوفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز قبل وفاة الحسن البصري وكان عاملاً على بيت المال وطىء ضرب السكة .

(٤) اختلفت الروايات في ذلك فبعضها يقول إن أبا طالب رجع بابن أخيه ولم يتم رحلته وبعضها يقول إنه أرسله مع بعض من كان معه من عشيرته .

وأخرج ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس أن أبا بكر الصديق صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى إذا نزل منزلاً فيه سدر (١) قعد في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له : من الرجل الذي في ظل الشجرة ؟ قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال : هذا والله نبي ما استظلّ تحتها بعد عيسى ابن مريم إلا محمد ووقع في قلب أبي بكر الصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه . قال ابن حجر في (الإصابة) إن صحّت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب (٢) .

باب استسقاء أبي طالب به صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش يا أبا طالب أفحط الوادي وأجذب العيال فهُلِّم واستسق . خرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن (٣) تجلّت عنه سحابة قماء (٤) وحوله أغيلة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه الغلام ومافى

(١) هي شجرة النبق وجمعها سدر .

(٢) هذه قصة غير صحيحة ولم يسافر النبي صلى الله عليه وسلم الشام إلا مرتين مرة مع عمه وعمره اثنتا عشر سنة ومرة حين سافر بتجارة خديجة إلى بصرى وكان عمره خمسا وعشرين سنة .

وهل من المقول أن تكون سدر في الطريق ثم لا يأوى إليها أحد بعد عيسى إلا محمداً ثم هل من المقول أن تعيش شجرة ما يقرب من ستائة سنة ؟

(٣) الدجن : المطر الكثير والغيم المطبق : يقال يوم دجن ويوم دجن إذا كان كثير المطر .

(٤) سوداء مغبرة .

السماء قَزَعَةً^(١) فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا ، وأغدق وأغدودق وانفجر له
الوادي وأخصب البادي والنادى ففى ذلك يقول أبو طالب .

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثَمَالٌ^(٢) اليتامى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
يلوذ به الهلاكُ من آل هاشم فهم عنده فى نعمةٍ وفواضِلِ

باب

أخرج أبو نعيم من طريق ابن عون عن عمرو بن سعيد قال : جاء يهود
إلى أبي طالب يشترّون منه متاعاً فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو
غلام فلما بصرُوا به تركُوا ما كانوا فيه وخرجُوا هارين فقال أبو طالب لرجل
عند ، إذهب فعارِضْهُمْ من موضع كذا وكذا فإذا لقوك فاضرب يا حدى يدك
على الأخرى وقل رأيتُ العَجَبَ كلَّ العَجَبِ وانظر ماذا يرُدُّون عليك
فذهب ففعل ذلك فقال اليهود وأىَّ عَجَبٍ رأيتُ ؟ قد رأينا نحن أعجب مما
رأيت قال وأىَّ شئٍ رأيتُمْ ؟ قالوا رأينا الساعة محمداً يمشى على وجه الأرض^(٣) .

باب

أخرج ابن عساكر عن أبي الزناد «قال اصطرع أبو طالب وأبو لهب فصرع
أبو لهب أبا طالب وجلس على صدره فمدَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذؤابة أبي لهب
والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غلام ، فقال له أبو لهب . أنا عمك وهو عمك .

(١) الفزع قطع من السحاب صغار متفرقة .

(٢) ثَمَال القوم غياثهم الذى يقوم بأمرهم .

(٣) يظهر أن واضع هذه القصة لم يكن خبيراً بفن اختراع القصص ، ولهذا

جاءت أكذوبته صريحة .

فلم أعنته على؟ قال لأنه أحبُّ إلىَّ منك، فمن يومئذ عادى أبو لهب النبي صلى الله عليه وسلم واختبأ له هذا الكلام في نفسه^(١).

باب

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب، فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا^(٢).

وأخرج مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه قد كان يحوطك ويفضلك؟ قال: نعم، هو في ضحاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار^(٣).

وقال ابن سعد أنبأنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس: يا رسول الله أترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجو من ربي. أخرجه ابن عساكر.

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه

(١) وهذه حكاية أصح من سابقها فإن أبا طالب انتهت إليه رئاسة بني هاشم بعد أبيه، فلا يعقل أن يسيء إليه أحد أخوته بكلمة نابية فضلا عن أن يصرعه ويحجم على صدره كما لا يعقل أن يعين النبي أحد أعمامه على الآخر، فإن النظام القبلي يقوم أساسا على احترام الأصغر الأكبر.

(٢) الذي في الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة قعد النبي صلى الله عليه وسلم عند رأسه وعرض عليه الإسلام وقال له: يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، وكان عنده رجلان من المشركين، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فسكان آخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب، فكيف يرغب هو عن الإسلام ثم يدعو غيره إلى اتباعه؟

(٣) وورد في بعض الروايات أنه يلبس نعلين من نار يغلي منهما دماغه.

يقول إن لأبي طالب عندى رحماً سألها بيلها (١) .

وأخرج تمام فى فوائده وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ لي كان فى الجاهلية » قال تمام فى إسناده الوليد بن سلمة منكر الحديث (٢) .

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « شفعت فى هؤلاء النفر فى أبى وعمى أبى طالب وأخى من الرضاة يعنى ابن سمدة لىكونوا من بعد البعث هباء » (٣) وقال الخطيب فى إسناده خطاب بن عبد الدثم الأرسوق وهو ضعيف يعرف برواية المناكير عن يحيى بن المبارك الصنعانى ، وهو مجهول عن منصور بن المعتمر ، عن ليث بن أبي سليم ومنصور لا يروى عن ليث وليث فيه ضعف .

باب

أخرج ابن عساكر من طريق الحسن بن عمارة عن رجال سماهم أن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ذهبا إلى قبر أبى طالب ليستغفرا له فأنزل الله

(١) لفظ الحديث عند أحمد وغيره « إن آل فلان ليسوا بأوليائى واسكن أوليائى للفقون إلا أن لهم رحماً سألها بيلها » دون ذكر أبى طالب .

(٢) وهو حديث ينادى على نفسه بالسقوط فإن الشفاعة لا تكون لشرك كما قال تعالى (فما تنفعهم تنفعهم شفاعة الشافعين) .

وشفاعته عليه السلام لعمه إنما هو فى تخفيف العذاب عنه لا فى الخروج من النار .

(٣) كيف طوعت اللؤايف نفسه أن يروى مثل هذا الحديث الذى يهدم قاعدة الجزاء وينافى عدل الله عز وجل وحكمته والله عز وجل يقول (ألحسبتكم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقد علم من الدين بالضرورة أن كل واحد من بنى آدم مجزى بعمله ، فإما فى الجنة أو فى النار .

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية . فاشتد على النبي صلى الله عليه وسلم موت أبي طالب على الكفر فأُنزل الله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت) يعنى به أبا طالب ولكن الله يهدي من يشاء ، يعنى به العباس بن عبد المطلب هذا مكان أبي طالب عوضا للنبي صلى الله عليه وسلم من أبي طالب ، وكان العباس أح - عومة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي طالب إليه ^(١) .

باب

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر قال « لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً فأثنت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي فجعل يقول أى بنية لا تبكين خيبن الله مانع أباك » ^(٢) .

باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بحفظ الله إياه في شبابه

عما كان عليه أهل الجاهلية

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينقل الحجارة للكعبة وعليه إزار ^(٣) فقال له العباس عمه يا ابن أخى لو حلت

(١) بل كان حمزة أسد الله وأسد رسوله أحب إليه من العباس ، وقد حزن عليه حين قتل بأحد حزنا لم يحزنه على أحد قط فإنه كان من السابقين الأولين والعباس لم يسلم إلا قبيل الفتح .

(٢) الذى فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل عند الكعبة فقال أبو جهل : من منكم يأتى بسلا جزور بنى فلان فيطرحه على عمد وهو ساجد طائفت أشقى القوم عقبة بن أبى معيط فأتى بسلا الجزور وطرحه على ظهر النبي وهو ساجد فظل النبي ساجداً حتى أتت فاطمة ابنته فرفقته وأقبلت على القوم تسبهم وهى تبكي فقال لها النبي عليه السلام ذلك .

(٣) هو ما يلف على النصف الأسفل من الجسم .

إزارك فجعلته على منكبيك يقيك الحجارة ، فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشيًا عليه فارؤى بعد ذلك اليوم عريانا » .

وأخرج الشيخان عن جابر قال « لما بُنيت الكعبة ^(١) ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم « اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة ، ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناك إلى السماء ، ثم قام فقال : إزارى فُشِدَّ عليه إزاره » .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن العباس قال « كنت أنا وابنُ أخى نَحْمَلُ على رقابنا وأزُرُّنا تحت الحجارة فإذا غَشِينَا الناسَ أَتَزَرُّنا فينا ، أنا أمشي ومحمد صلى الله عليه وسلم أمامي فخر فجئتُ أبتغي ، وهو ينظر إلى السماء ، فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره وقال : نهيتُ أن أمشي عريانا فكنت أكتُمها الناس مخافة أن يقولون مجنون » ^(٢) .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي الطفيل قال « لما بنت قريش الكعبة نقلوا الحجارة من أجساد الضواحي فيبما رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلها إذا انكشفت عورته فنودي يا محمد عورتك فذلك أول ما نودى فما رويت له عورة بعد ولا قبل » .

وأخرج ابن سعد وابن عدي والحاكم وصححه وأبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سألته أبو طالب فقال : أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فكان أول شيء رأي

(١) كان قد جاء سيل فهدمها فقامت قريش بتجديد بنائها

(٢) يعني أن العباس كان يكتُم مقالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله « نهيت

أن أمشي عريانا مخافة أن يتهمة الناس بالجنون »

رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة أن قيل له : استرو وهو غلام (١) قال :
« فما رؤيت عورته من يومئذ » .

وأخرج ابن سعد عن عائشة قالت : ما رأيت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وأخرج ابن راهويه في مسنده وابن إسحاق والبخاري وأبو نعيم وابن عساکر عن علي بن أبي طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهيمون به من النساء (٣) إلا ليلتين كلتهما عصمني الله منهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان فقال : بلى ، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرارييل والمزامير ، قلت : ما هذا ؟ فقلت : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ففعل فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني ، إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : لا شيء ثم أخبرته الخبر فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك ، حتى أكرمني الله بنبوته » قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات .

-
- (١) المشهور أن ذلك كان في بناء الكعبة كما رواه الشيخان وكانت سنة إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة أي قبل البعث بخمس سنين .
(٢) نص الحديث « ما رأيت منه ولا رأي مني » تعني العورة .
(٣) الصحيح من اللهو أو من السمر .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عمار بن ياسر^(١) أنهم قالوا :
يا رسول الله هل أتيت في الجاهلية من النساء شيئاً ؟ قال : لا ، وقد كنت
منه على ميعة دين : أما أحدهما فغلبتني عيناى ، وأما الآخر : فخال بينى وبينهم
سائر قوم .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس قال : « لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتک
الأقربین ﴾^(٢) نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش بطناً بطناً فقال :
« أرايتم لو قلت لكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم
ما جرّبنا عليك كذباً قط ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ،
فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله ﴿ تبّت يدا أبى لهب
وتب ﴾^(٣) .

وأخرج أبو نعيم عن عائشة قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) هو عمار بن ياسر بن مالك من عنس رهط الأسود العنسي للنجباء الكذاب
قدم أبوه ياسر من اليمن إلى مكة وحالف أبا حذيفة بن الغيرة المخزومي فزوجه أمة له
يقال لها سمية فولدت له عماراً وقد أسلم آل ياسر كلهم وكانوا يعذبون في الله عز وجل
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويقول « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .
وكان عمار من خيار الصحابة وأشدّهم ملازمة لرسول الله وكانت أمه سمية أول
شهيدة في الإسلام وشهد عمار مع علي صفين وقتل هناك ودفن وصلى عليه ، ولم يغسله
وقد جاء في الحديث « وبع عمار تقتله الفئة الباغية » .

(٢) المحفوظ أن هذا كان عند نزول قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين) وأنه عليه السلام وقف على الصفا ونادى بطون قريش كلها فاجتمعوا
عليه ، فقال ما قل .

(٣) من التباب وهو الهلاك وأبو لهب هو أحد أعمامه عليه السلام وكان أعنق
أمة ثوية حين بشرته بولادته ولكنه كان أول من عارض دعوته ، فنزلت هذه
السورة فيه وفي زوجته أم جميل حمالة الخطب .

سمعت زيد بن عمرو بن نفيل ، يعيب أكل ما ذُبح لغير الله ، فما ذقت شيئاً
ذبح على النُّصْب حتى أكرمني الله برسالته ^(١) .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن علي قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
هل عبدت وثناً قط؟ قال : «لا، قالوا : فهل شربت خمرأً قط؟ قال : لا، وما زلت
أعرف أن الذي هم عليه كُفر ، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان» ^(٢) .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال : «حدثني أم أيمن قالت : كان بوانة صنماً ^(٣) يحضره قريش يوماً في السنة ،
وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى ، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت
عماته غضبنَّ عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعان يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع
من اجتناب آلهتنا ، وجعان يقلن : يا محمد ما تريد أن تحضر لقومك عيداً
ولا تُسكِّتَ لهم جمعاً ، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع
إلينا مرعوباً فزعاً ، فقلن عماته : مدهاك؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لم ،
فقلن ما كان الله ليبتليك بالشیطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي
رأيت؟ قال : إني كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لي رجل أبيض ، طويل يصيح

(١) بل الصحيح أن كل أعمال الجاهلية بغضت إليه بسبب سلامة فطرته وعصمة
الله إياه ، وأنه لم يكن بحاجة إلى أن يقلد أحداً في ذلك

(٢) يعني أن ذلك كان بالهام الفطرة قبل نزول الوحي .

(٣) المعروف أن بوانة اسم مكان لاصنم فقد جاء في الحديث « أن رجلاً نذر أن
ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال النبي : هل كان فيها صنم
يعبده؟ قالوا لا فقال هل كان فيها عيد من أعياد الجاهلية؟ قالوا : لا فقال للرجل أوف
بتذكرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية ولا فيها لعلك ابن آدم .

ويجوز أن يكون اصنام اصنامهم واسما لمكان ،

ي : وَرَأَيْكَ يَا مُحَمَّد لَا تَمْسَهُ ، قَالَتْ . فَمَاعَادَ إِلَى عِيدِهِمْ حَتَّى تَنْبِئَهُ . » .

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرَّ عَلَى جَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، بَيْنَ الرُّكْنِ وَزَمْزَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : هُوَ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَنَعَمْ الْمَرْءُ هُوَ لَوْلَا أَنَّهُ يَمْسَحُ الْأَوْتَانِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَمَا مَسَحْتُهُنَّ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِالنَّبُوءَةِ (١) . »

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ طَارِيقِ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مَعَ بَنِي عَمِّهِ عِنْدَ إِسَافٍ (٢) ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَهُ إِلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ سَاعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهُ بَنُو عَمِّهِ : مَالِكُ يَا مُحَمَّد ؟ قَالَ : « نَهَيْتُ أَنْ أَقُومَ عِنْدَ هَذَا الصَّنَمِ » .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ : كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ إِسَافٌ أَوْ نَائِلَةٌ ، يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا ، فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطُفَّتْ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَرَرَتْ مَسَحَتْ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَمْسَهُ » ، قَالَ زَيْدٌ : فَطَفْنَا بِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا مَسَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ ؟ فَمَسَحْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَمْ تُنَنِّ ؟ قَالَ زَيْدٌ : فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ مَا اسْتَلَمْتُ صَنَمًا حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ . .

(١) حَاشَا عَلَى اللَّهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ مِنْهُ مِثْلُ هَذَا الشِّرْكِ ، وَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الشِّرْكِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ وَبَعْدَهَا ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُنَاقِضٌ لِلَّذِي قَبْلَهُ مُنَاقِضَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَالَّذِي قَبْلَهُ هُوَ الصَّحِيحُ لِلْعَوْلِ عَلَيْهِ .

(٢) كَانَ صَنَمًا عَلَى الصِّفَا وَكَانَ نَائِلَةً عَلَى الرَّوَةِ وَتَزَعُمُ الرِّوَايَةُ أَنَّهُمَا كَانَ رَجُلًا وَامْرَأَةً زَيْنًا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، فَهَسَا حَبْرَيْنِ فَوَضَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الصِّفَا وَالْآخَرُ عَلَى الرَّوَةِ .

وأخرج أحمد عن عُرْوَةَ بن الزبير قال : حدثني جَارٌ لَخَدِيجَةَ بنت خُوَيْلِدٍ
 قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لَخَدِيجَةَ : أَيْ خَدِيجَةَ ، والله
 لا أعبد اللات أبداً ، والله لا أعبد العزى أبداً » .

وأخرج أبو يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله
 قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدَهم ، فسمع ملكين
 خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى تقوم خلف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، قال : كيف تقوم خلفه ؟ وإنما عهده باستلام الأصنام قُبِيلٌ ^(١) ، فلم
 يُعَدُّ بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدَهم » .

قال الطبراني والبيهقى قوله : وإنما عهده باستلام الأصنام ، يعنى أنه شهد
 مع من استلم الأصنام لا أنه استلمها ، والمراد بالمشاهد التى شهدوها مشاهد الحلف
 ونحوه ، لا مشاهد استلام الأصنام ، وقال ابن حجر فى (المطالب العلية) : هذا
 الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شيبة فبالغوا والمنكر منه قوله عن
 الملك عهده باستلام الأصنام ، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مُراداً ،
 بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم ^(٢) .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى وأبو نعيم عن جَبْرِ بن مُطْعِمٍ قال : لقد
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقف على بعير له بعرفات
 من بين قومه حتى يدفعَ معهم توفيقاً من الله له ^(٣) .

(١) تصغير قبل الذى هو ظرف زمان أى قبل ذلك بزمان يسير .

(٢) ولكن الظاهر من اللفظ أنه باشر الاستلام وأن ذلك هو السبب فى أنها
 لم يقوموا خلفه .

(٣) يعنى أنه لم يكن يفعل ما ابتدعته قريش من الوقوف بالمزدلفة ويقولون نحن
 الخمس فلا نخرج من الحرم بل كان يقف مع الناس بعرفات ويدفع معهم إلى المزدلفة
 قال تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) .

وأخرج الشيخان عن عائشة قالت : « كانت قریش ومن دَانَ دِينَهَا وهم الحُمْس يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الحرم » .

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والبغوی في معجمه ، والباوردی في الصحابة عن ربيعة الجُرَشِي قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً في الجاهلية بعرفات ، فعرفت أن الله وَفَّقَهُ لذلك » .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم بتعظيم قومه له في شبابه
وتحكيهم إياه والتماسهم دعاءه وتسميته بالأمين

أخرج يعقوب بن سفيان والبيهقي عن ابنِ شِهَاب : أن قریشاً لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت في الركن ، أي القباثل يَلِي رفعه ، فقالوا : تعالوا نحكم أَوَّل من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام^(١) ، فحكموه فأمر بالركن فوُضِع في ثوب ، ثم أخرج سيّد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فوضعه هو ، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضى حتى دَعَوُهُ الأمين ، قبل أن ينزل عليه الوحي فطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها .

وأخرج أبو نعيم وابن سعد عن ابن عباس ومحمد بن جبير بن مطعم قالوا : « لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجراً يَشُدُّ به الركن ، فقال العباس : لا ، وناول العباس النبي صلى الله عليه وسلم حجراً فشد به الركن ، فغضب النجدي وقال : وا عجباً لقوم أهل شَرَف وعُقُول وسِنٍّ وأموال ، عَمِدُوا إلى أصغرهم سنّاً ، وأقلهم مالاً

(١) كانت سنة إذ ذاك خمساً وثلاثين سنة كبر تقدم .

فَرَأَوْهُ عَلَيْهِمْ فِي تَكْرِمَتِهِمْ وَحِرْزِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خَدَمٌ لَهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَيَفُوتَنَّهُمْ
سَبَقًا وَلَيَقْسِمَنَّ بَيْنَهُمْ حُطُوطًا وَجُدُودًا فَيَقَالُ : إِنَّهُ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ .

وأخرج ابن سعد وابن عسّا كِرعن داود بن الحصين قال : قالوا شَبَّ رَسُولُ
الله صلى الله عليه وسلم أَفْضَلَ قَوْمَهُ مُرُوءَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَكْرَمَهُمْ مُحَالَطَةً
وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ، وَأَمَانَةً ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ
الْفَحْشِ وَالْأَذَى مَارُؤَى مُمَارِيًا ^(١) وَلَا مُلَاحِيًا ^(٢) أَحَدًا حَتَّى سَمَّاهُ قَوْمَهُ الْأَمِينِ .

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد ^(٣) قال حدثني مولاى عبد الله بن السائب : قال
كنت شريك النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، فلما قدمت المدينة قال « تعرفنى ؟
قلت : نعم كنت شريكى فنعم الشريك لا تُدَارِى ^(٤) وَلَا تُمَارِى » .

وأخرج أبو داود وأبو يعلى وابن مندة في (المعرفة) والخرائطي في (مكارم
الأخلاق) عن عبد الله بن أبي الحُمَاسَاء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل
أَنْ يُبْعَثَ بِبَيْعٍ فَبَقِيَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ فِي مَكَانِهِ فَذَهَبْتُ فَتَسَيَّتُ ذَلِكَ
الْيَوْمَ وَالْغَدَ فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَوَجَدْتُهُ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ « لَقَدْ شَقَقْتُ

(١) اسم فاعل من المارة وهى المجادلة .

(٢) من الملاحة وهى المحاصرة والمنازعة .

(٣) هو مجاهد بن جبر كان مولى لقيس بن السائب المخزومى ، وقال مجاهد في
مولاى قيس بن السائب نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وكان
مجاهد إماما فى التفسير حتى قيل فيه إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك ، وقال هو
عن نفسه : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات من فاتحته إلى خاتمته أفقه
عند كل آية أسأله عنها .

مات بمكة سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة .

(٤) من المداراة وهى المواربة والمداجاة .

على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك»^(١).

وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خثيم قال : كان يتحاكم إلى رسول الله صلى عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

باب مآظهم من الآيات في سفره صلى الله عليه وسلم

لخديجة مع ميسرة

قال ابن إسحاق : عرضت عليه خديجة أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام ، فخرج ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٢) وكان ميسرة فيما يزعمون إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باع ما جاء به فأضعف وحدثها ميسرة من قول الراهب ، وما رأى من إضلال الملكين فرغبت في زواجه . أخرجه البيهقي عنه .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن نفيسة بنت منية أخت يعلى ابن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ، وليس له اسم بمكة إلا الأمين ، خرج في تجارة لخديجة إلى الشام ، ومعه غلامها ميسرة

(١) كان صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في كل خلق كريم من الوفاء بالوعد والحم والشجاعة والصبر الخ . ولقد قال عليه السلام (إنما يشت لأتم مكارم الأخلاق) وقد جاءت ابنته فاطمة تسأله عبداً من العبي ، وتشكو له أن الرخا في يدها ، فيقول لها كيف بموعدي لأبي الهيثم ؟

(٢) والمعجب من شجرة تكون على طريق المسافرين في هذه الصحارى المخرقة ثم لا يأتون إليها حتى يخرج النبي عليه السلام في سفرته الثانية فينزل تحتها ، ترى هل كان مكتوباً على هذه الشجرة أنها حرام على غير الأنبياء ؟

عندما بَصُرَ في ظل شجرة فقال : نَسْطُورًا الرَّاهِبَ : ما نزل تحت هذه الشجرة : قط إلا نَبِيٌّ ، ثم قال لميسرة أفي عينيه نُحْمَرَةٌ ؟ قال : نعم ، لا تَفَارِقُهُ ، قال : هو نبي وهو آخر الأنبياء ، ثم باع سلعته فوق عينيه وبين رجل تَلَاحٍ ، فقال له : إحلف باللات والعزى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حلفت بهما قط وإني لَأَمُرُّ فَأَعْرِضْ عَنْهُمَا » فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة هذا والله نبي تجده أَحْبَارُنَا مَنُوعُونَ في كتبهم ، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس ، فَوَعَى ذلك كله ، ثم رجعوا فدخلوا مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجة في عُلَّةٍ لها ، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكاً يُظَلِّلُ عليه فأرته نِسَاءَهَا ، فَعَجِبْنَ لذلك وأخبرت به ميسرة ، فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بما قال الراهب وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

باب الآية في نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

أخرج ابن سعد من طريق سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس « أن نساء أهل مكة اختلفن في عيد كان لهنَّ في رجب فيننهن عُكُوفٌ ^(١) عند وَثْنٍ مُثَلٍّ لهن كرجل حتى صار منهن قريباً ثم نادى بأعلى صوته : يَا نِسَاءَ تَيْمَاءَ إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي بَلَدِكُنَّ نَبِيٌّ يَقَالُ لَهُ أَحْمَدُ ، يبعث برسالة الله فأيا امرأة استطاعت أن تكون زوجاً له فلتفعل فحصبته ^(٢) النساء وقبحنه ^(٣) وأغلظن له وأغصت ^(٤) خديجة على قوله ولم تعرّضْ له فيما عرّض له النساء ^(٥) .

(١) يعني لا نبات مقبات . (٢) فذفته بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة .

(٣) أي قلنا له قبحك الله . (٤) من الإغضاء وهو إغماض الطرف .

(٥) يعني لم تتناوله بالتفبيح والسب كما فعل غيرها .

(باب ما وقع عند المبعث من المعجزات والخصوصيات)

أخرج الشيخان عن عائشة قالت «أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي^(١) الرؤيا الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق^(٢) الصبح ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يأتي حرّاء^(٣) فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حرّاء، فأتاه الملك فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قُلت ما أنا بقارىء^(٤) فأخذني فغطني^(٥) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قُلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قُلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ (مالم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني^(٦) فرملوه حتى ذهب عنه الروع^(٧) فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم^(٨) وتصدق الحديث

(١) هو أعلام بالشيء في خفاء وسرعة ولهذا يطلق على الإشارة والرسالة والإلهام القرينة، ويراد به في لسان الشرع ما يليقه الله إلى أنبيائه بطريق من طرق الوحي المختلفة كالنث في الروع، أو الرؤيا في النوم أو بواسطة رسول الوحي جبريل أو بتسليم الله له من وراء حجاب.

(٢) فلق الصبح ضوءه وللمراد أنها تقع في اللحظة مطابقة لما رآه في النوم.

(٣) غار في الجبل كان يخلو فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

(٤) لا أعرف أن اقرأ لأنى أمى لا أقرأ ولا أكتب.

(٥) ضمني وعصريني.

(٦) يعنى غطوني بكلاءة أو نحوها بسبب ما أخذه من القشعريرة.

(٧) الفزع.

(٨) القرابة.

وَيَحْمِلُ السَّكَلَ^(١) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومُ وَتَقْرِي الضَّعِيفُ^(٢) وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ^(٣) وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ^(٤) مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةٌ: يَا ابْنَ عَمٍّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ مَا مَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ^(٥) الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى يَالْيَتَنِي فِيهَا جَذَعًا^(٦) لِيَتَنِيَ أَكُونَ حَيًّا إِذَا يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ تُخْرِجَنِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُذَرِّكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ^(٧) وَرَقَةُ أَنْ تَوَفَّى.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ وَزَادَ فِي آخِرِهِ وَفَتَرَ^(٨) الْوَحْيَ فِتْرَةَ لَحْزَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بُلْغَتْ حَزَنُنَا غِدَامَتُهُ مِرَارَ السَّكِيِّ يَتَرَدَّى^(٩) مِنْ رُؤُسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ كَلَمًا أَوْ فِي بَذْرُوءِ^(١٠) جَبَلٍ لَكِي يَلْقَى نَفْسَهُ تَبَدَّى^(١١) لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ

(١) العاجز: الضعيف.

(٢) تقدم له قراء.

(٣) الذي في البخاري الكتاب العبراني.

(٤) الذي في البخاري أيضاً بالعبرانية.

(٥) يعني جبريل أو الشريعة.

(٦) أي شاباً قويا.

(٧) لم يلبث.

(٨) انقطع وتأخر.

(٩) أي يلقى بنفسه.

(١٠) ذروة كل شيء أعلاه.

(١١) أي ظهر له في صورة رجل وكله.

رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه ، ويرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فتبدى له جبرئيل فقال مثل ذلك . قال الحافظ ابن حجر في (شرح البخارى) ذكر بعضهم إن هذا القَطْع الذى وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي من خصائصه إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك ، والحكمة فيه شغله عن الالتفات لشيء آخر وإظهار الشدة والجِدُّ في الأمر تنبيها على ثقل القول الذى سيلقى إليه وقيل إبعاد ظن الخيل والوسوسة لأنهما ليسا من صفات الجسم ، فلما وقع ذلك بحسبه علم أنه من أمر الله .

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة^(١) الوحي ، فقال في حديثه : « فيينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بجراى جالس على كرسي بين السماء والأرض^(٢) » ، فرعبت منه فرجعت فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى .

(١) اختلف في هذه الفترة على أقوال وقد قدرها بعضهم بثلاث سنين وهو بعيد والصحيح أنها كانت نحو من ستة أشهر .

(٢) يعنى أن جبرئيل تبدى له هذه المرة على صورته للملكية التى خلق عليها له ستالة جناح سد بها الأفق وهذه المرة هى التى قال الله فيها من سورة النجم (ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ثم رآه مرة أخرى على تلك الصورة عند سدره المنتهى ليلة الاسراء كما قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى) .

فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (١) إلى قوله: ﴿وَالرَّجَزَ ٢﴾ فاهجر ﴿فَحَمِيَّ﴾
الوحي، وتتابع.

وأخرج أحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما وابن سعد والبيهقي
عن الشعبي قال: «نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقُرِنَ بنبوته
إِسْرَافِيلُ (٣) ثلاث سنين. فكان يعلمه الكلمة والشيء لا ينزل القرآن، فلما
مضت ثلاث سنين قُرِنَ بنبوته جبرئيل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة،
عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة (٤).

وأخرج أبو نعيم عن علي بن الحسين قال: «إن أول ما أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى شيئًا في المنام إلا كان
كما رأى».

وأخرج أبو نعيم عن علقمة بن قيس قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء
في المنام حتى تهتدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن طريق موسى بن عُقبة عن ابن شهاب قال:
بلغنا أن أول ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله أراه رؤيا في المنام فشق
ذلك عليه، فذكرها لخديجة فقالت: أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً،

(١) ولهذا ورد عن جابر أنه سئل عن أول ما أنزل فقال (يا أيها المدثر).
يعنى أن ذلك أول ما أنزل بعد فترة الوحي، أما أول ما أنزل على الإطلاق
فهو (اقرأ) باتفاق. وبهذه الآية صار صلى الله عليه وسلم رسولاً كما صار بآية (اقرأ)
باسم ربك الذى خلق (نبيا).

(٢) الرجز والرجز له معان، منها القدر والعذاب، وعبادة الأوثان، ولعل
هذا الأخير هو المراد.

(٣) هو أحد الملائكة الكبار وهو الموكل بالنفخ في الصور.

(٤) الصحيح ما رواه الشيخان عن عائشة من أن ابتداء النبوة كان بنزول آيات
العلق وأن القى نزل بها هو جبريل، وكانت منه إذ ذاك أربعين سنة.

ثم إنه خرج من عندها ، ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شقاً ، ثم طهر
وغسل ثم أعيد كما كان ، قالت : هذا والله خير فأبشر ، ثم استعلن^(١) له جبرئيل
وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلس كريم مُعجِب كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول : أجالسني على بساط كهنة الدُّنُوك^(٢) فيه النياقوت واللؤلؤ ، فبشره
برسالة الله حتى اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : اقرأ ، فقال : كيف
أقرأ ؟ ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾ ، فقبل
الرسول رسالة ربه وانصرف ، فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه ،
فخرج مسروراً إلى أهله موقناً قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال :
أرأيتك الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام ، فإنه جبرئيل استعلن لي
أرسله إلى ربّي ، فأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت أبشر فوالله
لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حق ، وأبشر فإنك
رسول الله حقاً ، ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس
نصرانياً من أهل نينوى يقال له : عدّاس^(٣) ، فقالت له : يا عدّاس أذكرُك بالله
إلا ما أخبرتنى هل عندكم علم من جبرئيل ؟ فقال عدّاس : قدّوس قدوس
ما شأن جبرئيل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان ؟ فقالت أخبرني
بعلمك فيه ، قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى

(١) أي طهر له في العلانية .

(٢) الدرنوك بالضم : ضرب من الثياب أو البسط .

(٣) الصحيح أنها انطلقت به إلى ورقة بن نوفل كما في حديث عائشة وأما عداس

فإما لقيه عند منصرفه من الطائف حين أوعى إلى ظل حائط كان لعبه وشية فبعثا
إليه عداساً يقطف من عنب البستان ، فهذه الرواية فيها تلهيق كثير وادماج قصة
في أخرى .

فخرجت خديجة من عنده ، فحامت ورقة بن نوفل فأخبرته ، فقال : لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، ثم أقسم بالله إنني ظهر دُعاؤه ، وأنا حيٌّ لأبليين الله في طاعة رسوله وحسن موآزرته فمات ورقة .

ثم أخرج البيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن عروة بن الزبير نحو هذه القصة وفي أولها ، بعد فشق عليه ورأى أنه يدنا هو في مكة أتى إلى سقف بيته فنزع شَبْحَةَ شَبْحَةَ^(١) حتى إذ نزع أدخل فيه سُلَمٍ^(٢) من فضة نزل إليه رجلان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أردت أن أستغيث فمَنَعْتُ الكلام ، ففعد أحدهما إلى رأسي والآخر إلى جنبي ، فأدخل أحدهما يده في جنبي فنزع ضلعين منه فأدخل يده في جوفي ، وأنا أجد برذها فأخرج قلبي ، فوضعه على كفهِ . فقال لصاحبه : نعم القلبُ قلب رجل صالح ، ثم أدخل القلب مكانه وردَّ الضلعين ثم ارتفعا وورفعا سَلَمَهُمَا فاستيقظت فإذا السقف مكانه كما هو ، فذكرها لخديجة فقالت إن الله لن يفعل بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ورجع فأخبرها أن بطه شقٌّ ثم طهر وغسل ثم أعيد إلى آخر ما تقدم^(٣) وزاد فيه ففتح جبرئيل عينا من ماء فتوضأ ومحمد صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح

(١) أي عودا عودا .

(٢) ليت شعري هل كان الملاك في حاجة إلى سلم لينزلا عليه والملائكة تنزل وتصعد من السماء باستمرار وقد يبرر ذلك أنها رؤيا منام .

(٣) لو صح هذا الأثر فلعل هذا قد حدث في الفترة التي كانت فيها النبوة بالرؤيا الصادقة ولعلنا لا نظنه صحيحاً وإن شق المصدر إنما كان ليلة الإسراء على الصحيح وفي بعض الرويات أنه حصل له ذلك في مرة سابقة عند ما كان مسترخياً في بني سعد بن بكر .

برأسه ورجليه إلى السكابين ثم نَصَح فرجه وسجد سجدتين مُوَاجِهَةً البيت ففعل
محمد كما رأى جبرئيل يفعل ^(١) .

وأخرجه أبو نعيم من وجه ثالث عن أنزهري عن عروة عن عائشة موصولاً
بالزيادة الأخيرة ، قال البيهقي : وما ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون
حكاية منه لما صنع به في صباه ويحتمل أن يكون شقاً مرة أخرى ثم مرة ثالثة حين
عرج به إلى السماء .

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق قال حدثني عبد الملك بن عبد الله
ابن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر
إلا سلم عليه وسُمِع منه فيتلقت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن
شماله ولا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام
عليك يا رسول الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل
عام شهر من السنة يَتَنَسَّكُ ^(٢) فيه حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من
السنة التي بُعِثَ فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كان يخرج حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله تعالى فيها برسالته ورحم
العباد به ، جاءه جبرئيل بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني
وأنا نائم فقال : اقرأ قلت ما أقرأ ؟ فمطئني - حتى ظننت أنه الموت ثم كشفه عني

(١) الظاهر أن مشروعية الوضوء إنما كانت بعد أن صار رسولا ونزلت آياته

لئلا يحل لأفرادها هنا .

(٢) يتعبد فيه .

فقال اقرأ قلت وما (١) اقرأ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال اقرأ قلت وما اقرأ فقال (اقرأ) باسم ربك الذي خلق (إلى قوله (ما لم يعلم) ثم انتهى فانصرف عني وهبت من نومي فكأنما صوّر في قلبي كتاب ولم يكن في خلق الله أبغض إلى من شاعر أو مجنون فكنت لأطيق أنظر إليهما فقلت إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون (٢) ثم قلت لا يتحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حلق (٣) من الجبل فلا طرحن نفسي منه فلا قتلنها فلا شترين (٤) فخرجت ما أريد غير ذلك فبينما أنا عامد لذلك إذ سمعت مُنادياً من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صانّ قدميه في فوق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل وشغلني ذلك عما أريد فوقفت وما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر وما أضرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها فمازلت واقفا حتى كاد النهار يتحول ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي فجلست إليها، فقالت: أين كنت؟ قلت: إن الأبعد لشاعر أو مجنون (٥) قالت: أعيذك بالله من ذلك، ما كان الله ليفعل بك ذلك، مع ما أعلم من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك، فأخبرتها الخبر

(١) ما هنا محتمل أن تكون نافية فتتفق مع رواية البخاري عن عائشة وأن تكون استفهامية يعني أي شيء اقرأ وهذا هو الظاهر.

(٢) لم يشك الرسول عليه وسلم في أن الذي جاءه في الغار هو الحق وأنه من عند الله وقوله الخديجة لقد خشيت على نفسي في رواية عائشة: إنما أراد أن يستطلع رأيها ليطمئن إلى موافقتها له، ولهذا نحن نسجد ما جاء في هذه الرواية من قوله عن نفسه إنه شاعر أو مجنون.

(٣) الحائق كالشاهق ما ارتفع من الجبل.

(٤) إنما كان ذلك بسبب فنور الوحي وانقطاعه فشق ذلك عليه جداً.

(٥) هل يعقل صدور ذلك منه بعد قول جبريل له أنت رسول الله وأنا جبريل

فقلت ابشر يا ابن عم وائمت له فأبى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته فقال إن كنت صدقتني إنه كنبي هذه الأمة وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ^(١).

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما تُنبئهُ يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت إذا جاءك فأخبرني فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء جبرئيل فقال يا خديجة هذا جبرئيل قالت أتراه الآن ؟ قال نعم . قالت فاجلس إلى شقي الأيمن فتحول فجلس قالت هل تراه الآن ؟ قال نعم . قالت فاجلس في حجرى فتحول فجلس . قال هل تراه الآن قال نعم فحسرت عن رأسها فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها . قالت هل تراه الآن ؟ قال لا . قالت ما هذا شيطان ، إن هذا الملاك يا ابن عم فائدت وأبشرت ثم آمنت به وشهدت أن الذي جاء به الحق . قال ابن إسحاق فحدثت عبد الله بن الحسن ^(٢) بهذا الحديث فقال قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث به عن خديجة إلا أني

(١) الذي هنا أن خديجة انطلقت وحدها إلى ورقة تسأله ورواية عائشة تقول إنها انطلقت برسول الله وقالت له يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فلعل الأمرين حلا مما فتكون ذهبت أولا وحدها لكن تطعن على زوجها ، ثم أراد ورقة أن يستطلع منه جلية الخبر فانطلقت به إليه .

(٢) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان يكنى أبا محمد وكان خيرا وكان مع أبي العباس السفاح وكان له مكرما وأولاده هم محمد وإبراهيم وإدريس أما محمد وإبراهيم فقد نارا على أبي جعفر وغلبا على مكة وللدنية والبصرة فبعث إليهما فقتل محمد ببلدنية وكان يقال له النفس الزكية وقتل إبراهيم بالكوفة وأما إدريس ففر إلى شمال أفريقيا وأسس دولة هناك .

سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبرئيل .

وأخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من وجه آخر عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام عن أم سلمة عن خديجة به .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً ، فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت له اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال : إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأناطلق هاربا في الأرض فقال لا تفعل إذا أتاك فابثت حتى تسمع ما يقول ثم اتنى فأخبرني . فلما خلا ناداه قال يا محمد : إشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين ^(١) . ثم قال قل لا إله إلا الله فأنى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وأنت على مثل ناموس موسى ، وأنت نبي ، وأنت

(١) فعلى هذا تكون فاتحة الكتاب أول سورة أنزلت وقد علمت أن أول ما أنزل على الإطلاق هي آيات العلق باتفاق ثم آيات اللذر بعد فترة الوحي .

فهذه الروايات فيها من الخلط والكذب ما يوجب عدم الالتفات إليها ومن العجب أن يوحى إليه بأعظم سورة في القرآن وهو لا يزال شاكاً في أمر نفسه .

سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وإن يُدْرِكَنِي ذلك لأجاهِدَنَّ معك . فلما تَوَفَّيَ ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيتَ أَلَفْسَ عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة » ^(١) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن أبي ميسرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هارباً فأمر ذلك إلى أبي بكر وكان نديماً له في الجاهلية » .

وأخرج أبو نعيم بسند موصول عن مُرَيْدَةَ مثله .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن شداد قال : قال ورقة لخديجة : هل رأى زوجك صاحبه في خضر؟ قالت نعم قال فإن زوجك نبي وسيصيبه من أمته بلاء .
وأخرج أبو نعيم من طريق عُرْوَةَ عن عائشة قالت قال ورقة لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبرئيل - جُبُوحٌ - ^(٢) ومالجبرئيل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان جبرئيل أمين الله تعالى بينه وبين رسله اذهبي به إلى الملك الذي رأى فيه ما رأى فإذا رآه فتَحَسَّرِي ^(٣) فإن يكن من عند الله لا يراه ففعلت فلما تحسَّرتْ تَغَيَّبَ جبرائيل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال إنه لم يأتِهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ ^(٤) ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة فقال في ذلك :

(١) اختلف في إسلام ورقة، فزعم بعضهم أنه مات مسلماً محتجاً بهذا الحديث وبما جرى على لسانه من كلمات تدل على تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون إنه مات قبل أن يؤمر النبي بالتبليغ والدعوة إلى الإسلام وعلى كل حال فهو ممن يرجى لهم الخير .

(٢) السجوح مبالغة من التسبيح وهو من أسماءه تعالى كالقدوس باعتبار أنه يسبح ويقديس .

(٣) أى تسكفى .

(٤) يعنى جبرئيل عليه السلام .

﴿ شعر ﴾

لجبت^(١) وكنت في الذكرى لجوجاً لهم طالما بلغ: ^(٢) النشيجاً^(٣)
 ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجاً
 ببطان المكتنين على رجائي حديثك أن أرى منه خرُوجاً
 بما أخبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجاً^(٤)
 بأن محمداً سيسود قوماً ويخضم من يكون له حجيجاً
 ويظهر في البلاد ضياء نور تقام به البرية أن تعوجاً^(٥)
 فيلقى من يحار به خساراً ويلقى من يسأله فلو جاً^(٦)
 فيالفتي إذا ما كان ذا كم شهدت وكنت أولهم ولوجاً^(٧)
 ولوجاً في الذي كرهت قریش ولو عجت بمسكتها عجيجاً^(٨)
 أرحى بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سلفوا^(٩) عروجا^(١٠)

(١) من اللجاجة وهي العناد في الخصومة ويقال لج في الأمر لازمه ولج على خلان في المسألة بالغ في طلبها والج في سرعة قضائها .

(٢) في بعض النسخ بعث .

(٣) هو أن يغص بالبكاء من غير انتحاب .

(٤) يقال عاج يعوج عوجاً بالسكان أقام به . وعاج إليه مال به وعطف . وعاج السائر وقف .

(٥) تميل وتتعرف .

(٦) أي ظهوراً ونصراً

(٧) دخولا .

(٨) الميجج : رفع الصوت .

(٩) في بعض النسخ : سفلوا

(١٠) عروجا أي صعوداً وارتقاء

وهل أمر السَّفَاهَةِ غَيْرُ كَفَرٍ بَمَنْ يَخْتَارُ مِنْ سَمَكِ الْبُرُوجِ^(١)
 فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى تَكُنْ أُمُورُ يَضْحَكُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَحِيحًا^(٢)
 وَإِنْ أَهْلَكَ فَكُلْ فِتَى سَيْلَتِي مِنَ الْأَقْدَارِ مُتَلِفَةً خَرُوجًا^(٣)

قوله بيطن المكتين قال العيني في (شواهد الكبرى) سمى كلاً من جاني مكة أو كلا من أعلاها وأسفلها مكة فلذلك ثنائها .

وأخرج الطيالسي والحرث بن أبي أسامة وأبو نعيم من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فسمع السلام عليك فقال فظننتها فجأة الجن فحمت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك ؟ فأخبرتها ، فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فإذا بجبرائيل على الشمس جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب فهلت^(٤) منه فحمت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى آنت به ثم وعدني موعدا فحجت له فأبطأ على فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سد الأفق فهبط جبرئيل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبرئيل فألقاني لَحْلَاوَةً^(٥) القفا . ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ذهب

(١) جميع برج وهى منازل الشمس والقمر ، وهى الكواكب للكبار
 وميكها رفعها

(٢) ضحك يضح ضحيجا إذا صاح وأجلب لفرجه من شدة أخافه

(٣) أى مهلكة عاتية

(٤) أى خفت وفزع

(٥) وسط القفا

بماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه^(١) ثم أكفاني^(٢) كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قاي ثم أخذ بخلقى حتى أجهدت^(٣) بالبكاء ثم قال اقرأ ولم أك قرأت كتاباً قط فلم أقدر ثم قال اقرأ قلت ما اقرأ؟ قال اقرأ باسم ربك حتى انتهى إلى خمس آيات ثم وزننى برجل فوزنته^(٤) ثم وزننى بآخر فوزنته حتى وُزنت بمائة رجل فقال ميكائيل تبعته أمته ورب الكعبة ، فجعل لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله .

وأخرج أحمد وابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إني أسمع صوتاً وأرى ضوءاً فذكرت ذلك لورقة قال : هذا ناموس موسى فإن يبعث وأنا حي فسأعزُّره^(٥) وأنصره وأعينه . »

وأخرج أبو نعيم من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه « أن جبرئيل أخذ النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه على بساط كهيفة الدرنوك فيه اللؤلؤ والياقوت فقال له جبرئيل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) إلى قوله (ما لم يعلم) ، ثم قال لا تخف يا محمد فإنك رسول الله فأقبل راجعاً فجعل لا يمر بشجرة ولا حجر إلا وهو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه . »

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : قال ورقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك جبرئيل ؟ فقال : « يأتينى من السماء جناحاه لؤلؤ

(١) يقال لأم الجرح ضممه وغده .

(٢) أى قلبى فجعل بطنى إلى الأرض وظهرى إلى أعلى .

(٣) أى رفعت الصوت بالبكاء .

(٤) رجعت عليه فى الوزن .

(٥) أقوى وأزيد .

وباطنُ قدمَيْه أخضر» (١).

وأخرج ابن رِستة في (كتاب المصاحف) عن الزهري «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بجراذ إذ أتاه ملكٌ بنمطٍ من ديباج فيه مكتوب (اقرأ باسم ربك الذي خلق) إلى قوله (ما لم يعلم)»

وأخرج عن عبيد بن عمير قال: «جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينمط فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال (اقرأ باسم ربك)»

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو بأجباد (٢) إذ رأى ملكاً واضعاً إحدى رجلَيْه على الأخرى (٣) في أفق السماء يصيح يا محمد أنا جبرئيل فذعر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء فرجع سريعاً إلى خديجة فأخبرها خبره وقال والله يا خديجة ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكهان وإنني لأخشى أن أكون كاهناً (٤)، قالت كلا لا تنقل ذلك فإن الله لا يفعل ذلك بك أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقت لكريم، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو أول مرة أتته فأخبرته ما أخبرها به فقال والله إنه لصديق وإن هذا كبدؤُ نبوة وإنه ليأتيه الناموس الأكبر ثمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيراً».

(١) لاشك أن جبريل لما جاءه بجراذ أول مرة كان على هيئة رجل ولما تبدى له بعد فترة الوحي على صورته الملائكية له جناحان سد بهما الأفق وهو مستو على كرسى لم يكن ورقة إذ ذاك موجوداً مما يدل على أن هذه كلها أخبار وروايات من صنع الخيال.

(٢) موضع بمكة.

(٣) بهيد على جبريل الأمين أن يجلس جلسة للتكبر بنم يخاطب سيد المرسلين.

(٤) لم يشك الرسول كما قدمنا في أن الذي نزل عليه هو الحق من عند الله ولكنه أراد أن يعرف رأى خديجة ويطمئن إلى تأييدها.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبرئيل فحزن حزناً شديداً حتى كان يفتدو إلى ثُبَيْر^(١) مرة وإلى حِرَاء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إذ سمع صوتاً من السماء فرفع رأسه فإذا جبرئيل على كرسي مُتَرَبِّعاً عليه يقول يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبرئيل فانصرف وقد أقرَّ الله عينه وَرَبَّطَ^(٢) جأشه ، ثم تتابع^(٣) الوحي بعد وحي .»

وأخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ، وكان واعية^(٤) . قال : قال ورقة بن نوفل فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا للرجالِ وَصَرَفِ ^(٥) الدهر والقدر	وما لشيء قضاة الله من غَيْرِ ^(٦)
حتى خديجة تدعوني لأخبرها	وما لها بخفي الغيب من خَيْرِ ^(٧)
جاءت لتسألني عنه لأخبرها	أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر
وخبرتني بأمر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه ويخبره	جبرئيل أنك مبعوث إلى البشر

(١) جبل من جبال مكة .

(٢) سكن روعه .

(٣) نزل بكثرة .

(٤) شديد الحفظ .

(٥) أحداه وخطوبه .

(٦) إلى تغير وتبدل .

(٧) أي خيرة ومعرفة .

فقلت عَلى الذى تَرْجِيَن يُنْجِزُه (١)
وأرسلته إلينا كى نُسْأَلَه
فقال حين أنانا منطقاً عجَباً
إنى رأيتُ أمينُ الله وَاجَهَنى
ثم استمر فكان الخوف يُذْعِرُنِى
فقلت ظنى وما أدرى أیْصْدُقْنِى
وسوف آتیک إن أعلت دعوتهم
لك الإله فَرَجِّى الخیر وانتظرى
عن أمره ما یرى فى النوم والسهَر
یَقِفُ (٢) منه أعالی الجُلْد والشعر
فى صورة أُكْمِلَت من أَهْيَبِ الصُّورِ
مما یُسَلِّمُ ماحولِى من الشجر
أن سوف تُبْعَث تلو منزل السور
من الجهاد بلا مَنْ ولا کَدَر (٣)

وأخرج الطيالسى والترمذی والبيهقی عن جابر بن سمرة أن رسول الله
صلی الله علیه وسلم قال: « إن بمكة لحَجَرٍ آکان یُسَلِّمُ عَلَیَّ لَیَالِی بُعِثْتُ إِنْی لأَعْرِفُه
إذا مررت علیه » .

وأخرجه مسلم بلفظ : « إنى لأعرف بمكة حجراً کان یسلم عَلَیَّ قبل أن
أبعث إنى لأعرفه الآن » (٤) .

وأخرج الدارمى والترمذی وحسنه والحاكم وصححه والطبرانى وأبو نعیم
والبيهقی عن علی رضی الله عنه قال : « کنا مع رسول الله صلی الله علیه وسلم بمكة
تفرج فى بعض نَوَاحِیها فما استقبله شَجَرٌ ولا مَدَرٌ ولا جَبَلٌ إلا قال له عليك
السلام یارسول الله وأنا أسمعُه » (٥) .

(١) بقضیه ویتمه .

(٢) یقال قف الشعر إذا قام من شدة الفزع .

(٣) شعر رکیک وضعه أحد المتشاعرین طی لسان ورقة ثم نسبه إلیه .

(٤) نطق الجمادات له علیه السلام من جملة معجزاته الثابتة فى الصحيح ، فقد حن .

له الجذع الذى کان یخطب علیه وسبح الخصى فى کفه وأخبرته الدراع أنها مسمومة .

(٥) الحديث المحفوظ لیس فیهِ هذه الزیادة .

وأخرجه البيهقي من وجه آخر بلفظ «لقد رأيتني أدخلُ معه الوادي غلاماً يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعُ» .
وأخرج البزار وأبو نعيم عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«لما أوحى الله تعالى إليَّ جعلت لا أمرُ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله» .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن بَرَّة بنت أبي تجرة قالت : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أتبعه^(١) حتى لا يرى بيتاً ويُفِضَ إلى الشعب^(٢) ويطؤون الأودية فلا يمرُ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً» .

وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر بمثله ، وزاد في آخره ، «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم وعليك السلام وكان جبرئيل عالمه التَّحِيَّة» .

وأخرج ابن سعد والبيهقي من طريق إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : قال طلحة بن عبيد الله^(٣) «حضرت سوق بُصْرَى فإذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا قال هل يظهر أحد بعد ؟ قلت ومن أحد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي

(١) ذهب إلى مكان بعيد .

(٢) جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل .

(٣) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا محمد وكان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وهو من السابقين الأولين وأحد الاثني عشر للبشرين بالجنة وأحد اصحاب الشورى ولم يحضر يوم التشاور وثبت مع الرسول يوم أحد ووقاه يومئذ من ضربة قصد بها إليه فشلت يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم «قد أوجب طلحة» قتل يوم الجمل وهو ابن ستين سنة وقيل أربع وستين .

يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومُهاجره إلى نخل وَحَرَّةٍ وَسِباحٍ
فيايك أن تُسَبِّقَ إليه قال طلحة فوقع في قابي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت
مكة فقلت هل كان من حَدَثٍ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ وقد
تبعه ابن أبي قحافة^(١) فخرجت حتى دخلت على أبي بكر فأخبرته بما قال الراهب
فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فَسُرَّ بِذَلِكَ
وَأَسْلَمَ طَلْحَةُ فَأَخَذَ نَوْفُلُ بْنُ الْعَدَوِيَّةِ أَبَا بَكْرٍ وَطَلْحَةَ فَشَدَّاهُمَا فِي حَبْلٍ وَاحِدٍ
فَلِذَلِكَ سَمِيا الْقَرِيبَيْنِ .

وأخرج أبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال «قال العباس خرجت
في تجارة إلى اليمن في رَكْبٍ فيهم أبو سفيان بن حرب فورد كتاب من حنظلة
ابن أبي سفيان فيه أن محمداً قام بالأبطح فقال أنا رسول الله أدعوكم إلى الله
فقسا ذلك في مجالس اليمن فجاءنا خبر من اليهود فقال باغى أن فيكم عم هذا
رجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال أنشدك هل كانت لابن أخيك
صَبُوءَةٌ^(٢) وَسَفَهَةٌ^(٣)؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان وإن كان اسمه
عند قریش الأمين قال فهل كتب بيده؟ قال العباس فظننت أنه خير له أن يكتب
فأردت أن أقول نعم فخشيت من أبي سفيان أن يُكذِّبَنِي ويردُّ علي قلت
لا يكتب فوثب الخبر وترك رِداءه وقال ذُبِحَتْ يهود وقتِلَتْ يهود قال العباس
فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تفرَّعُ من ابن أخيك
قلت قد رأيتَ ما رأيتَ فهل لك يا أبا سفيان فيه أن تؤمن^(٤) به؟ فإن كان حقاً

(١) كنية والد أبي بكر واسمه عثمان .

(٢) الصبوة جملة الفتوة يقال صبا يصبو صبوة وتصبي تصبياً وتصابي تصاييا ماله

إلى اللهو واللعب . (٣) خفة وطيش .

(٤) كيف يدعو العباس أبا سفيان إلى الإيمان ولما يزل هو مشركاً؟ فإنه لم يسلم

إلا قبيل الفتح .

كنت قد سبقت وإن كان باطلاً ففعلك غيرك من أكَفَايِكَ^(١) قال لا أو من به حتى أرى الخليل قد طَلَعَتْ في كَدَاءٍ^(٢) قلت ما تقول ؟ قال كلمة جاءت على فَمِي ، إلا إني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تَطْلُعُ على كَدَاءٍ قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخليل قد طاعت من كدء قلت يا أباسفيان تذكر الكلمة ؟ قال أي والله إني لَذَكِرُهَا^(٣) .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن هشام بن مسلم الخزومي عن معاوية ابن أبي سفيان عن أبيه قال خرجت أنا وأمّية بن أبي الصلت تجاراً إلى الشام فقال لي هل لك في عالم من علماء النصارى إليه يَتَنَاهَى علم الكتاب نسأله ؟ قلت لا أَرَبَ^(٤) لي فيه فذهب ثم رجع فقال لي إني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قالت أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت من أي العرب ؟ قال من أهل بيت تحجه العرب من إخوانكم من قريش قلت فصفه لي قال رجل شاب حين دخل في الكهولية بدأ^(٥) أمره يحتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصاتها وهو سَجُوح^(٦) كريم الطرفين^(٧) متوسط في العشيرة أكثر جنده الملائكة فقلت وما آية ذلك ؟ قال قد رجفت الشام منذ

(١) نظرائك وأضربك .

(٢) بفتح الكاف والمد الثانية التي باطلت مكة عند الحجون وأما كدئ بضم الكاف والقصر والتنوين فهي الثانية السفلى مما يلي باب العمرة .

(٣) لم يرد في إسلام أبي سفيان شيء من ذلك ولم يكن أبو سفيان كاهناً يرجم بالنيب والخبر كله تبدو عليه صمة الاختلاق والكذب .

(٤) الأرب بفتحات الحاجة وأما الإرب بكسر فسكون فهو المضروب والحاجة أيضاً .

(٥) يعني ظهرت دعوته .

(٦) سهل الخلق لئنه .

(٧) يعني الأيوين .

هلك عيسى ثلاثين رجفة كلهم مصيبةٌ وبقيت رجفة عامة فيها مصائب قال أبو سفيان فقلت هذا والله الباطل قال أمية والذي حلفت به إن هذا له كذا ثم خرجنا فإذا راكب من خلفنا يقول أصاب أهل الشام بعدكم رجفةٌ دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عامة قال أبو سفيان فأقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصراني؟ قلت أرى والله إنه حق وقد مدت مكة فقصيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فمكثت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاء الناس يسامون على ويسألون عن بضائعهم ثم جاءني محمد صلى الله عليه وسلم فسلم عليَّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ثم قام فقلت لهند والله إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألت عنها وما سألتني هذا عن بضاعته قالت وما علمت شأنه إنه يزعم رسول الله فوخذتني وذكر قول النصراني قلت هو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله إنه ليقول ذلك^(١).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال «كنا بغزة أو بإيلياء^(٢) فقال أمية بن أبي الصلت يا أبا سفيان إيه^(٣) عن عتبة بن ربيعة^(٤) قلت إيه عن عتبة بن ربيعة قال كريم الطرفين ويحتمل

(١) ذكر المؤلف هذه الفصة سابقاً من طريق مروان بن الحكم عن معاوية عن أبيه وفيها أن الشام رجفت بعد عيسى ثمانين رجفة والفصة هنا فيها زيادة كثيرة .
والعجب كيف يصدق أبو سفيان قول الراهب ويرى أنه حق ثم يكون منه تلك العداوة الشديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أي بضاعة كانت لرسول الله مع أبي سفيان حتى يجيء فيسأله عنها ؟ اللهم إلا أن تكون بضاعة الخديجة .
(٢) هي بيت المقدس .

(٣) إيه اسم فعل للاستزادة من حديث أو فعل .

(٤) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف كان هو وأخوه وابنه الوليد خرجوا للمبارزة يوم بدر فقتلوا جميعاً وكانوا من أشد الناس عداوة للرسول عليه السلام .

المظالم واخمارم؟ قالت نعم وشريف مسن قال السن أزرى به (١) قلت كذبت بل ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا قال لا تعجل على حتى أخبرك إني أجد في كتي نبيا يبعث من حرّتنا هذه فكنت أظن أني هو فلما دارست أهل العلم إذ هو من بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرني بسنّه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه قال أبو سفيان فرجعت وقد أوحى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم فخرجت في ركب في تجارة فم رت بأمية فقلت له كالمستهزىء به قد خرج النبي الذي كنت تمنعته قال أما إني حق فاتبعه (٢) وكأني بك يا أبا سفيان إن خالفته ربّطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عكرمة بن خالد أن ناسا من قريش ركبوا البحر عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فألقتهم الرياح إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا فيها رجل فقال من أنتم؟ قالوا نحن ناس من قريش قال وما قريش؟ قالوا أهل الحرم وأهل كذا فلما عرف قال نحن أهلها لا أنتم فإذا هو رجل من جرهم (٣) قال أتدرون لأي شيء سمّي أجياد؟ كانت خيولنا جيادا

(١) أي عابه ونقصه .

(٢) وكيف ينصح أمية أبا سفيان باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وهو نفسه لم يسلم حين أكل الحسد قلبه مع علمه بذلك وبشارته به حتى قيل إن قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية نزلت في أمية .

(٣) كانت ولاية البيت أولا في إسماعيل وذريته ثم غلبهم عليه أخوالهم من جرهم ثم بغوا بمكة وظلموا من دخلها فرق أمرهم فوثب عليهم بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغبشان من خزاعة فطردوهم ثم غلبت خزاعة على البيت حتى جاء قصى بن كلاب فقاتلهم بمن معه حتى تداعوا إلى الصلح فحكوا بينهم يعمر بن عوف من بني بكر فقضى بأن قصيا أولى بالسكبة وأمر مكة من خزاعة فوليا قصى وبنيه إلى أن جاء الإسلام .

عظفت عليه فقالوا له إنه قد خرج فينا رجل يزعم أنه نبي وذاك والله أمره فقال اتبعوه فلولاً حالي التي أنا عليها لحقتُ معكم به (١).

وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال «سافرت إلى اليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة فنزلت على عسكلان بن عواكين الحنظري وكان شيخاً كبيراً وكنت لا أزال إذا قدمت إلى اليمن نزلت عليه فيسألني عن مكة والكعبة وزمزم ويقول هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر (٢) هل خالف أحد منكم عايكم في دينكم؟ فأقول لا حتى قدمت القُدَمَة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقته (٣) وقد ضُفِّفَ وثَقُلَ سمعه فنزلت عليه فاجتمع عليه ولده وولد ولده فأخبروه بمكاني (٤) فَشَدَّتْ عِصَابَةٌ عَلَى عَيْنَيْهِ وَأُسْنِدٌ فَقَعَدَ وَقَالَ لِي انْتَسِبْ يَا أَخَا قُرَيْشٍ فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ ابْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ قَالَ حَسْبُكَ يَا أَخَا زُهْرَةَ أَلَا أَبْشُرُكَ بِبَشَارَةٍ وَهِيَ خَيْرُ لَكَ مِنَ التَّجَارَةِ؟ قُلْتُ بَلَى قَالَ أَنْبِئَكَ بِالْمُعْجَبَةِ. وَأَبْشُرُكَ بِالْمُرْعَبَةِ؟ إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْمِكَ نَبِيًّا. ارْتَضَاهُ صَفِيًّا. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا. وَجَعَلَ لَهُ ثَوَابًا. يَنْعَى عَنِ الْأَصْنَامِ. وَيَدْعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ. بِأَمْرِ بِالْحَقِّ وَيَفْعَلُهُ. وَيَنْهَى عَنِ الْبَاطِلِ وَيُبْطِلُهُ. فَقُلْتُ مَنْ هُوَ؟ قَالَ لَامِنُ الْأَزْدِ وَلَا ثِمَالَهُ (٥). وَلَا مِنَ السَّرُورِ (٦) وَلَا تَبَالَهُ. هُوَ مِنْ

(١) هذه قصص خيالية تشبه قصة السندباد البحري .

(٢) الذكر النباهة الشرف .

(٣) يعني وصلت إليه وبلغته .

(٤) أي بمقدمي وحضوري .

(٥) الثمالة بقية الشراب في الإناء .

(٦) نوع من الشجر قويم الساق حسن الهيئة واحده سرورة فيه يقول الشاعر :-

في شجر السرو منهم شبه له رواء وما له نمر

بنى هاشم وأنتم أخواله . يا عبد الرحمن إخفِ الوقعة^(١) . وعَجِّل الرجعة .
ثم امض وَوَازِرْهُ^(٢) وَصَدِّقْهُ واحمل إليه هذه الآيات :

أشهد بالله ذى المعالى وفالق الليل والصباح
إنك فى السَّروِ^(٣) من قریش يا ابن المُفَدَّى من الذَّبَّاحِ^(٤)
أُرْسِلْتَ تدعو إلى يقين ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى أنك أرسلت بالبِطَاحِ^(٥)
فكن شفيعى إلى ملك يدعو البرايا إلى الفلاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الآيات وأسرعت فى تَقَضَّى حوائجى وانصرفت .
فقدمت مكة فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر . فقال هذا محمد بن عبد الله قد بعثه
الله رسولا إلى خلقه فاتته فأتيته وهو فى بيت خديجة فلما رآنى ضحك ، وقال :
« أرى وجها خلقاً أرجو له خيراً ما وراءك ؟ قلت وما ذاك يا محمد ؟ قال حملت إلى
وديعه أم أرسلك مُرسل إلى برسالة ، هاتها فأخبرته ، وأسلمت فقال أما إن أخا
حمير من خواص المؤمنين ثم قال ربَّ مؤمن بى ولم يرنى ومصدق بى وما شهدنى
أولائك إخوانى حقا »^(٦) .

(١) أى أكنتم ما حدثك به .

(٢) أعنه وأيده .

(٣) فى مكان الشرف والرفعة .

(٤) أى من الذبج ويعنى به عبد الله والد الرسول عليه السلام .

(٥) أى بطاح مكة .

(٦) وهكذا يأتى واضعون إلا أن يفتعلوا اسكل سابق إلى الإسلام قصة .
تكون سبب إسلامه فقصه لطاحة وقصة لعبد الرحمن وهكذا والحق أن هؤلاء
جميعاً أسدوا حينئذ دعاء أبو بكر إلى الإسلام وكان لهم من ضياء فطرم ورجاحة
علومهم ما جعلهم يسارعون إلى الدخول فيه .

باب ما سمع من الكهان والأصوات

بظهور النبي صلى الله عليه وسلم عند بعثته

أخرج البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مرَّ به رجل فسأله قال: «كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال بينا أنا يومًا في سوق جاءتنى فيها أعرف الفرع قالت:

ألم تر الجن وإبلاسها (١) وبأسها من بعد إنكاسها (٢)
ولحوقها بالقلاص وأحلاسها (٣)

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ منه صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول يا جليح، أمر نجيح، رجل نصيح، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى كذلك الثانية، والثالثة فممت فما نشبنا أن قيل هذا نبي (٤).

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن مجاهد «قال إن بني غفار» (٥) قرَّبوا عجلًا

(١) الإبلان الحيرة واليأس.

(٢) أى قلبها رأسًا على عقب والمراد الأصنام.

(٣) القلاص جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم أو الشابة منها أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إنائها والجمع قلائص وقلاص وقلص وقلاصن والأحلاس جمع حلس بكسر فسكون أو حلس بفتحين وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.

(٤) رواه البخارى عن عمر في باب إسلام عمر.

(٥) م رهط أبى ذر رضى الله عنه وفي الحديث الصحيح «غفار غفر الله لها».

ليذبجوه على نُصْب^(١) من أنصابهم فينما هو موقوف^(٢) إذ صاح فقال
يا الذريح^(٣) ، أمر نجيح ، صائح يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو بمكة أن لا إله
إلا الله فكفوا عنه وذهبوا ينظرون فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث^(٤) .
وأخرج أحمد والبيهقي عن مجاهد قال حدثنا شيخ أدرك الجاهلية قال « كنت
أسوق لآل^(٥) لنا بقرة فسمعت من جوفها يا الذريح ، قول فصيح ، رجل يصيح ،
أن لا إله إلا الله قدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة » .
وأخرج البيهقي عن البراء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسواد بن
قارب « حدثنا يبدء إسلامك قال كان لى رثي^(٦) من الجن فيينا أنا ذات ليلة نأثم
إذ جاءنى قال قم فافهم واعقل ، إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي^(٧) بن
غالب ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وأنجاسها^(٨) وشدها العيس^(٩) بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مومنوها مثل أرجاسها^(١٠)

-
- (١) هى حجارة كانت تنصب حول الكعبة فيهل عليها ويذبح لغير الله .
(٢) أى محبوس ليذبح قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار) .
(٣) اسم كاهن من كهان الجاهلية .
(٤) هذا الأثر موافق لحديث عمر الذى قبله فلعل القصة واحدة إلا أنه بدله
جلبج هناك بذريح هنا والأمر هين وهما متقاربان فى النطق .
(٥) هو لغة فى أهل وقيل الآل لا يكون إلا للشرىف العظيم .
(٦) رثى القوم الذى يرجعون إلى رأيه .
(٧) لؤى هوى الجد الثامن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٨) جمع نجس وهو الكافر منهم .
(٩) العيس هى الإبل البيضاء .
(١٠) جمع رجس وهو الكافر .

فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها
ثم أنبهني وأفرغني وقال يا سواد بن قارب إن الله تعالى بعث نبيا فانهض
إليه تهتد وترشد فلما كانت في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلّابها (١) وشدّها العيس بأقتابها (٢)
تهوى (٣) إلى مكة تبغى الهدى ما صادقوا الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدّامها كأذّناها (٤)
فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتجنّسارها (٥) وشدّها العيس بأكوارها (٦)
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس ذوو الشر كأخيّارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم مامؤمنوا الجن ككفارها
قال فلما سمعته يكرر على ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام فانطلقت
حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قال مرحبا بك يا سواد بن قارب
قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قالت شعرا فاسمه مني فقلت :

أتاني رثي بعد دليل وهجّة (٧) ولم يك فيما قد بلوت (٨) بكاذب

(١) هو مصدر كالطلب .

(٢) جمع قتب وهو الرحل .

(٣) تسمير بسرعة .

(٤) يعني ليس السابق إلى الإسلام كالتأخر فيه .

(٥) الجسارة الجرأة والشدة .

(٦) جمع كور وهو الدور من العمامة وفي الحديث « أهوذ بك من الخوذ »

يعد الكور والمراد به هنا الرحل .

(٧) نوم وسكون .

(٨) اختبرت وامتنعت .

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤى بن غالب
فخسمرت عن ساقى الإزار ووسط

بى الذَّعْلَبُ الْوَجْهَ (١) عند السَّبَّاسِ (٢)

فأشهد أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين شفاعاة إلى الله ابن الأكرمين الأطائب (٣)
فخرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيا جاء شَيْبُ الذَّوَائِبِ (٤)
وكن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعاة سواك بمغن عن سواد بن قارب (٥)

هذا الحديث له عدة طرق فأخرجه ابن شاهين فى الصحابة من طريق الفضل
ابن عيسى الزرشى عن العلاء بن زيدل ، عن أنس بن مالك قال : دخل سواد بن
قارب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر القصة بطولها، وأخرجه الحسن بن سفيان
فى مسنده من طريق الحسين بن عمارة عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : دخل
سواد بن قارب على عمر فذكر الحديث بطوله ، وأخرجه البخارى فى تاريخه
والبغوى والطبرانى من طريق عباد بن عبد الصمد سمعت سعيد بن جبير أخبرنى
سواد بن قارب قال كنت نائماً فذكره بطوله. وأخرجه الحسن بن سفيان وأبو يعلى
والحاكم والبيهقى والطبرانى من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى عن محمد بن

(١) الناقة الشديدة .

(٢) جمع سبب وهى المقازاة أو الأرض البعيدة المستوية .

(٣) جمع أطيب وهو الشريف النسب .

(٤) جميع ذؤابة وهى الناصية أو شعر مقدم الرأس وذؤابة كل شئ أعلاه .

(٥) لا يجوز أن تطلب الشفاعاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إنما تطلب

من الله عز وجل فإن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه بأن يقول الطالب للشفاعة
اللهم شفّع فىنا نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم .

كعب القرظي قال دخل سواد على عمر فذكره بطوله .

وأخرجه ابن أبي خيثمة والرويانى فى مسنده والخرائطى من طريق
أبى جعفر الباقر قال دخل سواد بن قارب على عمر فذكره (١) .

وأخرج البيهقى عن هشام بن محمد الكلبي قال حدثنى شيوخ من شيوخ طى
أن مازنا الطائى كان بأرض عُمان وكان يَسُدُّ (٢) الأصنام لأهله وكان له صنم يقال له
ناجز قال مازن : فَعُتِرَتْ ذات يوم عَتِيرَةٌ (٣) وهى الذبيحة فسمعت صوتاً من
الصنم يقول : يا مازن أقبل إلى أقبل ، تسمع مالا يحل ، هذا بنى مرسل ، جاء
بحق منزل ، فأمن به كى تعدل ، عن حر نار تشعل ، وقودها بالجنديل (٤) . قال
مازن ، فقلت إن هذا والله لعجب ، ثم عتريت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت
صوتاً أبين من الأول وهو يقول يا مازن أسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث

(١) أطال المؤلف فى ذكر الطرق التى روى منها هذا الحديث ورغم ذلك فى
النفس منه شيء فقد جاء فى بعض الروايات أن عمر كان يخاطب فقال أفيكم سواد بن
قارب ؟ فلم يجبه أحد تلك السنة وفى السنة التى بعدها قال مثل ذلك فقال له البراء
وما سواد بن قارب ؟ فقال عمر إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً فلم
يلبث أن طلع سواد بن قارب فسأله عمر عن بدء إسلامه إلخ الحديث .

فإذا كان سواد بن قارب قد وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى قصته
العجيبة فكيف جعلها الصعابة حتى يقول البراء ما سواد بن قارب ؟ ثم يأتي
سواد فيحدث عن قصته كأنهم لم يسمعوها قبل .

وفى بعض الروايات أنه كان بالهند فأثاه الرئى ولعل سواد بن قارب هذا هو
الكاهن الذى جاء فى حديث عمر . ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره .

(٢) أى يخدمها ويقوم على شئونها .

(٣) العتيرة شاة كان العرب يذبحونها لألهتهم فى شهر رجب وجمعها عتائر وفى
الحديث « لا عتيرة فى الإسلام » .

(٤) الوقود ما توقد به النار والجنديل الحجارة الغليظة .

نبي من مُضَر، بدين الله الأكبر، فدع نَحِيَّتًا^(١) من حجر، تسلم من حرِّ سقره، قال مازن فقلت والله إن هذا لعجب وإنه لخير يراد بي، وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك؟ قال خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه أجيئوا داعي الله يقال له أحمد فقلت هذا والله نبياً ما سمعت^(٢) فرحلت حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الإسلام فأسلمت.. فقلت يا رسول الله إني امرؤ مَوْلَعٌ بالطرب وشرب الخمر ولَهْلُوكٌ من النساء^(٣) وألحَّتْ علينا السَّنُونُ^(٤) فأذهب الأموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياة ويهب لي ولداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وآته بالحياة^(٥) وهب له ولداً قال مازن فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عُثْمَانُ وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن، وأخرجه الطبراني وأبو نعيم من طريق هشام بن الكلبي عن أبيه عن عبد الله العماني قال كان رجل مما يقال له مازن يَسْدِنُ صنماً قاله مازن ففترت عتيرة فذكر نحوه.

وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم عن جابر ابن عبد الله قال: «أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع فجاء في سورة^(٦) طائر حتى وقع على حائط دارهم فقالت له المرأة إنزل قال لا إنه بعث بمكة نبي منع منا القرار وحرَّم علينا الزنا»

(١) النحيت بمعنى النحوت كقتيل بمعنى للقتول.

(٢) يعني مصداق ما سمعته من جوف الصنم.

(٣) هي الفاجرة، سنبقة والجمع هلك بضمه.

(٤) اشتد بنا الجذب والقحط.

(٥) هو الطير ويستعمل ممدوداً ومقصوراً.

(٦) أعادها صورة بالصاد بمعنى الشكل والمهيئة.

وأخرجه ابن سعد والبيهقي من وجه آخر عن علي بن حسين مرسلًا .

وأخرج أبو نعيم عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة يقول كانت امرأة بالمدينة يَفْشَاهَا (١) جانٌّ فغاب فلبث ما لبث فلم يأتها ثم أطلع من كُوَّةٍ (٢) فقالت ما كانت لك عادة تطلع من كوة قال إنه خرج نبي بمكة وإني سمعت ما جاء به فإذا هو يحرم الزنا فعليك السلام .

وأخرج أبو نعيم عن عثمان بن عفان قال « خرجنا في غيرٍ إلى الشام قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كنا بأفواه (٣) الشام وبها كاهنة فتمرضتنا وقالت أتانى صاحبى فوقف على بابى فقلت ألا تدخل ؟ قال لا سبيل إلى ذلك خرج أحمد جاء أمر لا يطاق ثم انصرفت فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله تعالى » (٤) .

وأخرج ابن شاهين فى الصحابة وابن منسدة فى دلائل النبوة والمعافى فى الجليس عن أبى خَيْثَمَةَ عن عبد الرحمن بن أبى سُبْرَةَ قال حدثنى ذُبَاب بن الحارث الصحابى رضى الله عنه قال كان لابن وَقْشَةَ رُئى من الجن يخبره بما يكون فأتاه ذات يوم فأخبره بشيء فنظر إليه فقال يا ذباب يا ذباب ، إسمع العجب العجائب ، يبعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يحجاب ، فقلت له ما هذا ؟ قال لا أدرى كذا قيل ، فلم يكن إلا قليل ، حتى سمعت بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت .

(١) يقع عليها ويزنى بها .

(٢) هى بضم الكاف وقد يفتح الحرق فى الحائط يدخل منه الشمس والهواء .

(٣) يعنى بمشارفها وحدودها .

(٤) المعروف أن عثمان وبقيّة العشرة إنما أسلموا على يد أبى بكر رضى

وأخرج عمر بن شبة عن الجُمُوح بن عثمان الفخاري قال كنا بمنازلنا في الجاهلية فإذا صبح من الليل فذكر رجلاً^(١) ثم عاد الليلة الثانية ثم الثالثة فلم نشب إذ جاءنا ظهور النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن يزيد بن رومان قال خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وقال عثمان يا رسول الله قدمت حديثنا من الشام فلما كنا بين معان^(٢) والزرقاء^(٣) فنحن كالنيام إذا مناد ينادى أيها النيام هُبُوا فإن أحمد قد خرج بمكة فقدمنا فسمعنا بك .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن سفيان الهذلي قال خرجنا في غير لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعان قد عرَّسنا^(٤) من الليل إذا بفارس يقول أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رُقَادٍ قد خرج أحمد وطردت الجن كل مُطَرِدٍ^(٥) ففرعنا ونحن رُفْقَةٌ حَزَاوِرَةٌ^(٦) كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش بنى خرج فيهم من بنى عبد المطلب اسمه أحمد .

وأخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التميمي أن رجلا مر على

(١) هو بحر من بحور الشعر يقال رجز وارجز فهو راجز ورجاز إذا أنشد شعراً من هذا البحر .

(٢) بلدة في الأردن بينها وبين المدينة ٤٣٠ كم .

(٣) بلدة في سوريا على بعد ١١٠٠ كم من المدينة .

(٤) التعريس هو النزول من آخر الليل .

(٥) يعني حيل بين الشياطين وبين اختراق السمع ورموا بالشهب .

(٦) الحزود والحزود الغلام إذا اشتد وقوى .

عمر فقال أكاهن أنت متى عهدك بصاحبك؟ قال قبيل الإسلام أتتني فصرخت
يا سلام يا سلام الحق المبين والخير الدائم غير حلم النائم الله أكبر فقال رجل من
القوم يا أمير المؤمنين أما أحدثك مثل هذا والله إنا لنسير دويّة مأساء (١) لانسمع
فيها إلا الصّداء (٢) إذ نظرنا فإذا راكب مقبل فقال يا أحمد يا أحمد الله أعلى
وأجود آتاك ما وعدك من الخير يا أحمد ثم ذهب فقال رجل من الأنصار أنا
أحدثك مثل هذا انطلقت إلى الشام فلما كنا بقفّرة (٣) من الأرض إذا
هاتف من خلفنا يقول :

قد لاح (٤) نجم فأضاء مَشْرِقه يخرج من ظلمات عسوف موبقة (٥)
ذاك رسول مُفْلِحٌ من صدّقه الله أعلى أمره وحقّقه

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قُبَيْسٍ
بمكة فقال :

قَبِّحَ اللهُ رَأْيَ كعب بن قُهر (٦) ما أَرَقَّ (٧) العقول والأحلام
دينها أنهم ————— يعنف فيها دين آباؤها الحماة الكرام (٨)

(١) يعنى برية مستوية .

(٢) هو ما يرده الجبل أو نحوه إلى الصوت مثل صوته .

(٣) القفرة هى الأرض اليابسة التى لا نبات فيها .

(٤) لاح يلوح إذا ظهر ضوءه .

(٥) يعنى يخرج من مفازة شديدة الظلام يسلك فيها السارى على غير معلم ولا

أثر وموبقة أى مهلكة .

(٦) يعنى بذلك بطون قريش كلها لأنها تفرعت من كعب .

(٧) من الرقة بمعنى الخفة والطيش .

(٨) يعنى أن الدين الجديد الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قام على تجهيل

آبائهم ونسفيه أحلامهم وغمم آلهتهم .

حالف الجن حين يقضى عليكم
يوشك الخليل أن تراها تهادى
هل كريم منكم له نفس حر
ضارب ضربة تكون نكالا^(١)
ورجال النخيل والآطام^(١)
تقتل القوم في البلاد العظام
ما جسد الوالدين والأعمام
ورواحا^(٣) من كربة واغنام

فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم
وهموا بالؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شيطان يكلم الناس
في الأوثان يقال له مسعر والله يخزيه فكتبوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا مسعراً لما طغى واستكبرا
وسفه الحق وسن النكرا
قنعتة سيفاً جروفاً مبتراً

بشتمه نبينا المطهرا^(٤)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلكم عفريت^(٥) من الجن يقال له سمحج
سميته عبد الله آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام .

وأخرج الفاكهى في أخبار مكة من حديث ابن عباس عن عامر بن

(١) جمع أطم وهو الحصن . (٢) تكون عبرة للغير .

(٣) يعنى راحة وسرورا وهو في هذين البيتين يستثير نحوه قريش في الدفاع
عن دين آبائهما .

(٤) هذه الأبيات وما يجرى بعدها نقلت كما وجدت في النسخ الموجودة وصحبه
العلامة السيد أبو بكر بن شهاب الدين الحضرمي هكذا :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى وسفه الحق وسن المنكرا
قنعتة سيفاً جروفاً مبتراً
بشتمه نبينا المطهرا

(٥) العفريت النافذ في الأمر مع دهاء من الإنس والجن والشياطين .

ربيعه^(١) قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في بدء الإسلام إذ هتف هاتف على بعض جبال مكة فحرض على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا شيطان ولم يعلن شيطان بتحريض على نبي إلا قتله الله تعالى فلما كان بعد ذلك قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قتله الله تعالى بيد رجل من غفارى الجن يدعى سمحجا وقد سميت عبد الله فلما أمسينا سمعت هاتفا بذلك المكان يقول :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
وصغر الحق وسن المنكرا بشتمه نبينا المطهرا

وأخرج أبو نعيم والفاكهى في أخبار مكة عن عبد الرحمن بن عوف قال لما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبى قُبَيْس يقال له مسعر فقال ، قبح الله رأى كعب بن فهر ، الأبيات وأصبحت قريش تقول توأنتم^(٢) حتى حرّضكم الجن فلما كانت القابلة قام فى مقامه رجل من الجن يقال له سمحج فقال :

نحن قتلنا مسعرا لما طغى واستكبرا
بشتمه نبينا المطهرا أوردته سيفا جروفا مبترا
إنا نذود من أراد البطرا^(٣)

وأخرج أبو سعد فى (شرف المصطفى) عن جندل بن فضلة أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان لى صاحب من الجن فأتانى فدّهني^(٤) وقال :

(١) هو ابن حجير بن سلامان الغزى كان حليفاً للخطاب ابن نفيل فكان يقال له عامر بن الخطاب ثم نسب إلى أبيه حين حرم التبني هاجر المجرتين وشهد بدرا وتوفى سنة ٣٢ هـ .

(٢) يعنى أبطاتم وقصرتم فى عاربة الإسلام .

(٣) الطير جعد الحق والطغيان .

(٤) أى فاجأنى .

هَبْ^(١) فقد لاح سراج الدين لصا^٢دق مَهْـذَبْ أمين
فارحل على ناجية^(٣) أمون^(٤) تمشي على الصَّحْصَحْ والحَزُون^(٥)

فانتبهت مذعوراً فقلت ماذا؟ قال وسأطح الأرض، وفارِضَ الفرض، لقد
بعث محمد في الطُّول والعَرْض، نشأ في الحُرُمات^(٦) العظام وهاجر إلى طيبة
الأمينة فسرت فإذا أنا بهاتف يقول:

يا أيها الراكب المُرْجِي^(٧) مَطِيتَه نحو الرسول لقد وُقِّتُ للرَّشَدِ

وأخرج ابن الكلبي عن عدي بن حاتم قال كان لي عسيف^(٨) من كلب
يقال له حابس بن دَغَنَة فيينا أنا ذات يوم بفنائِي إذا أنا به مُرَوَّعُ^(٩) الفؤاد فقال
دونك إيلك قلت ما هاجلك؟^(١٠) قال بينا أنا بالوادي إذا بشيخ من شعب جبل تجاهي
كأن رأسه رَحْمَة^(١١) فأنحدر عَمَّا تزل^(١٢) عنه العُقَاب^(١٣) وهو مُتَرْسِّلُ^(١٤).

(١) أمر من المبوب وهو الاستيقاظ وترك الرقاد.

(٢) الناجية السريعة والأمون الوثيقة الخلق.

(٣) الصحصح الأرض المستوية والحزون ضدها.

(٤) يعني مكة حرم الله الآمن.

(٥) يقال زجاء زجوا وأزجاء إزجاء أوزجاء تزجية إذا ساقه براق ومنه

قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله).

(٦) يعني أجبروا الجمع عسفاء.

(٧) مفزوع الفؤاد.

(٨) يعني أي شيء أغضبك.

(٩) يعني أنها مبيضة.

(١٠) تسقط وتزلق.

(١١) طائر من الجوارح يطلق على الذئب والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف

(١٢) متمهل في المجدارة.

غير مُنزعج حتى استقرت قدماه في الخُضِيز (١) وأنا أُعْظِمُ ما أرى فقال :

يا حابس بن دَغْنَة يا حابس لا تعرضن إليك الوسواس
هذا سَناءُ النُّورِ بكف القَاسِ (٢) فاجنَحْ إلى الحق ولا تُوالِسْ (٣)

قال ثم غاب فَرَوَّحْتُ إِبلى وسَرَّخْتُها إلى غير ذلك الوادى ، ثم اضطجعت
فإذا ركب قد رَكَضْنى فاستيقظت فإذا هو صاحبي وهو يقول :

يا حابس اسمع ما أقول ترشُدِ ليس ضَلُولٌ حائر كهتدى
لا تترُكَنَّ نَهْجَ الطريق الأَقْصَدِ (٤) قد نُسخَ الدين بدين أحمد

قال فأُغمى على ثم أفتت بعد زمن وقد امتحن الله قلبي للإسلام .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن عمرو بن مُرَّة الجهنى قال : « خرجت حاجاً
قرأت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لى جبل يُثرب فسمعت
صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظاماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء
ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحَيَرة وأبيض المدائن فسمعت صوتاً
في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ،
فانتبهت فزعا فقلت لقومى والله ليحدثن في هذا الحى من قريش حدثٌ وأخبرهم
بما رأيت فلما اتهمينا إلى بلادنا جاءنا أن رجلاً يقال له أحمد قد بعث فأتيته
فأخبرته بما رأيت ثم أسلمت وقلت يا رسول الله ابعث بى إلى قومى فبعثنى إليهم
فدعوتهم إلى الإسلام فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال يا عمرو بن مرة أمر الله

(١) في أسفل الجبل .

(٢) الطالب المستفيد .

(٣) يعنى اركن إلى الحق ولا تخادع نفسك .

(٤) لا تترك سلك الطريق الأقوم .

عيشك^(١) أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونخالف دين آبائنا ثم قال :

إِنَّ ابْنَ مُرَّةٍ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةٌ مِنْ يَرِيدٍ صَلاَحًا
إِنِّي لِأَحْسِبُ قَوْلَهُ وَفِعَالَهُ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحًا^(٢)
أَلَيْسَ لَهُ الْأَشْيَاخُ مِمَّنْ قَدْ مَضَى ؟ مَنْ رَامَ ذَلِكَ لَا أَصَابَ فَلَاحًا^(٣)

فقال عمرو بن مُرَّة الكاذب مئى ومنك أمر الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه
بصره^(٤) فوالله ما مات حتى سقط فوه فكان لا يجد طعم الطعام وعمى
فخرس^(٥).

وأخرج أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر من طريق ابن خَرَبُؤْ ذَالْمَكِ
عن رجل من خُثَمَم قال كانت العرب لا تُحَرِّم حلالاً ولا تُحِلُّ حراماً ما كانوا
يعبدون الأوثان ويتحاكمون إليها^(٦) فبينما نحن ذات ليلة عند وثن لنا جُلُوس
وقد تقاضينا إليه فى شىء إذ هتف هاتف وهو يقول :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُوقُوا الْأَجْسَامَ وَمُسْنِدُوا الْحُكْمَ إِلَى الْأَصْنَامِ

(١) دعاء عليه بأن يجعل الله عيشه مريراً أى شاقاً .
(٢) يعنى تذهب هباء وتتلأشى كما تذهب الرياح .
(٣) يعنى أيجمل آباءنا الذين مضوا وينسبهم إلى الضلال فمن قصد ذلك لا أنجح
الله قصده فقوله لا أصاب فلاحاً جملة دعائية .

(٤) أبكم لسانه أخرسه وأكمه بصره أعماه .
(٥) لقد أطال المؤلف جداً فى ذكر أخبار هذه المهراتف حتى خيل إلينا أن
الجزيرة قد انقلبت مسرحاً لأعمال هؤلاء الجن وأنهم نصبوا من أنفسهم دعاة يثبون
دعوته عليه السلام فى القبائل وكان جديراً بالمؤلف أن يلتزم ما قاله فى خطبة كتابه
من أنه نزهه عن الأخبار الموضوعة وما يرد .

(٦) كيف هذا والقرآن ينسب إليهم أنهم حرموا الحلال وأحلوا الحرام
بأهوائهم فقد حرموا البهيرة والسائبة والحامى وأحلوا الشهر الحرام وأرجأوا
حرمته إلى شهر آخر وهو المسمى الذى عابه الله عليهم .

ما أنتم وطائش الأحلام هذا نبي سيد الأنام
أعدل ذي حكم من الأحكام يصدع بالنور وبالإسلام
ويردع^(١) الناس عن الآثام مُستغلين^(٢) في البلد الحرام

قال ففرعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثنا حتى بلغنا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة ثم قدم المدينة فجئتُ فأسلمتُ .

وأخرج ابن سعد والبخاري وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال « كنا جلوساً
عند صنم ببؤانة قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر^(٣) نحرنا
جزوراً^(٤) فإذا صأح يصيح من جوف الصنم يقول ألا اسمعوا إلى العجب .
ذهب استراق السمع للوحي ويُرمى بالشُّب . لنبي بمكة اسمه أحمد مُهاجره إلى
يثرب . قال جبير فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج أبو نعيم عن تميم الدَّارِي قال : « كنت بالشام حين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى بعض حاجتي وأدركني الليل فقلت أنا في جِوَارِ
عَظِيم هذا الوادي^(٥) فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمناد ينادي لا أراه عُدَّ بالله
فإن الجن لا تُجِير على الله أحداً^(٦) فقلت أيم الله ماتقول ؟ قال قد خرج الرسول

(١) الردع الزجر والنهي .

(٢) أى ظاهر غير مستخف .

(٣) هذا مناف لما جاء بالحديث الصحيح الذى قدمناه وهو أنه لم يكن ببؤانة
صنم يعبد ولا عيد جاهلى .

(٤) هو ما يجزر من الإبل والغنم واسكن غلب استعماله فى الإبل كقوله
عليه السلام « من أكل لحم جزور فليتوضأ » .

(٥) المعروف أن تيمما كان نصرانياً طي دين سماوى والاستعاذة بالجن إنما
كانت فى عباد الأوثان .

(٦) لا نستطيع أن نخفى من أراد الله بسوء .

الأمين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون^(١) فأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورُميت بالشهب فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم قال تميم فلما أصبحت ذهبت إلى راهب فأخبرته الخبر فقال قد صدقوك تخرج من الحرم ومهاجره الحرم وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه .

وأخرج أبو نعيم عن خويلد الضمري^(٢) قال : « كنا عند صنم جلوساً إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح ذهب استراق السمع للوحى ورمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد^(٣) ومهاجره إلى يثرب^(٤) يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصّلات للأرحام . فقمنا من عند الصنم فسألنا فقالوا خرج بمكة نبي اسمه أحمد » .

وأخرج أبو نعيم وابن جرير والمعاني بن زكريا وابن الطراح في كتاب الشوارع بأسانيدهم عن العباس بن مرداس^(٥) قال : « كان أول إسلامي أن أبى لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم يقال له ضمار فجعلته في بيت وجعلت آتيه كل يوم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الصنم بالليل وهو يقول :

قل للقبائل من سلكتم كملها هلك الأنيس وعاش أهل المسجد
أودى^(٦) ضمار وكان يُعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد

(١) بفتح الحاء وضم الجيم الجبل الشرف على مسجد جبل الحرس بأعلى مكة على يمينك وانت مصعد وهى مقبرة أهل مكة .

(٢) نسبة إلى بنى ضمرة وهم من بنى قشير بن كعب بن ربيعة وكان لهم عدد بالبصرة قاله ابن قتيبة في المعارف .

(٣) لم يكن النبي عليه السلام معروفاً في مكة بهذا الاسم وإنما سماه الله به في الإنجيل .

(٤) وما الذى أدرى الجن بذلك وإنما هى علامات يعرفها أهل الكتاب .

(٥) هو العباس بن مرداس السلى أحد المؤلفين قلوبهم .

(٦) أودى يودى يعنى هلك ،

إن الذي وَرِثَ النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال فكتمته الناس فلم أحدث به أحداً فلما رجع الناس من غزوة الأحزاب^(١) فبينما أنا في إيلي بطرف العقيق^(٢) من ذات عرقٍ سمعت صوتاً شديداً فرفعت رأسي فإذا برجل على جناحي نعامه وهو يقول النور الذي وقع يوم الاثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء^(٣). في ديار بني أخي العنقاء^(٤)، فأجابه هاتف عن شماله لا أبصره فقال: بشر الجن وإبلاسها. إن وضعت المظيئ^(٥) أحلاسها، وبينت السماء أحراسها. قال فوثبت مذعوراً وعلمت أن محمداً مرسل^(٥).

وأخرج الخرائطي والطبراني وأبو نعيم من وجه آخر عن العباس بن مرداس: أنه كان يُعَبَّرُ^(٦) في لقاح^(٧) له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامه بيضاء مثل القطن عليها راكب عليه ثياب بيض مثل القطن فقال يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد حُفَّتْ أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي جاء بالبر ولد يوم الإثنين في ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القصواء،

(١) كانت سليم وغطفان قد اشتركا مع قريش في حصار المدينة في هذه الغزوة فردهم الله جميعاً بغيظهم لم ينالوا خيراً.

(٢) واد قريب من المدينة وفي حديث عن عمر «أنا في آت بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل سمرة في حجة».

(٣) العضباء المشقوقة الأذن.

(٤) العنقاء طائر كانت تتخيله العرب مركباً من رأس إنسان وبدن طائر.

(٥) من رأى ذلك كله ماله لم يؤمن بالإيمان كله ولماذا كان من المؤلفة.

قلوبهم الذين يشتري ولاؤهم بالإسلام بالشويحات والدرهمات.

(٦) المغبر الطالب للشئ.

(٧) هي النوق الحلوب الغزيرة اللبن واحدتها نقوح.

فخرجت مرعوبا حتى جئت وثمأ يدعى ضمار فإذا صائح من جوفه يصيح : قل
للقبائل الأبيات .

وأخرج أبو نعيم من وجه ثالث^(١) عن العباس بن مرداس قال « بينا أنا نصف
النهار جالس في قبة شجرة إذ طلعت على نعامة بيضاء عليها رجل أبيض عليه
ثياب بيض فقال : عباس يا عباسها ، يا ابن قَيْلٍ مرْدَاسِها . ألم تر إلى الجن
وإِبْلَاسِها ، والحرب قد جرعت أنفاسها ، وأن السماء منعت أحراسها ،
فانصرفت فلم أزل أسأل حتى قدم عليّ ابن عم لي فأخبرني أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله مُسْتَخْفِيًا » .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن سعيد بن عمر والهذلي عن أبيه قال : « ذبحت
ذبيحة على الصنم فسمعت من جوفه صوتا العجب كل العجب . خرج نبي من
بني عبد المطلب . يحرم الزنا ، ويحرم الذبح للأصنام وحرست السماء ورمينا
بالشهب ، فتفرقنا فقدمنا مكة فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم
حتى لقينا أبا بكر الصديق فقلنا يا أبا بكر خرج بمكة أحد يدعو إلى الله تعالى
يقال له أحمد ؟ قال وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر قال نعم : محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب وهو رسول الله » .

وأخرجنا من وجه آخر عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال : « كنت
عند صنم لنا فسمعت مناديا من جوفه ينادي قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب
لنبي اسمه أحمد . فانصرفت فلقيت رجلا فخبرني بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأخرج ابن منده عن بكر بن جَبَلَةَ قال : كان لنا صنم قَعَتَرْنَا^(٢) عنده
فسمعت صوتا يقول يا بكر بن جبلة تعرفون محمدا ؟

(١) لو ذكر هذا من مائة وجه فإنه لا يزيد عند ذوى القول إلا ضيفا .

(٢) بنى ذبحنا عنده عبيرة وهي الذبيحة في رجب .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس « أن رجلاً قال يا رسول الله خرجت في الجاهلية أطلب بعيداً لي شَرَدَ فهتف بي هاتف في الصبح يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأَجَمَ قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يَحْلُودُ جَنَّاتِ الدِّبَاجِ وَالظُّلَمِ
فَأَدْرْتُ طَرْفِي فَأَرَأَيْتَ لَهُ شَخْصاً فَقُلْتُ :

يا أيها الهاتف في دَاجِي الظُّلَمِ أهلاً وسهلاً بك من طَيْفِ أَلَمِ^(١)
بَيْنَ هَذَاكَ اللَّهُ فِي لَحْنِ الْكَلِمِ^(٢) ماذا الذي تدعو إليه بُغْتَمِ

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزُّور^(٣) ، وبعث الله محمداً بِالْخِيُورِ^(٤) ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحداً خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَثَّ^(٥)

ثم لاح الصباح فوجدت البعير .

وأخرج أبو سعد في (شرف المصطفى) عن الجعد بن قيس المرادي قال :
خرجنا أربعة أنفُسَ ريد الحج في الجاهلية فررنا بِوَادٍ من أودية اليمن فلما أقبل

(١) الطيف هو ما يترامى للناائم من الخيال في النوم ومعنى ألم طرق وهجم .

(٢) لحن الكلام نحوه ومعارضته .

(٣) الشرك وعمل الجاهلية .

(٤) الخيبر جمع خير ضد الشر وهو حصول الشيء على كماله .

(٥) حث أسرع المطى .

الليل استعدنا بعزيز الوادى ^(١) وعقلنا رواحنا فلما هدا الليل ونام أصحابي إذا هاتف من بعض أرجاء الوادى يقول :

ألا أيها الركب المعرّس ^(٢) بلغوا إذا ما وقفتم بالحطيم ^(٣) وزمزم
محمد المبعوث منا تحية محمد المبعوث من حيث سار ويمما ^(٤)
يقولوا له إنا لديك شيعة ^(٥) بذلك أوصانا المسيح ابن مريم

وأخرج أبو سعد في (شرف المصطفى) بسند ضعيف أن جفدع بن الصميل أتاه فقال له يا جندع بن صميل أسلم تسلم وتغنم ، من حر نار تضرم ، فقال ما الإسلام ؟ قال البراة من الأصنام ^(٦) ، والإخلاص للملك العالم . قال كيف السبيل إليه ؟ قال إنه قد اقترب ظهور ناجم ^(٧) من العرب ، كريم النسب ، غير خامل النسب ، يطلع من الحرم ، تدين له العرب والعجم . فأخبر بذلك ابن عمه رافع بن خدّاش . فلما بلغه مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاء فأسلم .

(١) كان من عادتهم في الجاهلية أنه إذا جن الليل عليهم في مفازة يقولون نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه قال تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) .

(٢) النازلون من آخر الليل .

(٣) الحطيم ما بين الحجر الأسود والمقام وزمزم والحجر سمى حطيماً لأن القاص يزدهمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضاً .

(٤) قصد .

(٥) أنصاراً .

(٦) التبرى منها وهجرها .

(٧) يقال نجم الشيء بنجم نجوما إذا ظهر وطلع .

باب

تنكس الأصنام عند بعثته صلى الله عليه وسلم وما جرى على كسرى

أخرج ابن إسحق وأبو نعيم عن وهب بن منبه قال : « لما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انقصمت ^(١) طاق ^(٢) ملكه وانخرقت عليه دجلة ^(٣) فلما رأى ذلك أحزنه وقال قد انقصمت طاق ملكي من غير ثقل وانخرقت على دجلة ، انكسر الملك ، ثم دعا الكهنة والمنجمين والسحرة ، فقال : انظروا في هذا الأمر فظنوا فأخذ عليهم بأقطار السماء وأظلمت الأرض واكتموا ^(٤) في علمهم فلا يمشي ساحر سحره ، ولا لكاهن كهنته ولا لمنجم نجومه وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق ^(٥) برقاً نشأ من قبل الحجاز ثم استطار ^(٦) حتى بلغ المشرق . فلما أصبح ذهب ينظر إلى ماتحت قدميه فإذا روضة خضراء فقال فيما يعتاف ^(٧) لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخضبت عن ملك كان قبله . فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض ^(٨) قال بعضهم

(١) انكسرت .

(٢) الطاق ماعطف من الأبلية أى جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك والكلمة فارسية والجمع طاقات وطيقان .

(٣) دجلة هو النهر المعروف ومعنى انخرأفه فيضانه في الوادى وذهاب مائه .

(٤) ضلوا وخابوا .

(٥) يطبل النظر .

(٦) انتشر واتسع .

(٧) من العيافة وهو نوع من الكهانة .

(٨) انفردوا يتناجون .

لبعض تعلمون والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء وإنه لَنبي قد بُعثَ يَسْلُبُ هذا المُلْكَ ويكسره^(١) .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن محمد بن كعب قال: «دخلتُ مدائن كسرى عام ثمانين فنظرت إلى بناء كسرى فعجبت وأخبرني شيخ لهم قال : إن كسرى أوَّلَ ما أنكر من أمره أنه أصبح في الليلة التي أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلته قد انشلمت عليه وطاق ملكه قد انصدع » فذكر نحوه .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن أبي هريرة قال : « لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً فأنت الشياطين إبليس فأخبروه فقال هذا نبي قد بعث فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمس فوجده بمكة فخرج إلى الشياطين فقال قد وجدته معه جبرئيل^(٢) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال : « رَنَّ^(٣) إبليس أربع مرات : حين لُعِنَ ، وحين أُهْطِطَ ، وحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين » .

(١) لست أدري لماذا انفرد وهب برواية هذه الأحداث الهائلة التي لوححت لسكانت حديث الداني والفاصي ومثل هذا ما يروى في ليلة مولده عليه السلام من سقوط شرفات قصر كسرى وانتكاس إيوانه وفيضان بحيرة ساوة وغيطان وادى سماءة إلغ ما هنالك من حكايات وأساطير ليس يثبت منها شيء ولا هي مما يزيد شأن نبينا عليه السلام ظهوراً فهو الشمس لا تخفى إلا على العميان .

(٢) الذي في الصحيح عن ابن عباس أن الجن كانوا يستمعون الوحي فيسمعون السكحة فيزيدون عليها عشرًا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الأرض .

(٣) الصوت الحزين عند المعصية .

باب

حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف

قال تعالى فيما أخبر عن الجن ﴿ وَإِنَّا لَمُسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حِرْصًا شَدِيدًا وَشَهَابًا وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ﴾ .

أخرج أحمد والبيهقي من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : « إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحي فيهبطون إلى الأرض فيزيدون عليها فلم يزلوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فَمُنِعُوا تلك المقاعد فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث في الأرض حَدَثٌ فبعثهم فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن . قالوا هذا والله الحدث وإنهم لَيُزْمَوْنَ فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطيء أبداً ولكنه لا يقتله يحرق وجهه وجنبه ويده » .

وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس قال « كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي فيخبرون به الكهنة . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم دُحِرُوا ^(١) فقالت العرب حين لم يخبرهم الجن هلك من في السماء فجعل صاحب الإبل ينحرك كل يوم بعيداً وصاحب البقرة ينحر ^(٢) بقرة وصاحب الغنم ينحر شاة ، وقال إبليس لقد حدث في الأرض حدث فأتوني من تربة كل أرض فاتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من هاهنا جاء الحدث فنصوا ^(٣) ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُعِثَ » .

(١) أبعادوا بقوة قال تعالى (ويقذفون من كل جانب دحورا) .

(٢) النحر إنما هو للإبل وأما البقر والغنم فتذبح .

(٣) النص سرعة السير .

وأخرج البيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس قال : « لم تكن سماء الدنيا تحرم في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرساً شديداً ، ورُجِمَت الشياطين » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : « لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين السماء ورُمُوا بالشهب فذكروا لإبليس فقال بعث نبي عليكم بالأرض المقدسة فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج إبليس في طلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجراً منحدرأ معه جبرئيل فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحد ومعه جبرئيل » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن أبي بن كعب^(١) قال : « لم يُرْمَ بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ثم فعلت حقيف مثل ذلك فبلغ عبد الله^(٢) فقال لاتعجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تعرف فهو عند فناء من الناس وإن كانت نجوما لاتعرف فهو عند أمر قد حدث فنظروا فإذا هي لاتعرف فأخبروه فقال هذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف أبوسفیان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي

(١) هو من الأنصار ويكنى أبا للنذر وكان من أقرأ الصعابة للقرآن بل أقرأم وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف في وقت موته فقال قوم مات في خلافة عمر سنة ثنتين وعشرين فقال عمر اليوم مات سيد المسلمين وقال آخرون مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان .

(٢) سيد من سادات ثقيف .

مرسل قال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها^(١) .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن الشعبي قال: « كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فرمى بها فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم فقال عبد ياليل انظروا » وذكر مثله .

وأخرج ابن سعد عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن أخنس قال « إن أول العرب فزع لرمي النجوم ثقيف فأتوا عَمْرَو بن أمية فقالوا ألم تر إلى ما حدث ؟ قال بلى فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها ويعرف بها أنواء^(٢) الصيف والشتاء انتثرت فهو طى الدنيا وذهاب هذا الخلق إن كانت نجوما غيرها فأمر أَرَادَ الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك » .

وأخرج الخرائطي في المواعظ وابن عساكر عن مرداس بن قيس الدوسي^(٣) قال : « حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت عنده الحكاية وما كان من تغييرها عند مخرجه فقلت يا رسول الله : قد كان عندنا من ذلك شيء أخبرك ؟ إن جارية منا يقال لها خَلَصَة لم نعلم عايتها إلا خيراً إذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم علىَّ إلا خيراً قلنا وما ذاك ؟ قالت : إني اني غنمي إذ غشيتني .

(١) إذا كان عبد ياليل يعرف من الرمي بالشهب أنها لظهور نبي فلماذا نكل عن الإسلام وأغلظ الرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب إلى أهل الطائف
(٢) الأنواء جمع نوء وهو النجم إذا مال للغروب ويقال أيضاً للطر والعطاء وفيل النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقيقه وهو نجم يقابله من ساعتها في المشرق وإنما سمي نوء لأنه إذا سقط الغارب نهض الطالع وطلع وكانت الأنواء عندهم ثمانية وعشرين معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وكانت العرب في الحامية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيب يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون مطرنا بنوء الثريا أو بنوء الدبران .

(٣) نسبة إلى دوس إحدى قبائل اليمن وهم رهط أبي هريرة رضى الله عنه .

ظلمة ووجدت كحس الرجل مع الأرة فتد خشيت أن أكون قد حبلت حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف^(١) له أذنان كأذنى الكلب فكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذا وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته ياويله ياويله الخيل والله وراء العقبه فيهن فتیان حسان نجبه فركبنا فوجدناهم فهزمناهم وغنمناهم ، وكان لا يقول لنا شيئا إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يارسول الله صار يخبرنا بشي . فيكذب ، فقلنا له : ويلك ماذا ؟ قال : ما أدري كذبنى الذى كان يصدقنى اسجنونى فى بيتى ثلاثا ثم اثنوى ، ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه جمره نار ، فقال : يامعشر دوس حرست السماء وخرج خير الأنبياء ، قلنا : أين ؟ قال بمكة وأنا ميت فاقذفونى فى رأس جبل فإنى سوف أضطرم^(٢) نارا ، فإذا رأيتم اضطرامى فاقدفونى بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فإنى أهدأ وأطفي ففعلنا ذلك وأقنا حتى قدم علينا الحاج فامبرونا بمبعثك يارسول الله^(٣) .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن الزهرى قال : « كان الوحى يستمع ، فلما كان الإسلام منعوا ، وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سَعِيرَة لها تابع من الجن فلما رأى الوحى لا يستطيع أتاها فدخل فى صدرها وجعل يصيح وضع العناق^(٤) وورفع الرقاق ، وجاء أمر لا يطاق ، أحمد حرم الزنا » .

(١) أى مسترخى الأذنين .

(٢) اشتعل

(٣) ترى ما الذى أشعل النار فى ذلك الجسد ؟ وما الذنب الذى جناء حتى يفعل به ذلك ؟ وهل زنى حتى يقذف بالحجارة وهل كان هذا هو السبب فى إسلام دوس أم كان ذلك حين دعاهم سيدهم الطفيل بن عمرو ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أبطأوا على الطفيل وقال « اللهم اهد دوسا » .

(٤) معنى الممانعة فى الحرام .

وأخرج البيهقي عن الزهري قال : « إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهنة فلا كهنة » .

وأخرج اواقدي وأبو نعيم عن نافع بن جبير قال : « كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب » .
وأخرج اواقدي وأبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : « كانت الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم منعو افشكوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فرق فوق أبي قبيس فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي خلف المقام فقال : أذهب فأكسر عنقه ، فجاء وجبرئيل عنده فركضه جبرئيل ركضة طرحه في كذا وكذا » وأخرج اواقدي وأبو نعيم عن مجاهد مثله .

وأخرج أبو نعيم من طريق الحجاج الصواف عن ثابت البناني ^(١) عن أنس قال . « لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أتاه إبليس يكيدنه فاقض عليه جبرئيل فدفعه بمنكبه فألقاه بوادي الأردن » .

وأخرج أبو الشيخ في العظمة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم من طريق عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساجداً بمكة فجاء إبليس فأراد أن يطأ عنقه فنفجه جبرئيل نفخة فما استقرت قدماه حتى بلغ الأردن » ^(٢) .

(١) هو ثابت بن أسلم وبنانة من قريش وهم بنو سعد بن لؤي وكانت بنانة أمهم فتنسبوا إليها ويكنى أبا محمد وهو من أفاضل التابعين توفي في ولاية خالد ابن عبد الله القسري بالعراق .

(٢) ليس بعجيب أن يحاول إبليس الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه قد بعث لإبطال كيدته ووساوسه .

باب

إعجاز القرآن واعتراف مشركي قريش بإعجازه
وأنه لا يشبه شيئاً من كلام البشر ومن أسلم لذلك

قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ^(١) ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم ^(٢) من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن الأنبياء نبي إلا أعطى مأمثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » . قال العلماء : معناه أن معجزة الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومفجزات القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبيات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه . وقيل : المعنى إن المعجزات الماضية كانت حسية

(١) يعنى معنا وناصر ا يقال ظاهره على الأمر عاونه وتظاهروا عليه تعاونوا -

(٢) قال ابن كثير « قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم وقال السدي عن أبي مالك شركاءكم أى قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أى استعينوا بآلهتكم فى ذلك يمدونكم وينصرونكم وقال مجاهدوا ادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون به بعض حكماء الفصحاء اه .

تشاهد بالأبصار كساقاة صالح وعصا موسى ومهجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشَاهِدِهِ ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً » . قال الحافظ ابن حجر : ويمكن نظم القولين في كلام واحد ، فإن مُحَصَّلَهُمَا لا ينافي بعضه بعضاً .

وأخرج الحاكم والبيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فسكانه رق له ^(١) فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ^(٢) إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال : لِيُعْطَوْكَ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا تَتَعَرَّضُ لِمَا قَبْلَهُ ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكسر له أو أنك كاره لله ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مُعَذِّقٌ ^(٣) أسفله وإنه ليعلم وما يُعْلَى وإنه ليعظم ماتمته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يؤثره عن غيره فنزات ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ ^(٤) .

(١) يعني لان قلبه وقرب من الإسلام .

(٢) فان الوليد بن المغيرة أخو هشام بن المغيرة والد أبي جهل .

(٣) العذق هو العنقود من العنب أو الرطب وهو أيضاً كل غصن له شعب وفي رواية معذق بالعين المعجمة والذال المهملة أى مخصب كثير الخير .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره قال « حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور

عن معمر عن عبادة بن منصور عن عكرمة » قال ابن كثير : وقد ذكر ابن اسعق وغير واحد نحوه من هذا .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس
«أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سنٍّ فيهم وقد حضر الموسم
فقال إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فجمعوا
فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيه كذب بعضكم بعضاً ويرد قول بعضكم بعضاً ،
فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس قتل وأقيم لنا رأياً نقوم به ، فقال : بل أنتم فقولوا
لأسمع ، فقالوا نقول كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما
هو بزمرة الكاهن وسحره ، فقالوا : نقول مجنون ، فقال : وما هو بمجنون ،
ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قال فنقول
شاعر ، قال : فما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه فما هو بالشعر ، قال : فنقول ساحر ، قال : فما هو بساحر ، قد رأينا
السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقمده ، فقالوا : ما تقول يا أبا عبد شمس ؟
قال : والله إن اقوله لحلاوة ، وإن أصله لمعذق ، وإن فرعه لجنا^(١) فما أنتم بقائلين
من هذا شيئاً إلا عرِف أنه باطل وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر فتقولوا هذا
ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وبين زوجته
وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عند ذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم
لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله عز وجل في الوليد
ابن المغيرة وذلك من قوله ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً - إلى قوله - سأصليه
سقر ﴾ وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه ويصفون له القول في رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أى
أصنافاً ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، قال : وصدرت العرب من ذلك الموسم

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها^(١) .

وأخرج أبو نعيم من طريق الثؤفي عن ابن عباس قال « أقبل الوليد بن المغيرة على أبي بكر يسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قریش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة^(٢) فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا بهذاء^(٣) مثل الجنون وإن قوله لمن كلام الله » .

وأخرج أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس « أن الوليد قال لقومه إن الناس مجتمعون غداً في الموسم وقد فشا قول هذا الرجل في الناس وهم سائلوكم عنه غداً فماذا تردون عليهم ؟ قالوا : نقول مجنون مُحْتَنَق ، قال يأتونه فيكلمونه فيجدونه فصيحاً عاقلاً فيكذبونكم ، قالوا : نقول شاعر ، قال : هم العرب وقد رووا الشعر وقوله ليس بنشيد الشعر فيكذبوكم ، قالوا : نقول كاهن يخبرنا بما في غد ، قال : إنهم لقوا الكهان فإذا سمعوا قوله فلم يجدوه يشبه الكهانة فيكذبونكم » .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « قام النضر ابن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي^(٤) فقال : يامعشر

(١) نسب ابن كثير هذا القول في تفسيره إلى السدي .

(٢) يعنون بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ينسبونه إلى أبيه من الرضاة لأنه كان من أهل البادية يعيش على رعي الغنم .

(٣) يقال هذى هذياً وهذياناً تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره فهو هاذٍ والاسم الهذاء بضم الهاء .

(٤) هو من ثقيف ومن أطباء العرب تعلم الطب عن أبيه الحارث وكان من أشد الناس عداوة واستهزاء بالإسلام يأتي في أسفاره يكتب فيها بعض الحكايات فيعارض بها القرآن ويقول للناس هذا والله خير مما جاء به محمد . قتل بعد وقعة بدر .

قريش ، إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله ، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاًكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتهم ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتهم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم وقلتهم شاعر لا والله بشاعر ، لقد رويننا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتهم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يامعشر قريش ، انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

وأخرج ابن أبي شيبة في مُسنده والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : « قال أبو جهل وأمثال من قريش لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلّمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة^(١) لقد سمعت قول السحر والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى على إن كان كذلك فأتاه فلما أتاه قال عتبة : يا محمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه قال : فيم تشتم آلهتنا وتضال آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباءة^(٢) زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستعين بها أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ، فلما فرغ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ فإن أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة

(١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف قتل هو وأخوه شيبة وابنه

الوليد في المبارزة يوم بدر .

(٢) الرغبة في النساء .

مثل صاعقة عاد وثمود ﴿ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرّحم أن يكف عنه
ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى
عتبة إلا قد صبأً إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا
بنا إليه ، فاتّوه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما حسبنك إلا أنك صبوت^(١) إلى
محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما ينّيك عن طعام محمد
ففضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً ، قال : ولقد علمت أني من أكثر قريش مالا
والكنى أتيتّه فأجاني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ ﴿ بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ﴾ حتى بلغ
﴿ قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم
ليكف ولقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب نخفت أن ينزل بكم العذاب .
وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن
ربيعة قال ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد « يا معشر قريش :
ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها ويكف
عنا ؟ قالوا بلى يا أبا الوليد ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم » فذكر الحديث فيما قال له عتبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفرغت
يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال فاسمع مني قال فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته
قرآناً عربياً ﴾ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فلما سمعها عتبة
أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهريه معتمداً عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد^(٢) فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد ؟ قال

(١) أي ملت إليه .

(٢) في بقية الروايات أن عتبة قام عندما سمع قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل
أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) وأنه خيل إليه أن العذاب نازل
بقومه الساعة .

سمعت قال فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورأى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعتُ بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بى خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الذى سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهَر على العرب فلكم مُلْككم وعِزُّه عزُّكم ، وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرنا والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأى فيكم فاصنعوا ما بدا لكم .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر قال : « لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أنى أصحابه فقال لهم ، يا قوم أطيعوني فى هذا اليوم واعصوني بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذنأى قط كلاماً مثله وما دريت ما أرُدُّ عليه .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن الزُّهْرِي قال : حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْل وَأَبَا سَفِيَّانَ ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ ^(١) خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالليل فى بيته وأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع منه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأاكم بعض سفهائكم لأوقعم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم

(١) هو من بنى زهرة وكان منافقاً يلقى النبي صلى الله عليه وسلم فيطربه ويلين له الحديث حتى إذا غاب عنه هجاء أفزع الحجاج وهو الذى قال اذ فيه (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) .

الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقالوا لا نبرح حتى تتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال يا أبا ثعلبة لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأحنس وأنا والذي حلفت ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجأنا^(١) على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا ممّا نبى يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فقام الأحنس بن شريق .

وأخرج البيهقي عن المغيرة بن شعبه قال : « إن أول يوم عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أمشي وأنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة^(٢) مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله قال أبو جهل يا محمد : هل أنت مُنته عن سب آل هنتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أتى أعلم أن ما تقول حقاً لا تبعثك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علىّ فقال فوالله إنى لأعلم أن ما تقول حق بولكن بنى قصي قالوا فينا الحجابة^(٣) فقلنا نعم ، فقالوا فينا الندوة^(٤) فقلنا

(١) في بعض الروايات تحاذينا يعنى تساونا .

(٢) جمع زقاق وهو الطريق الضيق .

(٣) سدانة البيت الحرام .

(٤) دار كان قد بناها قصي يجتمعون فيها للتشاور فيما بينهم .

نعم ، فقالوا فينا اللواء ^(١) فقلنا نعم ، فقالوا فينا السقاية ^(٢) فقلنا نعم . ثم
أطعموا فأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكَبُ قالوا منا نبى والله لا أفعل .

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال « انطلق أخى أنيس إلى مكة ثم أتاني فقال :
لقيت رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله ، قلت ما يقول الناس ؟ قال يقولون إنه
إشاعر وساح وكاهن ، وكان أنيس أحد الشعراء فقال لقد سمعت قول الكهنة
فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقرأء الشعر ^(٣) فوالله ما يلتئم على لسان
أحد بعدى أنه شعر ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال أبوذر فارتحلت
حتى أتيت مكة فأقيمت بها ثلاثين من بين يوم وليلة ومالى طعام إلا ماء زمزم
فسممت حتى تكسرت عكُنُ بطني ^(٤) وما وجدت على كبدى سُخْفَ جوع ^(٥)
أخرج أبو نعيم عن الزهرى أن أسعد بن زُرارة قال يوم العقبة للعباس :
« نحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله أرسله من
عنده ليس بكذاب وأن ما جاء به لا يشبه كلام البشر » .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثني إسحاق بن يسار عن رجل
من بنى سلمة ^(٦) قال : « لما أسلم فتيان بنى سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه
أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه (الحمد لله رب العالمين) إلى
قوله (الصراط المستقيم) فقال ما أحسن هذا وأجمله وكل كلامه مثل هذا ؟ قال
يا أبتاه وأحسن من هذا » .

(١) يعنى راية الحرب وكانت فى بنى عبد الدار .

(٢) يعنى سقاية الحجيج وكانت للعباس بن عبد المطلب .

(٣) يعنى بمحموره وأوزانه .

(٤) جمع عكته وهى ما تطوى وتثنى من لحم البطن .

(٥) السخفة بضم فسكون والسخفة بفتحات الحزال والضعف .

(٦) هم رهط من بنى جشم بن الحزرج .

وأخرج ابن سعد عن يزيد بن رومان ومحمد بن كعب والشعبي والزهرى وغيرهم قالوا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى سليم يقال له قيس بن نسيبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه فأسلم ورجع إلى قومه فقال : قد سمعت ترجمة الروم وهينمة^(١) فارس ، وأشعار العرب ، وكهانة الكاهن ، وكلام مقاول^(٢) حخير فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه فقدموا عام الفتح فأسلموا وهم سبعة وقيل كانوا ألفاً .

فصل

أجمع العقلاء على أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته مع تحديهم بذلك قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) فلولاً أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة وقال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آية من آياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء وقد جاءهم به صلى الله عليه وسلم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع^(٣) الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهاتهم طول السنين فلم يقدروا ، وكانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره . فلو كان في قدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رame بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى

(١) الصوت الخفي .

(٢) جمع مقول وهو البين القول الطريف اللسان .

(٣) جمع مصقع وهو البليغ العالى الصوت .

فتارة قالوا سحر ، وتارة قالوا شعر ، وتارة قالوا أساطير^(١) الأولين ، كل ذلك من التعجير والإنقطاع ، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبى ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم ، وقد كانوا آنف شيء^(٢) وأشدّه حميّة فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم .

قال الحافظ^(٣) : « بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، وأحكم^(٤) ما كانت لغةً وأشد ما كانت عُدةً ، فدعا أقصاها وأدناها إلى المعارضة ثم نصب لهم الحرب ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وخطبائهم ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض^(٥) لقوله وأفسد لأمره وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال ، وقد اختلف الناس في الوجه الذي وقع به إعجاز القرآن على أقوال بينها مبسوط في كتاب (الإتيان)^(٦) والملخص أنه وقع بعدة وجوه^(٧) .

منها : حسن تأليفه والتمام كلمه وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب^(٨) الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

-
- (١) جمع أسطورة وأسطيرة وهى الحديث الذى لا أصل له .
 - (٢) أفضل تفضيل من الأنفة وهى الترفع والكبرياء .
 - (٣) هو ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى .
 - (٤) من الإحكام وهو الإجادة والإتيان .
 - (٥) من النقض وهو الإبطال والحل .
 - (٦) هو كتاب المؤلف فى علوم القرآن .
 - (٧) الأولى أن يقال إن القرآن معجز ولا يشتغل بتعديد أوجه إعجازه كما روى ذلك عن أحمد بن حنبل رحمه الله .
 - (٨) هذا كلام ركيك فإن الكلام فى وجوه إعجازه فكيف يجعل هذا من وجوه إعجازه .

ومنها : صورة نظامه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظامها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له .

ومنها : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد^(١) .
ومنها : ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القذ^(٢) من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه وهو أعمى لا يقرأ ولا يكتب .

ومنها : ما تضمنه من الاخبار عن الضمائر كقوله تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ .

ومنها : آى وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها ، فما فعلوا ولا قدروا كقوله في اليهود : ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ .
ومنها : ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة^(٣) .

ومنها : الروعة التي تلاحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والهيبة التي تعترهم

(١) وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) .
(٢) يعنى التحرير المتفوق .

(٣) لا يجوز أن يجعل هذا وجوه الإعجاز لأن ترك المعارضة إنما هو للشعور بالعجز عنها . وقد قال النظام من المعزلة إن القرآن معجز بالمعرفة يعنى أن الله صرف العرب عن تحصيل العلوم التي اشتمل عليها القرآن وقد عد هذا القول من سقطاته .

عند سماع تلاوته ، كما وقع لجبير بن مطعم « أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، قال : فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ إلى قوله ﴿ المصيطرون ﴾ كاد قاي يطير ، قال : وذلك أول ما وقّر الاسلام في قلبي » .

ومنها : أن قارئه لا يمله وسامعه لا يجمعه بل الاكتاب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويميل مع التردد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد .

ومنها : كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه .

ومنها : جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة .

ومنها : جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة ، وهما كالمضادين لا يجمعان في كلام البشر غالباً .

ومنها : جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ .

قال القاضي عياض : والوجوه الأربعة الأولى هي المعتمد عليها في الاعجاز والباقي تقدم في خصائصه ، وبقي من خصائصه كونه نزل على سبعة أحرف ، وكونه نزل مفرداً منجماً وكونه ميسراً للحفظ وسائر الكتب بخلاف ذلك في الثلاثة ، وقد بسطت الكلام في الأولين في (الاتقان) وسألم بشيء من ذلك في اب الخصائص التي امتاز بها عن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

فصل

قال القاضي عياض : إذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن عرفت أنه لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأنه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فمعجزوا عنها ، قال أهل العلم : وأقصر السور ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فكل آية أو آيات منه بمددها وقدرها معجزة ، ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق .

قلت : وإذا عدت كلمات سورة الكوثر وجدتها بضع عشرة كلمة ، وقد عد قوم كلمات القرآن سبعا وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين ، فالقدر المعجز منه يكون في العدد نحو سبعة آلاف تقريباً تضرب في ثمانية أوجه الأولان والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر ، تبلغ سنة وخمسين ألف معجزة ، ثم ينضم إلى ذلك في بعضه من الوجه الثالث والرابع والخامس والسادس جملة وافرة ، فتصل معجزات القرآن بذلك إلى ستين ألف معجزة أو أكثر ومن أراد الوقوف على تفصيل إعجاز القرآن من حيث الوجهان الأولان ، فليمعن النظر في كتابنا (الإتقان) ، ثم في كتابنا (أسرار التنزيل) يجد فيهما ما يشفي غايله ^(١) ، وقد وقع لي أني استخرجت من آية واحدة مائة وعشرين نوعاً من أنواع البلاغة ، وهي قوله تعالى : ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ الآية ، وقد أفردتها بتأليف فليراجع ^(٢) .

(١) لا يحتاج إعجاز القرآن إلى مثل هذه العمليات الحماوية التي ذكرها المؤلف تبعاً للقاضي عياض والسلف رضي الله عنهم وهم أعلم الناس بنواحي إعجازه لم يتكلموا في شيء من ذلك ، ولهذا كان أحمد رحمه الله إذا سئل عن وجوه إعجاز القرآن قال هو معجز كله .

(٢) الظاهر أن المؤلف إنما كان يفعل ذلك من قبيل إظهار البراعة العلمية وبلاغة الآية السكرية لا يحتاج إلى كل هذا المعاناة .

فصل

روى أحمد وغيره عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآن في إهابٍ ما أكلته النار » . ورواه الطبراني من حديث سهل بن سعد بلفظ « ما مسته النار » ^(١) . ورواه من حديث عصمة بن مالك بلفظ « لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقت النار » .

قال ابن الأثير في (نهاية الغريب) : ذكر بعضهم أن هذا معجزة له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقط ^(٢) .

باب ما كان يظهر عند الوحي من الآيات

أخرج ابن أبي داود في (كتاب المصاحف) عن أبي جعفر قال : « كان أبو بكر يسمع مناجاة جبرئيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه » .

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم بسند جيد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي نسمع عنده دويًا كدوى النحل - وفي لفظ - يسمع عند وجهه كدوى النحل » ^(٣) .

وأخرج الشيخان عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله

(١) قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات فيه عبد الوهاب بن الضمك قال البخاري عنده عجائب هـ .

(٢) لا يخفى أن ما ذكره ابن الأثير عن بعضهم لا معنى له وما دام الحديث موضوعاً فلا نشغل أنفسنا بتأويله .

(٣) قال الترمذي منكر لا يعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا يعرفه .

عليه وسلم ، كيف يأتيك الوحي ؟ قال : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على فيفصم^(١) عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول .

وقالت عائشة : « لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد^(٢) عرقاً » .

وأخرج ابن سعد عن أبي سَلَمَةَ أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحي يأتيني به جبرئيل فيلقيه على كما يلقي الرجل على الرجل فذاك يتفلت مني ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني »^(٣) .

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كُرب لذلك وترَبَّدَ له وجهه »^(٤) .

وأخرج أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي وجد ثقلاً » قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ .

وأخرج أبو نعيم عن زيد بن ثابت قال : « كان إذا نزل الوحي على

(١) يفارقه ويزيله .

(٢) أى يسيل منه العرق بكثرة .

(٣) حديث منكر وفيه طعن صريح في النبوة لاسيما إذا علم أن أكثر ما كان يوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمثل رجلاً فإذا كان هذا يتفلت منه ولا يثبت في قلبه فماذا بقي بعد ذلك ، والعجب من المؤلف وأمثاله يوردون مثل هذه الأحاديث التي وضعها الزنادقة ولا يفتنون إلى ما فيها .

(٤) بمعنى ضمير وعلمته الرتبة أى الضربة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك وتحدّر جبينه عرقاً كأنه الجمان^(١)
وإن كان في البرد»^(٢).

وأخرج الطبراني عن زيد بن ثابت قال «كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء^(٣) شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ثم سرّى عنه ، وكنت أكتب وهو يعلو على فما أفرغ حتى تسكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول لا أمشي على رجلى أبداً»^(٤).

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تبرد جلده».

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي تبرد لذلك وجهه وجسده ، وأمسك عنه أصحابه ولم يكلمه أحد منهم».

وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ قال : «نعم أسمع صلاصلاً ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحي إلى إلا ظننت بأن نفسي تقبض منه».

وأخرج أبو نعيم عن القلتان بن عاصم قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله تعالى».

وأخرج الشيخان وأبو نعيم عن يعلى بن أمية قال : نظرت إلى رسول الله

(١) الجمان صغار اللؤلؤ.

(٢) وهذا موافق لما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) أى شدة وعناء .

(٤) في الصحيح أنه نزل عليه الوحي ورجله على فخذه زيد فكانت ترضها .

وهو يوحى إليه وله غطيط كغطيط البكر محرمة عيناه وجبينه .

وأخرج ابن سعد عن أبي أرزوى الدوسي قال : « رأيت الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وإنه على راحته فترغو وتقتل يديها حتى أعلن أن ذراعها تنقسم فربما بركت ^(١) وربما قامت مؤتدة ^(٢) يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي وإنه لينحدر منه مثل الجمان » .

وأخرج أحمد والبيهقي عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فتضرب بجرائها ^(٣) من ثقل ما يوحى إليه وإن كان جبينه كينطف ^(٤) بالعرق في اليوم الثاني إذا أوحى إليه » .

وأخرج ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يغط ^(٥) في رأسه ويتردد في وجهه ويحد برداً في ثيابه ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان » .

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت عميس ^(٦) قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه » .

(١) كما بركت به وهو يعرفات في حجة الوداع حين نزل عليه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

(٢) الإناد حبل يضبط به رجل البقرة إذا حلبت .

(٣) أى تبرك وأصل الجران مقدم العنق .

(٤) أى يحيل .

(٥) غط في نومه ينط غطيظاً نحر في نومه .

(٦) هى أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر بن أبي طالب هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ومكثت بها حتى قدمت معه سنة سبع ولما استشهد زوجها في غزوة مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق فولدت محمداً ولما توفي الصديق تزوجت طي بن أبي طالب .

وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وأبو نعيم عن أسماء بنت يزيد قالت : « كنت آخذة بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه المائدة فكاد أن ينكسر عَضْدُهَا من ثقل السورة » ^(١) .

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صُدِعَ فيغاف رأسه بالحفاء » .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال : « كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَدْ ^(٢) لذلك ساعة كهيئة السكران » — وقذه النعاس بذال معجزة عليه .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه لم يستطلع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي » .

باب

اختصاصه صلى الله عليه وسلم برؤية جبرئيل في صورته التي خلق عليها

أخرج أحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبرئيل في صورته إلا مرتين ، أما واحدة

(١) رواه ابن كثير عن أسماء بنت عميس قالت « حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طي الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأثبته فسجبت عليه بردا كان طي »

(٢) يقال وقذه وقذا أي صرعه أو ضربه ضرباً شديداً حتى أشرف على الموت .

فإنه سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه فسد الأفق^(١) ، وأما الأخرى فليلة الإسراء عند السدرة^(٢) .

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل^(٣) والدر والياقوت ما الله به عليم » .

وأخرج أحمد والطبراني عن ابن عباس قال : « سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبرئيل أن يراه في صورته فقال : ادع ربك ، فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر » .

وأخرج الشيخان عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبرئيل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض » .

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت جبرئيل منهبطاً قد ملأ ما بين السماء والأرض عليه ثياب سندس^(٤) معلقاً به اللؤلؤ والياقوت » .

(١) روى البخاري وغيره عن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام لما فتر عنه الوحى كان بمجاور بحراء فلما هبط سمع صوتاً فرفع رأسه فإذا الملك الذى جاءه بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض قد سد الأفق بأجنحته فهذه هى المرة الأولى التى رأى فيها النبي عليه السلام جبرئيل على صورته للملكية ولم يكن هو الذى سأله ولمسكن تجلى له فى الأفق مفاجأة ولهذا قال جئيت منه حتى هويت إلى الأرض . (٢) قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) يعنى رأى محمد جبرئيل مرة أخرى على صورته عند السدرة .

(٣) التهاويل الأشياء المختلفة الألوان ومنها يقال لما يخرج من الرياض من اللون الزهر التهاويل .

(٤) السندس ضرب من نسيج الديباج أو الحرير أو هو مارق منه .

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل « وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُكَ فِي صُورَتِكَ فَتَشْرُ جَنَاحًا مِنْ أَجْنَحَتِهِ فَسَدَّ أَفْقَ السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَى مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ » .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ جِبْرِئِيلَ لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ نَشَرَهَا مِثْلَ رِيَشِ الطَّوَائِيسِ » .
وأخرج عن ابن مسعود قال : « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِئِيلَ فِي حُلَّةٍ خَضْرَاءٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود قال : « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِئِيلَ مَعْلَقًا رَجُلِيهَ عَلَيْهَا الدَّرَكَانَهُ ^(١) قَطَرِ الْمَطَرِ عَلَى الْبَقْلِ » .

وأخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبيد « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ رَأَى جِبْرِئِيلَ فِي خَلْقِهِ مَنْظُومٍ أَجْنَحَتُهُ مِنَ الزَّبْرِجَدِ وَاللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ قَالَ نَخِيلٌ إِلَى أَنْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ وَكَنتَ أَرَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَكْثَرَ مَا كُنْتُ أَرَاهُ عَلَى صُورَةِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ ^(٢) وَكَنتُ أحيانًا أَرَاهُ كَمَا يَرَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ مِنْ وَرَاءِ الْغُرْبَالِ » .

(١) هكذا في النسخ كلها وكتب على هامش نسخة واحدة قبل اللفظ عليها بسدرة كما في رواية فتكون العبارة هكذا معلقا رجله بسدرة عليها الدر .

(٢) هو دحية بن خليفة بن عامر بن الحزرج وأسلم قديما ولم يشهد بدرا وكان يشبه بجبريل عليه السلام لجماله وحسنه عاش إلى زمان معاوية .

وأخرج ابن سعد والنسائي بسند صحيح عن ابن عمر قال : « كان جبرئيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي » .

وأخرج الطبراني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان جبرئيل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلاً جميلاً » .

وأخرج المعجل في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال : « أجمل الناس من كان جبرئيل ينزل على صورته » .

ذكر المعجزات والخصائص

الواقعة بمكة فيما بين المبعث والهجرة

باب سعى الشجرة إليه صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى والدارمي والبيهقي وأبو نعيم من طريق الأعمش^(١) عن أبي سفيان عن أنس قال : « جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من مكة^(٢) قد خضبه أهل مكة بالدماء قال : مالك ؟ قال خضبني هؤلاء بالدماء فملوا وفعلوا ، قال : تريد أن أريك آية ؟ قال : نعم ، ادع تلك الشجرة ، فدعاها ، فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه ، قال : مرّها فلترجع ، قال : ارجعي إلى مكانك ، فرجعت إلى مكانها ، قال : حسبي »^(٣) .

(١) هو سليمان بن مهران ويكنى أبا محمد مولى لبني كاهل من بني أسد يقال إنه ولد يوم مقتل الحسين بن علي يوم عاشوراء ومات سنة ٤٨ هـ وكان مدلساً في الحديث .

(٢) لم يكن لبني أن يخرج من بين قومه حتى يأذن الله له في ذلك وقد قص الله علينا قصة يونس عليه السلام حين ذهب مغاضباً فخرى عليه ما جرى .

(٣) لم يكن صلى الله عليه وسلم في حاجة إلى أن يرثه جبريل آية لتنبئه وتقوى قلبه على احتمال أذى قومه فقد كان له من يقينه بالله عز وجل ما يغنيه عن ذلك وقد البرار عن بريدة أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام فقال أرني آية قال إذهب إلى تلك الشجرة فادعها فذهب إليها فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت على كل جانب منها حتى قلمت هروقهها ثم أقبلت الحديث وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف .

وأخرج البيهقي عن الحسن قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه فقال : رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم ، فأوحى إليه أدمع أي أغصان هذه الشجرة شئت فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خدفي الأرض^(١) حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إرجع إلى مكانك ، فرجع الغصن فخد في الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وطابت نفسه ورجع » .

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والبزار والبيهقي وأبو نعيم بسند حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على الحُجُون كثيراً لما آذاه المشركون ، فقال : « اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبتني بعدها ، فأمر فنأدى شجرة من جانب الوادي فأقبلت تحت الأرض خدأ حتى وقفت بين يديه فسلمت عليه ، ثم أمرها فرجعت إلى موضعها ، فقال : ما أبالي من كذبتني بعدها من قومي » .

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال : آذى المشركون رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم فأتاه جبرئيل ، فانطلق به إلى شفير واد فيه شجر كثير فقال : « ادع أي شجرة شئت ، فدعا شجرة منها فأقبلت حتى قامت بين يديه ، فقال له جبرئيل : إنك على الحق »^(٢) .

(١) أي أحدث فيها أخدوداً وهو الشق .

(٢) هذه كلها أحاديث لم يصح منها شيء ولم يكن الذي عليه السلام في شك من أمره حتى يحتاج إلى شجرة تسجد له فتطيب بذلك نفسه ويشهد عزمه في تبليغ رسالة ربه .

باب در الجذعة باللبن

أخرج الطيالسي وابن سعد وابن أبي شيبه والبيهقي وأبو نعيم عن ابن مسعود قال : « كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة ابن أبي معيط ^(١) بمكة فأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد قرأا من الشركين ، فقالا : يا غلام عندك لبن تسقيننا ؟ قلت : إني مؤتمن ، فقالا : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل ^(٢) بعد ؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فمسحه ودعا فحل ^(٣) الضرع ، فأنابه أبو بكر بصخرة مقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر وسقاني ، ثم قال للضرع اقلص ^(٤) فقلص كما كان . »

باب رؤيا خالد بن سعيد بن العاص ^(٥)

أخرج ابن سعد والبيهقي عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : « كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً ، وكان أول إخوته أسلم ، وكان بدؤ إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف به على شفير ^(٦) النار ، فذكر من سمعها

(١) هو من بني عبد شمس وهو الذي أتى بسلا الجزور فوضعه على ظهر رسول صلى الله عليه وسلم وهو ساجد .

(٢) يعني لم يطرقتها .

(٣) أي امتلاً باللبن .

(٤) أي انكش .

(٥) قال في المعارف (ذكر أبو اليقظان شخيم بن حفص بن قادم العبيني وغيره أنه أسلم قبل إسلام أبي بكر وذلك لرؤيا رآها واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني زيد وقتل يوم اليرموك .

(٦) شفير كل شيء ناحيته وشفير الوادي ناحيته من أعلاه .

ما الله أعلم به ، ويرى في النوم كأن أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بحقيبته^(١) لا يقع فزع من نومه وقال : أحلف بالله إن هذه رؤيا حق فأتى أبا بكر^(٢) فذكر ذلك له ، فقال : أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فأتاه فقال : يا محمد إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ولا يدرى من عبده ممن لم يعبد فأسلم خالد ، وعلم أبوه فأرسل في طلبه فأنبه^(٣) وضربه وقال : والله لأمنعنك القوت ، قال : إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن صالح بن كيسان^(٥) أن خالد بن سعيد قال : « رأيت في المنام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ظلمة غشيت مكة حتى ما أرى جبلا ولا سهلا ، ثم رأيت نوراً خرج من زمزم مثل ضوء الصباح كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء لي أول ما أضاء البيت ، ثم عظم الضوء حتى ما بقي من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه ، ثم سطع في السماء ثم انحدر حتى أضاء لي نخل يثرب فيها البسر ، وسمعت قائلاً يقول في الضوء سبحانه سبحانه

(١) تشية حقو وهو الحضر ويقال للآزار أيضا .

(٢) هذا يدل على تقدم إسلام أبي بكر على إسلام خالد وهو الصحيح .

(٣) من التأنيب وهو التجر والتوبيخ .

(٤) قال الذهبي في الميزان « محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العناني

الملقب بالديباج وهو سبط الحسين رضى الله عنه » .

وثقه النسائي وقال مرة ليس بالقوى وقال البخارى لا يكاد يتابع في حديثه .

(٥) قال في المعارف « يكنى أبا محمد وولاه لامرأة مولاة لآل معيقب بن أبي

فاطمة الدوسي فهو مولى مولى مات بعد سنة أربعين ومائة .

وقال عنه في الميزان أحد النقات والعلماء رمى بالقدر لم يصح منه ذلك »

تمت الكلمة^(١) وهلك ابن مارد بهضبة الحصا بين أدرج والأكمة سعدت هذه الأمة جاء نبي الأميين ، وبلغ الكتاب أجله ، كذبت هذه القرية تعذب مرتين تتوب في الثالثة ثلاث بقيت ثنتان بالشرق وواحدة بالغرب ، فقصها خالد بن سعيد على أخيه عمرو بن سعيد فقال : لقد رأيت عجيباً وإني لأرى هذا أمراً يكون في بني عبد المطلب إذ رأيت النور خرج من زمزم .

وأخرجه الدارقطني في الأفراد وابن عساكر من طريق الواقدي حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة سمعت أم خالد بنت خالد ابن سعيد بن العاص تقول فذكره وفي آخره قال خالد : فإنه لما هداني الله به للإسلام ، قالت أم خالد : فأول من أسلم أبي^(٢) وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا خالد أنا والله ذلك النور وأنا رسول الله فأسلم .

باب رؤيا سعد بن أبي وقاص

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت في المنام قبل أن أسلم بثلاث كأني في ظلمة لا أبصر شيئاً إذ أضاء لي قمر فاتبعته فكأنني أنظر إلى من يسبقني إلى ذلك فأنظر إلى زيد بن حارثة وإلى أبي بكر وكأني أسألهم متى أتيتهم إلى هاهنا ؟ قالوا : الساعة ، وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام مستخفياً فلقيته في شعب أجياد ، فقلت : إلام تدعو ؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فشهدت^(٣) .

(١) يعني كلامه تعالى الدينية قد تمت ببيعة محمد صلى الله عليه وسلم فليس ينزل بعدها على عباده أمراً ولا نهياً كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في أخباره وعدلا في أحكامه .

(٢) الصحيح ما ذكرناه سابقاً وهو أن أبا بكر أوله من أسلم من الرجال .

(٣) الصحيح أن سعداً ممن أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه .

باب

معجزته صلى الله عليه وسلم في الجنة^(١)

التي أطم منها أربعين رجلا من قومه

أخرج ابن إسحاق والبيهقي من طريقه حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل^(٢) عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتكم الأقرين) قال : يا علي اصنع لنا رجلا شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس^(٣) لبن ، ثم اجمع بني عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له ، وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب ، وحزرة . والعباس ، وأبو لهب فقدمت إليهم تلك الجنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية^(٤) ، فشققها بأسنانه ، ثم رمى بها في نواحيها ، وقال كلوا بسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه^(٥) ما نرى إلا آثار أصابعهم والله ، إن كان الرجل منهم يأكل مثلها ، ثم قال اسقهم يا علي فنجت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره^(٦) أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لقد سحركم صاحبكم فتفرقوا ،

(١) هي القصعة الكبيرة .

(٢) إن كان هو عبد الله بن الحارث الخزومي للذي فهو ثقة أخذ عنه الشافعي
واحد وإن كان هو الشيخ للذي فقد قال الذهبي لا أعرفه .

(٣) العس : هو القدح الكبيرة .

(٤) تصغير حذة بضم الحاء وتشديد الذال القطعة من اللحم .

(٥) شبعوا .

(٦) أي سبقه إلى الكلام .

هو لم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان الغد قال : يا على عذ لنا
 ، مثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، ففعلت ثم جمعتهم له فصنع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع ، بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم
 قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من
 العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة .
 أخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ^(١) ، عن
 المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل به .

وأخرج ابن سعد من طريق نافع ^(٢) ، عن سالم ^(٣) ، عن علي قال : « أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فصنعت له طعاماً ، ثم قال : ادع لي بني
 عبد المطلب ، فدعوت أربعين فقال : هلم طعامك فأتيتهم بثريدة ، إن كان
 الرجل منهم لياً كل مثلاً فأكلوا ، ثم قال : اسقهم ، فسقيتهم بإناء هورى
 أحدهم فشرّبوا منه جميعاً حتى صدروا ^(٤) ، فقال أبو لهب : لقد سحركم محمد
 ففترقوا ، لم يدعهم فليثوا أياماً ، ثم صنع لهم مثله ، ثم أمرني فجمعتهم فطعموا ،
 ثم قال لهم : « من يوازرني على ما أنا عليه ؟ فقلت أنا يا رسول الله وإني لأحدهم »

-
- (١) قال في اللباز « عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري رافضى ليس
 بشيعة قال علي بن المديني كان يضع الحديث ويقال كان من رؤس الشيعة » .
 روى عباس عن يحيى ليس بشيء إلى أن قال « قال أحمد كان أبو مريم يحدث
 بيلايا في عثمان وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما متروك » .
 (٢) هو مولى ابن عمر روى عنه مالك كثيراً من أحاديث الموطأ ورواية مالك
 عن نافع عن ابن عمر هي إحدى السلاسل الذهبية في الحديث .
 (٣) وأما سالم فهو ولد عبد الله بن عمر وهو من التابعين روى عن أبيه كثيراً
 وكان نافع يأخذ عنه .
 (٤) يعني ارتدوا .

سنا وسكت القوم ، ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك ؟ قال : دعوه فان
يألوا ابن عمه خيرا ^(١) . وأخرج أبو نعيم مثله من طريق ربيعة بن ناجد ، عن
علي ^(٢) ، ومن طريق ميسرة العبدي عن علي ولفظه مُدًّا من طعام .

وأخرج أبو نعيم من طريق الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن
عبد الله الأسدي ، عن علي قال : « لما نزلت (وأنذر عشيرتک الأقربين) دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين رجلا من أهل بيته ، إن كان الرجل منهم
لشارب ^(٣) فُرْقًا ^(٤) ، وآكل جذعة فقرب إليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل شاة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم جئت بقعب من لبن فشربوا حتى
روؤوا فقال أبو لهب ما رأينا كالسحر اليوم ، ثم قال : يا علي اصنع لنا غداء
مثل ما صنعت فأكلوا مثل ما أكلوا في المرة الأولى ، وشربوا مثل ما شربوا
ثم عرض عليهم ما عرض ^(٥) .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق ، عن البراء بن عازب قال :
« لما نزلت (وأنذر عشيرتک الأقربين) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) يعني لن يقصر في نصرته واتباعه .

(٢) قال في الميزان « ربيعة بن ناجد عن علي لا يكاد يعرف » .

(٣) استأهرف وجهه - أرفع شارب هنا مع أنه خبر كان وكذا تكل
المعطوف عليه .

(٤) الفرق بضم فسكون إناء يكثال به .

(٥) قال في الميزان « عباد بن عبد الله الأسدي عن علي ، قال البخاري صحيح منه
المنهال بن عمرو وفيه نظر قلت روى الملاء بن صالح حدثنا المنهال عن عباد بن عبد الله
عن علي قال أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا الصديق الأكبر
وما قالها أحد قبلي ولا يقولها إلا كذاب مفتر واقعد أسلمت وصليت قبل الناس بسبع
سنين . قلت وهذا كذب على علي . قال ابن اللبني ضعيف الحديث .

إلى (١) عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً منهم من يأكل المسنة ويشرب العسّ فأمر علياً برجل شاة فصنعها لهم ، ثم قربها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ منها بضعة (٢) فأكل منها ، ثم تتبع بها جوانب القصعة ، ثم قال : ادنوا عشرة فدنا القوم عشرة فأكلوا حتى صدروا ، ثم دعا بقعب من لبن فخرج منه جرعاً ، فناولهم ، وقال : اشربوا بسم الله ، فشربوا حتى رووا عن آخرهم ، فقال أبو لهب ما سحركم مثل هذا الرجل ، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ، ثم بدرهم بالكلام .

باب نبع الماء من الأرض

قال ابن سعد : أنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا عبد الله بن عوف (٣) عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : « كنت بذى المجاز مع ابن أخي ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخي قد عطشت ، وما قلت له ذلك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع قال : فتنى وزكاه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قلت نعم فأهوى بقبه إلى الأرض فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، قال فشربتُ » (٤) . أخرجه ابن عساكر . وله طريق آخر ، أخرجه الخطيب وابن عساكر من طريق ابن جرير الطبري ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أزهر بن سعد السمان ، حدثنا ابن عوف عن عمرو بن سعيد به .

(١) لعلم آل عبد المطلب .

(٢) هو بفتح الباء القطعة .

(٣) قال في الميزان « هو عبد الله بن عمرو بن عوف المزني من أبيه ماروي .

عنه سوى ابنه كثير أحد التلقي .

(٤) لاشك أن نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة صحيحة ولكن

هذا الحديث منكر غير صحيح وقد علت حال راويه وكيف يرى أبو طالب مثل هذه الآية ثم يحمد على شركه ولا يدخل في الإسلام .

باب دعائه صلى الله عليه وسلم لأبي طالب بالشفاء

أخرج ابن عدى والبيهقى وأبو نعيم من طريق الهيثم بن حماد عن أنس أن أبا طالب مرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا ابن أخى أدع ربك الذى تعبد أن يعافينى ، فقال : اللهم اشف عمى ، فقام أبو طالب كأنه نشط من عقال ، قال يا ابن أخى : إن ربك الذى تعبد ليطيعك ، قال : وأنت يا عماء لئن أطعت الله ليطيعنك » . تفرد به الهيثم وهو ضعيف .

باب استسقاء أبى طالب به صلى الله عليه وسلم

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : « انتهيت إلى المسجد الحرام وإذا قريش عزيز^(١) قد ارتفعت له ضوضاء^(٢) يستسقون فقاتل منهم يقول : اعمدوا اللات والعزى ، وقائل منهم يقول : اعمدوا العناة الثالثة الأخرى فقال شيخ منهم ، وسيم قسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل قالوا له كأنك عذبت أبا طالب^(٣) قال إيهما فقاموا بأجمعهم وقت معهم فدفقنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مُصَفَّرٌ عليه إزار قد اتشح به^(٤) فثاروا إليه فقالوا له : يا أبا طالب قد أقعط الوادى وأجذب العيال فهل فاتسق ، فقال دونكم زوال الشمس وهبوب الريح^(٥)

-
- (١) جمع عزة وهى العصبة من الناس يعنى متفرقين .
 (٢) الضوضى والضوضاء والضياء الجلبة وأصوات الناس فى الحرب أو الزحام .
 (٣) لاشك أن قريشا كلها من سلالة إسماعيل فلماذا فهموا أنه يعنى أبا طالب لعل ذلك لسنه وشرفه .
 (٤) يعنى جعله كالوشاح على كتفيه .
 (٥) يعنى راقبوا هذا الوقت وانتظروه .

فلما زاعت الشمس خرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجْنٌ تجلت عنه
سحابة قتيًا ، وحوله أغيلة فأخذه أبو طالب فألقى ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه
الغلام وبصبصت ^(١) الأغيلة حوله وما في السماء قرعة ^(٢) ، فأقبل السحاب
من ههنا وههنا وأغدق وأغدق ^(٣) وانفجر له الوادى وأخضب النادى
وبالدى ففى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغام بوجهه ثَمَالُ الْيَتَامَى ^(٤) عصمة للأرامل ^(٥)
تطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفضائل
وميزان عدل لا يخيس ^(٦) شعيرة ووزان صدق وزنه غير هائل ^(٧)

باب رؤية حمزة ^(٨) جبرائيل عليه السلام

أخرج ابن سعد والبيهقى عن عمار بن أبى عمار ، أن حمزة بن عبد المطلب

(١) يقال بصبص يعنى تعلق ومنه تبصص الكلب إذا حرك ذنبه .

(٢) هى القطعة من السحاب .

(٣) يعنى كثر وغزر .

(٤) يعنى غيابهم الذى يقوم بأمرهم .

(٥) جمع أرملة وهو المسكين ومن لا أهل له ومن ماتت زوجته والمؤنت
منه أرملة .

(٦) أى لا ينقص منه شيئًا ولا مقدار شعيرة وهى أصغر ما يوزن به .

(٧) أعلمها مائل وهذه بعض أبيات من قصيدة لأبى طالب يقال إنه أنشدها فى

المدة التى كان فيها بنو هاشم والمسلمون محاصرين فى شعب أبى طالب وهى قصيدة
جزلة بليغة واست أدرى هل هى لأبى طالب حقًا أو قالها بعض الشعراء ثم نخله
إياها فإننا لا نعرف من حياة أبى طالب أنه كان شاعرًا .

(٨) هو سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخوه من الرضاعة أسلم قبل عمر وكان أحد المبارزين يوم بدر وقتل يوم أحد بعد
ما أبلى أحسن البلاء رضى الله عنه .

قال يارسول الله أرني جبرئيل في صورته قال إنك لا تستطيع أن تراه قال : بلى فأرنيه قال : أقعد فقع فترى جبرئيل على خشبة كانت في الكعبة يلتقي المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشيا عليه «^(١) مرسل .

باب انشقاق القمر

قال الله تعالى (اقتربت الساعة وإنشق القمر^(٢)) ، أخرج الشيخان عن أنس قال « إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراه انشقاق القمر مرتين »^(٣) .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال « انشق القمر بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » . وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال (انفلق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار فرقتين فلقه من وراء الجبل ، وفلقه دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » .

(١) لا يعقل أن يطلب حمزة من رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا كهذا لاسيما وهو يعلم أن جبرئيل لم يتجمل لأحد من الرسل والأنبياء على تلك الصورة الملكية ولم يره عليه السلام عليها إلا مرتين في مدى ثلاث وعشرين سنة وعمار بن أبي عمار لم يذكره الذهبي في العيارين .

(٢) الآية صريحة في أن القمر قد انشق فعلا وهو ما تشهد له الأحاديث الصحيحة المتفق عليها .

(٣) لم يرد في رواية البخاري لفظ مرتين ولم يرد في مسلم عن أنس إلا في هذه الرواية فلعل المراد بمرتين معنى هفتين أو فلقتين حتى تتسق هذه الرواية مع غيرها ، « معروف أن القمر لم يلق إلا مرة واحدة كما دلت عليه سائر الروايات .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا » .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال : « رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء فقالوا : سحر القمر فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن مسعود قال : « انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار أهل مكة : هذا سحر يسحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا الشفّار فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر يسحركم به فسئل السفار وقدموا من كل وجه وقالوا رأينا ^(٢) .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس « أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج مسلم عن ابن عمر « أن القمر انشق فلتقتين ، فلاة من دون الجبل وفلاة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد » .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن جبير بن مطعم قال : « انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل ، فقال الناس : سحرنا محمد فقال رجل : إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم » .

(١) لم ترد هذه الزيادة في الصحيحين وهي غير معقولة فإن القمر إنما انشق معجزة له عليه السلام فكيف يكون قبل مخرجه ؟ اللهم إلا إذا أريد بالخروج الهجرة إلى المدينة .

(٢) بل يوجد في بعض جهات الهند من يؤرخ بحادثة انشقاق القمر إلى اليوم .

وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال : « اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قُبَيْس ونصفاً على قعيقعان ، وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر نصفين نصفاً على أبي قُبَيْس ونصفاً على قعيقعان ^(١) ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اشهدوا » .

وأخرج من وجه آخر عن الضحاك عن ابن عباس « أنه صار فرقتين إحداهما على الصفا ، والأخرى على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثم غاب » . قال العلماء : « إنشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع مافى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر .

باب ما خصه الله تعالى به من وعده إياه بالمصمة من الناس

أخرج الترمذى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن عائشة قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ، فأخرج رأسه من القبة فقال : لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

(١) هذا غير معقول فإن أحد الجبلين في شرق مكة والآخر في غربها وهما بينهما فكيف ينشق القمر نصفاً على هذا الجبل ونصفاً على ذلك ولم يرد هذا في شيء من روايات الصحيحين ولا سائر روايات ابن مسعود وهو ممن شهد الواقعة بنفسه ورآها بعينه . فالصحيح أن أحد الفرقتين كانت فوق أبي قُبَيْس والأخرى كانت دونه .

وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم عن جمعة قال « شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وأتى برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن تُراع^(١) لن تراع لو أردت ذلك لم يسلطك الله على » .

باب عصمته وإياه من أبي جهل وما ظهر فيها من المعجزات

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال : « قال أبو جهل هل يُعزّر محمد وجهه بين أظهركم؟^(٢) فقيل نعم ، فقال : واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليظاً على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه^(٣) يتقي بيديه فقيل له مالك ؟ قال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة^(٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لا خنطفته الملائكة عضواً عضواً وأنزل الله (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال . « قال أبو جهل يامعشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب ديننا وشم آباءنا وتسفيه أعلامنا وسب آلهتنا وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر فإذا جلس في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أخذ حجراً ثم جلس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وقد غدت قريش فحاسوا في أنديةهم ينظرون فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهبتاً منتقلاً لونه مرعوباً قد بيست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال من قريش فقالوا

(١) أى تفزع يقال راع يروع بمعنى فزع وراعه أفزعه .

(٢) يعنى هل يصلى مستملنا بصلاته بينكم .

(٣) أى رجع القهقري والعقب مؤخر القدم .

(٤) هى أجنحة الملائكة التى نزلت لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حالك؟ قال لما قت به إليه عرض لى دونه فخل من الإبل والله ما رأيت مثل هلمته ولا قصرته^(١) ولا أنياه لفحل قط فهم أن يا كفى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبرئيل لودنا منى لأخذه .

وأخرج البخارى عن ابن عباس قال «قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عياناً»^(٢) .

وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن عباس عن أبيه العباس قال «كنت يوماً فى المسجد فقال أبو جهل إن الله علىّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فافتحم الحائط فقلت هذا يوم شر فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (اقرأ باسم ربك) فلما بلغ شأن أبى جهل (كلا إن الإنسان ليطغى)^(٣) فقال إنسان لأبى جهل : هذا محمد . فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى والله لقد سد أفق السماء على .

(١) القصرة بفتحات أصل العنق إذا غلظت والجمع قصر وأقصر وقصرات .

(٢) هو بكسر العين بمعنى المعاينة وهى الرؤية بالعين .

(٣) المعروف أن السورة إنما نزلت فى شأن أبى جهل حين نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند البيت فكيف إذا خرج النبى عليه السلام والسورة معه وأخذ يقرأها قبل أن ينفذ أبو جهل ما هدد به أو لعلمها واقعة أخرى غيرها وقد ذكر المفسرون أن أبا جهل لما رأى النبى عليه السلام يصلى عند البيت قال له ألم أنهك عن الصلاة هاهنا فأغلظ له الرسول القول فقال له أبو جهل أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى نادياً فنزلت السورة .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم من طريقه حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي قال « قدم رجل من أراش يابل له مكة فابتاعها منه أبو جهل ابن هشام فَمَطَّاهُ بِأَتَمَانِهَا فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادَى قَرِيشَ فَقَالَ مِنْ رَجُلٍ يَعِدُنِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ فَإِنِّي غَرِيبٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي ؟ فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ تَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ ؟ يَهُوُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْعَدَاوَةِ إِذْ هَبَ إِلَيْهِ فَهُوَ يَعِدُكَ عَلَيْهِ فَأَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَامَ مَعَهُ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَى بَابِهِ فَقَالَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَقَدْ انْتَقَعَ لَوْ نَهَ قَالَ أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ قَالَ لَا تَبْرَحَ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا الْحَكَمِ جِئْتَ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ قَالَ وَيَحْكُمُ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَى بَابِي فَلَمْتُ رَعْبًا ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَإِنْ فَوْقَ رَأْسِي لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصْرَتِهِ وَلَا أُنْيَابَهُ لَفَحْلٍ قَطُّ فَوَاللَّهِ لَوْ أُبَيِّتَ لَأَكَلْتَنِي » .

وأخرج أبو نعيم من طريق سلام بن مسكين قال : حدثني أبو يزيد المدني وأبو قرعة الباهلي أن رجلاً كان له على أبي جهل دين فلم يعطه فقبل له ألاً بذلك على من يستخرج لك حَقَّكَ ؟ قَالَ بَلَى قَالُوا عَلَيْكَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَاهُ فَجَاءَ مَعَهُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ أَعْطِهِ حَقَّهُ قَالَ نَعَمْ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَأَخْرَجَ دِرَاهِمَهُ فَأَعْطَاهُ فَقَالُوا لِأَبِي جَهْلٍ فَرَقْتَ ^(١) مِنْ مُحَمَّدٍ كُلِّ هَذَا ؟ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ^(٢) لَقَدْ رَأَيْتُ مَعَهُ رَجُلًا مَعَهُمْ حَرَابٌ تَلْعَقُ لَوْ لَمْ أُعْطِهِ لَخَفْتُ أَنْ يَبْعَجَ بِهَا بَطْنِي ^(٣) .

(١) أَى خَفْتُ .

(٢) هَذَا قِسْمٌ لَمْ تَسْكُنْ تَعْرِفُهُ الْجَاهِلِيَّةُ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْثُرُ أَنْ يَقْسِمَ بِهِ .

(٣) لَا تَرَوِي قِصَّةَ إِلَّا وَيَسْرَحُ الْخِيَالُ فِيهَا كُلَّ مَسْرُوحٍ فَهَنَّاكَ فُحْلٌ مِنَ الْإِبِلِ وَهَنًا رَجُلَانِ مَعَهُمْ حَرَابٌ تَلْعَقُ وَمَرَّةً خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَهَوْلٌ وَأَجْنَعَةٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْجَنُوحِ —

باب ستره صلى الله عليه وسلم

بالحجاب عن عين العوراء بنت حرب^(١)

قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) وقال تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والبيهقي وأبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء بنت حرب ولها ولوله^(٢) وفي يدها فهر^(٣) والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك قال إنها لن تراني وقرأنا فاعتصم به فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجأك فقلت .

وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن أسماء بنحوه وفيه فقال « والله ما صاحبي يشاعر وما يدرى ما الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لها ترين عندي أحداً فإني لن تراني جعل بيني وبينها حجاب فساأها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحداً » .

== إلى التزيد وبمحبتنا أن نعلم أن الله قد حمى رسوله من كيد هذا الطاغية بما شاء من أنواع الحباطة والحفظ .

(١) هي أم جميل امرأة أبي لهب واسمها أروى بنت حرب فهي أخت أبي سليمان بن حرب وكانت هي وزوجها من أهد قريش عداوة وإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزل الله في شأنهما سورة مستقلة من القرآن .

(٢) أى صباح وعويل .

(٣) قال في القاموس « الفهر بالكسر الحجر قدوماً يدق به الجوز أو ما يملأ

الكف ويؤث والجمع أنهار وفهور »

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم عن ابن عباس قال «لما نزلت (تبت يدا
أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب فقال أبو بكر : يا رسول الله لو تنحيث عنها فإنها
امرأة بذية اللسان قال : إنه سيحال بيني وبينها فلم تره فقالت يا أبا بكر هجانا
صاحبك ؟ قال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله قالت إنك لمصدق ، فاندفعت
مراجعة ، فقال أبو بكر يا رسول الله ما رأيتك ؟ قال : كان بيني وبينها ملك
يستترني بمخاضه حتى ذهبت .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم

من الخزوميين^(١)

أخرج البيهقي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح (٢)
عن ابن عباس في قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سداً) قال كفار قریش
غطاء فأغشيناهم يقول ألبسنا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وسلم
فيؤذونه وذلك أن ناساً من بني مخزوم تواصلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه
منهم أبو جهل والوليد بن مغيرة فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي سمعوا
قراءته فأرسلوا إليه الوليد ليقبله فانطلق حتى أتى المكان الذي هو يصلي فيه
فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف إليهم فأعلمهم بذلك فأتوه فلما انتهوا إلى
المكان الذي هو يصلي فيه سمعوا قراءته فيذهبون إلى الصوت فإذا الصوت
من خلفهم فيذهبون إليه فيسمعونه أيضاً من خلفهم فانصرفوا ولم يجدوا
إليه سبيلاً فذلك قوله (وجعلنا من بين أيديهم سداً) ومن خلفهم سداً

(١) يعني كفار بني مخزوم وهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وزهير
ابن أبي أمية أخو أم سلمة ، وأخوه عبد الله بن أمية والأسود بن عبد الأسد أخو
أبي سلمة وغيرهم .

(٢) قد ذهبنا على أن رواية السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
عامتها كذب فلا يجوز التعويل عليها .

فاغشيناهم) الآية قال البيهقي وروى عن عكرمة ما يؤيد هذا . قلت : يشير إلى ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن عكرمة قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فنزلت (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً إلى قوله تعالى لا يبصرون) فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ؟ لا يبصره^(١) .

وأخرج أبو نعيم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذى منه ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا هم عى لا يبصرون فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت (يس والقرآن الحكيم)^(٢) الآيات .

وأخرج أبو نعيم من طريق للمعتمر بن سليمان^(٣) عن أبيه أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده فهر ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتاه وهو ساجد رفع يده فيدست على الحجر فلم يستطع

(١) لاشك أن الآيات وإن كانت محتملة لهذا السد الحسى ولعمى البصر وحجابيه عن الرؤية فإن المراد بها صرفهم عن الخير وعمامهم عن الحق وترددهم في الضلالات كما روى ابن كثير عن مجاهد أنه قال (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) أى عن الحق فهم مترددون في الضلالات وروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال جعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه .

(٢) هذا أثر غريب منكر وهو مخالف للأثر السابق الذى أخرجه ابن جرير في تفسيره عن عكرمة فلا يلتفت إليه على أن عكرمة من الضعفاء .

(٣) قال فى الميزان التبعي البصري أحد الثقات الاعلام قال ابن خراش : صدوق يخطئ من حفظه وإذا حدث من كتابه فهو ثقة .

قلت هو ثقة مطلقاً ونقل ابن دحية عن ابن معين ليس بحجة « اهـ .
ومهما يكن فإن أثره هذا غريب لم نسمع به إلا عنه . فاقه أعلم .

إرسال الفهر من يده فرجع إلى أصحابه فقالوا أجبنت عن الرجل؟ قال لا ولكن هذا في يدي لا أستطيع إرساله فمجبوا من ذلك فوجدوا أصابعه قد دبست على الحجر فمالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا هذا شيء يراد .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم من النضر

أخرج الواقدي وأبو نعيم عن عروة بن الزبير قال « كان النضر بن الحارث يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعرض له فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد حاجته نصف النهار في حر شديد فبلغ أسفل من ثنية الحجون وكان يبعد إذا ذهب لحاجته فرآه النضر فقال لا أجده أبداً أخلى منه ^(١) الساعة فأغتناله فدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف راجعاً مرعوباً إلى منزله فلقى أبا جهل فقال من أين؟ قال النضر اتبعت محمدًا رجاء اغتياله وهو وحده فإذا أسود ^(٢) يضرب بأنياها على رأسي فاتحة أفواهها فذعرت منها ووليت راجعاً » قال أبو جهل : هذا بعض سحره .

باب عصمته صلى الله عليه وسلم من الحكم ^(٣)

أخرج الطبراني وابن منده وأبو نعيم من طريق قيس بن حبر قال : قالت ابنة الحكم : قال لي جدي الحكم : يا بنية أحدثك ما رأيت بعيني هاتين ، تواعدنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخذنا فحطنا إليه فسمعنا صوتاً ما ظننا أنه بقي جبل بتهامة إلا تفتت فغشي علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع

(١) أى أشد تفرداً ووحدة .

(٢) جمع أسود وهو الحية العظيمة السوداء وتعرف بالحنش والأنثى أسودة .

(٣) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس والدمروان بن الحكم .

(٢١ - الضعائم الكبرى)

إلى أهله ثم تواعدنا له ليلة أخرى . فلما جاء نهضنا إليه فجاءت الصفا والمروة حتى التقت إحداها بالأخرى فحالتا بيننا وبينه^(١) فوالله ما نفعلنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام وأذن لنا فيه .

باب الآية في مصارعة صلى الله عليه وسلم ركانة

أخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لركانة بن عبد يزيد « أسلم فقال : لو أعلم أن ما تقول حق لفعلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان ركانة من أشد الناس ، أرايت إن صرعتك أتعلم أن ذلك حق ؟ قال : نعم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصصره ، فقال له : عدُّ يا محمد ، فعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه الثانية فصصره على الأرض ، فانطلق ركانة وهو يقول : هذا ساحر لم أر مثل سحر هذا قط ، والله ماملكت من نفسى شيئاً حين وضعت جنبي إلى الأرض »^(٢) .

وأخرج البيهقي عن ركانة بن عبد يزيد وكان من أشد الناس قال : كنت

(١) لو أن الذي يكذب يتلطف في كذبه ويأتى منه بما يقرب من العقل والواقع لكان كذبه أدنى إلى التصديق ولكنه حين يعنى في الكذب يكون كذبه سمعاً معجوجاً فلقد أوشكنا أن نصدق أنهم سمعوا أول ليلة صوتاً ظنوا معه أن جبال تهامة تفتت كلها أما أن يلتقل أحد الجبلين إلى الآخر ويركبه من أجل الحيلولة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو العجب والله قادر أن يحول بينهم وبين رسوله بدون هذا وبأسر منه ولقد سألت قريش رسول الله أن يزيل الصفا ويوسع لهم مكة في جملة من الآيات اقترحوها فلم يجبههم الله إليها .

(٢) لقد مر من حديث أنس أنه قال « كنا نحدث أنه أعطى قوة ثلاثين وفي بعض الروايات أربعين » .

أنا والنبي صلى الله عليه وسلم في غنيمة لأبي طالب نزعها في أول ما رأى^(١) إذ قال لي ذات يوم : هل لك أن تصارعني ؟ قلت له أنت ؟ قال أنا فقلت على ماذا ؟ قال : على شاة من الغنم^(٢) فصارعته فصارعني فأخذ مني شاة ثم قال لي : هل لك في الثانية ؟ قلت نعم ، فصارعته فصارعني فأخذ مني شاة فجمعت ألتفت هل يراني إنسان فقال مالك ؟ قلت لا يراني بعض الرعاة فيجترئون على وأنا في قومي من أشدهم قال : هل لك في الصراع الثالثة ولك شاة ؟ قلت : نعم فصارعته فصارعني وأخذ مني شاة فقعدت كثيراً حزينا ، فقال مالك ؟ قلت : إلى أرجع إلى عبد يزيد وقد أعطيت ثلاثا من غنمه والثانية أني كنت أظن أني أشد قریش ، فقال : هل لك في الرابعة ؟ فقلت لا بعد ثلاث ؟ فقال : أما قولك في الغنم فإني أردتها عليك فرد على فلم يلبث أن ظهر أمره فأتيته فأسلمت فكان مما هداني الله عز وجل أني علمت أنه لم يصراعني يومئذ بقوته ولم يصراعني يومئذ إلا بقوة غيره^(٣) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي أمامة قال : « كان رجل من بني هاشم يقال له ركانة ، وكان من أشد الناس وأفتكهم وكان مشركا وكان يرعى غنما له في واد يقال له أضمر ، فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وتوجه قبل ذلك الوادي فلقى ركانة وليس مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد ، فقام إليه

(١) كيف كان يرعى غنما لأبي طالب في أول ما رأى وهو منذ تزوج خديجة رضي الله عنها أغناه الله بها وكانت سنة إذ ذاك خمساً وعشرين سنة وهو لم ير إلا في سن الأربعين كلام كله كأحاديث القول والشاطر حسن .

(٢) كيف يزاول لليسر وهو كبيرة ومعلوم أن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة والغم ، كذلك ليست غنمه فهي خيانة يستحيل أن يتصف بها الأمين آيات الدين يضعون هذه القصص يعلون أنهم يفترون في مقام النبوة ويرتكبون في حقه أفظع الجنائيات .

(٣) لا بل صرعه بقوته التي أودعها الله فيه وخلقها عليها .

ر كانة فقال : يا محمد ، أنت الذى تشتم آلهتنا اللات والعزى وتدعو إلى إلهك
 العزيز الحكيم ولولا رحم يبنى وبينك ما كلمتك الكلام حتى أقتلك ولكن
 ادع إلهك العزيز الحكيم ينجيك منى اليوم وسأعرض عليك أمراً هل لك أن
 أصارعك وتدعو إلهك العزيز الحكيم يعينك على وأنا أدعو اللات والعزى ؟
 فإن أنت صرعتنى فلك عشر من غنمى هذه تختارها ، فقال عند ذلك نبي الله
 صلى الله عليه وسلم نعم إن شئت ، فأخذنا ودعا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلهه
 العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة ودعا ركانة اللات والعزى أغنى اليوم على
 محمد ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه وجلس على صدره فقال ركانة قم
 فلست أنت الذى فعلت بى هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخذلى اللات
 والعزى وما وضع أحد قط جنبى قبلك ثم قال ركانة : عد فإن أنت صرعتنى
 فلك عشر أخرى تختارها فأخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم الثانية ودعا كل واحد
 منهما إلهه كما فعلا أول مرة فصرعه نبي الله صلى الله عليه وسلم فجلس على كبده
 فقال له ركانة : قم فلست أنت الذى فعلت بى هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم ،
 وخذلى اللات والعزى وما وضع جنبى أحد قط قبلك ، ثم قال ركانة : عد
 فإن أنت صرعتنى فلك عشر أخرى تختارها فأخذه فصرعه نبي الله صلى الله
 عليه وسلم الثالثة ، فقال له ركانة : لست أنت الذى فعلت بى هذا ، وإنما فعله
 إلهك العزيز الحكيم وخذلى اللات والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمى
 فاخترها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما أريد ذلك ولكنى أدعوك إلى
 الإسلام يا ركانة وأنفس بك^(١) أن تصير إلى النار^(٢) إنك إن تسلم تسلم ، فقال

(١) أى أضن بك وأبخل .

(٢) ولماذا نفس بنفس ركانة أن تصير إلى النار ولم ينفس بنفسه وعمومته وأبناء

عمومته وألصق الناس به ؟ سر عجيب ليت هؤلاء الوضاعين يدلوننا عليه .

له رُكَّانة : لا إلا أن تربني آية ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الله عليك شهيد ، إن أنا دعوت ربى فأريتك آية لتجيبني إلى ما دعوتك إليه ؟ قال : نعم وقريب منه شجرة سمر ذات فروع وقضبان فأشار إليها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : أقبلى بإذن الله تعالى فأنشقت بائنين فأقبلت على نصف شقتها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رُكَّانة . فقال له رُكَّانة : أريتني عظيما فمرها فلترجم فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : عليك الله شهيد ، لئن أنا دعوت ربى رجعت تجيبني إلى ما أَدْعُو إليه ؟ فقال نعم ، فرجعت بقضبانها وفروعها حتى التأمت لشقتها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسلم تسلم ^(١) ، فقال له رُكَّانة : ما بى إلا أن أكون رأيت عظيما ولكنى رأيت أن تحدث نساء المدينة وصبيانهم أنى إنما جئتك لرعب دخل فى قلبى منك ، ولكنى قد علمت نساء أهل المدينة وصبيانهم أنه لم يضع جنبى قط أحد ، ولم يدخل قلبى رعب ساعة قط ليلا ولا نهارا ، ولكن دونك فاختر غنمك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ليس لى حاجة إلى غنمك إذ أبيت أن تسلم ، فانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم راجعا فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يلتمسانه فأخبرا أنه قد توجه قبل وادى أضمر وقد عرفا أنه وادى رُكَّانة لا يكاد يخطئه فعرجا فى طلبه وأشفقا أن يلقاه رُكَّانة فيقتله فجعلا يصعدان على كل شرف ويقشرفان مخرجاً له إذ نظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، فقالا : يا نبي الله كيف تخرج إلى هذا الوادى وحدك ؟ وقد عرفت أنه جهة رُكَّانة وأنه من أفنك الناس وأشدهم تكديبا لك ، فضحك إليهما النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أليس يقول الله عز وجل ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ^(٢) إنه لم يكن

(١) ولم هذا الإلحاح كله على رُكَّانة وإراءته الآية بعد الآية لعل فى الجنة حلبة المصارعة فيراد أن يكون رُكَّانة من أبطالها .

(٢) الحمد لله لقد فضع الكذب نفسه فإن الآية مدنية باتفاق وقد سبق من حديث

يصل إلى والله معي فأنشأ يحدثهما حديثه الذي فعل به والذي أراه ، فعجبا من ذلك فقالا : يا رسول الله أصرعت ركانة ؟ فلا والذي بعثك بالحق ما نعلم أنه وضع جنبه إنسان قط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني دعوت ربي فأعاني عليه إن ربي أعاني ببضع عشرة وقوة عشرة^(١) .

باب ما وقع في إسلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : « كنت رجلا مستهتراً بالنساء^(٢) فإني ذات ليلة بفناء الكعبة قاعد في رهط من قريش إذ أتينا فقيل لنا : إن محمداً قد أنكح عتبة بن أبي لهب من رقية ابنته وكانت رقية ذات جمال رائع فدخلتني الحسرة لما لا أكون سبقت إلى ذلك ، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فأصبحت خالة لى قاعدة وكانت قد تكهنت عند قومها ، فلما رأتني قالت :

أبشر وحييت ثلاثاً تبرا ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى

ثم بأخرى كي تم عشرا أتاك خير ووقيت شراً

أنكحت والله حصاناً زهراً^(٣) وأنت بكر ولقيت بكرا

وافيتها بنت عظيم قدرا

= عائشة أنه كان عليه السلام يحرس فلما نزلت قال انصرفوا عني فقد عصمني الله وأحاديث ركانة إنما كانت بمكة .

(١) وهكذا اتخذ الوضاعون من شخصية ركانة هو الآخر مادة خصبة لهذه المسرحية الهزلية التي ذكرها المؤلف هنا بلا حياء ولا ورع . وليت شعري لو لم يلبه في خطبة كتابه أنه زهه عن الموضوع وما يرد عسى أن يكون عليه هذا الكتاب الحاوي لكل هذه الفرائب والنكرات .

(٢) أي مولعا بهن . يقال استهتر بكذا إذا أولع به وأفرم ولا نظن بعثمان رضى الله عنه أنه كان كذلك في الجاهلية بل كان وقوراً شديداً لحياء وقد حرم على نفسه الحرف في الجاهلية لأنها تزرى بشاربها .

(٣) الحصان بفتح الحاء المرأة العفيفة والزهراء بفتح الزاى أنثى الأزهر وهي النمرة الصافية اللون .

قال عثمان : فمجبت من قولها ، وقلت : يا خالة ، ما تقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ولك اللسان ، هذا نبي معه البرهان ، أرسله بحقه الديان ، وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لا تقتالك الأوثان ، قلت : يا خالة ، إنك لتذكرين شيئاً ما وقع ذكره ببلدنا فأبينيه لي ، فقالت محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ^(١) ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ^(٢) وسلت الصفاح ^(٣) ومدت الرماح ، قال : ثم انصرفت ووقع كلامها في قلبي وجعلت أفكر فيه وكان لي مجلس عند أبي بكر فأخبرته بما سمعت من خالتي ، فقال ويحك يا عثمان إنك رجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأوثان يعبدها قومنا أليست من حجارة صُمِّ لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قلت : بلى والله إنها كذلك ، قال : فقد والله صدقتك خالتك هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله قد بعثه الله تعالى برسالته إلى خلقه فهل لك أن تأتيه فتسمع منه ؟ فقلت بلى ، فأتيته فقال : يا عثمان ، أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى خلقه ، قال : فوالله ما تمالك حين سمعت قوله أن أسلمت ثم لم ألبث أن تزوجت رقية ^(٤) فكان يقال أحسن زوج رقية وعثمان .

(١) يعني أنه يغلب من حاربه .

(٢) الذباح هو الذبيح .

(٣) أي جردت السيوف من أغمارها .

(٤) تزوجها بعد أن طلقها عتبة بن أبي لهب وهاجرت معه إلى الحبشة ثم رجعا حين أشيع أن قريشا هادنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هاجرا إلى المدينة فأتت رقية بعد مقدمها بسلتين تقريباً ولهذا لم يشهد عثمان بدرا لأنه كان مشغولاً بتمريضها فزوجه النبي بعدها أم كلثوم التي كانت تحت عتيبة بن أبي لهب وقد توفيت عثمان من الهجرة .

باب ما وقع في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الآيات

أخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أنس قال : « خرج عمر متقلداً بالسيف فلقه رجل من بني زهرة فقال له أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبوت^(١) وتركت دينك ، قال : أفلا أدلك على العجب ؟ إن أختك وخنتك^(٢) قد صبوا وتركوا دينك ، فمضى عمر ذامراً أي غضبان حتى أتاهما وعندهما خباب^(٣) فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينة التي قد سمعتها عنكم ؟ وكانوا يقرءون ﴿ طه ﴾ فقالا : ما عدا حديثنا محمد ثنابه^(٤) قال : فلعلكم قد صبوتما ؟ فقال له خنته يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، فوثب عمر على خنته فوطئه ووطئاً شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها ، فقال عمر : أعطوني الكتاب الذي هو عنكم فأقرأه فقالت له أخته إنك رجس^(٥) وإنه لا يمس إلا المطهرون فقم فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى انتهى إلى ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ فقال عمر : دلوني على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون

(١) أي أسلمت .

(٢) يعني سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

(٣) هو خباب بن الارت أحد السابقين إلى الإسلام مات بالكوفة سنة سبع

وثلاثين وصلى عليه على رضي الله عنه .

(٤) يعني ما جاوز الأمر حديثاً كنا نتحدث به .

(٥) تعني أنه مشرك قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا

المسجد الحرام بعد عامهم هذا) والغالب كذلك على المشرك أنه لا يتعزز من

النجاسة الحسية .

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : « اللهم أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب أو بعمر بن هشام ^(١) فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم » .

وأخرج البزار والبيهقي والطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عمر بن الخطاب قال : « كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم حار شديد الحر بالهجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قریش فقال لي : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت أريد إلهي وإلهي وإلهي ^(٢) قال : عجبا لك يا ابن الخطاب إنك تزعم أنك كذلك ، وقد دخل عليك الأمر في بيتك ، قال فقلت وما ذاك ؟ قال أختك قد أسلمت ، قال : فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم الرجل والرجلان من لا شيء له ضمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل الذي في يده السعة فيدالان من فضلة طعامه ، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين ، فلما قرعت الباب قيل من هذا ؟ قلت عمر ، فتبادروا فاختموا مني وقد كانوا يقرءون صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختي تفتح الباب فقلت يا عدوة نفسها صبوت ؟ وضربتني بشيء في يدي على رأسها فسال الدم ، فلما رأت الدم بككت فقالت : يا ابن الخطاب : ما كنت فاعلا فافعله فقد صبوت ، قال : ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة وسط البيت فقلت ما هذا ؟ ناولينيها ، فقالت : لست من أهلها أنت لا تطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت ثم رجعت إلى نفسي فقرأتها حتى بلغت

(١) يعني أبا جهل لعنه الله .

(٢) يعني أريد نصرته إلهي .

﴿ آمنوا بالله ورسوله ^(١) ﴾ إلى آخر الآية ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فخرجوا إلى متبادرين وكبروا وقالوا أبشريا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الإثنين ^(٢) فقال : اللهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل بن هشام ، وإما عمر بن الخطاب ، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك .

وأخرج أحمد عن عمر بن الخطاب قال : خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة ﴿ الحاقة ﴾ فجعلت أعجب من تأليف القرآن فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ فقلت كاهن قال ﴿ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ إلى آخر السورة فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده عن جابر قال : قال عمر : ضرب أختي المخاض ليلا فخرجت حتى أتيت الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى فسمعت شيئاً لم أسمع مثله ثم انصرف فتبعته فقال : يا عمر ، ما تتركني ليلا ولا نهراً فخشيت أن يدعو علي ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ^(٣) .

(١) هذا معناه أن المكتوب في الصحيفة من سورة الحديد مع أن المعروف أن سورة الحديد مدنية فالصحيح أنه كان من سورة طه كما دل عليه الأثر الأول

(٢) وفي حديث أنس أنه كان عشية الخميس والخطب في مثل هذا حين .

(٣) الصحيح ما مر من أن إسلام عمر كان في بيت ختنه سعيد بن زيد وأن سببه ما ذكره أم من القرآن في الصحيفة .

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال : « كنت جالساً مع أبي جهل وشيبة ابن ربيعة فقال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أعلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار ألا ومن قتل محمداً فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية فضة ، قال عمر : فخرجت متقلداً بالسيف مقد كبا كنانتي^(١) أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فمررت على عجل يذبمونه فقممت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يا آل ذريح — أمر نجيح — رجل يصيح — بلسان فصيح — يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله — وأن محمداً رسول الله — قال عمر : فعلمت أنه أرادني ثم مررت بنعيم فإذا هاتف يهتف ويقول :

يا أيها الناس ذووا الأجسام	ما أتم وطائش الأحلام
ومسندوا الحكم إلى الأصنام	فكلكم أوزة ^(٢) كالنعام
أما ترون ما أرى أمامي	من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام	أكرم به الله من إمام
قد جاء بعد الكفر بالإسلام	والبر والصلات للأرحام

قال عمر : فقلت والله ما أراه إلا أرادني ثم مررت بالضمار فإذا هاتف من جوفه يقول :

ترك الضمار وكان يعبد وحده بعد الصلاة مع النبي محمد

(١) الكنانة جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهام وجمعها كنان وكنانات ومعنى تنكبها وضعها على منكبيه .
 (٢) أفضل تفضيل من الوره بمعنى الحمق يقال وره الرجل يوره ورها فهو أوره والأنثى ورهاء .

إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
 سيقول من عبد الضمار ومثله ليت الضمار ومثله لم يعبد
 فاصبر أبا حفص فإنك آمن يأتيك عز غير عز بنى عدى
 لا تعجلن فأنت ناصر دينه حقاً يقيناً باللسان وباليد

قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادنى فجت حتى دخلت على أختى فإذا خباب بن الأرت عندها وزوجها فقال خباب : ويحك يا عمر أسلم ، فدعوت بالماء فتوضأت ثم خرجت إلى النبی صلى الله عليه وسلم فقال لى : قد استجيب لى فيك يا عمر أسلم ، فأسلمت وكنت تمام أربعين رجلاً ممن أسلم ونزلت ﴿ يا أيها النبی حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ ^(١) .

وأخرج ابن سعد وأحمد والترمذى وصححه وابن حبان والبيهقى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك أبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب » .

وأخرج البيهقى مثله من حديث عمر نفسه ومن حديث أنس .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن عائشة أن النبی صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أعز الإسلام بعمر خاصة » وأخرج الحاكم عن ابن عباس مثله .

وأخرج الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود أن النبی صلى الله عليه وسلم قال :

(١) وبشاء الله أن يفضح الكذب نفسه مرة أخرى فإن الآية من سورة الأنفال . وهى مدنية باتفاق والمعجب من قدرة هؤلاء الناس على التلويح وإدماج القصص بعضها فى بعض بحيث تبدو كأنها حكاية واحدة فإن قصة العجل رواها البخارى عن عمر وفيها ما يدل على أن هذا قبل البعثة لما الذى دسها هنا وسط . خبر أبى جهل وخبر دخول عمر على أخته وعندها خباب والأمر كما يقولون (لبن سملك قره ندى) .

« اللهم أعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل » فجعل الله دعوة رسوله لعمر فبنى عليه ملك الإسلام^(١).

وأخرج البخاري عن ابن مسعود قال : « مازلنا أعرنة منذ أسلم عمر » .
وأخرج ابن سعد والحاكم عنه قال : « والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر » .

وأخرج الحاكم عن حذيفة قال : « كان الإسلام في زمان عمر كالرجل للقبيل لا يزود إلا قرباً ، فلما قتل عمر كان كالرجل التدبر لا يزود إلا بعداً » .

وأخرج ابن سعد عن عثمان بن الأرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا :
« اللهم أعز الإسلام بأحب الرجاين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام »
فجاء عمر من الغد بكرة فأسلم .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية الخميس فقال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام »
فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم .

وأخرج ابن سعد عن صهيب بن سنان قال : « لما أسلم عمر ظهر الإسلام

(١) سبق ابن مسعود فإن عمر كان هو المؤسس لدولة الإسلام الكبرى التي شملت تلك الامبراطوريات العتيدة من فارس والروم ومصر ثم تابع الخليفة الثالث حركة الفتح حتى وصلت في عهده جيوش المسلمين من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً فعمر منذ أسلم والإسلام في علو وظهور وأعداؤه في إدمار وذلل ولهذا نزلت بالمشركيين كآبة شديدة يوم أسلم عمر وحاولوا قتله وفي الحديث الصحيح أنه عليه السلام رأى في منامه كأنه على بئر ويده دلو فزرع بها ما شاء الله ثم أعطاها أبا بكر فزرع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعته ضعف والله يغفر له ثم أعطاها عمر فاستعالت في يده غرباً فلم أر عبقرها من الناس يغري فريه حتى صدر الناس بعطن .

ودعى إليه علانية وجاسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : « أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة » .

وأخرج الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس قال : « لما أسلم عمر نزل جبرئيل فقال : يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر » .

باب ما وقع في إسلام ضماد

أخرج أحمد ومسلم والبيهقي عن ابن عباس قال : « قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شُئُوَة ، وكان يرقى من هذه الرياح فسمع سفهاء الناس يقولون إن محمداً مجنون فقال : آتى هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ، قال : فلقيت محمداً فقلت : إني أرقى من هذه الرياح وإن الله يشفي على يدي من يشاء فسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » ^(١) . فقال ضماد : أعدهن على ، فأعادهن فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فاسمعت مثل هؤلاء الكلمات ، ولقد بلغن قاموس البحر ، فلم يدك أبايك على الإسلام فبايعه » .

(١) ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح خطبه بهذه الكلمات في الجمعة وغيرها وهي من جوامع كلمه ، ولهذا عجب منها هذا الأعرابي وكانت سبب إسلامه .

باب ما وقع في إسلام عمرو بن عبد القيس

أخرج ابن شاهين من طريق حسين بن محمد حدثنا أبي حدثنا جبير بن الحكم العبدى عن سحر بن العباس ومزينة بن مالك في نفر من عبد القيس قالوا : (كان الأشج أشج عبد القيس ^(١) صديقاً لرهب ينزل بدارين ^(٢) فلقبه هاماً فأخبره أن نبياً يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه علامة يظهر على الأديان ، ثم مات الراهب فبعث الأشج ابن أخت له يقال له عمرو ابن عبد القيس وهو على ابنته أمانة بنت الأشج ، فأتى مكة عام الهجرة فلقى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى حجة العلامة فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم (الحمد لله) ^(٣) و (اقرأ باسم ربك) ^(٤) ، وقال : ادع خالك إلى الإسلام ، فرجع وأخبر الأشج الخبر ، فأسلم الأشج وكنتم إسلامه حيناً ، ثم خرج في ستة عشر رجلاً فقدم المدينة : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قدموا في صبيحتها فقال ليأتين ركب من قبل المشرق : ولم يكرهوا على الإسلام ^(٥) لصاحبهم علامة فقدموا وكان قدومهم عام الفتح ^(٦) . وذكره ابن سعد في طبقاته بلا إسناد .

(١) كان في وفد قومه الذين قدموا على الرسول عام تسع بعد رجوعه من تبوك فرحب بهم وقال مرحباً بالقوم غير خزاي ولا ندامى وقال للأشج إن فيك لحصلتين يحبهما الله الحلم والأناة .

(٢) قرية في لبنان يقال لها (عكار)

(٣) يعني سورة الفاتحة .

(٤) يعني سورة الملق .

(٥) في الصحيح عن ابن عباس أنه قال عليه السلام (يطلع عليكم من هذه الجهة ركب هم خير أهل للمشرق اللهم اغفر لعبد القيس .

(٦) الصحيح ما قدمناه وهو أنهم وفدوا عام تسع بعد عودته عليه السلام من غزوة تبوك .

باب ما وقع في إسلام الطفيل بن عمرو

الدوسي من الآيات

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : (قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم) .

وأخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً^(١) فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقممت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت ، وإن كان قبيحاً تركت فكشيت حتى انصرف إلى بيته فتبعته فقلت : إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فاعرض على أمرك ، فعرض على الإسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي

وإني راجع إليهم فداعيتهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فقال اللهم اجعل له آية فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية كداء وقع نور بين عينيّ مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مُثَلَّة^(١) وقعت في وجهي فتحوّل فوق في رأس سوطي كالقنديل المعالق ثم دعوت قومي إلى الإسلام فأبظأوا عليّ فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن دوساً غلبتني فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوساً إرجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم^(٢) فرجعت فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قدمت عليه بخيبر بمن أسلم من قومي سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس». أخرجه أبو نعيم من طريق الواقدي حدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد ابن أبي عون الدوسي به . ووصله ابن إسحاق في بعض نسخ المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو به وهو في سائر النسخ بغير إسناد .

وقال أبو الفرج الأصبهاني في (الأغاني) أخبرني عمي حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه واللفظ له . ح^(٣) وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد حدثني عن العباس بن هشام عن أبيه أن الطفيل بن عمرو الدوسي خرج حتى أتى مكة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة فأرسلته

(١) المثلة بضم فسكون الآفة . وأما المثلة بفتح الميم وضم المثلثة فهي العقوبة والتكيد ويقال لها مثلة أيضاً .

(٢) هكذا كان سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم يوصي بالرفق دائماً متبعاً قول الله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ولما بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) .

(٣) الحاء هنا معناها تحويل الإسناد وإيراد طريق أخرى للحديث .

قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر لنا هذا الرجل وما عنده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فقال له إني رجل شاعر فاسمع ما أقول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هات فأنشده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول فاسمع ثم قرأ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد) إلى آخرها ثم قرأ قل أعوذ برب الفلق^(١) ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعاد إلى قومه فأتاهم في ليلة مطيرة ظلماء فلم يبصر أين يسلك فأضاء له نور في طرف سوطه فأتى الناس فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ثم دعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة^(٢).

وأخرج ابن جرير عن ابن الكلبي قال «سبب تسمية الطفيل بذي النور أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لقومه قال له ابعتني إليهم واجعل لي آية فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يارب أخاف أن يقولوا مثله فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة.

وأخرج أبو الفرج الأصبهاني في (الأغانى) عن ابن الكلبي «أن الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فأنشده من شعره فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال

(١) لا أهن أن المعوذتين كانتا قد نزلتا في ذلك الوقت فإن نزولهما كان بسبب سره صلى الله عليه وسلم وهو أمر حصل متأخراً.

(٢) كان قدومه المدينة سنة سبع والنبي عليه السلام بخير فصار إليها حتى قدم مع النبي وقد أسلمت أمه أميمة بنت صفيح بن الحارث بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفى أبو هريرة سنة سبع وخمسين وقيل تسعة وخمسين وكان من أحفظ الصحابة وأكثرهم رواية للحديث.

وعاد لي قومه وذكر قصة سوطه ونوره قال فدعا أبويه فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ودعا قومه فلم يجيبوه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فلما دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم قال له الطفيل ما كنت أحب هذا^(١) فقال إن فيهم مثلك كثير .

باب ما وقع في إسلام عثمان بن مظعون^(٢)

أخرج أحمد وابن سعد عن ابن عباس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشع^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألا تجلس ؟ قال : بلى فجلس إليه فينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ يُنفض رأسه^(٥) كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى في السماء فأقبل إلى عثمان بجاسته الأولى فقال عثمان يا محمد ما رأيتك تفعل كفعلك

(١) وكيف يكره الطفيل دعاء الرسول لقومه بالهداية وهو العريس على حدائهم وإسلامهم ؟

(٢) هو من السابقين إلى الإسلام وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ومن هاجر إلى الحبشة وعاد منها في جوار الوليد بن المغيرة ثم رد على الوليد جواره ثم هاجر إلى المدينة وكان أول المهاجرين وفاة بها ، توفي بعد شهوده بدرا .

(٣) يعني عبس في وجهه على هيئة التواعد .

(٤) يعني مال .

(٥) أي هزها وبعركها .

بالعادة قال وما رأيته فعلت؟ فأخبره قال أو فطنت لذلك؟ قال نعم، قال إنه جبرئيل أتاني آنفا فقال فما قال لك؟ قال (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) قال عثمان فذلك حين استقر الإسلام في قلبي وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم» (١).

باب إسلام الجن وما ظهر في ذلك من الآيات

قال الله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) الآيات وقال تعالى (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) الآيات.

أخرج الشيخان عن ابن عباس قال «انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ» (١) وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء فأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فانصرف أولائك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله

(١) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث «إسناد جيد متصل حسن وبين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً» اهـ.

(٢) هو أحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية التي كانوا يجتمعون فيها للبيع والضراء والمنافرات والتحكيم فيما يلقى من خطب أو أشعار وكان من عادته عليه السلام أن يخرج إلى هذه الأسواق يغشى على القبائل رحالهم ومنازلهم يدعوهم إلى الإسلام ويقول لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا كلمة تملكون بها بالعرب وتدين لكم بها العجم) (٣).

عليه وسلم وهو بنخلة^(١) وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهذى إلى الرشده فآمنا به وإن نشرك بربنا أحدا) .

وأخرج الشيخان عن مسروق قال سألت ابن مسعود من أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال « أذنته بهم شجرة »^(٢) .

وأخرج مسلم وأحمد والترمذى عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد؟ قال ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل أو استطير ما فعل به؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان فى وجه الصبح إذا نحن به يحىء من قبل حراء فأخبرناه

(١) واد بين الطائف ومكة وهو الذى كانت فيه العزى .

(٢) فى حديث ابن عباس « أنه لم ير الجن تلك الليلة ولا قرأ عليهم ولكنهم استمعوا له ثم انصرفوا إلى قومهم منذرين حتى أعلمه الله بذلك » وأما حديث ابن مسعود فيدل على أنه علم بمكانهم وأن شجرة هى التى أذنته بذلك وقد حاول العلامة ابن كثير التوفيق بينهما فقال « فيحتمل أن يكون هذا فى المرة الأولى ويكون إثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضى الله عنهما ويحتمل أن يكون فى الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى أذنته بهم الشجرة أى أعلمته بإجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا فى بعض اللرات المتأخرات والله أعلم » ثم نقل عن الحافظ البيهقى أن الذى حكاه ابن عباس إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرم ثم بعد ذلك أتاه داعى الجن فقرأ عليه القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل كما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

فقال « إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم فانطلق فأرانا آثارهم
آوئار نيرانهم »^(١) .

وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي عثمان
الخلزاعي عن ابن مسعود « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وهو
بمكة من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر منهم أحد غيري
فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطأ لي برجلي خطأ ثم أمرني أن أجلس فيه
ثم انطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة^(٢) كثيرة حتى حالت بيني
وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين
حتى بقي منهم رهط^(٣) وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق
فبرز ثم أتاني فقال ما فعل الرهط ؟ فقلت هم أولئك يا رسول الله فأخذ عظامهم
وروثاً فأعطاهم إياها ثم نهى أن يستطيب^(٤) أحد بعظم أو بروث .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق علي بن رباح عن ابن مسعود قال
« استبغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن نقرأ من الجن خمسة عشر بنى
أخوة وبني عم يأتوني الليلة فأقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذي
أراد نخط لي خطأ فأجلسني فيه وقال لي لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحر فلما أصبحت قلت لأعلمن حيث كان .

(١) وفي هذه الرواية أنهم سألوه الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه
يقع في أيديكم أو فر ما يكون لحماً وكل بعرة أو روثه علف لدوابكم » قال عليه
السلام « فلا تستنجرو بهما فإنهما طعام إخوانكم » .

(٢) جمع سواد وهو الشخص أو الشبح وجمع الجمع أساود .

(٣) أي جماعة بين الثلاثة والعشرة ولا واحد له من لفظه وجمعه أرهط وأرهاط .

(٤) أي يستنجى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فرأيت موضع مَبْرَكَ ستين بعيرا .
وأخرج البيهقي من طريق أبي الجوزاء عن ابن مسعود قال « انطلقت
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحَجُونُ نَحْطَ عَلَى خَطَايَاكُمْ تَقْدُمُ
إِلَيْهِمْ فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ سَيِّدُكُمْ يَقَالُ لَهُ وَرَدَانُ إِنِّي أَنَا أَرْحَلُهُمْ عَنْكَ فَقَالَ
إِنَّهُ لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ .

وأخرج البيهقي عن أبي عثمان النهدي أن ابن مسعود أبصر زُطًا^(١) في
بعض الطريق فقال ماهؤلاء ؟ قال هؤلاء الزُّطُ قَالَ مَا رَأَيْتُ شَبَهُهُمْ إِلَّا الْجِنَّ لَيْلَةَ
الْجِنِّ وَكَانُوا مُسْتَنْفَرِينَ^(٢) يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٣) .

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة صرف إليه النفر من الجن فأتى رجل من الجن بشعلة من نار
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبرئيل يا محمد ألا أعلمك كلمات إذا
قلتهن طفت شعلته وانكب لمنخره ؟ « قل أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته
التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها
ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شرفتن الليل ومن شر طوارق
الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحم»^(٤) .

(١) لعلمهم جماعة من الزوج .

(٢) لعلمهم مستغفرين بالثناء يقال استغفر بشوبه إذا نسي طرفه فأخذه من بين
فخذه وغرزه في حوزته .

(٣) وفي رواية عند ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أن النبي
عليه السلام قال لابن مسعود « وهل رأيت شيئا ؟ قال نعم رأيت رجلا سودا مستغفرين
ثيابا بياضا قال أولئك حين نصيبين » .

(٤) لم يكن هؤلاء جنا جاؤا ليسلموا ويتعلموا وإنما كانوا شياطين تعذبوا

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي التَّيَّاح أن عبد الرحمن بن خنبل سئل كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كادته الشياطين؟ قال تحدثت عليه شياطين من الجبال والأودية يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيهم شيطان يبيده شعله من نار يريد أن يحرق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبرئيل فقال يا محمد قل « أعوذ بكلمات الله التي لا يجاوزهن فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شرفتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمنا فقالهن فطأته نار الشياطين وهزمهم الله تعالى » .

أخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي زيد عن ابن مسعود قال « بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو في نفر من أصحابه إذ قال ليقيم منكم معي رجل ولا يقوم من رجل في قلبه الغشُّ مثقال ذرَّة^(١) فقمتم معه وأخذت إداوةً ولا أحسبها إلا ماءً فخرجت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودةً مجتمعةً نخط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأً ثم قال قم ههنا حتى آتيك فقمتم ومضى إليهم فرأيتهم يتنورون إليه^(٢) فسمر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً حتى جاءني مع الفجر فقال ما زلت قائماً يا ابن مسعود؟ قلت أو لم تقل لي قم حتى آتيك ثم قال لي هل معك من وضوء؟ فقلت نعم ففتحت

= عليه من الجبال والأودية ليكيدوا له فعله جبريل ما ينجو به من كيدهم كما سيأتي في الأثر الذي بعده وقد عودنا أبو نعيم أن يلقى بين الروايات .

(١) هذا كلام فارغ لا يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم مدى إخلاص أصحابه وحبهم له لاسيما مسلمي مكة حيث لا رغب ولا رهب يحملهم على اللداجاة والغش .

وفي الحديث « إني لم أؤمن أن أعقب عن سراير الناس ولأن أشق عن قلوبهم » .

(٢) أي يقبلون عليه مزدحمين .

«لأداة فإذا هو نبذ فقلت والله لقد أخذت الأداة ولا أحسبها إلا ماء فإذا هو نبذ فقال «تمر طيبة وماء طهور» ثم توضأ فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم فقالا له يا رسول الله إنا نحب أن تؤمنا في صلاتنا فصصهما خلفه ثم صلى بنا ثم انصرف فقلت له من هؤلاء يا رسول الله؟ قال هؤلاء جن نصيبين جاءوني يختصمون إلي في أمور كانت بينهم وقد سألوني الزاد فزودتهم فقلت ما زودتهم؟ قال الرجعة وما وجدوا من روث وجدوه تمرأ وما وجدوا من عظم وجدوه كاسياً وعند ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستطاب بالروث والعظم»^(١).

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن الملعى عن ابن مسعود قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخطب خطباً لا تحدر شيئاً حتى أتيتك ثم قال لا يروعنك أو لا يهولنك شيء تراه فتقدم شيئاً ثم جالس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى ﴿كادوا يكونون عليه لبداً﴾ فأردت أن أقرب فأذّب عنه بالغا ما بلغت ثم ذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكنت ثم إنهم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون يا رسول الله إن شققتنا^(٢) بعيدة ونحن منطلقون فزودنا قال لكم الرجيع وما أتيتم عليه من عظم فلکم عليه لحم وما أتيتم عليه من الروث فهو لكم تمر فلما ولوا قلت؟ من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين».

(١) رواه ابن كثير عن الإمام أحمد من طريق أبي زيد هذا بلفظ «لما كان ليلة الجن قال لي النبي صلى الله عليه وسلم أمعك ماء؟ قلت ليس معي ماء ولكن معي أداة فيها نبذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «تمر طيبة ورب طهور».

ثم قال ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي زيد به.

(٢) الشقة بضم الشين وكسرهما معناها السفر البعيد أو الناحية التي يقصدها «المسافر أو الطريق يشق على سالكه».

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي ظبيان عن ابن مسعود قال « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي معه حتى أتى البراز^(١) ثم خط لي خطاً ثم قال لي لا تبرح حتى أرجع إليك فما جاء حتى السحر فقال أرسلت إلى الجن قلت فما هذه الأصوات التي أسمعها؟ قال هذه أصواتهم حين ودعوني وسلموا على .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود قال « استبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكة فخط لي خطاً فقال لا تبرح ثم انصاع^(٢) في الجبال فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه فاخترطت السيف وقلت لأضربن حتى أستنقذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر فجاء وأنا قائم فقال ما زلت على حالك؟ قلت لو لبثت شهراً ما برحت حتى تأتيني ثم أخبرته بما أردت أن أصنع فقال لو خرجت ما التقيت أنا ولا أنت إلى يوم القيامة ثم شبك أصابعه في أصابعي وقال إني وعدت أن يؤمن بي الجن والإنس فأما الإنس فقد آمنت بي وأما الجن فقد رأيت .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم من طريق عمرو البكالي^(٣) عن ابن مسعود قال « استبغني^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط خطة فقال لي كن بين ظهري هذه لا تخرج منها فإنك إن خرجت منها

(١) هو المضاء الحال الواسع ويكفي به عن قضاء الحاجة .

(٢) أي ذهب مسرعاً .

(٣) قال في هامش المسند كنيته أبو عثمان وهو صحابي نزل الشام والبكالي بكسر الباء الموحدة وفتح الكاف المخففة وآخره لام نسبة إلى (بكال) وهو بطن من حمير .

(٤) وفي المسند « استبغني » أي طلب ابتعاني وخروجي معه .

هلكت فكنت فيها فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم خذفة^(١) ثم أنه ذكر هُنَيْئَةَ^(٢) كأنهم الزط ليس عليهم ثياب ولا أرى سواآتهم طوالاً قليلاً لهم فأتوا فجعلوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم وجعلوا يأتوني فيجلبون حولى ويعترضون بى فرعبت منهم ربعاً شديداً فلما انشق عمود الصبح جعلوا يذهبون فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجرى ثم إن هُنَيْئَةَ^(٣) أتوا عليهم ثياب بيض طوال وقد أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارعبت أشد مما أرعبت الأولى فقال بعضهم لبعض فلنضرب له مثلاً فقال بعضهم اضربوا له مثلاً ونؤول نحن أو نضرب نحن ويؤولون فقال بعضهم مثله كمثل رجل^(٤) سيد ابنتى بناء حصيناً ثم أر لى إلى الناس طعام فمن لم يأت طعامه عذبه عذاباً شديداً قال الآخرون أما السيد فهو رب العالمين وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة وهو الداعى فمن اتبعه كان فى الجنة ومن لم يتبعه عذب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ قال . ارايت يا ابن أم عبد ؟ فقلت رأيت كذا وكذا قال ما خفى على شئ مما قالوا هم نفر من الملائكة »^(٥).

وأخرج أبو نعيم عن أبى رجاء قال « كنا سفر حتى نزلنا على الماء فضربتنا أخيتنا وذهب أقبلى فإذا أنا بحية دخلت الخباء^(٦) وهى تضطرب فمددت إداوتى

(١) وفى المسند أيضاً بعد خذفة قال أو أبعد شيئاً أو كما قال .

(٢) فى المسند « هنيئا » .

(٣) فى المسند هنيئنا أيضاً .

(٤) فى المسند كمثل سيد بدون زيادة رجل .

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر فى هامش المسند إسناده صحيح وهو فى مجمع الزوائد .

(٦) الخيمة والجمع أخية .

فمنضجت عليهما من الماء^(١) كلما فضحت عليهما من الماء سكنت وكلما حبست عنها اضطربت فلما صابت العصر ماتت الحية فعمدت إلى عييتي^(٢) فأخرجت منها خرقة بيضاء فلفقتها وكفنتها وحفرت لها ودفنتها ثم سرنا يومنا ذلك ولياتنا حتى إذا أصبحت ونزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا فذهبت أقبل فإذا أنا بأصوات سلام عليكم مرتين لا واحد ولا عشرة ولا مائه ولا ألف أكثر من ذلك فقلت ما أنتم؟ قالوا نحن الجن بارك الله عليك قد صنعت إلينا ما لا نستطيع أن نجازيك فقلت ماذا؟ قالوا إن الحية التي ماتت عندك كان آخر من بقى ممن بايع من الجن النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

وأخرج أبو نعيم عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال «كنت جالسا عند عثمان بن عفان فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين بينا أنا بفلاة كذا وكذا إذا إعصاران^(٤) قد أقبلتا إحداها من مكان والأخرى من مكان فالتقتا فاعتركتا ثم تفرقتا وإحداها أقل منها حين جاءت فذهبت حتى جئت معتري كيئهما فإذا من الحيات شئ مما رأيت مثله قط فإذا ريح مسك من بعضها فجعلت أقلب الحيات أنظر من أيها هذا الريح فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة فظننت أن ذلك لخير خيها فلفقتها في عمامتي ثم دفنتها فبينما أنا أمشي إذ ناداني مناد ولا أراه يا عبد الله

(١) يعنى رششت عليهما رشا خفيفا .

(٢) هو ما نجعل فيه الثياب من صندوق ونحوه .

(٣) هذه حكاية غريبة ولا ندرى كيف لجأت هذه الجنية إلى خباء أبى رجاء وفارقت منازل قومها وما الذى أدرام أنها ماتت عنده وأنه هو الذى تولى تكفينها ودفنها ولماذا لم يأخذوها ليتولوا هم ذلك منها ما دام لها في نفوسهم هذه المنزلة؟ الخ ما يمكن أن يثور في النفس من أسئلة حيال هذه الحكايات .

(٤) تذبذبة إعصار وهو الريح الشديدة التي ترتفع بالتراب أو بياه البحر ثم

تستدير كأنها عمود .

ما هذا الذى صنعت ؟ فأخبرته بالذى رأيت فقال إنك قد هديت هذان حيان من الجن من بنى شعيبان وبنى أقيس التقوا وكان من القتلى ما رأيت واستشهد الذى أخذته وكان من الذين استمعوا الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم» (١).

وأخرج أبو نعيم عن إبراهيم النخعى قال « خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تنثنى على الطريق أبيض ينفخ منه ريح المسك فقلت لأصحابى امضوا فلست ببارح (٢) أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحية فما لبثت أن ماتت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلفقتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابى فوالله إنا لنعود إذا قبل أربع نسوة من قبل المغرب فقلت واحدة منهن أيكم دفن عمرأ ؟ قلنا ومن عمرو ؟ قالت أيكم دفن الحية ؟ قلت أنا قالت أما والله دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته فى السماء قبل أن يبعث بأبعائه سنة فحمدنا الله ثم مررت بعمر بن الخطاب بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد آمن بى قبل أن أبعث بأربعائة سنة (٣).

(١) هذه حكاية كالتى قبلها أو أشد تكراراً ومعاذاً هذا مجهول لا يعرف لم يذكره الذهبى بل كل من اسمه معاذ فهو إما مجهول أو ليس بحجة أو صاحب مناكير .

(٢) يعنى منتقل من مكان .

(٣) يلاحظ التشابه التام بين هذه الحكايات كلها مما يدل على الصنعة والافتعال والكذب وإبراهيم النخعى إمام صدوق ولا كنا لانشك فى أن هذه الحكايات مكذوبة عليه فإنه لم يعرف له معاص من عمر بل لعله لم يكن ولد بعد حين قتل عمر فقد ذكر صاحب المعارف أنه مات سنة ست وتسعين وهو ابن ست وأربعين فتكون ولادته سنة خمسين تقريباً وكان مقتل عمر فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين .

وأخرج الحاكم والطبراني وابن مردويه عن صفوان بن المعطل^(١) قال «خرجنا حجاجاً فلما كنا بالعرج^(٢) إذا نحن بحية تضطرب فلم نلبث أن ماتت خلفها رجل في خرقه ودفنها ثم قدمنا مكة فإنا بالمسجد الحرام إذ وقف علينا شخص فقال أيكم صاحب عمرو بن جابر؟ فقلنا ما نعرف عمرأ قال أيكم صاحب الجان؟ قالوا هذا قال أما إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن» .

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه عن ثابت بن قطبة قال جاء رجل إلى ابن مسعود فقال إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة في دمها فواريناها فلما تزولوا أتاهم نسوة أناس فقال أيكم صاحب عمرو؟ قلنا أى عمرو؟ قالوا الحية التي دفنتموها أمس أما إنه كان من نفر الذين استمعوا من النبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن قلنا ما شأنه؟ قالوا: كان بين حيين من الجن قتال مسلمين ومشركين فقالوا إن شئتم عوضناكم قلنا لا» .

وأخرج أبو نعيم عن أبي بن كعب قال «خرج قوم يريدون الحج، فأصلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا لبسوا أكفانهم وتضعفوا للموت فخرج عليهم جَنِّيٌّ يتخلل الشجر وقال أنا بقية نفر الذين استمعوا على محمد صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخذله هذا الماء وهذا الطريق ثم دهم على الماء وأرشداهم إلى الطريق» .

-
- (١) صحابي جليل من المهاجرين وهو الذي روى به المناقبون أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها في حادثة الإفك المشهورة .
- (٢) العرج بفتح العين وسكون اراء المهمله قرية جامعة من عمل القرع على أيام من الدينة .

وأخرج العقيلي والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي معشر المدني^(١) عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال « بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال نعمة الجن وغُذُّهُمْ من أنت ؟ قال أنا هامة بن هيم بن لاقيس ابن إبليس^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينك وما بين إبليس إلا أبوان فحكم آتى عليك من الدهر ؟ قال قد افنيت الدنيا عمرها إلا قليلا ليالى قتل خايل هايل كنت غلاما ابن أعوام . أفهم الكلام . وأمر بالآكام . وأمر بإفاد الطعام . وقطيعه الأرحام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس عمل الشيخ المتوسم . والشاب الملوم^(٣) . قال ذرني إني تائب إلى الله إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال لاجرم إني على ذلك من النادين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قلت يانوح إني ممن أشرك في دم السعيد الشهيد هايل بن آدم فهل تجددى عند ربك توبة ؟ قال يا هامة هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة إني قرأت فيما أنزل الله على أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغاً ذنبه ما بلغ إلا تاب الله عليه فقم فتوضأ واسجد سجدتين ففعلت من ساعتى ما أمرنى به فناداني

(١) اسمه نجيح وكان مكانها لامرأة من بني غزوم فأدى وعق واشترت أم موسى

حيث منصور الحميري ولاده مات ببغداد سنة ٧٠

(٢) أرجو أن لا تضحك أيها القارئ حتى يتم لنا أبو معشر حكايته وبعد ذلك فاضحك بلاء فيك من هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس ثم ايك بعد ذلك ما شئت على ما وصلت إليه حال العلماء من جمع الكذابات والترهات ووضعها في الكتب ليضلوا بها الناس ويفسدوا بها عقولهم والله المستعان وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السجع الباهل التكلف .

(٤) لعلها اشترك .

ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء^(١) فخررت لله ساجداً حولاً وكنت مع
هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه^(٢) حتى
بكى عليهم وأبكاني وكنت زواراً ليعقوب وكنت من يوسف بالمكان الأمين
وكنت أتي إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن^(٣) وإني لقيت موسى بن عمران
فعلمني من التوراة وقال إن أنت لقيت عيسى ابن مريم فاقراه مني السلام وإني
لقيت عيسى ابن مريم فاقراه مني السلام وإن عيسى ابن مريم قال لي إن أنت
لقيت محمداً فاقراه مني السلام قال فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه
فبكى ثم قال وعلى عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك السلام ياهامة بأدائك
الأمانة قال يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى بن عمران إنه علمني من التوراة
فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا وقعت الواقعة والمرسلات وعم يتسألون
وإذا الشمس كورت والعهودتين وقل هو الله أحد) وقال ارفع إلينا حاجتك
ياهامة ولا تدع زيارتنا . قال عمر فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه
إلينا فلست أدري أحى هو أم ميت^(٤) قال البيهقي أبو معشر روى عنه
الكبار إلا أنه ضعيف قال وقد روى هذا الحديث من وجه آخر هذا أقوى

(١) وهنا يفتضح الكذب فإننا نعلم أن ذرية إبليس كلها شياطين لا يسلم منهم
أحد ولا يتوب من ذنب قال تعالى « أفنتخذونه وذرية أولياء من دوني وهم
لكم عدو » .

(٢) لم يذكر القرآن دعوة له على قومه .

(٣) فأين يلقاه الآن هل على وجه الأرض أم في باطنها ونحن نعلم أنه لم يكن
أحد من الرسل حياً يمضى على الأرض حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٤) وهنا أدرك شهر زاد الصباح فسكت عن الكلام المباح ورضى الله عن عمر
لأنه بعث وسمع ما يكذب به الناس عليه ، ترى ماذا كان يصنع ؟ وهو الذي كان
يضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على روايتهم ويأبى قبولها منهم إلا بيينة
الألبت درته بقيت للمسلمين .

منه . قلت . أخرجه أبو نعيم من طريق محمد بن بركة الحلبي ^(١) عن عبد العزيز ابن سليمان الموصلي ^(٢) ، عن يعقوب بن كعب ^(٣) ، عن عبد الله بن نوح البغدادي ^(٤) عن عيسى بن سودة ^(٥) عن عطاء الخراساني عن ابن عباس عن عمر به . وأخرجه أيضاً من طريق أبي سلمة محمد بن عبد الله الأنصاري عن مالك بن دينار عن أنس . ومن طريق زيد بن أبي الزرقاء الموصلي ^(٦) عن عيسى بن طهمان ^(٧) عن أنس به بطوله . وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد حدثني محمد بن صالح مولى بني هاشم البصري حدثني أبو سلمة بن عبد الله الأنصاري حدثنا مالك بن دينار عن أنس به .

وأخرج البيهقي عن أسيدة ^(٨) قال : « بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال علي بمحفر فحفر له ولفه في خرقة ودفنه ^(٩) فإذا هاتف يهتف لا يرونه رحمة الله عليك ياسرق فأشهد لسمعت

(١) قال في الميزان « ضعفه الدارقطني » .

(٢) مجهول .

(٣) مجهول أيضاً .

(٤) قال في الميزان « تركوه ، قاله الأزدي ثم ساق له حديثاً باطلاً » .

(٥) قال في الميزان « قال أبو حاتم منكر الحديث وقال ابن معين كذاب

رايته » .

(٦) قال في الميزان « قال ابن حبان يغرب » .

(٧) قال في الميزان « قال البخاري واللساني منكر الحديث وقال أبو حاتم

متروك الحديث وقال اللساني أيضاً متروك » .

(٨) لاندري من أسيدة هذا ؟ وقد عودنا المؤلف أن يروي عن المجاهيل حق

يوقننا في الحيرة فلا نستطيع كشف كذبه وتلييسه .

(٩) ليت شعري من أين لعمران هذه الحية أصلها حتى قد مات ؟ ولم لا تكون

حبة حقيقية ولم يترك الجن موتاهم هكذا على قوارع الطريق بدون دفن حتى يمر بهم الإنس فيدفنهم اليسوا مأمورين بدفن اللوثي ؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تموت يا سارق في فلاة من الأرض فيدفنك خير أمتي^(١) فقال له عمر بن عبد العزيز من أنت يرحمك الله ؟ قال أنا رجل من الجن وهذا سرق ولم يكن ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الجن غيري وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تموت يا سارق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتي .

وأخرج البيهقي عن أبي راشد قال : « نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لي مولا اركب معه فشيعة فركبت فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة مطروحة على الطريق فنزل عمر ففحها وواراها ثم ركب فبينما نحن نسير إذا هاتف يهتف يقول يا خرقاء يا خرقاء فالتفتنا يميناً وشمالاً فلم نر أحداً فقال عمر : أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت وإن كنت ممن لا يظهر أخبرنا ما الخرقاء ؟ قال الحية التي دفنتم بمكان كذا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوماً يا خرقاء تموتين بفلاة من الأرض يدفنك خير مؤمنى أهل الأرض يومئذ قال له عمر من أنت ؟ يرحمك الله قال أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فقال له عمر والله أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم فدمعت عيننا عمر وانصرفنا »^(٢) .

(١) لم يكن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه خير هذه الأمة وإنما هو من خيارها وخيرها بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما .

(٢) وهكذا يأبى الكذابون إلا أن يكذبوا على عمر بن عبد العزيز كما كذبوا على عمر الفاروق .

ويضطرب الكذب فمرة سرق هو الذى يموت بفلاة من الأرض ومرة خرقاء ثم تتفق الروايتان في أن عمر هو الذى يتولى دفنه ببؤودة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب قصة الروم وما ظهر فيها من الآيات

قال تعالى ﴿الم غلبت الروم﴾ الآيات .

أخرج أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال « كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكر أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما إنهم سيظهرون ، فذكر أبو بكر لهم ذلك فقالوا اجعل بيننا وبينكم أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا وإن ظهروا كان لنا كذا وكذا فجعل بينهم أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا جعلته دون العشرة^(١) فظهرت الروم بعد ذلك يوم بدر^(٢) .

وأخرج البيهقي عن ابن شهاب قال « كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون الروم أهل كتاب وقد غلبتهم الفرس وأنتم ترعونون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم فستغلبكم كما غلبت فارس الروم فأنزل الله (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين) .

قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه لما نزلت هاتان الآيتان ناحب^(٣) أبو بكر بعض المشركين^(٤) قبل أن يحرم القمار

(١) لأن القرآن يقول « وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين » والبضع صادق بما بين الثلاث إلى التسع .

(٢) ولهذا قال الله عز وجل (ويؤمنون بفرح للمؤمنون بنصر الله) يعني يوم ينتصر الروم على الفرس بفرح المؤمنين بنصر الله إياهم على المشركين يبدروا الله أعلم .

(٣) راهن وشارط .

(٤) هو أبي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم فعلت؟ فكل مادون العشر بضع، فكان ظهور فارس على الروم في تسع
سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية^(١) ففرح المسلمون بظهور
أهل الكتاب.

وأخرج البيهقي عن قتادة قال «لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون
ربهم وعرفوا أن الروم ستظهر على أهل فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس
قلائص وأجلو بينهم خمس سنين فوَلَّى قمار المسلمين أبو بكر وولى قمار المشركين
أبى بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فجاء الأجل ولم تظهر الروم على
فارس فسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لم يكونوا أحقاء أن يؤجلوا أجلا دون عشر فإن
البضع مابين الثلاث إلى العشر فزايدوهم ومادوهم في الأجل^(٢) ففعلوا
فأظهر الله الروم على فارس عند رأس التسع من قمارهم الأول فكان ذلك
مرجعهم من الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على الجوس وكان
ذلك مما شد الله به الإسلام.

وأخرج البيهقي عن الزبير قال «رأيت غلبة فارس الروم ثم غابة الروم فارساً
ثم رأيت غلبة المسلمين فارساً والروم وظهورهم على الشام والعراق كل ذلك في
خمس عشرة سنة^(٣)».

(١) الصحيح الأول وهو أن ظهور الروم على فارس وافق يوم بدر.

(٢) يعنى اتفقوا معهم على زيادة الجعل وزيادة المدة.

(٣) هذا لا يتأتى فإن غلبة الفرس على الروم كانت وللمسلمون بمكة ثم غلب
الروم عام بدر أو الحديبية وكانت المدة نحواً من تسع سنين وكان ظهور المسلمين على
الدولتين في عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه في حدود سنة عشرين من الهجرة
فتكون المدة نحواً من خمس وعشرين سنة.

باب امتحانهم إياه بالسؤال

أخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس « أن مشركي قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلامهم عن محمد وصفاً لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره فقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول (١) . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبأه . وسلوه عن الروح جاهد فاقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ثم سألوهم عما أمروا به فجاء جبرئيل (٢) بسورة أصحاب الكهف وخبر ما سألوهم عنه من أمر الفتية والرجل الطواف (٣) وقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) .

وأخرج أحمد والنسائي والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت : **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** (الآية) (٤) .

(١) يعني مخلق .

(٢) يقال إنهم لما سألوهم قال لهم سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحي شهراً ثم جاءه بعد ذلك بسورة الكهف وفيها قوله تعالى (ولا تقولن شيئاً مني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) .

(٣) الفتية هم أصحاب الكهف والرجل الطواف هو ذو القرنين .

(٤) للشهور أن هذه الآية نزلت بالمدينة فقد روى الشيخان وأحمد عن عبد الله بن مسعود أنه قال « كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة =

وأخرج أبو نعيم من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال «إن قريشا بعثوا رهطاً إلى المدينة يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أمره وصفته ومبعثه فأصدقوهم نعتهم قالوا إنه يزعم أنه نبي مرسل واسمه أحمد وهو يتيم فقير وبين كتفيه خاتم النبوة فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته فقالوا لهم نجد نعتهم وصفته ومبعثهم في التوراة وخاتم النبوة بين كتفيه فإن كان كما وصفتم لنا فهو نبي مرسل وأمره حق، ولكن سلوه عن ثلاث خصال فإنه يخبركم بمخلصتين ولا يخبركم بالثالثة إن كان نبياً، ذى القرنين والروح. وأصحاب الكهف فرجعوا إلى مكة فسألوه فأخبرهم بخبر ذى القرنين وأصحاب الكهف وقال لهم الروح من أمر ربي يقول من علم ربي لا علم لي به فلما وافق قول اليهود إنه لا يخبركم بالثالثة قالوا ساحران^(١) تظاهرا بعنوان التوراة والفرقان وقالوا إنا بكل كافرون^(٢).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه أن عبد الله بن سلام قال لأخبار اليهود «إني أردت أن أحدث

وهو متوكئ على عسيب فر يقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا نسأله فما زال متوكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا نسأله وقد حاول ابن كثير التوفيق بينهما فقال وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قتل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوهم بالآية للتقدم إزالتها عليه.

(١) قراءة حفص (سحران).

(٢) وقيل يعني موسى وهارون وقيل موسى ومحمد.

بمسجد أبينا إبراهيم عهداً فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة^(١) فوافاه بمنى والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عبد الله بن سلام ؟ قال نعم ، قال أذن فدنا منه فقال أنشدك بالله أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ فقال له انعت لنا ربك فجاء جبرئيل فقال له (قل هو الله أحد) إلى آخر السورة فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله^(٢) ثم انصرف إلى المدينة وكنتم إسلامه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة قال ابن سلام وأنا فوق نخلة لي أجدّها^(٣) فالتقيت نفسي^(٤) فقالت لي أمي الله أنت لو كان موسى ابن عمران ما كان نراك أن تلقى نفسك من أعلى النخلة فقلت والله لأنا أسرُّ بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران إذ بُعثَ .

باب

ما ظهر عند أذى المشركين له صلى الله عليه وسلم من الآيات

أخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص « ما أكره ما رأيت قريشا أصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

(١) الصحيح أن عبد الله بن سلام لم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قط ولم يره إلا بعد هجرته إلى المدينة .

(٢) قد مر تعليقنا على هذا الأثر بما يدل على أنه كذب مفتري معارض لما ورد في الصحيح عن إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه .

(٣) الجداد بفتح الجيم والجداد بكسرها صرام النخل أى قطع ثمره .

(٤) المعروف أن القى ألقى نفسه عن النخلة هو سلمان الفارسي رضى الله عنه حين جاءه خبر قدوم النبي عليه السلام إلى المدينة وكان على رأس نخلة كما تقدم .

كانت تظهره من عداوته ؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم في الحجر يوماً فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما رأينا مثل صبرنا عليه سقه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلنا وصبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت في وجهه فغضى ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أنسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفاه^(٥) بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشداً فما أنت بجهول .

وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن عمرو بن العاص وفيه بعد « قوله ما أرسلت إليكم إلا بالذبح فقال أبو جهل يا محمد ما كنت جهولاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت منهم . »

وأخرج أبو نعيم من طريق عروة حدثني عمرو بن عثمان بن عفان عن عثمان بن عفان قال « أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته يوماً يطوف بالبيت وفي الحجر ثلاثة جلوس عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وأممية بن خلف فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعوا مثل ذلك في الشوط الثاني والثالث فوقف

وقال أما والله لا تنهون حتى يحل الله عقابه عاجلاً قال عثمان فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أفسك^(١) يرتعد ثم انصرف إلى بيته وتبعناه فقال أبشروا فإن الله مظهر دينه ومتم كلمته وناصر دينه إن هؤلاء الذين ترون ممن يذبح الله بأيديكم عاجلاً فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا^(٢) .

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال « قال أبو جهل إن محمداً يزعم أنكم إن لم تطيعوه كان لكم منه ذبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا أقول ذاك وأنت من ذلك الذبح فلما نظر إليه يوم بدر مقتولاً قال : اللهم قد أنجزت لى ما وعدتنى^(٣) .

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقى وأبو نعيم من طريق ابن عباس عن فاطمة قالت « اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا إذا مر محمد عليهم ضربه كل واحد منا ضربة فسمعته فدخلت على أبيها فذكرت ذلك له فقال يا بنية سكتى ثم خرج فدخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقيم إليه رجل منهم فأقبل حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها نحوهم ثم قال شأته الوجوه فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً^(٤) .

(١) الأفسك بفتح الهمزة الرعدة ويقال أيضاً للجموعة من الناس .

(٢) حيث قتل الثلاثة يوم بدر أما أبو جهل فقتله ابنه عفراء وأجهز عليه بن

مسعود وأما أمية فقتله بلال وأعانه عليه جماعة من الأنصار وأما عقبة فقتل صبراً .

(٣) الذى فى الصحيح أنه عليه السلام حين وقف عليه وهو مقتول قال الحمد لله

هذا فرعون هذه الأمة .

وأخرج الشيخان عن خباب قال «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقمعه وهو محمر وجهه فقال «إن كان من قبلكم ليمشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله»^(١).

وأخرج البيهقي من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان فقال أبو جهل هذا نبيكم يا بني عبد شمس فقال أبو سفيان وتعجب أن يكون منا نبي؟ فقال أبو جهل عجبت أن يخرج غلام من بين شيوخ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فأتاهم فقال : أما أنت يا أبا سفيان فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت الأصل وأما أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيرا . قال بئس ماتعدني ابن أخي من نبوتك » .

وأخرج البزار عن طلحة بن عبيد الله قال «كان نفر من المشركين حول الكعبة فيهم أبو جهل فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف عليهم فقال قيجت الوجوه فخرسوا فما أحد منهم يتكلم بكلمة ولقد نظرت إلى أبي جهل يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول أمسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أمسك عنكم أو أقتلكم فقال أبو جهل أنت تقدر على ذلك؟ فقال الله يقتلكم » .

(١) وفي بعض الروايات «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» .

وأخرج البخارى فى التاريخ وأبو نعيم والبيهقى عن جبير بن مطعم قال « لما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لى أمن الحرم أنت ؟ قلت نعم قالوا فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت نعم فأخذوا ييدى فأدخلونى ديراً لهم فيه تماثيل وصور^(١) فقالوا لى أنظر هل ترى صورة هذا النبى الذى بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته قلت لا أرى صورته فأدخلونى أكبر من ذلك الدير وإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك لدير فقالوا لى أنظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لى هل ترى صفته ؟ قلت نعم قالوا أهو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اللهم نعم أشهد أنه هو قالوا أتعرف هذا الذى أخذ بعقبه ؟ قلت نعم قالوا نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من وجه آخر عن جبير بن مطعم قال « كنت أكره أذى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظننت أنهم سيقتلونه خرجت حتى لحقت بدير من الديارات فذهب أهل الدير إلى رأسهم فأخبروه فانطلقوا بى إلى صاحبهم فذكر قصة الصور قال فلما رأيت صورته قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة كأنه طوله وبعد ما بين منكبيه قال فتخاف أن

(١) من المعروف أن دين النصارى إنما يقوم على اتخاذ التماثيل والصور للأنبياء والرهبان والقديسين وملء السكناس والأديرة بها والتبرك بآثارهم والركوع أمام صورهم كما يقوم على ترتيل الأناجيل والأنعام وكل ذلك من وضع الكنيسة وليس مما جاء به نبيهم عيسى عليه السلام .

سَيَقْتُلُوهُ ؟ قُلْتُ أَظُنُّهُمْ قَدْ فَرَّغُوا مِنْهُ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُونَهُ وَلَيَقْتُلُنَّ مَنْ يَرِيدُ قَتْلَهُ ،
وَأَنَّهُ لَنَبِيٍّ وَلَيُظْهِرَنَّهُ اللَّهُ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ وَجْهِ ثَالِثٍ عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ « خَرَجْتُ تَاجِرًا إِلَى
الشَّامِ فَلَمَّا كُنْتُ بِأَدْنَى الشَّامِ لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ هَلْ عِنْدَكُمْ رَجُلٌ
تَنْبَأُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ هَلْ تَعْرِفُ صُورَتَهُ إِذَا رَأَيْتَهَا ؟ قُلْتُ نَعَمْ فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا فِيهِ صُورَةُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ فِيمَ أَنْتُمْ ؟
فَأَخْبَرْنَاهُ فَذَهَبَ بِنَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَسَاعَةً مَا دَخَلْتُ نَظَرْتُ إِلَى صُورَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأِذَا رَجُلٌ آخِذٌ بِعَقَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ
الْقَائِمُ عَلَى عَقْبِهِ ؟ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا هَذَا فَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ
وَهَذَا الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ وَإِذَا صَفَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ » .

بَاب

الآيَةُ فِي صَرْفِ شَتْمِ الْمُشْتَرِكِينَ عَنْهُ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعَنَهُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ
مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ » ^(١) .

(١) يَعْنِي أَنَّ عَدُوَّهُمْ وَهَجَاءَهُمْ إِنَّمَا يَلِيقُ بِعَدُوِّهِمْ وَلَكِنِّي أَنَا مُحَمَّدٌ فَهُوَ أَعْلَى الَّذِي
سَمِيَتْ بِهِ فَلَا يَأْتِي مِنْ هَجَاءِهِمْ شَيْءٌ لِأَنَّهُ لَا يُوَافِقُ حَقًّا لَا فِرْتَدَ إِلَيْهِمْ فَيَكُونُونَ فِي
أَوَّلَى بِهِ مِنْهُ .

باب

قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وما ظهر في ذلك من الآيات :

أخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال المستهزون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود ابن المطلب والحارث بن عيطل^(١) الخزاعي والعاص بن وائل فأتاه جبرئيل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد فأومى جبرئيل إلى أكله قال ما صنعت ؟ قال كفيتهم ثم أراه الأسود بن المطلب فأومى إلى عينيه فقال ما صنعت ؟ قال كفيتهم ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومى إلى رأسه فقال ما صنعت ؟ قال كفيتهم ثم أراه الحارث فأومى إلى بطنه فقال ما صنعت ؟ قال كفيتهم ومرو به العاص فأومى إلى إخصه فقال ما صنعت ؟ قال كفيتهم فأما الوليد فمر به رجل من خزاعة وهو يرش ثبلاله فأصاب إكله فقطعها وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمررة فجعل يقول يابني الأتدفعون عني فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً وهو يقول قد هلكت هاهو ذا أطعن بالشوك في عيني فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج من فيه فمات منها ، وأما العاص فركب إلى الطائف على حمار فربض على شبرقه^(٢) فدخل في إخص قدمه شوكة فقتلته « له طرق عن ابن عباس وغيره أوردتها في التفسير المسند^(٣) .

(١) سميتها الطلاطة .

(٢) نوع من النبات في الحجاز يؤكل وله شوك والجمع شبرق .

(٣) وقال محمد بن إسحق كان عظماء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان .

عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم من بني أسد . ابن عبد العزى بن قصي الأسود بن أبي زمعة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بَاب دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ابْنِ أَبِي لَهَبٍ

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نُوفَلٍ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ عَنْ أَبِيهِ ^(١) قَالَ : « أَقْبَلَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ^(٢) يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ قَالَ : وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَحْتَمِلُ «الْبَزَّ» ^(٣) إِلَى الشَّامِ وَيَبْعَثُ بَوْلَهُ مَعَ غُلَامَانِهِ وَوَكَلَاتِهِ ، وَيَقُولُ أَنَّ ابْنِي أَخَافُ عَلَيْهِ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ فَتَعَاهِدُوهُ فَكَانُوا إِذَا نَزَلُوا الْمَنْزِلَ أَلْزَقُوهُ إِلَى الْحَائِطِ وَغَطُّوا عَلَيْهِ الثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ زَمَانًا ، فَجَاءَ سَبْعَ فِتْلَةٍ ^(٤) فَقَتَلَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا لَهَبٍ فَقَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ ؟ » .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ تَسَلَّطَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسَلِّطَ عَلَيْهِ كَلْبَهُ . نَخْرُجُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ حَتَّى نَزِلُوا فِي مَكَانٍ مِنَ الشَّامِ يُقَالُ

== فَمَا بَلَغَنِي قَدْ دَعَى عَلَيْهِ لِمَا كَانَ يُلْفَعُ مِنْ أَذَاهُ وَاسْتَهْزَأَتْهُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِمْ بَصْرَهُ وَأَشْكِلْهُ وَلَدَهُ وَمَنْ فِي زَهْرَةِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ ابْنَ وَهْبٍ ابْنَ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنَ زَهْرَةَ) .

وَمِنْ فِي مَخْزُومِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ وَمِنْ فِي سَهْمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ هَاصِبِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَعْدٍ وَمِنْ خِزَاعَةِ الْحَارِثِ بْنِ الطَّلَاطِلَةِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَلِكَانَ « (١) لَا نَدْرِي مِنْ أَبُو نُوفَلٍ وَلَا مِنْ أَبَوَيْهِ أَبُو عَقْرَبٍ وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا الذَّهَبِيُّ فِي بَابِ الْكُفَى .

(٢) لَمْ يَكُنْ لِأَبْنِ لَهَبٍ وَلَدٌ اسْمُهُ لَهَبٌ وَإِنَّمَا وَلَدَاهُ عَتَبَةُ وَعَتِيبَةُ وَكَتَبَ بِأَبْنِ لَهَبٍ قِيلَ لِتَلَهَّبَ وَجْهَهُ وَإِشْرَاقَهُ وَالَّذِي دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ عَتَبَةُ .
(٣) فِي الثِّيَابِ مِنَ السَّكْتَانِ أَوْ الْقَطْنِ .
(٤) أَيْ صَرْعَهُ .

«الزرقاء ليلا فأطاف بهم الأسد فجعل عتبة يقول : يا ويل أُمى هو والله آكلى كما دعا محمد على قتلنى محمد وهو بمكة وأنا بالشام فعدا^(١) عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فضغمه^(٢) ضغمة فذبحه » .

وأخرج البيهقي عن عروة « أن الأسد لما طاف بهم تلك الليلة انصرف عنهم فقاموا وجعلوا عتبة في وسطهم فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتبة ففدغه^(٣) » .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق عروة عن هبار بن الأسود قال : « كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام وتجهزت معهما فقال ابن أبي لهب والله لأنطلقن إلى محمد فلا وذينه في ربه فانطلق حتى أتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذى دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك ، ثم انصرفت فقال له أبوه : أى بنى ما قلت له وما قال لك ؟ فأخبره قال : أى بنى والله ما آمن عليك دعوة محمد فسرنا حتى نزلنا السراة وهى مأسدة^(٤) فقال : لما أبو لهب إنكم قد عرفتم سنى وحقى وإن محمدا قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا لابنى عليه ، ثم افرشوا حوله ففعلنا وبات هو فوق المتاع ونحن حوله ، فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض ، ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ،

(١) وثب عليه وهجم

(٢) يقال ضغم الشيء وبه عضه بملء فيه والضغامة بضم الضاد ما ضغته ثم لفظته .

(٣) أى شدخه .

(٤) يقال أرض مأسدة إذا كثر فيها الأسود .

ثم هزمه هزيمة^(١) ففتح رأسه وإنطلق فقال أبو لهب : قد والله عرفت ما كان لينفلت من دعوة محمد . وأخرجه ابن إسحاق وأبو نعيم من طرق أخرى مرسله عن محمد بن كعب القرطبي وغيره وزاد أن حسان بن ثابت قال في ذلك :

سائل بني الأشقر إن جثتهم	ما كان أبناء أبي واسع
لا وسع الله له قبره	بل ضيق الله على القاطع
رحم بني جده ثابت	يدعو إلى نور له ساطع
أسبل ^(٢) بالحجر لتكذيبه	دون قریش نهزة القادع ^(٣)
فاستوجب الدعوة منه بما	بين للنظار والسامع
أن ساط الله بها كلبه	يمشى الهوينى ^(٤) مشية الخادع
حتى أتاه وسط أصحابه	وقد علمتهم سنة الهاجع ^(٥)
فالتقم الرأس بيافوخه ^(٦)	والنحر منه فغرة ^(٧) الجائع

وأخرج أبو نعيم عن طاووس قال : « لما تلا رسول الله صلى الله عليه

(١) يقال هزم العدو فلهم وكسرم وهرم الشيء غمزه بيده فصارت فيه حفرة . وهزم فلانا ضربه فدخل ما بين وركيه وخرجت سرتة .

(٢) يقال أسبل على فلان أكثر السلام عليه .

(٣) يقال قذع الفرس عدا وقذع الأمر أمضاه وأقذعه عن كذا كفه عنه وأندع الرجل شتمه .

(٤) أى مشياً خفيفاً .

(٥) يعنى غلبهم الناس والهاجع الراقد .

(٦) اليافوخ واليافوخ الذى يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته في مقدمتها وأعلاها لا يلبث أن يلتقى فيه العظام والجمع يوافيخ .

(٧) يقال فغر فاه فتحه .

وسلم (والنجم إذا هوى) قال عتبة بن أبي لهب : كفرت برب النجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلط الله عليك كلبا من كلابه فخرج مع أصحاب له إلى الشام فرأى الأسد فجعلت فرائضه ترعد فقالوا له : من أى شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ، قال : ن محمداً دعا على ولا والله ما أظلت هذه السماء على ذى لهجة أصدق من محمد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الأسد بهمس يستنشق رؤسهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه ، فضغمة ضغمة ففرغ وهو بآخر ريق وهو يقول : ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس ؟ ومات .

وأخرج أبو نعيم عن أبي الضحى قال : قال ابن أبي لهب هو يكفر بالذى قال والنجم إذا هوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم « عسى أن يرسل عليه كلباً من كلابه فبلغ ذلك أباه فأوصى أصحابه إذا نزلتم منزلاً فاجعلوه وسطكم ففعلوا حتى إذا كانت ليلة بعث الله عليه سعيّاً فقتله .

باب دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش بالسنة^(١)

أخرج الشيخان عن ابن مسعود « أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام قال : « اللهم أغنى عليهم بسبع كسبع يوسف . فأصابهم سنة فخصت كل شيء^(٢) حتى أكلوا الجيف والميتة حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لو كشفنا

(١) أى القحط والجذب .

(٢) يعنى أنت عليه وأذنبته .

العذاب عنهم عادوا فكشف عنهم فعادوا ، فاتتقم منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى (يوم تأتي السماء بدخان مبين) إلى قوله : (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدياراً قال : « اللهم سبع كسيع يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلو الميتة والجلود والعظام فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعة^(١) فشكا الناس كثرة المطر فقال : اللهم حوالينا ولا علينا^(٢) . فأنحدرت السحابة عن رأسه فسقى الناس حولهم قال : لقد مضت آية الدخان وهو الجوع الذي أصابهم وآية الروم والبطشة الكبرى وانشقاق القمر .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « خمس قد مضين للزمام^(٣) والروم والدخان والبطشة والقمر » . قال البيهقي : المراد بذلك أن هذه الآيات قد وجدت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر بهن قبل وجودهن .

وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال : « جاء أبو يوسف

(١) يعني أرسلت عليهم السماء بمطر غزير متتابع سبعة أيام .

(٢) الذي في الصحيح أن هذا كان بالمدينة

(٣) المراد به قوله تعالى (قل ما يعظيكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً) قال ابن كثير « أي فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم يعني مفضياً لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك ابن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلمز والوبر والدم، فأنزل الله تعالى ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج عنهم « قال البيهقي قد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين ^(١) .

باب التي عميت من المسلمات ورد عليها بصرها

أخرج البيهقي عن عروة « أن أبا بكر أعتق من كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة ^(٢) فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقال : كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها » .

باب ما وقع في هجرة الحبشة من الآيات

أخرج البيهقي عن موسى بن عقبة قال : « خرج جعفر بن أبي طالب في رهط من المسلمين فراراً بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشة ^(٣) وبغشت

(١) بل الذي كان بعد الهجرة أن أبا سفيان كان وافد قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستوثق من معاهدة الحديبية ويطلب زيادة المدة فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك لأن قريشاً كانت نقضت العهد بإعاتها حلفاءها بكرا على خزاعة حلفاء رسول الله عليه السلام .

(٢) هي زنيرة الرومية كانت لبني مخزوم يعذبونها فاشتراها أبو بكر الصديق وأما أنها عميت فرد الله عليها بصرها فلا تعرف له أصلا .

(٣) كانت الهجرة إلى الحبشة مرتين ففي المرة الأولى خرج من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ثم بلغهم كذبا أن قريشاً أسلمت فرجعوا إلى مكة فلما بلغهم أن الأمر أشد كان دخل منهم -

قريش عمرو بن العاص ، وعمار بن الوليد بن المغيرة ، وأمرهما أن يسرعا السير ففعلوا وأهدوا للنجاشي فرسا وجبة ديباج وأهدوا العطاء الحبشة هدايا ، فلما قدما على النجاشي قبل هداياهم وأجلس عمرو بن العاص على سريره فقال عمرو بن العاص : إن بأرضك رجلا منا سفهاء ليسوا على دينكم ولا على ديننا فادفعهم إلينا فقالت عطاء الحبشة للنجاشي : أجل فادفعهم إليهم فقال النجاشي : لا والله لا أدفعهم إليهم حتى أكلمهم وأعلم على أي شيء هم . فقال عمرو بن العاص هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا وسنخبرك بما تعرف من سفههم وخلافهم الحق إنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك كما يفعل من أتاك في سلطانك ، فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه وقد أجلس النجاشي عمرو بن العاص على سريره فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه وحيوه بالسلام ، فقال : عمرو وعمار ألم تخبرك خبر القوم ؟ فقال النجاشي : ألا تحدثوني أيها الرهط مالكم لا تحيوني كما يحيني من أتاني من قومكم ؟ وأخبروني ماذا تقولون في عيسى ابن مريم وما دينكم أنصاري أتم ؟ قالوا لا . قال : فيهود أتم ؟ قالوا لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا لا . قال : فما دينكم ؟ قالوا الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا نعبد الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئا ، قال من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه قد بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر للوالدين والصدق والوفاء وأداء الأمانة ونهانا أن نعبد الأثان وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلما أن الذي جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق ، وكذبوه

== من دخل ورجع من الطريق من رجع ، وفي المرة الثانية هاجر من الرجال ثلاثا
وعمانون ومن النساء ثمان عشرة .

وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا ، فقال النجاشي : والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر موسى عليه السلام قال جعفر : وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فأمرنا بذلك خيبتك بالذي يحيى به بعضنا بعضا ، وأما عيسى فهو عبدالله ورسوله وكميته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول ، فحفض النجاشي يده إلى الأرض وأخذ منها عودا وقال والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود فقال عطاء الحبشة : والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك ^(١) فقال النجاشي والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا ثم قال : أرجعوا إلى هذا هديته يريد عمرو بن العاص والله لو رشوني في هذا دبر ذهب والدبر في لسان الحبشة الجبل ، ما قبلته وقال لجعفر وأصحابه امكثوا فأنتم سيوم والسيوم الآمنون ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عرم أى فقد عصاني وكان الله قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمارة في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ، ثم اصطلحا حين قدما على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا إليها من طلب المسلمين فلما أخطأهما ذلك رجعا إلى شر ما كانا عليه من العداوة فذكر عمرو بعمارة فقال : يا عمارة إنك رجل جميل ، فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عندها إذا خرج زوجها فإن ذلك عون لنا في حاجتنا فراسلها عمارة حتى دخل عليها فلما دخل عليها انطاق عمرو إلى النجاشي فقال له إن صاحبي هذا صاحب نساء وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فإذا عمارة عند امرأته فأمر به فنفع في إحليله ثم ألقى في جزيرة من البحر فجن واستوحش مع الوحش ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره

(١) في بعض الروايات فنخرت بطارقه حين سمعوا منه ذلك فقال وإن نخرتم واقع .

ومنه حاجته . وورد نحو ذلك من طرق موصولة عن ابن مسعود وأبي موسى وأما سلمة .

باب ما وقع في قصة الصحيفة من الآيات

أخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن الزهري قال إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء حين هاجر المسلمون إلى النجاشي وبلغهم إكرامه إياهم واجتمعت قريش أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ويمنعوه ممن أرادوا قتله ^(١) فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بنى هاشم أبداً صلحاً حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعاماً يقدم مكة ولا يبيعوا إلا بادرهم إليه فاشتروه فلما كان رأس ثلاث سنين ، تلاوم ^(٢) رجال من بنى عبد مناف ومن بنى عبد قصي ورجال سواهم من قريش ^(٣) قد ولدتهم نساء من

(١) لا عروف أن دخول الشعب إنما كان بسبب تلك الصحيفة التي كتبها قريش وتعاقدت فيها على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب فلا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ولا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ثم علقوها في جوف الكعبة ، فعند ذلك انحاز بنو هاشم والمسلمون معهم إلى شعب أبي طالب .

(٢) يعني أخذ يلوم بعضهم بعضاً على تلك القطيعة الظالمة .

(٣) الذي سعى في نقص الصحيفة هو هشام ابن عمر وحيث سعى إلى زهري

بنى هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق وكانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم^(١) وأطلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب فقال أبو طالب: لاو الثواب^(٢) ما كذبنى فانطلق يمشى بعصابة من بنى عبد المطلب حتى آتى المسجد وهو حافل من قریش فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ، فاتوا ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فاتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوع إليهم فوضعوها بينهم فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى أن الله برىء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم هو له وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم عاينا بالظلم فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فوالله لا يسلم أبدا حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى قال باطلا رفعناه إليكم فقتلتم أو استحييم قالوا: قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم قد

= ابن أمية الخزومى وإلى المطعم بن عدى وأبى البخترى ابن هشام وزمعه بن الأسود ابن المطلب بن أسد وتقابل هؤلاء النفر وتعاهدوا على نقض الصحيفة .

(١) بل العكس هو الصحيح وأن الأرضة أكلت كل ما في الصحيفة من ظلم وقطيعة ولم تبق إلا اسم الله عز وجل .

(٢) جمع ثواب وهو الشهاب المضيء .

أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذي قال قالوا والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب : إن الأولى بالكذب والسحر غيرنا فإننا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الحبث والسحر ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسم له وما كان من بنى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بنى عبد مناف وبنى قصي نحن براء من هذه الصحيفة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس .

وقال ابن سعد أنا محمد بن عمر حدثني الحكم بن القاسم عن زكريا بن عمرو عن شيخ من قريش أن قريشا لما كتبت الصحيفة ومضت ثلاث سنين أطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب فقال : والله ما كذبنى ابن أخي قط ثم خرج إلى قريش وأخبرهم فجاء بالصحيفة فوجدت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط في أيدي القوم ^(١) ونكسوا على رؤسهم فقال أبو طالب : يا معشر قريش علام نحصر ونحبس ؟ وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعاصم بن عمر بن قتادة وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا « لما بلغ قريشا فعل النجاشي بجمعهم وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وكتبوا كتابا على بنى هاشم أن لا ينافكهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم وكان الذي كتب الصحيفة منصور ابن عكرمة العبدي فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وحصروا بنى هاشم في شعب أبي طالب ليلة

(١) يعنى ندموا على ما كان منهم من الظلم والقطيعة .

هلال الحرم سنة سبع من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعوا عنهم الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد فقال من ساء ذلك من قريش انظروا ماذا أصاب منصور بن عكرمة فأقاموا في الشعب ثلاث سنين ، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة ومحمد بن علي قالا « أرسل الله على الصحيفة دابة فأكلت كل شيء فيها إلا اسم الله » . وفي لفظ « إلا باسمك اللهم » ^(١) .
وأخرج ابن عساكر عن الزبير بن بكار قال : قال أبو طالب في قصة الصحيفة :
ألم يأتكم أن الصحيفة مزقت وأن كل مالم يرضه الله يفسد ^(٢)
في أبيات آخر ^(٣) .

وأخرج أبو نعيم عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم قال « كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدرى فثلث يده حتى يبست فما كان ينتفع بها فكانت قريش تقول بينها : إن الذي صنعنا إلى بني هاشم انظروا ما أصاب منصور بن عكرمة .

باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم
بالإسراء وما رأى من آيات ربه الكبرى

قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى

-
- (١) وهي البارة التي كانوا في الجاهلية يبتدون بها كتبهم ومعاهدتهم ولهذا لما أمر عليه السلام علياً يوم الحديبية أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمسك سميل بن عمرو يده وقال لا نعرف الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم .
(٢) هذا الشطر الثاني مكسور فاعل محته « وكل الذي لم يرضه الله يفسد » .
(٣) نحن نشك كثيراً في معظم ما يعزى من شعر إلى أبي طالب .

المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير^(١) .
 اعلم أن الإسراء ورد مطولا ومختصرا من حديث أنس وأبي بن كعب وبريدة
 وجابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وسُكْرَةُ بن جُنْدَب وسهل بن سعد وشداد
 ابن أوس وصُهَيْب وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وعبد الله
 ابن أسعد بن زُرارة وعبد الرحمن بن قرط وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب
 ومالك بن صعصعة وأبي أمّامة وأبي أيوب الأنصاري وأبي حبة وأبي الحمراء
 وأبي ذر وأبي سعيد الخدري وأبي سفيان بن حرب وأبي ليلي الأنصاري
 وأبي هريرة وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر وأم هانئ وأم سلمة رضي الله عنهم
 وها أنا أسوق أحاديثهم على الترتيب المذكور .

حديث أنس رضي الله عنه

أخرج مسلم من طريق ثابت^(٢) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع

(١) هذه الآية الكريمة صريحة في وقوع الإسراء وأنه كان بالجسد والروح
 يقطعة لا متناهما فقد ابتدئت بكلمة سبحانه التي تدل على أن ما بعدها أمر عجيب
 الشأن ، والإسراء بالروح وحدها في النوم أمر لا عجب فيه ثم قوله (أسرى بعبده)
 والإسراء السير ليلا والعبد اسم للشخص الذي هو مجموع الروح والجسد ثم قوله
 (لنريه من آياتنا) فلا بد أن تكون رؤية بالبصر فإن الرؤيا في النوم تقع لسكل
 أحد فلا تظهر فيها خصوصية وعلى هذا فلا إيمان بالإسراء واجب وأما المعراج وهو
 الرحلة السماوية فهي ثابتة بالأحاديث الصحيحة التي يفيد مجموعها التواتر وتدل عليه
 كذلك الآيات من أول سورة النجم .

(٢) هو ثابت البناني وقد تقدمت ترجمته .

(٣) يظهر أن البراق هو الدابة التي كانت تستعمل في هجرات الأنبياء فقد تقدم
 أن إبراهيم عليه السلام ركب في الهجرة بهاجر وولدها إلى مكة .

حافره عند منتهى طرفه ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط
بها الأنبياء (١) ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاء جبرئيل بإناء
من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبرئيل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى
السماء الدنيا فاستفتح جبرئيل فقبل من أنت ؟ قال جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟
قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم
فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل فقبل من
أنت ؟ قال جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال قد
بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابن الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا (٢) فرحبا
بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرئيل فقبل من أنت ؟
قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد قيل : وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث
إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوסף وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبرئيل فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل
قبل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا
فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح
جبرئيل فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل : ومن معك ؟ قال محمد قبل وقد بعث إليه ؟
قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبرئيل فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل ، قيل ومن
معك ؟ قال محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى

(١) سيأتي في حديث حذيفة أنه كان ينكر ربط البراق ويرى أنه عليه السلام
لم يزايله حتى في رحلته إلى السماء .

(٢) الواقع أن ابن الخالة هما مريم ويحيى عليهما السلام فإن خالة مريم كانت
تحت زكريا ولهذا كان أحق بكلماتها من غيره وإنما يقال لعيسى ويحيى ابنا خالة توسعا .

فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبرئيل قِيلَ من هذا ؟ قال جبرئيل قِيلَ ومن معك ؟ قال محمد ، قِيلَ وقد بعث إليهِ ؟ قال قد بعث إليهِ ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليهِ ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال^(١) فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال لي ما فرض ربك عليك وعلى أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي لخطي عني خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة فكل صلاة عشر^(٢) فقلت خمسون صلاة ومن هم منهم بحسنة فلم يعملها^(٣) كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً^(٤) فإن عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه^(٥) .

(١) جمع قلة بضم القاف وهي الجرة الكبيرة .

(٢) لأن الحسنة تجزى بعشر أمثالها وهذا أقل التضعيف .

(٣) يعني لم يقدر على عملها لوجود مانع فيجزى على نيته .

(٤) بل في الصحيح عن ابن عباس أنه إن لم يعملها كتبت له حسنة لأنه تركها

الله عز وجل .

(٥) هكذا رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت .

وأخرج البخاري وابن جرير من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر
عن أنس قال « ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكوفة
جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم
هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم وقال أحدهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة
فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك
الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر
زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبعته حتى فرغ من صدره
وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطاست من ذهب محشو إيماناً
وحكمة فحشى به صدره ولغاد يده^(١) يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى
السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن
معك ؟ قال محمد قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلاً ووجد في
السماء الدنيا آدم فقال له جبرئيل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه آدم ، وقال
مرحبا وأهلاً بابني نعم الابن أنت فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال
ما هذان النهران يا جبرئيل ؟ قال هذان النيل والفرات عنصرهما^(٢) ثم مضى به
في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا

= ورواه الإمام أحمد بهذا السياق قال حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة
أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك .

(١) يجب أن تؤمن بمثل هذه الأخبار وإن كنا لا نعقل كنهها ولا كيفيتها
ولا نعترض عليها بعقولنا القاصرة فنقول كيف يوضع الإيمان والحكمة في طست
وكيف تفرغ في الصدر وهي أمور معنوية فإن الله قادر على تجسيم هذه للعنويات
كما ورد في ميزان الأعمال .

(٢) أي أصلهما ومنبعهما .

هو مسك أذفر^(١) فقال ما هذا يا جبرئيل ؟ ، قال هذا الكوثر الذى خيال لك ربك
ثم عرج به إلى السماء الثانية فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن معك ؟ قال
محمد قبل وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحباً وأهلاً ثم عرج به إلى السماء
الثالثة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له
مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد
سماهم ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى^(٢) ثم ذكر
نحو ما تقدم فى فرض الصلوات .

وأخرج النسائى من طريق يزيد بن مالك عن أنس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى
طرفها فركبت ومعى جبرئيل فسرت فقال أنزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين
صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجر ، ثم قال أنزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين
صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ، ثم قال أنزل فصل ففعلت
فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت ببית لحم حيث ولد عيسى ثم دخلت بيت
المقدس فجمع لى الأنبياء فقدمنى جبرئيل حتى أمتهم ثم صعد بى إلى السماء الدنيا
فإذا فيها آدم ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى ثم صعد

(١) أى شديد الرائحة .

(٢) ثم قال بعد ذلك « ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
أو أدنى فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة إلخ » الحديث
وكذلك رواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان عن شريك ثم
قال فراد ونقص وقدم وأخر قال ابن كثير « وهو كما قال مسلم فإن شريك بن
عبد الله بن أبي نمر اضطرب فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه اهـ .

بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون ثم صعد بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس ثم صعد بى إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى ثم صعد بى إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ثم صعد بى فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتنى ضبابة خربت ساجداً فقيل لى^(١) «إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة^(٢) فقم بها أنت وأمتك فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك عليك وعلى أمتك؟ قلت خمسين صلاة قال إنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فرجعت فخفف عني عشرة ثم عشرة حتى قال هن خمس بخمسين فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صرى أى حتم^(٣) فلم أرجع^(٤) » .

وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن يزيد بن أبي مالك عن أنس قال:

(١) القائل هو الله عز وجل فهو الذى كله كفاً من وراء حجاب كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم ٢ .

(٢) ليس معناه أنه سبحانه فرضها بالفعل إذ لا تكليف قبل وجود المكلف ولكن معناه أنه قدر ذلك وكتبه .

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية « وقيل هى مشتقة من صرى إذا قطع وقيل هى مشتقة من أصررت على الشيء إذا لزمته فإن كان من هذا فهو من الصاد والراء المشددة وقال أبو موسى إنه صرى بوزن جنى وصرى العزم أى ثابته ومستقره » .

(٤) قال ابن كثير عن هذه الرواية « وفيها غرابة ونسكاره جداً وهى فى سنن النسائى المجتبى ولم أرها فى الكبير » وأعله يعنى بذلك ما فيها من قوله أنزل فصل ثلاث مرات ونحو ذلك .

« لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرئيل عليه السلام بداية فوق الحمار ودون البغل حمله جبرئيل عليها ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها فلما بلغ بيت المقدس أتى إلى الحجر الذى ثمة فغمزه جبرئيل عليه السلام بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعدا فلما استويا فى صرحة المسجد^(١) قال جبرئيل عليه السلام يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ، قال نعم فانطلق إلى أولائك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة^(٢) فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت من أنتن ، فقلن خيرات حسان نساء قوم أبرار يُنقوا فلم يدرنوا^(٣) وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة فقمنا صفوفًا ننظر من يؤمننا فأخذ بيدي جبرئيل فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال جبرئيل عليه السلام يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله تعالى ثم أخذ بيدي فصعدنى إلى السماء فلما اتهمنا إلى الباب ، استفتح قالوا من أنت ؟ قال جبرئيل قالوا ومن معك ، قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحو له وقالوا مرحبًا بك ومن معك ، فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم عليه السلام فقال لى جبرئيل ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد على وقال مرحبا بابنى والنبي الصالح ، ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها عيسى ويحيى ، ثم عرج بى إلى السماء

(١) أى ساحته والجمع صرحات .

(٢) معنى هذا أن تلك الرؤية كانت فى الأرض لافى السماء فلعلمن نزلن مع من نزل من الملائكة احتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) يعنى أنهم طهروا من الأقدار والأوصار التى كانت تعترهم فى الدنيا كالغائط والبول والمخاط والبصاق والدرن بفتحات الوسخ والجمع أدران .

الثالثة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها يوسف ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح فقالوا مثل ذلك ، فإذا فيها إدريس ، ثم عرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها هارون ، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها موسى ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح فقالوا مثل ذلك فإذا فيها إبراهيم ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه خيام « الياقوت واللؤلؤ والزبرجد » وعليه طير خضر أنعم طير رأيت فقلت يا جبرئيل إن هذا الطير لناعم قال يا محمد آكله أنعم منه ثم قال أتدرى أى نهر هذا ؟ قلت : لا قال الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض^(١) من الياقوت والزمرّد ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن فأخذت من آنيته فأعترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشدّ رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهى إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبرئيل وخررت ساجداً لله فقال الله لى يا محمد إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى بك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك ثم انجلت عني السحابة وأخذ بيدي جبرئيل فانهضت سريعاً فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئاً ثم أتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ قلت فرض ربى على وعلى أمتى خمسين صلاة ، قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة وخررت ساجداً وقلت رب خفف عنا . قال قد وضعت عنكم عشراً ثم انجلت عني السحابة ورجعت إلى موسى فقلت وضع عني عشراً قال ارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنكم فذكر الحديث إلى أن قال : هن خمس بخمسين ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل

(١) الرضراض الحمى المعفار .

مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا إلى غير رجل واحد فسأمت عليه
فرد على السلام ورحب بى ولم يضحك إلى ؟ قال ذاك مالك خازن جهنم لم
يضحك منذ خلقت ولو ضحك إلى أحد ضحك إليك . قال ثم ركبت منصرفاً
فبينما هو فى بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعاماً منها حمل عليه غرارتان
غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وصرع
ذلك البعير وانكسر ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله
أتوا أبا بكر^(١) فقالوا يا أبا بكر هل لك فى صاحبك يخبر أنه أتى فى ليلته هذه
مسيرة شهر ثم رجع فى ليلته فقال أبو بكر: إن كان قاله فقد صدق وأنا لنصدق
فيهما هو أبعد من هذا ، نصدق على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما علامة ما تقول ؟ قال مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا
فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة
بيضاء فصرع فانكسر ، فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق وسألوهم هل كان
فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟^(٢) قال: نعم . قالوا فصفهما قال أما موسى فرجل آدم

(١) وفى بعض الروايات أن الذى أتى أبا بكر هو أبو جهل لعنه الله وذلك أنه
كان أول من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء عند الحجر فسأله
ماذا هلك اليوم ؟ فقال أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس فقال له أرايت إن دعوت
قومك أ كنت مخبرهم بما أخبرتنى به ؟

قال نعم فنأدى أبو جهل بطون قريش فاجتمعوا إليه فقال اسمعوا ما يقول محمد
فأخبرهم عليه السلام خبر ليلته فعمالت صيحات الإنكار وأخذوا يضربون كفا بكف
ويقولون نحن نضرب آباط الإبل شهراً مصعبين وشهراً قافلين وتزعم أنت أنك أتيت
فى ليلتك ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ وانطلق أبو جهل إلى أبى بكر كما جاءت
به الرواية .

(٢) لا يحفل صدور هذا السؤال من كفار قريش فإنهم لا يعرفون موسى =

كأنه من رجال أزد عمان^(١) وأما عيسى فرجل رُبْعَة^(٢) سَبَطُ يعلوه حرّة كأنما يتحادر من لحيته الجمان^(٣) .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه في تفسيريهما والبيهقي من طريق عبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة عن أنس قال « لما جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها صرّت أذنيها^(٤) فقال جبرئيل مه^(٥) يا براق فوالله ما ركبك مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال ماهذه يا جبرئيل ؟ قال سر يا محمد فسار ماشاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوّه متنحياً عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبرئيل سر يا محمد ، فسار ماشاء الله أن يسير فلقية خاق من خاق الله فقالوا السلام عليك يا أول^(٦) السلام عليك يا آخر^(٧) السلام عليك يا حاشر^(٨) فقال له جبريل اردد السلام فرد السلام ثم لقية الثانية فقال له

== وعيسى ولا يدينون بدينهما فالظاهر أن السؤال عنهما وقع من بعض الصحابة رضي الله عنهم حين حدثهم الرسول عليه السلام حديث الإسراء .

(١) قبيلة عينية معروفة بالقوة وضخامة الأجسام .

(٢) يعنى مربوع القامة بين الطويل والقصير .

(٣) الجمان الأولو والواحدة جمانة .

قال ابن كثير بعد إيراده لهذه الرواية « هذا سياق فيه غرائب عجيبة » .

(٤) يعنى صوتها ونصبتها للاستماع .

(٥) اسم فعل أمر بمعنى اكفف .

(٦) سبق أن نهنا على أن تلك الأولية ليست في الخلق ولكن في الفضل

والشرف أو يوم القيامة حيث يكون أول من تنشق عنه الأرض وأول من يجوز الصراط وأول شافع وأول مشفع وأول من يحرك حلق الجنة الخ .

(٧) يعنى أنه آخر الرسل بعثا وبه ختموا .

(٨) جاء في الحديث وأنا الحاشر القدى يحشر الناس على قدمي وهو كناية عن

متاخته للساعة كما قال « بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى » .

مثل ذلك ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لفرقت أمتك ولو شربت الخمر لغويت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه^(١) من الأنبياء فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبرئيل : أما المعجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك المعجوز وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام^(٢) . »

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والترمذي والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم من طريق قتادة عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبرئيل أمحمد تفعل هذا ؟ فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه قال فرفض عرقا^(٣) . »

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم^(٤) . »

(١) يعني من بعده .

(٢) قال ابن كثير « وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض ألفاظه نكارة وغبابة »

(٣) قال ابن كثير « ورواه الترمذي عن اسحاق بن منصور عن عيد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه »

(٤) قال ابن كثير « وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو وبه ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم »

وأخرج مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام فأما يصلى في قبره » ^(١) .

وأخرج أبو يعلى والبيهقي عن أنس قال « حدثني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلى في قبره قال وذكر لي أنه حمل على البراق قال فأوثقت الفرس أو قال الدابة بالحراية . فقال أبو بكر صفها لي يا رسول الله ، فقال : هي كذو وذو قال وكان أبو بكر قد رآها » ^(٢) .

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة وسليمان التيمي وثمالة وعلى بن زيد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليلة أسرى بي مررت بناس تقرض شفاهم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت فقلت من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال هؤلاء خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون » ^(٣) .

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن أنس وقد اضطربت رواية هذا الحديث عن أنس فمرة يروي مرفوعاً ومرة موقوفاً ومرة يرويه أنس عن غيره من الصحابة فالله أعلم .

(٢) قال أبو يعلى « حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ فلم يصرح فيه أنس بالتحديث عن غيره » .

(٣) هذا ثابت عن أنس من طرق كثيرة فقد رواه الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد وهو ابن جده عن أنس ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والججاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به . وكذا رواه « يزيد بن هارون » عن حماد بن سلمة به .

فرضت عليه الصلاة ليلة أسرى به ^(١) .

وأخرج ابن ماجه والحكيم الترمذى فى (نواذر الأصول) وابن أبى حاتم وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقالت لجبرئيل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » .

وأخرج ابن مردويه من طريق محمد عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى سدره المنتهى رأى فراشا من ذهب يلوذ بها » ^(٢) .

وأخرج ابن مردويه من طريق أبى هاشم عن أنس قال كان « رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسرى به ريحه عروس وأطيب من ريح عروس » ^(٣) .
وأخرج البزار من طريق قتادة عن أنس « أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل » ^(٤) .

(١) هذا امر يكاد يكون كاجمع عليه أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء .

(٢) لم يرد هذا فى شيء من الروايات الصحيحة عن أنس ولـكن ورد وصف السدره بأن نبقها كقلال هجر وأن أوراقها كآذان الفيلة نعم روى الإمام أحمد عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى (إذ يغشى السدره ما يغشى) قال فرائش من ذهب .

(٣) معلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الطيب ويكثر من التطيب فما دخل الإسراء فى هذا وأنس لم يشهد حادث الإسراء حتى يعرف تبدل حاله عليه السلام بعد الإسراء ولـكن يأبى المؤلف إلا أن يذكر كل ما نسب إلى أنس مما يتعلق بالإسراء ولو اكتفى بالصحيح كان أجمل به واليق .

(٤) جزم ابن كثير بأن أحدا من الصحابة لم يقل بالرؤية البصرية وروى عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين ثم قال « ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح فى ذلك شيء عن الصحابة رضى الله عنهم وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر . والله أعلم .

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور في سننه والبزار والبيهقي وابن مردويه وابن عساكر من طريق الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل فوكرني بين كتفي فقمتم إلى شجرة فيها كوكري الطائر فقمتم في أحدها وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست ، فالتفت إلى جبرئيل كأنه حلس لاطيء فعرفت فضل علمه بالله وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحى ». قال البيهقي هكذا رواه الحارث ابن عبيد ^(١) ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملا من أصحابه فجاء جبرئيل فنكت في ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطائر فقمتم في أحدها وقعد جبرئيل في الآخر فشأت بنا ^(٢) حتى بلغت الأفق فلو بسطت يدي إلى السماء لنتها فدل بسبب وهبط النور فوق جبرئيل مغشياً عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلي نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ؟ وإلى الجنة ما أنت فأوحي إلى جبرئيل وهو مضطجع أن تواضع قلت : لا نبياً عبداً . قال الحافظ عماد الدين بن كثير هذه واقعة أخرى غير قصة الإسراء .

(١) قال ابن كثير « الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الإبادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه . وقال : ليس هو بشيء . وقال الإمام أحمد : مضطرب الحديث وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد .

فهذا الحديث من غرائب رواياته فإن فيه نكارة وغبابة ألفاظ وسباقا عجيبا ولعله منام والله أعلم » اهـ .

(٢) يعني علت وممت .

﴿ حديث أبي بن كعب ﴾ ستأتي الإشارة إليه عقب حديث أبي ذر

أخرج ابن مردويه من طريق عبيد بن عمير عن أبي^(١) بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أمرى بي رأيت الجنة من درة بيضاء قلت : يا جبرئيل إنهم يسألوني عن الجنة قال . فأخبرهم أن أرضها قيعان وتراها المسك » .

وأخرج ابن مردويه من طريق قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليلة أسرى بي وجدت ريحاً طيبة فقلت يا جبرئيل ماهذه ؟ قال هذه الماشطة وزوجها وابنتها بينا هي تمشط ابنة فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس فرعون فأخبرت أباها فقتلها^(٢) .

﴿ حديث بريدة ﴾

أخرج الترمذى والحاكم وصححه وأبو نعيم وابن مردويه والبخاري عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسرى بي فأتى جبرئيل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع إصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق »^(٣) .

(١) قال العافظ في أطراف المسند أنه وقع فيه تحريف وكان في الأصل عن أبي ذر فسقط من النسخة لفظ ذر فظن أنه أبي فادرج في مسند أبي بن كعب غلطاً . قلت . أنه الدارقطى في الملل الوهم فيه من أبي ضمرة أنس بن عياض وقال بن كثير رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة .

(٢) وكذلك رواه ابن كثير عن البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم يذكر أبي بن كعب وقال في آخره : إسناد لا بأس به ولم يخرجوه .

(٣) قال ابن كثير « ثم قال البخاري لا نعلم رواه عن الزبير بن جندادة إلا أبو نعيم ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذى في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به . وقال غريب .

﴿ حديث جابر ﴾

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كذبتني قریش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » ^(١).

وأخرج ابن مردويه والطبرانی في الأوسط بسند صحيح عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على الملائكة الأعلى فإذا جبرئيل كالحلس البالي من خشية الله » .

﴿ حديث حذيفة بن اليمان ﴾

أخرج أحمد وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم وصححه والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن حذيفة أنه حدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال « ما زلت أرى البراق حتى فتحت له أبواب السموات فرأى الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عاد » . ولفظ ابن مردويه فأرى ما في السموات وأرى ما في الأرض . قيل له : أي دابة البراق ؟ قال دابة طويلة أبيض خطوه مد البصر ^(٢) .

(١) أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به وكذلك رواه الإمام أحمد عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم روى الحديث .

(٢) ولفظ الحديث عند أحمد عن عاصم عن زر بن حبیش قال « أتيت على حذيفة بن اليمان وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول فانطلقنا حتى أتينا على بيت المقدس فلم يدخله قال قلت بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدري =

﴿ حديث سمرة ﴾

أخرج ابن مردويه عن سُمَرَةَ بن جُنْدَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أُسرى بي رجلاً يسبح في نهر يلثم الحجارة فسألت من هذا ؟ فقيل لي هذا آكل الربا » (١) .

﴿ حديث سهل بن سعد ﴾

أخرج ابن عساکر عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أُسرى بي جبرئيل سمعت تسبيحاً في السموات العلى فرجف فؤادي ما أصحك قال قلت أنا زرين حبيش قال فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ ؟

قال : قلت القرآن يخبرني بذلك قال : فمن تكلم بالقرآن فليح اقرا . قال فقلت « سبعان الذي أُسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » قال يا أصلي هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بدئهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال ويحدثون أنه ربطه لا يفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه وما أثبتته غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربط الهابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مقدم على قوله والله أعلم بالصواب » .

(١) الذي جاء في رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي وفي رواية أبي هريرة عند ابن أبي حاتم « فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خرق قول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطشونهم قال فسمعتهم يضحون إلى الله قال قلت يا جبريل من هؤلاء .

قال هؤلاء من أمثلك « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس » وهذا اللفظ أبي سعيد .

فقال جبرئيل تقدم يا محمد ولا تخف فإن اسمك مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله» (١) .

﴿ حديث شداد بن أوس ﴾

أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي وصححه البزار والطبراني وابن مردويه عن شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ قال : « صليت لأصحابي العتمة بمسكة مُعْتَمًا فَأَتَانِي جِبْرِئِيلُ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ فَقَالَ : فَاسْتَصْعَبَ عَلَيَّ فَرَأَازَهَا (٢) بِأَذْنِهَا ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهَا فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا يَقَعُ حَافِرُهَا حَيْثُ أَدْرِكُ طَرَفَهَا حَتَّى بَلَغْنَا أَرْضًا ذَاتَ نَخْلٍ فَأَنْزَلَنِي فَقَالَ صَلْ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ رَكِبْنَا فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتُ ؟ قُلْتُ لَا قَالَ صَلَّيْتُ بِبَثْرَبَ ، صَلَّيْتُ بِطَبِيَّةَ ، فَانْطَلَقْتُ تَهْوِي بِنَا ثُمَّ بَلَغْنَا أَرْضًا فَقَالَ انْزِلْ فَنَزَلْتُ ثُمَّ قَالَ صَلْ فَصَلَّيْتُ ، ثُمَّ رَكِبْنَا فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتُ ؟ قُلْتُ لَا قَالَ صَلَّيْتُ عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَى ثُمَّ بَلَغْنَا أَرْضًا بَدَتْ لَنَا قُصُورٌ قَالَ انْزِلْ فَنَزَلْتُ فَقَالَ صَلْ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ رَكِبْنَا فَقَالَ أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتُ ؟ قُلْتُ لَا قَالَ صَلَّيْتُ بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وَلَدَ عِيسَى ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ مِنْ بَابِهَا الثَّانِي ، فَأَتَى قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ فَرَبَطَ فِيهِ دَابَّتَهُ وَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ مِنْ بَابٍ فِيهِ تَمِيلُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَصَلَّيْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ وَأَخَذَنِي مِنَ الْعَطَشِ أَشَدَّ مَا أَخَذَنِي قَطٌّ فَأَتَيْتُ بِإِنَاءٍ بَيْنَ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ عَسَلٌ أُرْسِلَ إِلَى بِهِمَا جَمِيعًا فَعَدَلْتُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتُ حَتَّى قَرَعَتْ بِهِ جِيفِي وَبَيْنَ يَدَيَّ شَيْخٌ مَتَكِّءٌ عَلَى مَنْبَرٍ لَهُ فَقَالَ أَخَذَ صَاحِبُكَ الْفَطْرَةَ إِنَّهُ كَيْهْدِي ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا الْوَادِي الَّذِي فِيهِ الْمَدِينَةُ فَإِذَا جَهَنَّمُ تَنَكَّشَفَ عَلَى مِثْلِ الزَّرَابِيِّ

(١) لقد ذهبنا مرارا على كذب مثل هذه الأحاديث والعجب أن يرجف فؤاده من التسبيح وكان حقه أن يسكن ويطمئن .
(٢) قال في النهاية « اختبرها » .

قلت يا رسول الله كيف وجدتها؟ قال مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فمررنا
بغير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بغيراً لهم، قد جمعه فلان فسلمت عليهم
فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر
فقال يا رسول الله أين كنت الليلة؟ فقد التمسك في مظانك فقال علمت أني
أتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي قال ففتح لي
صراطاً كأنني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه قال أبو بكر أشهد أنك
رسول الله فقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس
الليلة . فقال إن من آية ما أقول لكم إنني مررت بغير لكم بمكان كذا وكذا
قد أضلوا بغيراً لهم فجمعه فلان وأن مسيرهم ينزلون بكذا وكذا ويأتونكم يوم
كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسيح^(١) أسود وغرارتان سوداوان فلما
كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريباً من نصف النهار أقبلت
الغير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم «^(٢)» .

﴿ حديث صحيح ﴾

أخرج الطبراني وابن مردويه عن صهيب بن سنان قال : « لما عرض علي

(١) المسح بكسر فسكون البلاس يقعد عليه والكساء يتخذ من شعر وهو من
ثياب التشف .

(٢) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « وقد روى هذا الحديث بطوله
الإمام أبو عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم
ابن العلاء الزبيدي به .

ولا شك أن هذا الحديث أعني الحديث الماروي عن شداد بن أوس مشتمل على
أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم
وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم « اهـ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الماء ثم الخمر ثم اللبن أخذ اللبن فقال له جبرئيل أصبت أخذت الفطرة وبه غذيت كل دابة ولو أخذت الخمر غويت وغوت أمتك وكنت من أهل هذه وأشار إلى الوادي الذي فيه جهنم فنظر إليه فإذا هو نار تلتهم ^(١).

﴿ حديث ابن عباس ﴾

أخرج أحمد وأبو نعيم وابن مردويه بسند صحيح من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : « ليلة أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة فسمع في جانبها وجساً ^(٢) فقال يا جبرئيل ما هذا ؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت كذا وكذا فلقية موسى فرحب به وقال مرحباً بالنبي الأمي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقها فقال من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا موسى فمضى فلقية شيخ جليل متهيب فرحب به وسلم عليهم وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا عاقر الناقة فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه فلما انصرف جرى بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القدح أصبت الفطرة » ^(٣).

(١) ما رواه هنا عن صهيب رضي الله عنه أمر ثابت في معظم روايات الإسراء بدون هذه الزيادة الأخيرة وهي قوله وكنت من أهل هذه الخ .

(٢) صوتاً خفياً .

(٣) قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث « إسناده صحيح ولم يخرجوه » .

وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو نعيم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال «أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبغيرهم فقال ناس نحن لانصدق محمدًا بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل. وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمراً وزبدًا وتزقوا ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال رأيت في لمانيا^(١) أقر هجاناً^(٢) إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعره أغصان شجرة ، ورأيت عيسى أبيض جعد الرأس^(٣) حديد البصر مبطن الخلق^(٤) ورأيت موسى أسحج آدم^(٥) كثير الشعر شديد الخلق . ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى إرب^(٦) منه إلا نظرت إليه منى حتى كأنه صاحبكم قال جبرئيل سلم على أبيك فسلمت عليه»^(٧) .

وأخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما جعلنا

(١) يعنى ضخماً عظيم الجثة .

(٢) الهجان من كل شيء خياره وخالصة .

(٣) فى شعره تسكسر .

(٤) أى ضامر البطن .

(٥) أسحج شديد السمرة .

(٦) أى عضو .

(٧) قال ابن كثير «ورواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال

وهو ابن حبان به وهو إسناده صحيح» .

الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به (١) .

وأخرج الشيخان من طريق قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله قال (فلا تكن في مرية من لقائه) فكان قتادة يفسرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لقي موسى » (٢) .

وأخرج أحمد والنسائي والبخاري والطبراني والبيهقي وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بي مرت بي راحة طيبة فقلت ما هذه الراحة؟ قالوا ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط مشطها من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي؟ قالت ربي هو ربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبي؟ قالت نعم. فدعاها فقال ألك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها للثقي فيها وأولادها فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال قعي يا أمه ولا تقاعسي (٣) فإنك على الحق قال وتكلم أربعة

(١) قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) قال ابن كثير رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان وأخرجه من حديث شعبة عن قتادة مختصراً « اه
(٣) ولا تتأخري .

وهم صفار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم» (١) .

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبزار والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح من طريق زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة فظفت^(٢) وعرفت أن الناس مكذبى فقمعت معتزلاً حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟ قال نعم قال وما هو قال « إني أسرى بي الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟ قال نعم فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يحجده الحديث إن دعا قومه إليه قال رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتني ؟ قال نعم قال هيا يا معشر بني كعب بن لؤى . فانتفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أسرى بي الليلة قالوا إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس . قالوا ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟ قال نعم قال فمن بين مصفق ، ومن بين وضع يده على رأسه متعجباً قالوا وتستطيع أن تنعت المسجد ؟ وفي القوم من قد سافر إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت فحىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقيل فنعتته وأنا أنظر إليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب » (٣) .

-
- (١) قال ابن كثير « إسناده لا بأس به ولم يخرجوه » .
 (٢) يقال « فظف فلان بالأمر ومن الأمر إذا هاله الأمر فلم يثق بأن يطيقه » .
 (٣) قال ابن كثير « وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي حميلة وهو الأعرابي به وراه البيهقي من حديث النضر بن شمير وهوذة عن عوف وهو ابن أبي حميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات .

وأخرج ابن مردويه من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت ليلة أسرى بي على إبراهيم عليه السلام فقال : يا محمد ، أخبر أمتك أن الجنة قيعان ^(١) وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(٢) .

وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي والنبيين معهم الرهط ، والنبي والنبيين معهم القوم ، والنبي والنبيين ليس معهم أحد حتى مرَّ سواد عظيم فقلت من هذا ؟ قيل موسى وقومه ، ولكن ارفع رأسك فانظر فإذا سواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب وذا الجانب ، فقيل لي : هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء من أمتك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ^(٣) .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على موسى وهو قائم يصلي في قبره » ^(٤) .

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال : « فرض الله على نبيه الصلاة خمسين

(١) جمع قاع وهو الأرض للمستوية .

(٢) قال في المعارف : عن شهر بن حوشب إنه ضعيف الحديث .

(٣) هذا الحديث متفق عليه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ولكن ليس فيه أن ذلك كان ليلة أسرى به . ولفظ الحديث كما رواه النووي في « رياض الصالحين » عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على الأمم فראيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » الخ الحديث

(٤) قد مر هذا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه .

صلاة فسأل ربه فجعلها خمس صلوات» (١) .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما أسرى بي انتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها أمثال القلال » (٢) .

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربي عز وجل » (٣) .

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول :
« إن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده » (٤) .

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال : « نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة فقلت
له نظر محمد إلى ربه ؟ قال نعم جعل الكلام لموسى والخلعة لإبراهيم والنظر لمحمد
صلى الله عليه وسلم » (٥) وأخرجه البيهقي في (كتاب الرؤية) بلفظ « إن الله
اصطفى إبراهيم بالخلعة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً بالرؤية » وأخرجه
بلفظ « أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد
صلى الله عليه وسلم » ؟

(١) هذا أمر اتفقت عليه سائر الروايات .

(٢) هذا أمر ثابت في الصحيحين من حديث قتادة في رواية أنس بن مالك عن

مالك بن صعصعة .

(٣) سبق الكلام في مسألة الرؤية فلا نعيد .

(٤) بل الثابت عنه أنه قال رآه بفؤاده مرتين وقد قال ابن كثير من روى

عن ابن عباس أنها رؤية بالبصر فقد أغرب .

(٥) هذا حديث لا يصح عن ابن عباس وهو معارض لما رواه عكرمة وغيره

عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده ويبدو أنه من كلام كعب الأحبار فقد روى عنه ابن
كثير أنه قال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلام موسى مرتين ورآه
محمد مرتين .

وأخرج مسلم عن ابن عباس في قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى)
هو لقد رأى نزلة أخرى) وقال رأى بفؤاده مرتين .

وأخرج ابن مردويه بسند واه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثني الله ليلة أسرى بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يحييوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس » .

حديث ابن عمر

أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسرى به إلى السماء أوحى إليه بالأذان فنزل به فعلمه جبرئيل » ^(١) .

وأخرج أبو داود والبيهقي عن ابن عمر قال : « كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة » ^(٢) .

حديث ابن عمرو

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فقال « أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة » ^(٣) .

(١) هذا معارض لما هو متفق عليه من أن مشروعية الأذان كانت بالدين .

(٢) أما الصلاة فأمر متفق عليه وأما ما وراء ذلك فلا دليل عليه .

(٣) وروى موسى بن عقبة عن الزهري مثل ذلك وهو مذهب عمرو وقال

السدي كان قبل الهجرة بستة عشر شهرا كما ذكر المؤلف .

وأخرج البيهقي عن ابن شهاب قال : « أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة » .

وأخرج البيهقي عن عروة مثله .

وأخرج عن السدي قال « أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مهاجره بستة عشر شهراً » .

حديث ابن مسعود

وأخرج مسلم من طريق مرة الهمداني عن ابن مسعود قال : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته إلى سدرة المنتهى وإليها ينتهى ما يصعد به . « وفي لفظ . « ما يعرج به من الأرواح حتى يقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها حتى يقبض (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال غشيها فرأى من ذهب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحجات » (١) .

وأخرج ابن عرفة في جزئه (٢) وأبو نعيم وابن عساكر من طريق

(١) وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن طريق الزبير بن عدي عن طلحة ابن مصرف عن مرة ثم قال وهذا الذي ذكره عبد الله بن مسعود طرف من حديث للعراج .

(٢) قال ابن عرفة « حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو طبيان الجني قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أهلك ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لابل حدثنا أنت عن أهلك فقال محمد لوسألتني قبل أن أسألك لعلك . قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث عن أبيه » .

أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِئِيلُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبِغْلِ لِحِمْلِي عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَهْوِي بِنَا كُلَّمَا صَعِدَ عَقَبَةً اسْتَوَتْ رِجْلَاهُ كَذَلِكَ مَعَ يَدَيْهِ ، وَإِذَا هَبَطَ اسْتَوَتْ يَدَاهُ مَعَ رِجْلَيْهِ حَتَّى مَرَرْنَا بِرَجُلٍ طَوَالَ سَبْطِ آدَمَ ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ وَهُوَ يَقُولُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ أَكْرَمْتَهُ وَفَضَلْتَهُ فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ فَسَلَمْنَا فَرَدَ السَّلَامَ فَقَالَ : مَنْ هَذَا مَعَكَ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ . هَذَا أَحْمَدُ ، قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ الَّذِي بَلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِأَمَّتِهِ ، ثُمَّ انْدَفَعْنَا فَقُلْتُ مَنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ، قُلْتُ : وَمَنْ يَعَاتِبُ ؟ قَالَ : يَعَاتِبُ رَبَّهُ فَيْكَ ، قُلْتُ : وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى رَبِّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَرَفَ لَهُ حَدَّثَهُ ، ثُمَّ انْدَفَعْنَا حَتَّى مَرَرْنَا بِشَجَرَةٍ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الشَّرْجُ تَحْتَهَا شَيْخٌ وَعِيَالُهُ فَقَالَ لِي جِبْرِئِيلُ اعْمُدْ إِلَى أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ فَسَلَمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَ السَّلَامَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : مَنْ هَذَا مَعَكَ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ أَحْمَدُ ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِنَبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي بَلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِأَمَّتِهِ يَا بَنِي إِنْكَ لَأَقْرَبُكَ اللَّيْلَةَ وَإِنْ أَمْتِكَ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتِكَ كُلِّهَا أَوْ تُجَلِّهَا فِي أَمْتِكَ فَافْعَلْ ، ثُمَّ انْدَفَعْنَا حَتَّى اتَّهَيْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَزِلْتُ فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي فِي بَابِ الْمَسْجِدِ الَّتِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَرْتَبِطُ بِهَا ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَعَرَفْتُ النَّبِيِّينَ مِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ ثُمَّ أَتَيْتُ بِكَأْسَيْنِ مِنْ عَسَلٍ وَلَبَنٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرَبْتُ فَضَرَبَ جِبْرِئِيلُ مَنْكَبِي حَتَّى أَصَبْتُ الْفَطْرَةَ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَّمْتُهُمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَأَقْبَلْنَا » (١) .

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ « إِسْنَادٌ غَرِيبٌ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيهِ مِنَ الْغَرَائِبِ سَوْالُ الْأَنْبِيَاءِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتِدَاءً ثُمَّ سَوْالُهُ عَنْهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِهِ وَالْمَشْهُورُ فِي الْمَسَاحِكِ كَمَا تَقْدُمُ أَنَّ جِبْرِئِيلَ كَانَ يَعْلَمُهُمْ أَوْ لَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ مَعْرِفَةٌ .

وَفِيهِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَبْلَ دُخُولِهِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ بِهِمْ فِي السَّمَوَاتِ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَانِيًا ، وَهِيَ مَعَهُ وَصَلَى بِهِمْ =

وأخرج أحمد وابن ماجه وسعيد بن منصور والحاكم وصححه من طريق
 مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة
 أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى
 إبراهيم فقال : لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال : لا علم لي بها فردوا
 أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها^(١) فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربي
 أن الدجال خارج ومعى قضبان فإذا رأي ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه
 الله إذا رأي حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله
 فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج
 ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه
 ولا يمرون على ماء إلا شربوه ، ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فادعو الله عليهم
 فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى^(٢) الأرض من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجرف
 أجسادهم حتى ينفذهم في البحر ففيا عهد إلى ربي أن ذلك إذا كان كذلك أنه
 الساعة كالحامل المئتم^(٣) لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً^(٤) .
 وأخرج البزار وأبو يعلى والحاثر بن أبي أسامة والطبراني وأبو نعيم وابن

فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم . قلت : بل كانت صلاته بهم
 في بيت المقدس قبل عروجه إلى السماء ولكنه لم يعرفهم لكثرتهم فلما عرج به التقى
 بهم هناك كل على حدة .

(١) أى وقوعها .

(٢) يفسد جوها .

(٣) أى التى تمت أشهر حملها .

(٤) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن
 سجادة عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن
 العوام وهو ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرظ أخى عبد الله بن قرظ التميمي .

عساكر من طريق علقمة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت بالبراق فركبته ، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يده فصار بنا في أرض غمة ^(١) منتنة ، ثم أفضينا إلى أرض فيحاء طيبة فسألت جبرئيل قال تلك أرض النار وهذه أرض الجنة فأتيت على رجل قائم يصلي فقال : من هذا يا جبرئيل معك ؟ قال أخوك محمد فرحب ، ودعا لي بالبركة وقال سل لأمتك اليسر فقلت من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أخوك عيسى فسرنا فسمعت صوتاً وتذمراً ، فأتينا على رجل فقال من هذا معك ؟ قال هذا أخوك محمد ، فسلم ودعا لي بالبركة ، وقال سل لأمتك اليسر ، قلت من هذا يا جبرئيل ؟ قال هذا أخوك موسى ، قلت على من كان تذمره ؟ قال على ربه ، قلت أعلى ربه ؟ قال نعم قد عرف حدثه ، ثم سرنا فرأيت مصابيح وضوءاً فقلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال هذه شجرة أبيك إبراهيم أدن منها ، فدنوت منها فرحب ودعا لي بالبركة ، ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فشرحت لي الأنبياء من سمي الله ، ومن لم يسم فصليت بهم إلا هؤلاء الثلاثة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى » ^(٢) .

وأخرج الترمذي وحسنه وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد أقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) أي ذات حر .

(٢) هذا السياق قريب من سياق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وقد ذكرنا ما فيه من الترايب .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (١) .

وأخرج مسلم من طريق زرّ عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ . قال رأى جبرئيل له ستائة جناح (٢) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق زرّ عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبرئيل عند سدرة المنتهى له جناح ينتثر من ريشه تهاويل (٣) الدروياقوت .

وأخرج البخاري من طريق علقمة عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال رأى رفرقاً أخضر (٤) قد ملاً الأفق .

حديث عبد الله بن أسعد بن زرارة

أخرج البزار وابن قانع وابن عدي عن عبد الله بن أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليلة أسرى بي انتهيت إلى قصر من لؤلؤة فراشه ذهب يتلألاً نوراً وأعطيت ثلاثاً أنك سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين» (٥) . وأخرجه البغوي وابن عساكر بلفظ «أسرى بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب .

(١) وكذلك رواه ابن كثير في تفسير الباقيات الصالحات عن أبي أيوب الأنصاري بلفظ «مرأيتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، فقلت وما غراس الجنة ؟ قال لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) وفي بعض الروايات سد بها الأفق .

(٣) التهاويل الأشياء المختلفة الألوان .

(٤) الرفرق كسر الحباء وجانبه أو ما تدلى منه وكل ما فضل ثنى من الفرس

والوسائد والبسط والرقيق من ثياب الديباج .

(٥) لاشك أن أمارات الوضع لائحة على هذه الرواية وإن كان ما تضمنته

جميعاً فهو بلا ريب سيد المرسلين الخ .

حديث عبد الرحمن بن قرط الثمالي

أخرج سعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى ، كان بين المقام وزمزم جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى ، فلما رجع قال سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقاً من ذى العلو بما علا سبجان العلى الأعلى سبحانه وتعالى ^(١) .

حديث علي بن أبي طالب بكرم الله وجهه

تقدم ذكره في أول الكتاب في الأذان من طريق الحسين عن أبيه ^(٢) . وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن الحنفية قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء فأتى إلى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكاً ، فقام من السماء مقاماً ما قامه ، قبل ذلك قيل علمه الأذان ، فقال الملك الله أكبر الله أكبر ، فقال الله صدق عبدى أنا الله الأكبر ، فقال : الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقال الله صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، فقال : الملك : أشهد أن محمداً رسول الله فقال الله صدق عبدى أنا أرساته وأنا اخترته وأنا أئتمنه فقال حى ^(٣) على الصلاة ، فقال الله صدق عبدى دعا إلى فريضتى وحقى ، فن

(١) قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة ، حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط ، وهو تابعى ، فالحديث مرسل .

(٢) لقد نهينا هناك على أن هذا الحديث باطل لمعارضته الأحاديث الصحيحة المتفق عليها .

(٣) هى اسم فعل أمر بمعنى أقبل .

أناها محتسبا كانت كفارة لكل ذنب ، فقال الملك : حى على الفلاح ، فقال الله : صدق عبدى أنا أقمت فريضتها وعدتها ومواقبتها ، ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فتقدم فأمر أهل السماء فتم له شرفه على سائر الخلق « (١) » .

وأخرج ابن مردويه من طريق زيد بن على عن آبائه عن على « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الأذان ليلة أسرى به وفرضت عليه الصلاة » .

وأخرج ابن مردويه عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامرت على ملاء من الملائكة ليلة أسرى بى إلا قالوا مر أمتك بالحجامة » (٢) .
وأخرجه أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه مثله من حديث ابن عباس .

حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أخرج أحمد عن عبيد بن آدم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، فقال لكعب أين ترى أن أصلى ؟ قال خلف الصخرة قال لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى (٣) .

(١) هو نفس الحديث السابق والكلام فيه كالكلام فيه ولا يتوقف شرفه عليه السلام على سائر الخلق على أن يؤمر أهل السماء فإن شرفه ثابت بكمال عبوديته وعظيم جهاده وإخلاصه ومكارم أخلاقه التي لم يلحق شأوه فيها أحد ، ومثل هذه الأحاديث في الأغلب من وضع الشيعة على أئمتهم وإلا فعلى رضى الله عنه لا يجهل أن الأذان إنما شرع بالمدينة كما انفقت على ذلك كل الأحاديث الصحيحة .

(٢) قال المقدسى فيه شافع أبو هريرة متروك الحديث .

(٣) روى أن عمر قال لكعب حين أشار عليه بالصلاة خلف الصخرة ضاهيت اليهودية لأن اليهودية يعظمون الصخرة ويصلون إليها وروى أنه بعدما صلى جاء

وأخرج ابن مردويه عن عمر قال « لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى مالكا خازن النار ، فإذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه »^(١)
وأخرج ابن مردويه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمر
ابن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صليت ليلة أسرى بي
في مقدم المسجد ثم دخلت إلى الصخرة فإذا ملك قائم معه آنية ثلاث فتناولت
العسل فشربت منه قليلا ، ثم تناولت الآخر فشربت منه حتى رويت ، فإذا
هو لبن ، فقال اشرب من الآخر ، فإذا هو خمر ، قلت قد رويت ، قال أما إنك
لو شربت من هذا لم تجتمع أمتك على الفطرة أبدا ثم انطلق بي إلى الساء ففرضت
على الصلاة ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها الآخر^(٢) .

حديث مالك بن صعصعة

أخرج أحمد والشيخان وابن جرير من طريق قتادة عن أنس أن مالك
ابن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال
بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول
لصاحبه الأوسط بين الثلاثة فأتاني فشق ما بين هذه إلى هذه - يعني من ثغرة

= فبسط رداءه وكفّس الكناسة في رداءه وكفّس الناس . وبذلك لم يعظم الصخرة
تعظيم اليهود فيصلي إليها وهي بين يديه ولم يهينها إهانة النصارى الذين كانوا قد
جعلوها مزبلة من أجل أنها قبله اليهود .

(١) جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ، فقال له
مالى كما جئت أهل سماء رحبوا بي وضحكوا إلى إلا رجلا واحداً رحب بي ولكنه لم
يضحك قال له جبريل ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقت ولو ضحك إلى
أحد اضحك إليك .

(٢) لم تكن خديجة رضى الله عنها موجودة ليلة الأسراء بل كانت قد ماتت
قبلها بنحو من سنتين هي وأبو طالب ماتا في السنة العاشرة من المبعث وكانت
الإسراء في الثانية عشرة أى قبل الهجرة .

تحوّره إلى شعرته ، فاستخرج قلبي فأثيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة
ففسل قلبي ثم حشّى ثم أعيد ثم أثيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه
عند أقصى طرفه ، فحملت عليه فانطلق بي جبرئيل حتى أتى بي إلى السماء الدنيا
فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل
إليه ؟ قال نعم قبل : مرحباً به ولنعم الحجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها
آدم قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالإبن
الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل
قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قال مرحباً به ولنعم
الحجيء جاء ففتح فلما دخلت فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى
وعيسى فسلم عليهم فسلمت فردا السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ،
ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن
معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال مرحباً به ولنعم الحجيء
جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ
الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا ؟
قال جبرئيل قبل ومن معك ؟ قال محمد . قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل
مرحباً به ولنعم الحجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إدريس فسلمت عليه فرد
السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة
فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل
إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولنعم الحجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون فسلمت
عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد حتى أتى
السماء السادسة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن معك ؟ قال محمد
قبل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولنعم الحجيء جاء ففتح فلما
خلصت إذا أناس فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى

الصالح فلما تجاوزته بكى قيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى
يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم صعد حتى أتى السماء السابعة
فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل
إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم الحجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم
قال هذا إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح
والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها
مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران
ظاهران فقلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران
فالنيل والفرات ^(١) قال ثم رفع لى البيت المعمور « قال . قتادة وحدثنا الحسن
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل
يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه . ثم رجع إلى حديث أنس قال ثم
أتيت ^(٢) بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن قال هذمه
الفطرة التى أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة خمسين صلاة كل يوم فنزلت
حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة كل

(٢) يشكر بعض الناس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للنيل والفرات عند سدرة
المنتهى كما فى هذه الرواية أو فى السماء الدنيا كما فى رواية أخرى وذلك لأنهما نهران
فى الأرض قد عرف منبهما ومصبهما وليكن مادامت الرواية قد صحت بذلك
ما فيها إلى رد الخبر بل يحمل ذلك على أنهما خصا من بين سائر الأنهار الأكثرة
ولا سبيل من المنافع والحيرت .

وقد جاء فى بعض الروايات أنه رأى عنصرهما أى أصلها وبالجملة فيجب تفويض
مثل ذلك إلى الله عز وجل .

(١) ظاهر هذا أنه أتى بالآية الثلاثة فى السماء وقد ورد فى بعض الروايات الصحيحة
أن ذلك كان فى الأرض بعد خروجه من بيت المقدس قبل المروج

يوم قال إن أمتك لا تستطيع ذلك وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك^(١) فأسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشر^(٢) فرجعت إلى موسى فقلت وضع عنى عشر^(٣) قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت فوضع عنى عشر^(٤) أخرى فرجعت إلى موسى فقلت وضع عنى عشر^(٥) أخرى قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فلم أزل أرجع حتى أمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فقلت قد سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم فنناداني مناد فجد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي^(٦) .

حديث أبي أيوب

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم سر أمتك فليكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم . وما غراس الجنة ؟ قال لا حول ولا قوة إلا بالله^(١) . »

(١) هذا صريح في أن الله تعالى في السماء فوق عرشه وهو مادلت عليه الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة والصحيحة وينكر ذلك الجهمية اللغاة تعالى على الله عن قولهم علوا كبيرا .

(٢) في بعض الروايات أن الله وضع عنه خمسا وخمسا فتكون لمرجة على هذا تسع مرات

(٣) معنى هذا كما ورد في بعض الروايات أنها جعلت خمسا في الفعل ومع ذلك

خلت خمسين أي في الأجر فإن كل صلاة بعشر صلوات .

(٤) ورد في الصحيح عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ألا

تأدبك على كنز كنوز الجنة ؟ قال لا حول ولا قوة إلا بالله .

حديث أبي حبة يأتي في أثناء حديث أبي ذر

حديث أبي الحمراء

أخرج الطبراني وابن قانع وابن مردويه عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بي إلى السماء السابعة فإذا على ساق العرش الأيمن لا إله إلا الله محمد رسول الله »^(١).

حديث أبي ذر

أخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهري عن أنس قال « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبرئيل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ستملئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جئت إلى السماء قال جبرئيل لخازن السماء افتح قال من هذا ؟ قال جبرئيل ، قال هل معك أحد ؟ قال نعم معي محمد قال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا وإذا رجل قاعد على يمينه أسودة^٢ وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبرئيل من هذا ؟ قال آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيت في أهل اليمن هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح . فقال له : خازنها مثل ما قال الأول . ففتح ، قال أنس : فذكر

(١) قد نهينا مراراً على عدم صحة مثل هذه الأحاديث .

(٢) أى أشخاص .

أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم»^(١). قال الزهري فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام»^(٢) قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقرض الله على أمي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فقال هي خمس وهن خمسون»^(٣) لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استجيت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي وأدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ^(٤) اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»^(٥). وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه وابن عساكر من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي بن كعب مثله سواء حرفا بحرف، فعده جماعة من مسند أبي بن كعب. وذكر الحافظ ابن حجر: أنه وقع فيه تحريف وأنه كان في الأصل عن أبي ذر

-
- (١) وقد جاءت الروايات الصحيحة ببيان ذلك في الأولى آدم وفي الثانية يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور الخ.
- (٢) أي صوتها عند الكتابة.
- (٣) هنا اختصار فإن ذلك قيل له عند المراجعة الأخيرة.
- (٤) جمع جنبذة وهي المرتفع من كل شيء وماعلا من الأرض واستدار وفي بعض الروايات وفيها جبال اللؤلؤ.
- (٥) رواه البخاري في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني إسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به.
- ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان منه عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه.

فسقط من النسخة لفظة: ذر فظن أن أبي أتيًا فأدرج في مسند أبي بن كعب غاطًا
والله أعلم .

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
رأيت ربك ؟ قال « رأيت نوراً أنى أراه »^(١) .

حديث أبي سعيد

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي
وابن عساكر من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه حدث عن ليلة أسرى به قال « بينما أنا نائم عشاءً في المسجد
الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً وإذا أنا بكهيفة خيال فأتبعته
بصرى حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدابة أدنى شبهه بدوابكم هذه بغالكم .
مضطرب الأذنين^(٢) يقال لها : البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلى ، يقع حافره
عند مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه إذ دعانى داع عن يمينى يا محمد أنظرنى
أسألك فلم أجبه ثم دعانى داع عن شمالى يا محمد أنظرنى أسألك فلم أجبه ، فبينما
أنا أسير عليه إذ أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة حلقتها
الله فقالت يا محمد أنظرنى أسألك فلم ألتفت إليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت
دابتي بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها بها ، أتانى جبريل يأنسني أحدهما خمر

(١) وكذلك رواه الإمام أحمد قال حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن
عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه
قال وما كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه ؟ فقال : إني قد سألته فقال
« قد رأيت نوراً أنى أراه » .

(٢) فى بعض النسخ « غير أنه مضطرب الأذنين »
(٢٧ - الخصائص الكبرى ١)

والآخر لبن فشربت اللبن وتركت الحمر ، فقال جبرئيل أصبت الفطرة ^(١) فقلت
الله أكبر الله أكبر ، فقال جبرئيل مارأيت في وجهك هذا؟ ^(٢) قلت بينما أنا أسير
إذ دعاني داع عن يميني يا محمد أنظرني أسألك فلم أجبه ، قال : ذاك داعي اليهود
أما إنك لو أجبته لتهودت أمتك قلت وبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري
يا محمد أنظرني أسألك فلم أجبه قال ذاك داعي النصارى ، أما إنك لو أجبته لتنصرت
أمتك ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها
الله تقول يا محمد أنظرني أسألك فلم أجبها ، قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها
لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ثم دخلت أنا وجبرئيل بيت المقدس فصلى
كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم تر
الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء
فإن ذلك عجب به بالمعراج فصعدت أنا وجبرئيل ، فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل
وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة
ألف ملك قال : قال الله تعالى ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ قال فاستفتح
جبرئيل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل
أو قد بعث إليه ؟ قال نعم ، فإذا أنا بآدم كهيته يوم خلقه الله على صورته تعرض
عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة فاجعلوها في عليين
ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها
في سجين ثم مضيت هنية فإذا أنا بأخونة عليها لحم نصيب ^(٣) ليس يقربه أحد
وإذا أنا بأخونة عليها لحم قد أروح وأنتن ، عندها أناس يأكلون منها قلت

(١) وفي بعض النسخ زيادة « أما إنك لو أخذت الحمر لغوت أمتك » .

(٢) أى في مسرك .

(٣) وفي بعض النسخ لحم مشرح .

يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء قوم من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة^(١) آل فرعون فتجىء السابلة فتطأهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشافهم كشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً. ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء معلقات بشديهن ونساء منسكسات بأرجلهن غسمتهن يضحجن إلى الله، قلت يا جبرئيل من هؤلاء النساء؟ قال هؤلاء من أمتك اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون، فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الهمازون من أمتك الهمازون، ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت يا جبرئيل من هذا؟ قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه، غسلت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيجي وعيسى^(٢) ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلمنا على، ثم صعدت إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانا عليا، فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف

(١) السابلة يقال للطريق المستوكة وللمارة فيها.

(٢) قد خالف هنا الروايات الصحيحة التي تقول إنه رأى يحيى وعيسى في الثانية.

ويوسف في الثالثة.

لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تضرب^(١) سرتيه من طولها قلت
يا جبرئيل من هذا ؟ قال هذا الحبيب في قومه هذا هارون بن عمران ومعه نفر
من قومه ، فسلمت عليه وسلم على ، ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى
ابن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لغذ شعره دون القميص ،
وإذا هو يقول يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله
منى ، قلت يا جبرئيل من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومعه نفر من
قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم
الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قالت يا جبرئيل من هذا ؟
قال هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على فقيل :
لى هذا مكانك ومكان أمك وإذا أنا بأمي شطرين شطر عليهم ثياب بيض .
كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رُمْدُ^(٢) فدخلت البيت المعمور ودخل
معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عابهم الثياب الرمْدُ ،
وهم على خير فصليت أنا ومن معى من المؤمنين فى البيت المعمور ثم خرجت
أنا ومن معى ، قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون
فيه إلى يوم القيامة ، ثم دفعت إلى سدرة المنتهى فإذا كل ورقة منها تكاد تعطى
هذه الأمة^(٣) وإذا فيها عين تجرى يقال لها السلسيل فينشق منها نهران أحدهما
النكوتر والآخر يقال له نهر الرحمة ، فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر
ثم إنى دفعت^(٤) إلى الجنة فاستقبلتنى جارية فقالت إن أنت يا جارية ؟ قالت

(١) وفى بعض الروايات تصيب .

(٢) يعنى لونها كالون الرماد وهى غبرة تضرب إلى البياض .

(٣) هذه مبالغة غير معقولة وفى زواية أس عن قتادة فى الصحيحين أنها

كأذان القبلة .

(٤) وفى بعض النسخ رفعت بالراء .

فلزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار
 من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وإذا رماها كأنه الدلاء^(١) وإذا
 أنا بطيرها كأنه بخثكم هذه ثم عرضت على النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره
 ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم غلقت دوني ثم إنى رفعت
 إلى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ونزل على
 كل ورقة ملك من الملائكة وفرضت على خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة
 عشر إذا هممت بالحسنة فلم تعملها ، كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك
 عشر وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فإن عملتها كتبت
 عليك سيئة واحدة ، ثم دفعت إلى موسى فقال بم أمرك ربك ؟ قلت بخمسين صلاة
 فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فرجعت
 إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي ، فإنها أضعف الأمم ، فوضع عني عشراً
 فما زلت أختلف بين موسى وربى^(٢) حتى جعلها خمساً ، فناداني ملك عندها تمت
 فريضتي وخففت عن عبادي ، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ، ثم رجعت إلى موسى ،
 فقال : بم أمرت ؟ قلت : بخمس صلوات قال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف
 لأمتك ، قلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييته ثم أصبح بمكة يخبرهم
 بالمعائب : أنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ثم رأيت كذا
 وكذا ، فقال أبو جهل : ألا تعجبون مما يقول محمد^(٣) ؟ قال : فأخبرتهم بغير

(١) وفي بعض الروايات « كأنه الدلاء عظما » بزيادة عظما .

(٢) تأمل هذا التعبير ودلالته الصريحة على علو الله فوق عرشه ، فسبعان العلى
 الأعلى الكريم الوهاب .

(٣) هنا سقط من قول أبي جهل « يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح
 فبيننا واحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفة شهراً فهذه مسيرة شهرين في
 ليلة واحدة » .

لقريش لما كنت في مصعدى رأيتها في مكان كذا وكذا وأنها نفرت ، فلما رجعت رأيتها عند العقبة وأخبرتهم بكل رجل وبغيره كذا وكذا ومتاعه كذا . فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس فكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ؟ فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كمنظر أحدنا إلى بيته فقال : بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من من الجبل كذا فقال صدقت» (١) .

وأخرج ابن مردويه من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بي مررت بالكوث فقال جبرئيل هذا الكوث الذي أعطاك ربك فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذخر» (٢) .

وأخرج من وجه آخر عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلى في قبره» (٣) .
وأخرج ابن مردويه من طريق علقمة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله

(١) قال ابن كثير بعد سياقته لهذه الرواية « وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطلوه عن محمد بن عبد الأعلى عبد محمد بن ثور عن معمر عن أبي هارون العبدى وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدى به . وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عتبة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز ابن عبد الصمد بن أبي هارون العبدى عن أبي سعد الحدرى فذكره بسياق طويل . حسن أثيق أجود مما ساق غيره على غرابته وما فيه من النكارة » اهـ .

(٢) مر هذا فيما أخرجه الشيخان من طريق شريك عن أنس وقد روى ابن كثير في تفسير سورة « الكوثر » أحاديث كثيرة عن أنس وغيره أن الكوثر نهر في الجنة حافتاه قباب الأولؤ المجوف . وروى عن ابن عباس أنه فسره بالحجر الكثير ولا تعارض .

(٣) تقدم هذا من حديث أنس وقد ذكرنا ما فيه من اضطراب .

صلى الله عليه وسلم : « رأيت إبراهيم ليلة أسرى بي وهو أشبه من رأيت بصاحبكم » (٤) .

حديث أبي مفيان

أخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي إلى قيصر وكتب إليه معه فلقية بجمص فدعا الترجمان فإذا في الكتاب : من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم فغضب أخ له وقال : تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسمائك قيصر صاحب الروم ولم يذكر لك ملكا ؟ قال له قيصر إنك والله ما علمت أحق صغيراً مجنون كبيراً تريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه فلعمرى لئن كان رسول الله كما يقول فبنفسه أحق أن يبدأ بها مني ، وإن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق ما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي . ثم قرأ قيصر الكتاب وقال : يامعشر الروم إني لأظن هذا الذي بشر به عيسى ابن مريم ولو أعلم أنه هو مشيت إليه حتى أخدمه بنفسى لا يسقط وضوءه إلا على يدي . قالوا : ما كان الله ليجعل ذلك في الأعراب الأميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب . قال : فاصل الهدى عندي بيني وبينكم الإنجيل ندعو به فنفتحه ، فإن كان هو إياه اتبعناه وإلا أعدنا إليه خواتمه كما كانت إنما هي خواتم مكان خواتم قال : وعلى الإنجيل يومئذ اثنا عشر خاتماً من ذهب ختم عليه هرقل فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر حتى ألفى ملك قيصر (٢) وعليه اثنا عشر خاتماً يخبر أولهم لآخرهم أنه لا يحل لهم أن يفتحوا الإنجيل في دينهم وأنه يوم يفتحونه

(١) وهذا ثابت أيضاً من حديث ابن عباس عند النسائي .

(٢) ليس قيصر اسم ملك من ملوك الروم وإنما هو لقب يلقب به كل من ملك الروم وقد كان الروم عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه هو هرقل نفسه .

يغير دينهم ويهلك ملكهم ، فدعا بالإنجيل ففض عنه أحد عشر خاتماً حتى بقي عليه خاتم واحد قامت إليه الشماسة والأساقفة والبطارقة فشقوا ثيابهم وصكروا وجوههم وتنفوا رؤسهم قال : مالكم ؟ قالوا : اليوم يهلك ملك بيتك ويتغير دين قومك ، قال : فاصل الهدى عندي ، قالوا : لا تعجل حتى تسأل عن هذا وتكاتبه وتنظر في أمره قال : فمن نسأل عنه ؟ قالوا قوماً كثيراً بالشام فأرسل يبتغي قوماً ليسألهم ، فجمع له أبو سفيان وأصحابه فقال : أخبرني يا أبا سفيان عن هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلم يألُ أن يُصغّر أمره ما استطاع ، قال : أيها الملك لا يكبر عليك شأنه إنا لنقول هو ساحر ، ونقول هو شاعر ونقول هو كاهن ، قال قيصر : كذلك والذي نفسي بيده كان يقال للأنبياء قبله أخبرني موضعه فيكم ! قال : هو أوسطنا سطة^(١) ، قال : كذلك يبعث الله كل نبي من أوسط قومه أخبرني عن أصحابه ، قال غلماننا وأحدث أسنانهم والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم أحد ، قال : أولئك والله أتباع الرسل ، أما الملأ والرؤوس فتأخذهم الحمية ، أخبرني عن أصحابه هل يفارقونه بعد ما يدخلون في دينه ؟ قال : ما يفارقه منهم أحد ، قال : فلا يزال داخل منكم في دينه ؟ قال : نعم ، قال : ما تريدونني عليه إلا بصيرة ، والذي نفسي بيده ليوشكن أن يغلب على ما تحت قدمي ، يامعشر الروم هاموا إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما عاد إليه ، ونسأله الشام أن لا يوطيء علينا أبداً ، فإنه لم يكتب قط نبي من الأنبياء إلى ملك من الملوك بدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه ثم يسأله غيرها مسألة إلا أعطاه مسألته ما كانت فأطيعوني . قالوا : لا نطاولك في هذا أبداً ، قال أبو سفيان والله ما يعنى من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقني حتى ذكرت قوله

(١) هو من الوسط بمعنى خيار الشيء وأعله .

ليلة أسرى به قلت : أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ؟ قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح قال وَبَطْرِيقُ إيلياء عند رأس قيصر ، قال البطريق : قد علمت تلك الليلة ، قال : فنظر قيصر وقال : ما علمك بهذا ؟ قال : إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أَغْلَقْتُ الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى ، فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرني كلهم ، فعالجته فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاوِل به جبلا فدعوت النجاعة فنظروا إليه فقالوا : هذا باب قد سقط عليه النجاف ^(١) أو البنيان فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى عليه ، فرجعت وتركته مفتوحاً ، فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب ، وإذا به أثر مربوط الدابة ، فقلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي وقد صلى الليلة في مسجدنا ، فقال قيصر : يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشركم به عيسى ؟ وهذا هو النبي الذي بشر به عيسى فأجيبوه إلى ما دعا إليه ، فلما رأى نفورهم قال : يا معشر الروم دعاكم مليكمكم يختبركم كيف صلابتكم في دينكم فشتتموه وسببتموه وهو بين أظهركم ، فغروا له سجداً ^(٢) .

(١) النجاف أسكفة الباب ومنه حديث « أي رب قدمي إلى باب الجنة فأكون تحت نجاف الجنة » .

(٢) وكذلك روى البخارى هذا الحديث عن ابن عباس يحدث به عن أبي سليمان واسكن بسياق آخر أحسن وأجود من هذا وليس فيه حكاية الباب الذي تمزقه مفتوحاً .

قال البخارى حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرنا عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن أبا سليمان ابن =

حديث أبي ليلي

وأخرج الطبراني في (الأوسط) وابن مردويه من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلي عن أخيه عيسى عن أبيه عبد الرحمن عن أبيه أبي ليلي «أن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله عليه بين يديه ، ثم جعل يسير به فإذا بلغ مكاناً مطاطاً^(١) طالت يده وقصرت رجلاه حتى يستوى به ، وإذا بلغ مكاناً مرتفعاً قصرت يده وطالت رجلاه حتى يستوى به ، ثم عرض له رجل عن يمين الطريق فحمل يناده : يا محمد إلى الطريق مرتين ، فقال له جبرئيل : امض ولا تكلم أحداً . ثم عرض له رجل عن يسار الطريق فقال له : إلى الطريق يا محمد ، فقال له جبرئيل : امض ولا تكلم أحداً ، ثم عرضت له امرأة حسناء جملاء^(٢) ، فقال له جبرئيل : تدرى من الرجل الذى دعاك عن يمين الطريق ؟ قال : لا . قال : تلك اليهود دعتك إلى دينهم ، ثم قال له : تدرى من الرجل الذى دعاك عن يسار الطريق ؟ قال : لا . قال : تلك النصارى دعتك إلى دينهم . ثم قال : تدرى من المرأة الحسناء الجملاء ؟ قال : لا ! قال : تلك الدنيا تدعوك إلى نفسها .

== حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في اللدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسباً فقال أدنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهؤلاء إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبت فكذبوه فقال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذباً لكذبت عنه الخ الحديث .

(١) يعنى منخفضاً .

(٢) يعنى جميلة وهو من باب فعلاء بلا أفعل كديمة هطلاء .

ثم انطلقا حتى أتيا بيت المقدس فإذا هم بنفر جلوس فقالوا : مرحباً بالنبى ،
 الأُمى ، وإذا فى النفر شيخ قال : ومن هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم
 وهذا موسى ، وهذا عيسى ، ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً^(١) ،
 ثم أتوا بأشربة فاخترار النبى صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبرئيل : أصبت
 الفطرة ، ثم قيل له : قم إلى ربك^(٢) ، فقام فدخل ، ثم جاء فقيل له : ماذا
 صنعت ؟ قال : فرضت على أمتى خمسون صلاة ، فقال له موسى : ارجع إلى
 ربك فسله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق هذا ، فرجع ثم جاء ، فقال
 موسى : ماذا صنعت ؟ قال : ردها إلى خمس وعشرين صلاة^(٣) ، قال : ارجع
 إلى ربك فسله التخفيف ، فرجع ثم جاء فقال : ردها إلى اثني عشر^(٤) ، فقال
 موسى ارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فرجع ثم جاء فقال : ردها إلى خمس
 فقال موسى : ارجع فسله التخفيف ، قال : قد استحييت من ربى مما أراجعه
 وقد قال لى ربى إن لك بكل ردة ردتها مسألة أعطيكمها .

حديث أبى هريرة

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبخاري وأبو يعلى والبيهقي
 من طريق أبى العالية عن أبى هريرة قال : « جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه
 وسلم ومعه ميكائيل فقال جبرئيل لميكائيل : اثنى بطست من ماء زمزم
 كيما أطهر قلبه ، وأشرح صدره ، فشق عن بطنه ففسله ثلاث مرات واختلف

(١) فى الروايات الأخرى أن جبريل هو الذى قدمه ليعلى لهم .

(٢) لعل للراد به العروج إلى السماء كما دلت عليه سائر الروايات .

(٣) يعنى وضع عنه شطرها كما صرح به فى بعض الروايات .

(٤) هذا مخالف لما جادت به الروايات الصحيحة من أنه كان يضع عشرًا عشرًا

أو خمسًا خمسًا .

إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملاه حملاً وعلماً وإيماناً و يقيناً وإسلاماً وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كان خطوة منه منتهى بصره فسار وسار معه جبرئيل فتأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ، ثم أتى على قوم على أقبالهم ^(١) رفاع وعلى أدبارهم رفاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئاً ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نئى خبيث فجعلوا يأكلون من النئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب . قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح ، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقة ، قال ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم أتى على رجل قد جمع حرمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس

(١) جمع قبل بضم تين وهو الفرج .

لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم ،
وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من
ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى
على جحر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج
فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بكلمة عظيمة
ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة
وريح مسك وسمع صوتاً ، فقال : يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : هذا صوت الجنة
تقول يا رب إئتني بما وعدتني فقد كثرت غُرُفِي وإستبرقي وحريري وسندسي
وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأبارقي ومراكبي
وعسلي ومائي ولبني وخمري فأنتني ما وعدتني فقال : لك كل مسلم ومسلمة
ومؤمن ومؤمنة ، قالت : رضيت ، ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد
ريحاً منتنة ، فقال ما هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول يا رب آتني
ما وعدتني فلقد كثرت سلاسل وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساق
وعذابي وقد بعدَ قمرى واشتد حرّى فأنتني ما وعدتني ، قال لك كل مشرك
ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ،
قالت : قد رضيت ، ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة
ثم دخل فصلى مع الملائكة . فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبرئيل من هذا معك ؟
قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا :
حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الحىء جاء ، ثم لقي
أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً
وأعطانى ملكاً عظيماً وجعلنى أمة قانتاً يؤتمُّ بى وأنقذنى من النار وجعلها على برداً
وسلاماً ، ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى تكلم بى وجعل
هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى وجعل من أمتى قوماً يهملون

بالحق وبه يعدلون ثم إن داود أتني على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور والآن لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان أتني على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ماشئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجوابي^(١) وقدور راسيات وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلاً وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس فيه حساب ، ثم إن عيسى أتني على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذنه ورفعتني وطهرتني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل ، ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم أتني على ربه فقال كلسكم أتني على ربه وإني مُنَّ على ربي فقال الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل على الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطاً ، وجعل أمتي هم الأولين والآخرين ، وشرح لي صدري ووضع عني وزري^(٢) ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم أتني بآية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتني بإناء منها فيه ماء فقيل اشرب فشرب منه يسيراً ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر

(١) الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة، والجوابي جمع جابية وهي الحوض الذي يجيء فيه الماء .

(٢) هو الحمل الثقيل .

فَقِيلَ لَهُ اشْرَبْ فَقَالَ لَا أُرِيدُهُ قَدْ رَوَيْتَ . فَقَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ أَمَا إِنَّهَا سَتَحْرَمُ عَلَى أَمْتِكَ وَلَوْ شَرِبْتَ مِنْهَا لَمْ يَذْبَعَكَ مِنْ أَمْتِكَ إِلَّا قَلِيلٌ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مِنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالُوا أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالُوا حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ ، وَنَعَمْ الْحَيُّ جَاءَ فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ تَامَ الْخَلْقُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ كَمَا يَنْقُصُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ عَلَى يَمِينِهِ . بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَعَلَى شِمَالِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَسَارِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، فَقُلْتُ يَا جِبْرِئِيلُ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ وَالْبَابُ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جِبْرِئِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالُوا مِنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِئِيلُ قَالُوا وَمِنْ هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ وَنَعَمْ الْحَيُّ جَاءَ فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي الْحَسَنِ كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، قَالَ مِنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مِنْ هَذَا مَعَكَ يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ قَالُوا أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ وَنَعَمْ الْحَيُّ جَاءَ فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِابْنِ الْخَلَاءَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا قَالَ مِنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ ؟ قَالَ عِيسَى وَيَحْيَى ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِئِيلُ قَالُوا وَمِنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ قَالُوا أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالُوا حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْحَيُّ جَاءَ فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَالَ مِنْ هَذَا يَا جِبْرِئِيلُ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ قَالُوا مِنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِئِيلُ . قَالُوا وَمِنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قَالُوا أَوْ قَدْ

أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة .
 ونعم الحجى . جاء ، ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال .
 من هذا يا جبرئيل ومن هؤلاء الذين حوله ؟ قال هذا هارون الحبيب وهؤلاء .
 بنو إسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقبل له من هذا ؟ قال .
 جبرئيل قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه
 الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الحجى . جاء فإذا هو برجل
 جالس فجاوزه فبكى الرجل قال يا جبرئيل من هذا ؟ قال موسى ، قال فماله يبكى ؟
 قال ^(١) يزعم بنو إسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله وهذا رجل من بنى آدم
 قد خلفنى فى الدنيا وأنا فى أخرى ، فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى أمته .
 ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبرئيل قبل ومن
 معك ؟ قال محمد قالوا وقد أرسل إليه ؟ قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة .
 فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الحجى . جاء فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند
 باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم
 فى ألوانهم شئ فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا
 وقد خلص من ألوانهم شئ . ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص
 من ألوانهم شئ . ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم
 شئ . فصارت ألوانهم مثل ألوان أصحابهم فجاؤا اجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبرئيل
 من هذا الرجل الأشمط ومن هؤلاء البيض الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين
 فى ألوانهم شئ ؟ وما هذه الأنهار التى دخلو ؟ قال هذا أبوك إبراهيم ، أول
 من شمط ^(٢) على الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم
 بظلم ^(٣) وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

(١) هكذا فى النسخ ولعله سقط لفظ يقول .

(٢) يقال شمط الرجل من باب تعب إذا خالط بياض رأسه سواد .

(٣) أى لم يخلطوا إيمانهم بشرك .

فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقاهم ربهم شرا ما طهورا . ثم انتهى إلى السدرة قيل لهذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سننك فإذا هي شجرة تخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما ، لا يقطعها الورقة منها مغطية للأمة كلها فغشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين تقع على الشجرة فكلمه الله تعالى عند ذلك فقال له سل فقال اتخذ إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما ، وكنت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وأنت له الحديد وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ما كالا ينبغى لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له ربه وقد اتخذتك خليلا وحيباً ، وهو مكتوب فى التوراة حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطاً وجعلت أمتك هم الأولين والآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم وجعلتكم أول النبيين خلقاً^(١) وآخرهم بعثاً وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر

(١) لقد نهينا فى أول الكتاب على أن هذا الحديث موضوع وهو قوله «كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث» .

وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فضاني ربي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وألقي في قلب عدوى الرعب منى مسيرة شهر وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض كلها مسجداً وطهوراً وأعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وعرضت على أمتي فلم يخف على التابع والمتبوع ورأيتهم أتوا على قوم يفتلون الشعر ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه صفار الأعين كأنما خرمت أعينهم بالخيوط ، فلم يخف على ما هم لاقون من بعدى وأمرت بخمسين صلاة فلما رجع إلى موسى قال : بم أمرت ؟ قال بخمسين صلاة ، قال ارجع إلى ربك فسله للتخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ، فلقد لقيت من بني إسرائيل شدة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً ثم رجع إلى موسى فقال بكم أمرت ؟ قال بأربعين ، قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف فرجع فوضع عنه عشراً إلى أن جعلها خمسا قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف قال قد رجعت إلى ربي حتى استحيت فما أنا راجع إليه قيل له أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يحزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بعشر أمثالها فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضى قال وكان موسى من أشدهم عليه حين مر به وخبرهم له حين رجع إليه « (١) .

(١) قال ابن كثير بعد إيراد هذه الرواية الطويلة « وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونسكاره شديدة وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو مناماً أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم ، وقد روى ابن كثير عن أبي الأزهر يزيد بن أبي حكيم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا رسول الله إن =

وأخرج الشيخان وابن جرير من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة
 قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أسرى به « لقيت موسى فَنَعَّمْتُه فإذا هو
 رجل مضطرب ، رجل الرأس كأنه من رجال شَنْوَةٍ ولقيت عيسى فَنَعَّمْتُه رُبْعَةً
 أحمر كأنما خرج من ديماس يعني حمام ، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به وأتيت
 يانائين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن
 فشربت فقيل لي هديت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك » .

وأخرج مسلم من طريق أبي سلمة^(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مَسْرَإِي فَسَأَلُونِي
 عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فَكُفِّرْتُ كَرَبًا ما كُربَت مثله قط فرفعه الله
 لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنيأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء
 وإذا موسى قائم يصلي وإذا رجل ضَرْبُ جَعْدٍ كأنه من رجال شَنْوَةٍ وإذا
 عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شَبها عُرْوَةَ بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم
 يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ، فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت قال
 حائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق أبي الصلت
 عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي
 لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق وأتيت
 على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء

== ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى بمعجائب فقال لي ذلك حديث القصاص .
 فلا شك أن هذه الرواية عن أبي هريرة دخلها كثير من خيال القصاص وغرائبهم
 واهل علم .

(١) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أحد التابعين ومن الرواة عن
 أبي هريرة .

يا جبرئيل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت إلى أسفل مني فإذا أنا برهيج^(١) ودخان وأصوات فقلت ما هذا يا جبرئيل ؟ قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يفكرون في ملكوت السموات والأرض لولا ذلك لرأوا العجائب .

وأخرج أحمد وابن مردويه من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني ليلة أسري بي وضعت قدمي حيث توضع أقدام الأنبياء من بيت المقدس وعرض على عيسى فإذا أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود وعرض على موسى فإذا رجل جعله ضرب من الرجال وعرض على إبراهيم فإذا أقرب الناس به شبها صاحبكم . »

وأخرج ابن مردويه من طريق سليمان التيمي عن أنس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره . »

وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد والطبراني في الأوسط وابن مردويه من طريق أبي معشر ، عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذى طوى قال يا جبرئيل إن قومي لا يصدقونني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق . »

حديث عائشة رضي الله عنها

أخرج ابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي من طريق الزهري عن عروة

(١) الزهج الغبار .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن أبيه قال حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به .

عن عائشة قالت « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس من كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك؟ قالوا نعم . قال لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا فتصدقوا أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال نعم إني لأصدق به ما هو أبعد من ذلك أصدق به بخبر السماء في غدوه أو رواحه فذلك سمي أبو بكر الصديق . وأخرج ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بي إلى السماء أذن جبرئيل فظنت الملائكة أنه يصلي بهم فقد منى فصليت بالملائكة » (١).

وأخرج الطبراني من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبى فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة » (٢).

(١) نهنا فيما تقدم على عدم صحة مثل هذه الأحاديث التي يذكر فيها الأذان ليلة الإسراء الخالفته الأحاديث الصحيحة التي دلت على أن الأذان لم يكن معروفا قبل الهجرة وأن المسلمين فكروا في شيء يجمعهم للصلاة فقال بعضهم نتخذ بوقا كبوق اليهود وقال آخرون نتخذ ناقوسا كناقوس النصارى حتى رأى أحدهم وهو زيد بن عبد ربه الأذان في النوم ففص رؤياه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قم فعمله بلالا فإنه أندى صوتا منك وكان ذلك بالمدينة .

(٢) لعن الله الكذابين فإن خديجة ليلة الإسراء كانت قد لقيت ربه وكانت فاطمة فتاة فاهزت الاحتمام وكانت تذهب فتدفع أذى المشركين عن أبيها وتقف على محاسنهم تصبهم .

وأخرج الحاكم في (المستدرک) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً أناني
جبرئيل بسفر جلة فأكلتها ليلة أسرى بي فعلقت خديجة بفاطمة فكت
إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقة فاطمة^(١).

قال الحاكم غريب وفي سنده شهاب بن حرب مجهول وتعقبه الذهبي بأن
فاطمة ولدت قبل النبوة فضلاً عن الإسراء^(٢).

حديث أسماء

أخرج ابن مردويه من طريق يحيى بن عبد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه
عن جده عن أسماء بنت أبي بكر قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصف سدرة المنتهى فقال : « فيها فرّاش من ذهب وثمرها كالقلال
وورقها كآذان الفيلة »^(٣) . فقلت يا رسول الله ما رأيت عندها ؟ . قال : رأيت
عندها يعني ربه »^(٤) .

حديث أم هاني

أخرج ابن إسحاق وابن جرير عن الكاكي عن أبي صالح عن أم هاني
بنت أبي طالب قالت : « ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو

(١) ونحن نشم كذلك رائحة الوضع القدرة من هذا الحديث الذي يرويه
هؤلاء الخاطبون بلبيل من أمثال الحاكم وابن سعد وأضرابهما .

(٢) جرى الله الإمام الذهبي خير أقدم كان لساناً من السنة الحق وناقداً بصيراً ولا يحب

فهو تلميذ ومعاصر لإمام المجددين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى .

(٣) كل هذه الأوصاف واردة في الروايات الصحيحة عن أنس وابن مسعود وغيرهما .

(٤) هذه الزيادة لا معنى لها وهي باطلة والسؤال والجواب كلاهما غير واضح

وإلا فما معنى قوله رأيت عندها يعني ربه ولماذا لا يكون رأى عندها جبريل مثلاً

كما قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) .

في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهْبَنَّا^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين^(٢) .

وأخرج الطبراني وابن مردويه من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت : « بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع من النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قریش^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جبرئيل أتاني فأخذ بيدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ، ثم انطلق حتى انتهى بي إلى البيت المقدس فأراني إبراهيم يشبه خلقه خلق ، ويشبه خلق خلقه ، وأراني موسى آدم طويلا سبط شعره^(٤) شبهته برجال أزدشنوة^(٥) ، وأراني عيسى بن مريم ربة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى . قال :

(١) أى أيقظنا .

(٢) هذا هو المشهور أنه كان في بيت أم هانئ بنت أبي طالب ليلة أسرى به وتدل عليه الروايات التي يقول فيها « فرج عن سقف بيتي وأنا نائم » .

(٣) الصحيح أن أحدا لم يشعر به بل أتم الرحلة وعاد دون أن يحس به أحد ولهذا ورد في بعض الروايات أنه قال لأم هانئ وهو خارج إلى المسجد عند الصبح « أشعرت أني فارقتكم الليلة ؟ فقالت إلى أين ؟ فقال إلى بيت المقدس فألحت أن لا يخبر قومه بذلك حتى لا يسهفوا عليه ولكنه أصر على أن يحدتهم به » .

(٤) هذا مخالف لسائر الروايات التي اتفقت على وصف موسى بأنه جعد الشعر .

(٥) فإنهم كانوا أطوالا ضخاما .

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى قَرِيشٍ فَأُخْبِرَهُمْ مَا رَأَيْتُ ، فَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي
أَذْكُرُكَ اللَّهُ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا يَكْذِبُونَكَ وَيَنْكُرُونَ مَقَالَاتِكَ فَأَخَافُ أَنْ يَسْطَوْا
بِكَ . قَالَتْ : فَضَرْبُ ثَوْبِهِ مِنْ يَدِي ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فَأَتَاهُمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فَأُخْبِرَهُمْ ^(١)
فَقَامَ مَطْعَمُ بْنُ عَدَى فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ كُنْتُ شَابًا كَمَا كُنْتُ مَا تَكَلَّمْتُ بِمَا
تَكَلَّمْتَ بِهِ وَأَنْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ مَرَرْتَ
بَابِلَ لَنَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ^(٢) ؟ فَقَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ وَجَدْتُهُمْ قَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ
فَهُمْ فِي طَلَبِهِ قَالَ فَهَلْ مَرَرْتَ بِبَابِلَ لِبَنِي فُلَانٍ ؟ قَالَ نَعَمْ وَجَدْتُهُمْ فِي مَكَانٍ كَذَا
وَكَذَا قَدْ انْكَسَرَتْ لَهُمْ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ فَوَجَدْتُهُمْ وَعِنْدَهُمْ قِصْعَةٌ مِنْ مَاءٍ فَشَرَبَتْ
مَا فِيهَا قَالُوا فَأُخْبِرْنَا مَا عَدَّتْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الرِّعَاءِ . قَالَ : قَدْ كُنْتُ عَنْ عَدَّتِهَا
مَشْغُولًا فَنَامَ فَأَتَانِي بِالْإِبِلِ فَعَدَّهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا مِنَ الرِّعَاءِ ، ثُمَّ أَتَى قَرِيشًا فَقَالَ لَهُمْ
سَأَلْتُمُونِي عَنْ إِبِلِ بَنِي فُلَانٍ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا ، وَفِيهَا الرِّعَاءُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ،
سَأَلْتُمُونِي عَنْ إِبِلِ بَنِي فُلَانٍ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا ، وَفِيهَا مِنَ الرِّعَاءِ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ
وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَهِيَ مُصْبِحَتُكُمْ بِالْغَدَاةِ عَلَى الثَّيَةِ فَتَعَدُّوا عَلَى الثَّيَةِ يَنْظُرُونَ أَصْدَقَهُمْ
مَا قَالَ ؟ فَاسْتَقْبَلُوا الْإِبِلَ فَسَأَلُوا هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ ؟ قَالُوا نَعَمْ فَسَأَلُوا الْآخَرَ
هَلْ انْكَسَرَتْ لَكُمْ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالُوا فَهَلْ كَانَ عِنْدَكُمْ قِصْعَةٌ مِنْ مَاءٍ ؟
قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا وَاللَّهِ وَضَعْتُهَا ^(٣) فَمَا شَرِبَهَا أَحَدٌ مِنَّا وَلَا أَهْرِيقَتْ فِي الْأَرْضِ

(١) سبق في بعض الروايات أن أبا جهل هو الذي جلس إليه وسأله .

(٢) هذا سؤال غير معقول والصحيح أنه هو الذي أخبرهم بذلك ليكون آية على صدقه .

(٣) هذا كذب وافتراء فإن أبا بكر لم يكن ليخرج في غير الدشركين ولم تكن
نفسه لتطيب بفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة العصيبة وقد دلت
الروايات الصحيحة المتقدمة على أن أبا بكر كان في بيته حين حدثهم النبي بحديث
الإسراء فذهب بعضهم إليه وأخبره فقال إني لأصدقها فيما هو أبعد من ذلك فسمى
من ذلك الوقت صديقاً .

خصصه أبو بكر وآمن^(١) فسمى يومئذ الصديق .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ قالت : « دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بفلس وأنا على فراشي فقال : شعرت أني تمت الليلة في المسجد الحرام ؟ فأتاني جبرئيل فذهب بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض فوق الحمار دون البغل مضطرب الأذنين فركبته فكان يضع حافره مد بصره إذا أخذ بي في هبوط طالت يده وقصرت رجلاه ، وإذا أخذ بي في صعود طالت رجلاه وقصرت يده وجبرئيل لا يفوتني حتى اتھينا إلى بيت المقدس فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها فنشر لي رهط من الأنبياء^(٢) منهم إبراهيم ، موسى ، وعيسى فصليت بهم وكلمتهم وأتيت بيانائين أحمر وأبيض^(٣) فشربت الأبيض فقال لي جبرئيل شربت اللبن وتركتم الحمر لو شربتم الحمر لارتدت أمتك ، ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة فتعلقت بردائه وقالت أنشدك الله تعالى يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قریشا فيكذبك من صدقك فضرب بيده على رداءه فانزعاه من يدي فارتفع عن بطنه فنظرت إلى عكته^(٤) فوق إزاره كأنه طي القراطيس وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يختطف بصري فخررت ساجدة^(٥) ، فلما رفعت

(١) هذا كلام المجانين فإن أبا بكر كان مؤمنا قبل الإسراء بعشر سنين بل كان أول من أسلم من رجال قريش أجمعين .
(٢) ليس معنى هذا أنهم قاموا من قبورهم أحياء بل معناه والله أعلم أن الله عز وجل مثل له أرواحهم في أجساد تشبه الأجساد التي كانت لهم في الدنيا ولهذا استطاع أن ينعتهم .

(٣) يعني بالأحمر الحمر وبالأبيض اللبن .

(٤) جمع عكنة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٥) ترى لمن سجدت أم هانئ ؟ هل سجدت لهذا النور الذي رآته عند فؤاده ؟
فإن يكون قد أشرك أم ماذا ؟ فأناظر إلى أي حد بلغ الكذب بهؤلاء الوضاعين أن يتهموا صحابة جليله بالسجود لغير الله عز وجل .

رأسى إذا هو قد خرج فقلت لجارىتى : ويحك اتبعيه فانظري ، ماذا يقول وماذا يقال له ، فلما رجعت أخبرتنى أنه انتهى إلى نفر من قریش فيهم المطعم بن عدى وعمر بن هشام^(١) والوليد بن المغيرة ، فقال : إني صليت الليلة العشاء في المسجد وصليت به الغداة ، وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس ، فشرى رهطاً من الأنبياء فيهم إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فصليت بهم وكلتهم فقال عمرو ابن هشام كالستهزىء صفهم لى أما عيسى ففوق الربعة ودون الطويل عريض الصدر طاهر الدم جعد الشعر^(٢) تعلوه ضُبهة^(٣) كأنه عروة بن مسعود الثقفى وأما موسى فضخم آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر غائر العينين متراكب الأسنان مقاص الشفة خارج اللثة عابس ، وأما إبراهيم فوالله لأشبه الناس بى خلقاً وخلقاً فضجوا وأعظموا ذاك فقال : المطعم كل أمرك قبل اليوم كان أمماً^(٤) غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدرأ شهراً تزعم أنك أتيت في ليلة ، واللات والعزى لا أصدقك ، فقال أبو بكر يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك جبهته وكذبتة^(٥) أنا أشهد أنه صادق فقالوا : يا محمد صف لنا بيت المقدس قال : دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً فأتاه جبرئيل فصوره في جناحه فجعل يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا ، وأبو بكر يقول صدقت ، فقال

(١) يعنى أبا جهل لعنه الله .

(٢) الذى فى الصحيح أنه سيط الشعر وأن الجعد هو موسى .

(٣) يعنى حمرة أو شقرة .

(٤) يعنى قصدا معتدلاً .

(٥) هذا عجب ومتى صدقه المطعم بن عدى حتى يلومه أبو بكر على هذا

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يومئذ يا أبا بكر إن الله قد سمك الصديق . قالوا يا محمد أخبرنا عن غيرنا فقال أتيت على غير بنى فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فاتتهيت إلى رحالهم ، ليس بها منهم أحد ، وإذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت إلى غير بنى فلان فنفرت منى الإبل وبرك منها جل أحمر عليه جوالق مخطط بيباض لا أدرى أكسر البعير أم لا ثم انتهيت إلى غير بنى فلان في التنعيم يقدمها جل أ ورق وهامى ذه تطاع عليكم من الثنية فقال الوليد بن المغيرة ساحر فانطلقوا ، فنظروا فوجدوا كما قال فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد بن المغيرة فأنزل الله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ (١) . »

حديث أم سلمة

قال ابن سعد أنا الواقدي حدثني أسامة بن زيد اللبثي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وحدثني موسى بن يعقوب الزمعي عن أبيه عن جده عن أم سلمة ، قال موسى : وحدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة قال الواقدي : وحدثني إسحاق بن حازم عن وهب بن كيسان عن أبي مرة مولى عقيل ، عن أم هانئ بنت أبي طالب . وحدثني عبد الله بن جعفر عن زكريا بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا : « أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس قال رسول الله صلى الله

(١) قال ابن عباس فيما رواه البخارى هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، يعنى جعلناها امتحانا واختبارا للناس ولهذا ارتد أناس ممن أسلموا بسبب حادثة الإسراء .

عليه وسلم : حملت على دابة بيضاء بين الحمار وبين البغل في نخذيها جناحان تحفز^(١) بهما رجلها ، فلما دنوت لأركبها شمست^(٢) فوضع جبرئيل يده على معرفتها^(٣) ثم قال : ألا تستحيين يا براق مما تصنعين ؟ والله ما ركب عليك عبد الله قبل محمد أكرم على الله منه ، فاستحييت حتى ارفضت عرقاً ثم قرت حتى ركبته فعملت بأذنيها وقبضت الأرض حتى كان منتهى وقع حافرها طرفها وكانت طويلة الظهر طويلة الأذنين وخرج معي جبرئيل لا يفوتني ولا أفوته حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فأنى البراق إلى موقفه الذي كان يقف ، فربطه فيه وكان مربوط الأنبياء ، ورأيت الأنبياء جمعوا إلى فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى فظننت أنه لا بد من أن يكون لهم إمام ، فقدمني جبرئيل حتى صليت بين أيديهم وسألهم فقالوا بعثنا بالتوحيد ، وقال بعضهم : فقد النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ففرقت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه^(٤) وخرج العباس حتى بلغ ذا طوى فجعل يصرخ يا محمد يا محمد ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك فقال يا ابن أخي عنيت^(٥) قومك منذ الليلة فأين كنت ؟ قال : أتيت من بيت المقدس قال في ليلتك ؟ قال نعم ، هل أصابك إلا خير ؟ قال : ما أصابني إلا خير ، وقالت أم هانئ : ما أسرى به إلا من بيتنا ، نام عندنا تلك الليلة صلى العشاء ثم نام

(١) يعنى تحملها على السرعة .

(٢) أى حرنت وضربت رجلها .

(٣) أى طلى عرفها وهو شعر رقبتها .

(٤) من هنا بدأ التعريف والكذب فما افتقده أحد ولا طلبه في الأرض ولكنه

كان مطلوباً لحضرة السماء وقد تقدم في الروايات الصحيحة أنه قال لأم هانئ حين أصبح « أشعرت أنى فارقتكم الليلة » مما يدل بصراحة على أن أحداً لم يشعر به حين خرج إلى أن عاد وأخذ مضجعه بينهم .

(٥) يعنى شققت عليهم وأتعبتهم في البحث عنك

فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح فقام ، فلما صلى الصبح قال : يا أم هانئ ، لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادي ، ثم قد جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم ثم قام ليخرج فقلت : لا تحدث هذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ، فقال : والله لأحدثنهم فأخبرهم فتعجبوا وقالوا لم نسمع بمثل هذا قط ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل : يا جبرئيل إن قومي لا يصدقوني ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق ، وافتنن ناس كثير كانوا قد صلوا وأسلموا وقت في الحجر ، فحلى الله لي بيت المقدس فطفت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه فقال بعضهم : كم للمسجد من باب ؟ ولم أكن عدت أبوابه فجعلت أنظر إليه وأعدها باباً باباً وأعلمهم وأخبرتهم عن عيرات لهم في الطريق وعلامات فيها فوجدوا ذلك كما أخبرتهم وأنزل الله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قالت : كانت رؤيا عين رآها بعينه ، أخرجته ابن عساكر .

المراسيل

أخرج أبو نعيم عن عروة قال : « قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس أخبرنا ماذا ضل عنا وأتينا بآية ما تقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضلت منكم ناقة ورقاء عليها زئ لكم فلما قدمت عليهم ، قالوا : انعت لنا ما كان عليها ونشر له جبرئيل ما كان عليها كله ينظر إليه ، فأخبرهم بما كان عليها وهم قيام ينظرون ، فزادهم ذلك شكاً وتكذيباً . »

وأخرج البيهقي من طريق أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة في العير قالوا : فتي تبيء ؟ قال يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرقت قريش . »

حينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فلم ترد الشمس على أحد إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين «^(١) .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير عن عبد الله بن شداد قال : « لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم أتى بدابة دون البغل وفوق الحمار يضع حافره عند منتهى طرفه يقال له البراق ، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعير المشركين فنفرت فقالوا يا هؤلاء ما هذا ؟ فقالوا ما نرى شيئاً ما هذه إلا ريح حتى أتى بيت المقدس فأتى يانائين في واحدخر وفي الآخر لبن ، فأخذ اللبن فقال له جبرئيل هديت وهديت أمتك ثم سار إلى مضر » .

وقال ابن سعد : أنبأنا الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً^(٢) ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهرأ

(١) روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزا نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال اقومه لا يقبضني رجل ملك يضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها ولا أحد في بيوتها لم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو يلتظر ولادها فغزا فذنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه » الخ الحديث قال النووي متفق عليه وأما حبس الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد به حديث صحيح ولو وقع لاشتهر ولتوافرت الدواعي على نقله وعد من أهم معجزاته .

(٢) الصحيح أنها وقعت في ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة وقيل بستة عشر شهراً .

فأتاه جبرئيل وميكائيل فقالا انطلق إلى ما سألت الله ، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرًا ، فعرجا به إلى السموات سماء سماء فلقى فيها الأنبياء وانتهى إلى سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلا صريف الأقلام وفرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبرئيل ف صلى برسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات في مواقيتها ^(١) » أخرجه ابن عساكر .

وأخرج الحاكم في « كتاب الرؤية » عن كعب الأحبار قال : « إن الله تحسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكله موسى مرتين » ^(٢) .

فوائد

ذهب كثيرون إلى أن الإسراء وقع مرتين ^(٣) وجمع بذلك بين الاختلاف الواقع في الأحاديث ومن اختار هذا القول أبو نصر القشيري وابن العربي ^(٤) والسهيلي . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وقع الإسراء في النوم وفي

(١) روى مالك في اللوطا في باب « وقوت الصلاة » عن عروة بن الزبير أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الإسراء فصلى به كل صلاة في أول وقتها ثم نزل به ثاني يوم فصلى به كل صلاة في آخر وقتها ثم قال ما بين هذين الوقتين صلاة .

(٢) هذا كلام كعب من كلفه وقد علمت ما قيل في الرؤية ، وأن جمهور الصحابة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يره بعينه وإنما قال ابن عباس رآه بفؤاده مرتين وأما تكليم الله لموسى فنحن نجزم بأن الله كلمه مالا يحصى وليس مرتين فقط كما زعم كعب .

(٣) هذا غير صحيح بل الجمهور على أن الإسراء لم يقع إلا مرة واحدة والاختلاف الواقع في الأحاديث لا يدل على تعدد الواقعة بل سببه ما وقع من الرواة أنفسهم من وهم أو نسيان أو جهل خيال أو تعدد اختلاف ونحو ذلك .

(٤) هو أبو بكر بن العربي الأندلسي المالكي صاحب كتاب « العواصم من العواصم » وهو غير محي الدين بن عربي الطائفي صاحب الفتوحات المكية .

اليقظة ووقع بمكة والمدينة ، ونكته وقوعه في النوم توطين النفس وتمهيدها ليسهل ذلك عليه إذا وقع في اليقظة كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة وذهب أبوشامة إلى وقوع المعراج مراراً^(١) واستند إلى حديث أنس الذي أخرجه الزار السابق . قال الحافظ ابن حجر : ولا شك أن التعمد فيه لا يستبعد وإنما المستبعد وقوع التعمد في مثل سؤاله عن كل نبى وفرض الصلوات ونحو ذلك^(٢) فإن قيل : بتعدد ذلك بأن وقع في المنام توطئة ثم في اليقظة على وقفه لم يبعد ، قال : وقد تكرر الإسراء في المنام بالمدينة^(٣) وقد ألف ابن المنير كتاباً نفيساً في أسرار الإسراء ، فما ذكر فيه أن الحكمة في الإسراء به أولاً إلى بيت المقدس ثم إلى السماء حصول المهجرتين لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء فحصل له الرحيل في الجملة ليجمع بين أشقات الفضائل ووجود السبيل إلى بيان صدقه بذكر العلامات التي أخبر بها عن بيت المقدس وصدقوه فيها فيلزم تصديقه في بقية ما ذكره بخلاف ما لو أسرى به ابتداء إلى السماء ، وما ذكر فيه أن إكرامه صلى الله عليه وسلم بالمناجاة كان على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله : بينا أنا . وفي حق موسى عليه الصلاة والسلام كان على ميعاد واستعداد^(٤) فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار .

(١) المعراج لم يكن إلا مرة واحدة ليلة الإسراء كما اتفقت على ذلك الروايات وما وراء ذلك فهو رؤيا منامية .

(٢) إذا قيل بالتعمد فلا يعقل وقوع السؤال عن الأنبياء ولا فرض الصلاة في كل مرة وإنما يقع له في كل مرة من الأحداث غير ما يقع في الأخرى .

(٣) لا يجوز أن يسمى ما يقع في المنام إسراء فإن الإسراء إنما يتصف به الشخص كله لا الروح وحدها .

(٤) ليس ذلك في كل مرة فإن تكليم الله له في ابتداء الوحى إليه كان مفاجأة أيضاً .

ومما ذكر فيه أن ابن حبيب ذكر أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف^(١)
بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط ، قال : فعلى هذا يكون ذلك
البحر انفلق له صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر
لموسى^(٢) ومما ذكر فيه أن الحكمة في بقاء أبواب السماء مغلقة حتى استفتح
جبرئيل ، ولم تنهيا له بالفتح قبل مجيئه أنها لو فتحت قبل لظن أنها لا تزال كذلك
فأبقيت ليعلم أن ذلك لأجله ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معرقاً عند أهل
السموات لأنه قيل لجبرئيل لما قال محمد أبعث إليه^(٣) ولم يقل ومن محمد مثلاً .

باب ما وقع في تزويجه صلى الله عليه وسلم عائشة^(٤) من الآيات

وأخرج الشيخان عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أُرِيْتُكَ
في المنام مرتين أرى رجلاً يحملك في سَرَقَةٍ حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف
فأراك فأقول إن كان هذا من عند الله يُمَضَّه » .

وأخرج الواقدي والحاكم عن حبيب مولى عروة قال « لما ماتت خديجة
حزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبرئيل بعائشة في مهدها فقال هذه
تذهب ببعض حزنك وإن فيها خلقياً من خديجة » .

(١) ليس هناك بحراً اسمه المكفوف وإنما روى عن الحسن أنه قال السماء الدنيا
عبارة عن بحر مكفوف يعني ممنوع من السقوط وهو رأى لا دليل عليه .

(٢) هذا كلام أشبه بالمهاترة ولا لزوم له فإن فضله عليه السلام على الرسل
لا يتوقف على أن يحصل له كل ما حصل لهم .

(٣) يعني أن جبرئيل كان إذا استفتح قيل له ومن معك قال محمد فيقولون
له أبعث إليه ؟ فهذا يدل على أنهم كانوا يعرفونه وإلا لقالوا له ومن محمد ؟ .

(٤) المعروف أنه عليه السلام عقد على عائشة بمكة وهي بنت ست سنين ودخل
بها بالمدينة وهي بنت تسع بعد سبعة أشهر من مقدمه المدينة .

أخرج أبو يعلى والبزار وابن أبي عمر العدني والحاكم وصححه عن عائشة قالت « مات زوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتاه جبرئيل بصورتي هو زوجي وإني لجارية على خوف ، فلما تزوجني ألقى الله على حياء وأنا صغيرة » . الخوف سيور في الوسط .

باب الآية في نكاحه صلى الله عليه وسلم سودة بنت زُمعة^(١)

أخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال « كانت سودة بنت زُمعة عند السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو فرأت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم يمشى حتى وطئ على عنقها فأخبرت زوجها بذلك فقال لئن صدقت رؤياك لأموتن ولتزوجنك محمد ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قرأ انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت وتزوجين من بعدى فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث إلا قليلا حتى مات وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

باب ما وقع في إسلام رفاعه

أخرج الحاكم وصححه عن رفاعه بن رافع الزرقى أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة وذلك قبل خروج الستة من الأنصار^(٢) ، فرأى

(١) تزوجها بعد خديجة وكانت تحت السكران بن عمرو ، وهو من مهاجري الحبشة مات ولم يعقب فتزوجها الرسول بعده .

(٢) المعروف أن الذى قدم مكة قبل النفر الستة هو أبو الحديس أنس بن رافع بن قتيبة من قومه بنى عبد الأشهل يطلبون حلف قريش فدعاهم الرسول عليه السلام إلى الإسلام فقال إياس بن معاذ وكان شابا حدثا ياقوم هذا والله خير مما جئنا له =

«رعاة النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام وقال من خلق السموات
الأرض والجبال؟ قلنا الله. قال فمن خلقكم؟ قلنا الله، قال فمن عمل هذه الأصنام؟
قلنا نحن، قال فالحالقي أحق بالعبادة أم المخلوق؟ فأنتم أحق أن يعبدوكم وأنتم
عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة
أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان، قلنا: لو كان الذى
ندعو إليه باطلا لكان من معالى الأمور ومحاسن الأخلاق، ثم ذهبت فطفت
وأخرجت سبعة فداخ فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فضربت بها وقلت
«اللهم إن كان ما يدعوا إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات فضربت فخرج
سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله».

باب ما وقع فى عرضه صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من الآيات

أخرج البيهقي طريق ابن شهاب وموسى بن عقبة قالا «كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم فعرض نفسه
على ثقيف فلم يجيبوه^(١) فرجع فاستظل بحائط وهو مكروب^(٢) وفى الحائط

ففر به أبو لحيس واتهره فسكت ثم لم يتم لهم الحلف فأنصرفوا إلى المدينة، فانظر
إلى التعريف الذى يجعل من أياس بن معاذ بن عفرأ ثم يرسم بعد ذلك قصة خيالية
عن إسلام ربيعة فهلا كلف هؤلاء أنفسهم شيئا من التثبت حتى لا يقعوا فى
هذا الخلط.

(١) لم عرض عليه السلام نفسه على ثقيف فى الموسم وإنما ذهب إليهم فى
مقرتهم الطائف ومعه مولاة زيد بن حارثة وذلك حين اشتد أذى قريش له بعد
موت عمه أبى طالب وزوجه خديجة.

(٢) وذلك لأنهم لم يستجيبوا له وأغروا به سفاهم وصبيانهم فوقفوا له بمطابن
على الطريق يقدفونه بالحجارة حتى أدموا عقبه وزيد يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج
فى رأسه فرجع من الطائف إلى مكة محزونا.

عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رأياه أرسلاه إليهما غلاماً لهما يدعى عداساً وهو نصراني من أهل « نينوى » فلما جاءه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى أرض أنت؟^(١) قال من أهل نينوى ، قال من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى قال وما يدريك من يونس بن متى ؟ قال أنا رسول الله والله أخبرنى خبره فخر عداس ساجداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل قدميه فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قال ما شأنك ؟ سجدت لحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرنى بشئ عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا به ، وقالوا له لا يفتنك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع »

وأخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا هو جبرئيل فنادانى فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً .

- (١) كان عتبة وشيبة لما رايا ما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد رقا له فأرسلاه إليهما عداساً بقطف من العنب فلما بدأ يأكل قال بسم الله فعجب عداس وقال ما اعرف احداً فى هذه البلاد يسمى الله فسأله النبي الغ .
- (٢) يعنى الجبلين الذين يكتنفان مكة وهو أبو قبيس وقيععان .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال حدثني علي بن أبي طالب قال «لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فيهم مفروق بن عمر وهانيء ابن قبيصة فقال مفروق إلى ما تدعوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ إِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخُذْهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِلَى أَنْ تَوُودُونِي وَتَنْصُرُونِي فَإِنْ قَرِيشًا تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَكَذَبَتْ رُسُلَهُ وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ وَاللَّهُ غَنَى حَمِيدٌ، فَقَالَ مَفْرُوقٌ وَاللَّهُ مَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ الْآيَاتِ . فَقَالَ مَفْرُوقٌ وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْأَرْضِ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الْآيَةَ فَقَالَ مَفْرُوقٌ دَعَوْتُ وَاللَّهُ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَلَقَدْ أَفْكَ قَوْمٌ كَذَبُواكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يُوْرَثَكُمْ اللَّهُ أَرْضُ كَسْرَى وَدِيَارُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَيَبْفَرِشَكُمْ نِسَاءُهُمْ^(١) تَسْبِحُونَ اللَّهَ وَتَقْدُسُونَهُ .

وأخرج أبو نعيم من طريق خالد بن سعيد عن أبيه عن جده قال « قدمت بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ مَكَّةَ فِي الْحَجِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ أَتَيْتُمْ مَعَاظِرَ ضُرَى عَلَيْهِمْ فَأَتَاهُمْ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ قَالُوا حَتَّى يَجِيءَ شَيْخُنَا حَارِثَةُ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَرَسِ حَرْبًا فَإِذَا فَرَعْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَدْنَا فَنَظَرْنَا فِيمَا تَقُولُ فَلَمَّا التَقُوا بَذَى قَارِ^(٢) هُمُ وَالْفَرَسُ قَالَ لَهُمْ شَيْخُهُمْ مَا اسْمُ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ ؟ قَالُوا مُحَمَّدٌ قَالَ : فَهُوَ شَعَارُكُمْ فَنَصَرُوا عَلَى الْفَرَسِ^(٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بِي نَصَرُوا » .

(١) یعنی آنهن بُوْخِذْنِ سَبَايَا وَيَسْتَوْلِدْنَ فَيَصْبِغْنَ فَرَاشَا الْمُسْلِمِينَ .

(٢) ذُو قَارٍ مَوْضِعٌ بَيْنَ السَّكُوفَةِ وَوِاسِطٍ وَيُقَالُ أَيْضًا عَلَى بَلَدَةِ بِالرُّي .

(٣) قَالَ فِي الْمَعَارِفِ « كَانَ سَبَبُهُ أَنْ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ حِينَ هَرَبَ مِنْ أَبِرُوزِ =

وأخرج البخارى فى تاريخه والبغوى فى معجمه عن الأخرم الهجيمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوم ذى قار هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم » .

وأخرج البخارى فى التاريخ وبقى بن مخلد فى مسنده والبغوى مثله من حديث بشير بن يزيد الضبعى ، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال ذكرت وقعة ذى قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ذاك أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصر » . ورأيت فى شرح ديوان الأعشى لآمدى مانصه « يقال إن يوم ذى قار كان بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وإن جبرئيل أراه الحرب وقتال بكر للفرس فقال : اللهم انصر بكر بن وائل مرتين وأراد أن يدعوهم الثالثة بأن يديم لهم نصرهم فقال له جبرئيل إنك مستجاب الدعوة ومتى دعوت لهم بدوام النصر لم تقم لهم قائمة ، فلما دعاهم وانهمزمت الفرس تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً وقال هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصر » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده « قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى فدعانا فما استجبنا له ولا خير لنا وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسى فقال لنا أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان رأى فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ فأبى القوم وانصرفوا فقال لهم ميسرة ميلوا بنا إلى فذلك ^(١) فإن

= استودع هانيء بن مسعود بن عامر الشيباني عياله ومائة درع فبعث إليه ابرو بن فى الدروع وفى ابنه وأبى أن يسلم ذلك فأغزاه جيشاً فاقتتلوا بذي قار فظفرت بنو شيان فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

(١) قرية فى الجزيرة العربية قريبة من خير سكانها من اليهود وأرسل النبي عليه السلام علياً لمحاربتهم ثم صالحهم على نصف ثمارهم .

بها يهود نساءهم عن هذا الرجل فقالوا إلى اليهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه
ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأُمِّي العربي يركب الحمار
ويحتزىء بالكِسْمَةِ^(١) وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط فيه
عينيه حمرة مُشْرِبُ اللون^(٢) فإن كان هو الذي دعاكم فأجيئوه وادخلوا في
دينه فإننا نحسده ولا نتبعه ولنا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من
العرب إلا اتبعه أو قتله فقال ميسرة يا قوم إن هذا الأمر بين فأسلم ميسرة في
حجة الوداع .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن ابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما
قالوا « جاء النبي صلى الله عليه وسلم كندة^(٣) في منازلهم فعرض نفسه عليهم
فأبوا فقال أصغر القوم : يا قوم استبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تسبقوا إليه فوالله
إن أهل الكتاب ليحدثونا أن نبيا يخرج من الحرم قد أظلم زمانه فأبوا » .
أخرج أبو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثني رجل من كندة يقال له يوسف
عن أشياخ قومه قالوا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى في منامه أنه
ينصره أهل مدر ونخل » .

وأخرج أبو نعيم عن عروة « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع الأنصار
بالعقبة^(٤) صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج

(١) يعني يكثف بالقمعة الصغيرة .

(٢) أى يخالط بياضه حمرة وهذا معنى الأمر الوارد في بعض الروايات .

(٣) قبيلة يمنية كانت تقطن جنوب الجزيرة العربية في الجاهلية . منهم خزرج
الحارث ملك الحيرة وشرحبيل والد امرئ القيس ومعديكرب القيس وإلهم ينتسب
الكندي الفيلسوف وأبو العلاء المعري وملوك الموية في أسبانيا .

(٤) هى بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من الأوس

تحالف على قتالكم^(١) ففرعوا عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرعكم هذا الصوت فإنا هو عدو الله إبليس ليس يسمعه أحد ممن تحافون وبلغ قريشاً الحديث فأقبلوا حتى أنهم ليطؤون على متاع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يبصرونهم فرجعوا^(٢) .

وأخرج أبو نعيم نحوه عن الزهري .

وأخرج عن ابن اسحاق قال « لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة صرخ صارخ في الجبل وهو إبليس يامعشر قريش إن كان لكم في محمد حاجة فأتوه بمكان كذا وكذا من الجبل قد حالقه الذين يسكنون يثرب فنزل جبرئيل فلم يبصره أحد من القوم غير حارثة بن النعمان قال بعدما فرغوا يابني الله لقد رأيت رجلاً عليه ثياب بياض أنكرته قائماً على يمينك قال وقد رأيته ؟ قال نعم قال رأيت خيراً ذاك جبرئيل » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال « لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحزرج بايعوه في خفية من قومهم ومن أهل مكة على أن يمنعوه مما يمنعون أبناءهم ونساءهم وأزهرهم فكان أول من بايعه تلك الليلة البراء بن معرور واختار منهم رسول الله اثني عشر قريباً يكونون كفلاء على قومهم وقال لهم وأنا كفيل على قومي .
(١) في بعض الروايات أنه قال « يا أهل الجباية هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم » فقال عليه الصلاة والسلام هذا أذب العقبة أما والله ياعدو الله لأنفرغن لك ثم أمرهم أن يرفضوا إلى رحالهم .

(٢) قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد) « فلما أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش وأشرفهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا يامعشر الحزرج إنه بلغنا أنكم أقيتم صاحبنا البارحة ووعدتموه أن تبايعوه على حربنا وأيم الله ماحى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فانبعث من كان هناك من الحزرج من الأشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا » الخ .

المنقباء قال « لا يجدن امرؤ في نفسه شيئاً إما آخذ من أشار إليه جبرئيل عليه السلام »^(١).

باب ما وقع في الهجرة من الآيات والمعجزات

أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو تيسرين ».

وأخرج البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين « قد أريت دار هجرتكم أرضاً سبخة ذات نخل بين لابتين فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز أبو بكر مهاجراً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك^(٢) فإني أرجو أن يؤذن لي ».

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبعا وثمانيا يرى الضوء ويسمع الصوت وأقام بالمدينة عشرا »^(٣).

(١) صريح هذا الحديث أنه عليه السلام هو الذي اختار المنقباء بإشارة جبريل مع أن الذي وردت به الرواية أنه فوض إليهم هذا الأمر وقال لهم « أخرجوا إلى عنكم اثني عشر نقيباً فكان نقيب بنى النجار أسعد بن زرارة ونقيب بنى سلمة البراء ابن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ونقيب بنى ساعدة سعد بن عبادة وللنذر بن عمرو ونقيب بنى زريق رافع بن مالك بن عجلان ونقيب بنى الحارث ابن الخزرج عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ونقيب القواقل عبادة بن الصامت ونقيب الأوس أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن النيهان ونقيب بنى عوف سعد بن خبيشة .

(٢) أي على مهلك والترسل التمهّل .

(٣) بل الصحيح عن ابن عباس أنه مكث ثلاث عشرة سنة بمكة وعشرا بالمدينة .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس « أن قريشا اجتمعت في دار الندوة واتفقوا على قتله ^(١) فأتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم وأذن له عند ذلك بالخروج ».

وأخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه ومعه حفنة تراب فجعل يذرّها على رؤوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبهه صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ إلى قوله ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعلى وعائشة بنت أبي بكر، وعائشة بنت قدامة وسراقة بن جعشم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم جلوس على بابه ، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرّها على رؤوسهم ويتلو ﴿ يس ﴾ الآيات ومضى فقال لهم قائل : ماتنتظرون ؟

(١) روى أنهم لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر معهم إبليس في صورة شيخ من نجد فقال بعضهم نبتّه ونضع في رجله القيد ثم تربع به ريب للنون الذي نزل بمن قبله من الشعراء فقال إبليس ليس هذا برأى فإن بني عبد مناف لا يدعونه حتى يخرجوه وقال آخر تنفيه من بلادنا فإذا خرج استرحنا منه فلا نبالي أين ذهب فقال إبليس أيضاً ليس هذا برأى لقد عرفتم حلاوة حديثه فلا تأمنون أن ينزل بقوم من العرب فيسهرهم فيتبعونه ثم يحاربونكم معه فقال أبو جهل لقد فرق لي فيه رأى ما أراكم وقعتم عليه أن نختار من كل قبيلة شابا جليدا وسيطا ونعطى كل واحد منهم سيفاً صارماً حق إذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في قريش كلها فلا تقدر بنو عبد مناف على الأخذ بالنار يرضون بالدية فقال إبليس أصبت يا فقي هذا هو الرأى وه صدق هذا قوله تعالى من سورة الانفال (وإذا يمكر بك الذين كفروا لينبتوك أو يهلكوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) .

قالوا لمحمد . قال قد والله مر بكم . قالوا والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى غار ثور فدخلوا وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض وطلبتة قریش أشد الطلب حتى انتهت إلى باب الغار فقال بعضهم إن عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد فأنصرفوا .

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب ، وأخذ الله على أبصارهم فلا يروونه فجعل يثير ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو ﴿يس﴾ الآيات » وذكر نحوه .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن عائشة بنت قدامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لقد خرجت من الخوخة ^(١) متنكراً فكان أول من لقيني أبو جهل فعمى الله بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا » .

وأخرج البيهقي عن ابن شهاب وعروة بن الزبير « أنهم ركبوا في كل وجه يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤنهم ويجعلون لهم الجعل العظيم ^(٢) وأتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار ، الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلوعوا فوقه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم . فأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهمة والخوف ، فعند ذلك يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرزت عليه سكينه من الله ^(٣) .

(١) الخوخة كوة تؤدي الضوء إلى البيت وتطلق أيضاً على الباب الصغير في الباب الكبير .

(٢) يقال إنهم جعلوا السكل من يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حينين أو ميتين دية كل واحد منهما والدية مائة ناقة .

(٣) اختلف في عود الضمير في قوله تعالى (وأنزل الله سكينته عليه) فقيل =

وأخرج الشيخان عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار فقلت يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما »^(١)

وأخرج أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر « أن أبا بكر رأى رجلا مواجها الغار فقال يا رسول الله : إنه لرائينا . قال : كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها . فلم يلبث الرجل أن قعد يبول مستقبليهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا . »

وأخرج أبو يعلى نحوه من طريق عائشة عن أبي بكر .

وأخرج ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال : « أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار^(٢) وأقبل فتیان قریش من کل بطن رجل بعصیهم وھراویہم وسیوفہم حتی إذا

يعود على أبي بكر لأن الرسول كانت معه السكينة ، ورجح ابن كثير عوده على النبي عليه السلام لقوله بعد ذلك وأيده بجنود لم تروها وهو الصحيح .

(١) مثل هذا الحديث ينفي وجود شيء على فم الغار من نسج العنكبوت أو عش الحمام كما تزعم بعض الروايات إذ لو وجد شيء من ذلك لم يتمكنوا من رؤية من بداخل الغار .

(٢) الذي رواه كثير من أهل السير هو نسج العنكبوت ، وأما مسألة الشجرة والحمامتين فلم تذكر إلا في روايات ضعيفة جداً والله عز وجل قادر أن يحمي رسوله . وأن يضل عنه أبصار القوم من غير حاجة إلى شيء من ذلك .

كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم بقدر أربعين ذراعاً جعل رجل ينظر في الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : مالك لا تنظر في الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف أن الله قد درأ بهما عنه فدعا لهن النبي صلى الله عليه وسلم وسمت عليهن ^(١) وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم .

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن ابن عباس « أن المشركين تشاوروا ليلة بمكة في النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبته بالوثاق ^(٢) ، وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم : بل أخرجوه فأخرجوه فأطاع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فخرج تلك الليلة حتى لحق بالغار فلما أصبحوا اقتصوا أثره ^(٣) ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو كان دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه .

وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل الغار ضرب العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، فلما انتهوا إلى فم الغار . قال قائل منهم ادخلوا الغار . قال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار ^(٤) إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت فقال إنها جند من جنود الله » ^(٥) .

(١) يقال سميت على الشيء أى ذكر اسم الله عليه .

(٢) الإثبات الحبس والوثاق القيد والمراد قيده واحبسوه .

(٣) يعنى تتبعوا أثر الأقدام في الرمل .

(٤) يعنى أى حاجة لكم في دخول الغار .

(٥) لا يعقل أن ينهى الرسول عن قتل العنكبوت وهى من الحشرات القذرة =

وأخرج أبو نعيم في (الحلية) عن عطاء بن ميسرة قال : « نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت ^(١) يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار » .

وأخرج الشيخان عن أبي بكر قال : « طلبنا القوم فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك على فرس له فمالت يارسل الله : هذا الطلب قد لحقنا ، قال : لا تحزن إن الله معنا ، فلما كان بيننا وبينه قيد رمح أو ثلاثة دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت فساخنت به فرسه في الأرض إلى بطنها فقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعطينَّ على من ورأى من الطلب فدعا له فانطلق راجعا » ^(٢) .

وأخرج البخاري عن سراقه بن مالك قال : « خرجت أطلب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حتى إذا دنوت منه عثرت بي فرسى فقممت فركبت حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا ياتفت وأبو بكر يكثر

الذي تفسح بيوتها على حيطان البيوت فتقذرهما ، وقد جاء في حديث ضعيف : أنه كان يأمر بقتل العنكبوت وكان يقال إنه مسخ .

(١) لعلها جالوت الذي هو عدوه وأما طالوت فكان قائد الجند الذي فيه داود .

(٢) لم يرو البخاري الحديث بهذا السياق ولا رواه عن أبي بكر ولكن روى عن ابن شهاب قال أخبرنا عبد الرحمن اللدجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول « جاءنا كفار قرشي يجمعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسرهما » الحديث .

وروى كذلك عن أبي إسحق قال سمعت البراء رضي الله عنه قال « لما أقبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تبعه سراقه بن مالك ابن جعشم فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخنت به فرسه قال ادع الله لي ولا أضرك فدعا له » .

التلفت ساخت يدا فرسى في الأرض حتى باغتيا الركبتين فخررت عنهما ثم زجرتها
خفهمضت فلم تسكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ الأثر يديها عثمان ^(١) ساطع
في السماء مثل الدخان فناديتهما بالأمان فوققالى ^(٢) ووقع في نفسى حين لقيت
ما لقيت من الحبس عنهما أنه سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن أبي سعد والبيهقي وأبو نعيم عن أنس قال : « لما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر التفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال :
يا نبي الله ، هذا فارس قد لحق بنا ، فقال : اللهم اصرع ، فصرع عن فرسه ،
فقال : يا نبي الله مرني بما شئت ، قال : تقف مكانك لا تترك أحدًا يلحق
بينا ^(٣) فكان أول النهار جاهدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار
مسلحة ^(٤) له وفي ذلك يقول سراقه مخاطبًا لأبي جهل :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً رسول ببرهان فمن ذا يقاومه »

وأخرج ابن عساكر بسند واه ^(٥) عن ابن عباس قال : « كان أبو بكر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار فعطش ^(٦) فقال له رسول الله صلى الله عليه

(١) عثمان أى غبار .

(٢) ائدى فى البخارى « فاستقسمت بالأزلام الذى أكره فناديتهم
بالأمان فوقفوا فر كبت فرسى حتى جثتم » .

(٣) لم يقل له تقف مكانك ولا يعقل ذلك بل قال له حين عرض عليهما الزاد
والمتاع لا حاجة لنا بذلك ولسكن عم هنا الطلب .
(٤) أى حارساً له .

(٥) بل باطل منكر .

(٦) الواقع أنهما حين أويا إلى الغار كان معهما من الزاد واللواء ما يكفيهما مدة
إقامتهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يوافيهما كل مساء بمحلب غنمه .

وسلم اذهب إلى صدر الغار فاشرب ، فانطلق أبو بكر إلى صدر الغار فاشرب منه ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ، ثم عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر الملك للموكل بأنهار الجنة أن يخرج نهرًا من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب «^(١)» .

وقال البخارى : سمعت أبا محمد الكوفى قال : « لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يهاجر سمعوا صوتًا بمكة يقول :

فإن يسلم السعدان^(٢) يصبح محمد من الأمن لا يخشى خلاف المخالف

فقال قريش : لو علمنا من السعدان لفعلنا وفعلنا ، فسمعوا من القابلة وهو يقول :

فيا سعد سعد الأوس إن كنت مانعًا ويا سعد سعد الخزرجين الفطارف^(٣)
أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس زلفة عارف

قال : سعد الأوس : سعد بن معاذ : وسعد الخزرجين سعد بن عباد «أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق ، وأخرجه من طريق ابن أبى الدنيا ، أنبأنا أبى ثنا هشام بن محمد الكلبي حدثنا عبد الجيد بن أبى عباس عن أبيه عن جده قال : سمعت قريش صائحًا يصيح على أبى قبيس فذكر البيت الأول فتمالوا من السعد ؟ سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم ، فلما كان فى الليلة الثانية سمعوا صوته على أبى قبيس فذكر البيتين وزاد :

-
- (١) وهكذا يتخذ الوضاهون من حادث الهجرة العظيم مجالاً لكذبهم وافتراءهم كما يفعلون ذلك كلما صنعت لهم فرصة ولكن كذبهم لا يروج إلا على الأغرار .
(٢) المراد بهما سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج .
(٣) جمع فطارف وغطريف وهو السخى السرى أو الشاب الطريف أو السيد

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رفارف
 فقالت قریش : هذا سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، وأخرجه البيهقي
 والخراطي نحوه .

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيّات وأبو نعيم من طريق شهر بن حوشب
 عن ابن عباس عن سعد بن عباد قال : « لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بيعة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتي ثم رجعت
 حتى إذا كنت ببعض الأرض نمت ففزعت من الليل بصائح يقول :
 أبا عمرو تأوَّ بِنِي السُّهُود وراح النوم وانقطع المجدود

ثم صاح آخر : يا خرب ، ذهب بك اللعب ، إن أعجب العجب ، بين
 زهرة ويثرب ، قال : وما ذاك يا شاصب ؟ قال نبي السلام ، بعث بخير الكلام ،
 إلى جميع الأنام ، فأخرج من البلد الحرام ، إلى نخيل وآطام ، ثم طلع الفجر
 فذهبت أنظر فإذا عظام^(١) وثعبان ميتان ، قال : فما علمت أن النبي صلى الله عليه
 وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث^(٢) .

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثت عن أسماء بنت أبي بكر
 قالت : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين
 توجه حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يفتي بأبيات شعر ، وإن الناس
 ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلاًّ خيمتي أم معبّد

(١) العظام دويبة ملساء أصغر من الحرذون تمشي مشياً سريعاً ثم تنف .

(٢) ولكنه حديث قصاص يصلح للسمر والتلبية وقد أورد للؤاف سابقاً كثيراً
 من هذه المرواف .

وأخرج البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبراني والحاكم ،
 وصححه والبيهقي وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام بن حُبَيْش بن خالد عن
 أبيه عن جده «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة خرج منها
 مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي
 عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت بَرْزَةَ^(١) جَلْدَةً
 تحتجى بفناء القبة ، ثم تسقى وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها
 شيئاً^(٢) فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسْر^(٣) الخيمة فقال :
 ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجُهد^(٤) عن الغنم ، قال : أبها من
 لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت إن رأيت
 منها حَلَبًا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى
 الله ودعا لها في شاتها فتَفَاجَّتْ^(٥) عليه ودرت ودعا بإناء يربض^(٦) الزهط فحلب
 فيه ثَجًّا^(٧) حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا ، ثم
 شرب آخرهم صلى الله عليه وسلم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء حتى ملأ
 الإناء ، ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحلوا عنها فقل ما لبثت^٨ حتى جاء زوجها

(١) يقال برز يبرز برزاة من باب كرم إذا فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة فهو
 بَرَزٌ وهي بَرْزَةٌ .

(٢) روى أنها قالت لهم لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى .

(٣) يقال كسر الخيمة أو البيت يعني الجانب أو الناحية ويقال أيضاً للشقة السفلى
 من الخباء .

(٤) يعني الضعف والهمال .

(٥) أى فتحت ما بين رجليها .

(٦) أى يروم .

(٧) الثج الانصباب بغزارة .

أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً^(١) فلما رأى اللبث عجب وقال : من أين لك هذا
اللبث والشاة عازب حيال^(٢) ولا حلوب^(٣) في البيت ؟ فقالت لا والله إلا أنه
مر بنا رجل مبارك من حله كذا وكذا ، قال : صفيه لى قالت رأيت رجلاً ظاهر
الوضاعة أبلغ الوجه ، حسن الخلق لم تبعه ثجلة^(٤) ولا تزيه صعلة^(٥) وسيم قسيم فى
عينيه دَعَجٌ ، وفى أشغاره وطف ، وفى صوته صَحَلٌ وفى عنقه سطع^(٦) وفى لحيته
كثانة^(٧) أَرَجٌ أَقْرَنُ إِن صَمَتَ فعليه الوقار وإن تكلم سماء وعلاه البهاء ، أجمل
الناس وأبهاء من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلوا المنطق فصل لا تزر^(٨)
ولا هذر^(٩) كأن منطقة خرزات نظمن ربعةً لابائ من طول ، ولا تقتحمه عين
من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرأً وأحسنهم قدراً له رفقاء
يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود^(١٠)
لا عابس ولا معتمد ، فقال أبو معبد : هو والله صاحب قریش الذى ذكر لنا من
أمره ما ذكر بمكة ، فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من
صاحبه وهو يقول :

(١) أى مهازيل .

(٢) يقال شاة حثول وحيال أى لم تحمل .

(٣) الحلوب والحلوبة التى تعطى حليباً .

(٤) الثجلة عظم البطن .

(٥) يقال رجل أصعل إذا كان دقيق الرأس والعنق ، والأثني صعلاء .

(٦) أى طول .

(٧) الكثانة : غزارة الشعر .

(٨) التزر التأوه والقليل .

(٩) الهذر سقط الكلام الذى لا يعأ به .

(١٠) هو الذى يخف الناس إلى خدمته لأنه مطاع فيهم .

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالاً^(١) خيمتى أم معبد
 هما نزلاها بالمهدى فاهتدت^(٢) به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
 فيال قصى مازوى الله عنكم به من فعّال لا تُجَازى وسُودِد
 ليّهن بنى كعب مقامُ فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمِرْصِد
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
 دعاها بشاة حائل فتخلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
 فغادرها رهنا لديها بحالب يرددها فى مصدر ثم مَوْرِد

قوله : برزة يريد أنه خلا لها سن فهى تبرز ليست كالصغيرة المحجوبة^(٣)
 قوله : كسر الخيمة يريد جانباً منها وتفاجت : فتحت ما بين رجلها للحلب
 ويربض الرهط : يرويههم حتى يثقلوا . والرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة
 ونجماً أى سيلاً . وعلاه البهاء أى علا الإناء بهاء اللبن وهو ويبص رغوته ،
 وأراضوا : شربوا . وعازب : أى بعيد فى المرعى ونجلة أى رقة^(٤) . وصعلة
 الخاصرة تعنى أنه ضرب ليس بنا حل ولا منتفخ . والوسيم : الحسن الوضى ،
 وكذلك القسم . والعطف : انعطاف الأشعار^(٥) . وسطع أى طول . إن تكلم
 مما أى علا برأسه أو يده . لانزرو ولا هذرو أى وسط لا قليل ولا كثير
 لا تقتحمه : لا تحتقره ولا تزدره ، ومحفود أى مخدوم ، ومحشود أى مخفوف ،
 حشده أصحابه : أطافوا به . لا عابس : أى فى الوجه ، ولا معقد من الاعتداء

(١) المحفوظ حلا من الحلول .

(٢) المحفوظ أيضاً هما نزلا بالبر وارتحلا به .

(٣) ليس هذا معنى الكلمة فى اللغة وقد قدمنا الكلام عليها .

(٤) قدمنا أن النجلة هى عظم البطن .

(٥) قلنا إن صحته وطيف وهو غزارة شعر العين .

هو الظلم . والصريح . الخالص . والضرعة لحم الضرع . وقوله فغادرها رهناً
لديها بحالب . يريد أنه خلف الشاة مرتهنة لأن تدبر .

وأخرج ابن سعد والبغوي وأبو نعيم من طريق الحر بن الصباح عن
أبي معبد الخزاعي مثله بطوله .

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدي حدثني حزام بن هشام عن
أبيه عن أم معبد قالت « بقيت الشاة التي لمس ضرعها عندنا حتى كان زمان
الرمادة ^(١) زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنا نخلبها صبوحاً وغبوقاً وماني
الأرض قليل ولا كثير » ^(٢) .

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه قال « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكة فاتنهينا إلى حى من أحياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
يدين متحيا فقصد إليه فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة وذلك عند المساء فجاء
ابن لها بأعز يسوقها فقالت له انطلق بهذه العنز إلى هذين الرجلين ليذبحاها
ويأكلا ، فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انطلق بالشفرة وجئني بالقدرح
فقال إنها قد عزبت وليس لها لبن ، قال : انطلق فانطلق ، فجاء بقدرح فمسح النبي
صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدرح ، ثم قال : انطلق به إلى أمك
فشربت حتى رويت ثم جاء به فقالت انطلق بهذه وجئني بأخرى : ففعل بها
كذلك ثم سقى أبا بكر ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي صلى الله

(١) هو قحط أصاب الجزيرة في خلافة عمر رضي الله عنه وجهد الناس فيه جهداً
شديداً ، وظهرت فيه عظمة عمر وعدة تقديره المسئولية حيث أبى ألا أن يشارك
الناس في محنتهم وحرم اللحم على نفسه وأكل الزيت حتى اسود جلده وكان إذا قرقر
يظنه من الزيت يقول « قرقر ما شئت فلن تطعم إلا الزيت حتى يخلص للسلون .
(٢) الصبوح ما يخلب في الصباح ، والغبوق ما يخلب في المساء .

عليه وسلم قال فبقنا : ليلتنا ثم انطلقنا فكانت تسميه المبارك وكثرت فتمها
حتى جلبت جلبا إلى المدينة » . قال البيهقي الظاهر أن هذه المرأة أم معبد
وأخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن قيس
ابن النعمان قال « لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين
مرا بعد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عنقا
حملت أول الشتاء ، وقد أخرجت وما بقي لها ابن فقال ادع بها فدعاها فاعتقلها
النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا ، وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمِجَنٍّ
فحلب وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب ، فقال الراعى : من
أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط ، قال محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قریش
أنه صابئ ؟ قال إنهم ليقولون ذلك ، قال فأشهد أنك نبي وإنما جئت به حق ،
وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي » ^(١) .

وأخرج أبو نعيم عن مالك بن أوس الأسلمى قال لما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه مروا بليل لنا بالجحفة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم « لمن هذه الإبل ؟ قال لرجل من أسلم فالتفت إلى أبى بكر
فقال سلمت إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ قال مسعود فالتفت إلى أبى بكر فقال
سعدت إن شاء الله » ^(٢) .

(١) يظهر أن القصص اتخذوا من حكاية أم معبد قولاً ينسجون عليه ما شاء .
لهم الخيال من قصص الحلب والشاء . وما يدل على اختراع هذه القصة قوله الراعى
حين سأله من أنت (محمد رسول الله) مع أن الثابت أنه عليه السلام لم يكن يصرح
باسمه في هذه الرحلة وأن أبا بكر كان إذا سئل عنه يقول هو يهديني السبيل .

(٢) وكان عليه السلام يعجبه الدال ويستبشر به .
وقد ورد في قصة الحديدية أنه لما رأى سهيل بن عمرو مقبلاً قال للمسلمين
« أبشروا سهل أمركم » .

وأخرج الزبير بن بكار في (أخبار المدينة) عن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه قال « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم ^(١) فصاح كلثوم بعلام له يا نجيح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتجيحت يا أبا بكر ^(٢) ».

وأخرج البخاري عن ابن عباس « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » قال إلى مكة ^(٣) .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن أنس قال « شهدت يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ منه ^(٤) ».

وأخرج ابن سعد عن أنس قال (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضواء منها كل شيء .

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت به راحلته فأناه الناس فقالوا يا رسول الله المنزل فانبعث به راحلته فقال « دعوها فإنها مأمورة ثم خرجت به حتى جاءت به موضع المنبر فاستناخت ^(٥) ».

(١) يعنى في قباء قبل أن يدخل المدينة وقد أقام بها أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء الذي هو أول مسجد أسس بعد النبوة .

(٢) ورد النهى عن تسمية العلمان بهذه الأسماء مثل أفلح ويسار ونجيح وعلل النبي عليه السلام النهى عن ذلك بأنه يقال أثم هو فيقال لا فيكون فألا سيناً .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير قال حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس .

(٤) بقية الحديث « وشهدت يوم موته فما رأيت يوماً أظلم ولا أعبس منه » .

(٥) كان عليه السلام كلما مر بدار من دور الأنصار أخذوا بزمام ناقته وقالوا =

وأخرج البيهقي عن أنس قال « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما دخل جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا إلينا يا رسول الله فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة فبركت على باب أبي أيوب فخرجت جَوَارٍ من بني النجار يضربن بالدُّفوف وهُنَّ يقتلن :

تمحن جَوَارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقتلن .

طلع البدر علينا من ثَنِيَّاتِ الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (١)

وأخرج الحاكم والبيهقي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراي حرّة فإما أن تكون هَجْرًا وإما أن تكون يثرب، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر وكنت قد هممت بالخروج معه فَصَدَّني فتيان من قريش فجعلت ليلتي

== هلم إلينا يا رسول الله على الرحب والسعة . فيقول لهم : خلوا الناقة فإنها مأمورة فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها ، وكان ذلك في بني النجار أمام دار أبي أيوب .

(١) يرجح ابن القيم أن هذه الأبيات إنما كان ينبغي بها الولائد والنساء والصبيان عند قوله عليه السلام من غزوة تبوك ثم يقول « وبعض الرواة بهم في هذا ويقول إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وهم ظاهر لأن ثنيت الوداع إنما هي من ناحية الشام لابراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام » .

تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغلنا الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكياً فناموا فلحقني منهم ناس بعد ما سرت برّيداً ليردوني فقلت لهم هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلى ؟ ففعلوا فسقطتهم إلى مكة فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب ، فإن تحتها الأواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها ، فلما رأيته قال يا أبا يحيى ربيع البيع ثلاثاً ، فقلت يا رسول الله ما سبقنى إليك أحد وما أخبرك إلا جبرئيل عليه السلام ^(١) .

باب

اجتماع اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وسؤالهم له
ومعرفتهم صدقه

أخرج ابن سعد والترمذى والحاكم وصححه وابن ماجه والبيهقى عن عبد الله بن سلام قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس ^(٢) قِبَلَهُ فُجِئَتْ فِي النَّاسِ لَأَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُ مِنْهُ أَنْ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلْعَمَوْا الطَّعَامَ ، وَأَفْشَوْا السَّلَامَ ^(٣) وَصَلَوْا الْأَرْحَامَ ، وَصَلَوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامَ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

وأخرج البخارى عن أنس قال « سمع عبد الله بن سلام بقُدُومِ رسول الله

(١) وروى أنه نزل في صهيب قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) .

(٢) أى أسرعوا نحوه .

(٣) يعنى أغيعوه بأن يسلم بعضهم على بعض ، وفي الحديث « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول
 أشرط الساعة ^(١) وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟
 قال أخبرني بهن جبرئيل آتفا ، أما أول أشرط الساعة فنار تخرج على الناس من
 المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد ، الحوت وإذا
 سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ^(٢) ، وإذا سبق ماء المرأة نزع
 أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يارسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ
 وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني فجاءت اليهود إليه ، قال :
 أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ،
 قال أرأيتم إن أسلم ؟ قالوا أعاده الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله
 إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، قالوا شرنا وابن شرنا ، وانتقصوا قال هذا
 الذى كنت أخاف يارسول الله .

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن سلام قال « لما سمعت برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيبته والذى كنا نتوكل له ^(٣) فكنت مسرورا
 لذلك صامتا عليه حتى قدم المدينة فأخبر رجل بقدمه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل
 فيها ، وعمتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدمه كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت
 بموسى بن عمران ما زدت قلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران ، بعث
 بما بعث به فقالت يا ابن أخى أهو النبي الذى نخبر به أنه يبعث مع الساعة ؟ قلت
 لها نعم ، ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وذكر نحو ما تقدم .

(١) أى علاماتها القريبة .

(٢) يعنى أشبهه .

(٣) جمع بهوت بفتح الباء وهو الذى ينهب السامع بما يفترى عليه من الكذب .

(٤) أى ننتظر ظهوره .

وأخرجه البيهقي من مرسل سعيد التميمي نحوه وزاد أنه سأله عن السواد الذي في القمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنهما كانا شمسين قال الله ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ فالسواد الذي فيه هو المحو^(١)» فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن صفية بنت حيي^(٢) قالت «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب ، ثم رجعا فسمعت عمي يقول لأبي أهو هو ؟ قال نعم ، والله قال ترفه بعينه وصفته ؟ قال نعم ، والله قال فماذا في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت أبداً » .

وأخرج الحاكم وصححه عن عوف بن مالك قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخل كنيسة اليهود فقال «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم^(٣)» قال فأسكتوا فما أجابه منهم

(١) هذه الزيادة غير صحيحة ولكن روى ابن جريج عن ابن عباس قال «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار (فمحونا آية الليل) أي السواد الذي في القمر » وكذلك روى ابن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن السكواء سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر ؟ فقال ويحك أما قرأ القرآن ؟ «فمحونا آية الليل » فهذا محوه .

(٢) إحدى أمهات المؤمنين كانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب الرسول عنقه بأمر أهل دمه وسبي أهله وتزوجها وتوفيت سنة ست وثلاثين .
(٣) القاعدة في الإسلام أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، فليس إسلام اثني عشر رجلاً من اليهود برافع غضب الله ولعنته عن بقى منهم على ظلمه وكفره ، وهكذا عودنا الحاكم أن يأتي بالأعاجيب . وقد قلنا فيما سبق ليته سمى مستدرکه مستركه ليريحنا من بلاياه .

أحد ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد ، فقال أيتم فوالله لأنا الحاشر وأنا العاقب . وأنا النبي المصطفى ، آمنتم أو كذبتم . ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج . فإذا رجل من خلفنا يقول كما أنت يا محمد ، فأقبل فقال ذلك الرجل : أى رجل تعلمونى فيكم يا معشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل اعلم بكتاب الله منك ولا أفة منك ولا من أهلك قبلك ولا من جدك قبل أهلك ، قال فإني أشهد الله بالله أنه نبي الله الذى تجدونه فى التوراة ، فقالوا كذبت ثم ردوا عليه قوله . وقالوا شراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم لن يقبل الله قولكم وأنزل الله فيه ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ (١) الآية .

وأخرج أحمد والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس قال « جاءت عصابة من اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنها ، لا يعلمها إلا نبي أخبرنا عن الطعام الذى حرم إسرائيل على نفسه ، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون منه الذكر وكيف تكون منه الأنثى ؟ وأخبرنا كيف النبى فى القوم ؟ فقال أنشدكم بالله هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً ، طال سقمه منه فذره لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، فحرم ألبان الإبل ولحمان الإبل ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال أنشدكم بالله هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ؟ قالوا اللهم نعم ، قال أنشدكم بالله هل تعلمون هذا النبى ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم . »

وأخرج البيهقى عن أبى ظبيان قال حدثنا أصحابنا أنهم بينما هم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاعترضهم يهودى ، فقال : يا أبا القاسم إني أسألك عن

(١) الآية مكية والخطاب للمشركين يقول الله عز وجل لهم ، أخبروني ما شأنكم إن كان هذا الكتاب الذى جئتكم به قد أنزل على لسانكم وقد كفرتم به وكذبتموه ، وقد شهد بصدقته وصحته المكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء .

مسألة لا يعلمها إلا نبي من أى المائتين يكون الولد؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وددنا أنه لم يسأله، ثم عرفنا أنه قد تبين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما نطفة الرجل فيبيضاء غليظة فمنها العظام والعصب وأما نطفة المرأة فحمراء رقيقة فمنها اللحم والدم فقال أشهد أنك رسول الله» .

وأخرج أحمد والبخاري والطبراني عن ابن مسعود قال «مر يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبي^(١) قال لاسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فقال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ قال يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، أما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظام والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال اليهودى هكذا كان يقول من قبلك» (٢) .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال «بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب^(٣) فررنا بنفر من اليهود، فقال بعضهم سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه عسى أن يخبر فيه بشيء تكرهونه، فسألوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت أنه يوحى إليه فلما انجلى عنه قال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية . قال أبو نعيم قيل إن من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة

(١) لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إلى أصحابه بمكة ظاهراً محدثهم ويعلمهم، وإنما كان ذلك بالمدينة في مسجده وما كانت قريش في عتوها وكبريائها تسمح بذاك وهي التي كان تطارد المسلمين في الشعاب وتسومهم سوء العذاب .

(٢) عجباً لهؤلاء الرواة يخترعون من الحكاية الواحدة عشرات الحكايات وكلها تدور حول موضوع واحد ولكن تختلف الروتوش والتزيينات .

(٣) هو جريدة النخل التي كشط خوصها .

أنه إذا سئل عن الروح فوض العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها ، وأمسك عما خاضت الفلاسفة وأهل المنطق القائلون فيها بالحدس والتخمين ^(١) ، فامتحنته اليهود بالسؤال عنها ليقفوا منه على نفعه المثبت عندهم في كتابهم فوافق جوابه ما ثبت في كتبهم .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن صوريا : أنشدك بالله هل تعلم أن الله حكم في التوراة فيمن زنا بعد إحصائه بالرجم ؟ فقال : اللهم نعم أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل ولكمهم يحسدونك ^(٢) .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه ، والبيهقي وأبو نعيم عن صفوان بن عسال قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله عن هذه الآية ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فسألاه فقال : « لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذي سلطان ليقته ، ولا تقذفوا محصنة ، وأنتم يا يهود عليكم خاصة لا تعدوا في السبت ، فقبلا يده ورجله وقالا : ششهد أنك نبي فقال : ما منعكما أن تساما ؟ فقالا إن داود دعا أن لا يزال من خيرته نبي وإنا نخشى أن تقتلنا اليهود ^(٣) » .

(١) نعم إن كل ما قالوه في حقيقة الروح وجوهرها فهو تخمس ورجم بالغيب ، فإنها لما استأثر الله عز وجل بعلمه .

(٢) التي جاءت به الرويات هو إقرار ابن صوريا بأن الرجم موجود في التوراة ولكن إقراره بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير صحيح وغير معقول . فإنه من علماء اليهود كابن سلام ، فلو أقر بذلك للزمته الحجة وكان بذلك الإقرار قد طارق دين قومه ، كيف ومعلوم أن ابن صوريا من كبار اللعاندين للإسلام .

(٣) قال ابن كثير بعد ما روى هذا الحديث « وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة بنى حفظه شيء وقد تكلموا فيه . ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات =

وأخرج مسلم عن ثوبان قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من اليهود فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس إجازة ؟ ^(١) قال : فقراء المهاجرين قال : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبدنون قال : فما غداؤهم على إثره ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها . قال : فما شرايبهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا قال : صدقت ، قال : وجئت أسأل عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ، جئت أسأل عن الولد قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعوا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آتيا بإذن الله . قال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سألتني هذه الذي سألتني عنه ، وما أعلم شيئا منه حتى أتاني الله به . »

وأخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبخاري ، والحاكم ، والبيهقي ، وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشيء ، فنزل جبرئيل فأخبره فبعث إلى

= فإنها وصايا في التوراة لاتعلق لها بقيام الحجة على فرعون .

إلى أن قال « فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجزاد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فإنها وصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وما جاءهم هذا اليوم إلا من قبل عبد الله ابن سلمة فإن له بعض ما ينسكروا والله أعلم . »

(٣) أي عبورا على الصراط .

اليهودى ، فلما جاءه قال : أتسلم إن أخبرتك ؟ قال : نعم قال : حرثان ، وطارق والذيل ، والكتفان وذو الفرع ، ووثاب ، وعمودان ، وقابس والفروح والمصبح والفياق ، والضياء ، والنور رآها في أفق السماء ساجدة له فقال : اليهودى هذه والله أسماؤها » ^(١) .

وأخرج البيهقي من طريق الكلبي عن صالح أبي عن ابن عباس « أن حبرا من اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف ، فقال : يا محمد من علمكها ؟ قال : الله علمنيها ، فعجب الخبر لما سمع منه ، فرجع إلى اليهود فقال لهم : والله إن محمداً ليقراً القرآن كما أنزل في التوراة . وانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عايته فعرفوه بالصفة ، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف فتعجبوا منه وأسلموا » ^(٢) عند ذلك .

وأخرج البيهقي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود « إن كنتم صادقين في مقاتلكم ، إن الجنة خاصة لكم من دون الناس فقولوا اللهم أمتنا فوالذى نفسى بيده لا يقوله » وجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا ذلك وكرهوه فنزل ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾ الآية .

(١) قال ابن كثير « تفرد به الحـكم بن ظهير الفزارى وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكترون . وقال الجرجاني : ساقط هو صاحب حديث حسن يوسف ، وقد ذكر ابن كثير أسماء هذه النجوم بما يختلف قليلا عما هنا فقال جريان ، والطارق ، والذيل ، وذو الكتفين ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والصبح والفروح ، والفرخ » .

(٢) أبو صالح عن ابن عباس أحد الكذابين .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن جابر بن سمرة قال : « جاء جُرْمُقَانِي ^(١) إلى أصحاب محمد فقال : أين صاحبكم هذا الذي يزعم أنه نبي ؟ لئن سألته لأعلمن نبي هو أو غير نبي ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الجرْمُقَانِي : اقرأ علي ، فتلا عليه آيات من كتاب الله فقال الجرْمُقَانِي : هذا والله الذي جاء به موسى » .

باب رفع الوباء والحمى والطاعون عن المدينة

معجزة له صلى الله عليه وسلم

وأخرج الشيخان عن عائشة قالت : « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله ^(٢) فقال : اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا ، وأنقل حماها إلى الجحفة » ^(٣) .

وأخرج البيهقي عن هشام بن عروة قال : « كان وباء المدينة معروفا

(١) واحد الجرامقة وهم قوم من العجم .

(٢) يعني أشدها وباءاً .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن عائشة قالت « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ؟ وبإبلال كيف تجدك ؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله ، وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آتين ليلة بمكة عندي أذخر وجيل

وهل أوردن يوماً مياه عجنة وهل يبدون لي هامة وطفيل

قالت عائشة : فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اللهم حبيب إلينا الخ » .

في الجاهلية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن تنقل حماها إلى الجحفة فكان
المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى .

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت
امرأة سواد ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيبة فأولاتها أن وباء
المدينة نقل إلى مهيعة وهي الجحفة » ^(١).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« على أنقاب ^(٢) المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال » قال بعض
العلماء هذه معجزة له صلى الله عليه وسلم لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم معجزوا
عن أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القرى ، وقد امتنع
الطاعون من المدينة بدعائه وخبره صلى الله عليه وسلم هذه المدة المتطاولة .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة حدثني محمد بن الحسن عن محمد
بن طلحة ابن عبد الرحمن عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال :
« لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وعك فيها أصحابه ، وقدم رجل
فتزوج امرأة كانت مهاجرة ^(٣) ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر :

(١) قال في النهاية « مهيعة اسم الجعفة وهي ميقات أهل الشام وبها غدیر خم
وهي شديدة الوخم . قال الأصمعي لم يولد بفدير خم أحد فعاش إلى أن يموت ،
إلا أن يتحول منها .

(٢) جمع نقب بضم النون وهو الطريق .

(٣) هذه المرأة هي أم قيس وتزعم الرواية أن رجلاً خطبها فأبت أن تزوجه حتى
يهاجر فهاجر وتزوجها ، فكان يقال له مهاجر أم قيس ويحملون هذه الرواية سبباً
للعديث مع أن معنى الحديث لا يتوقف عليها بل هو يرسم قاعدة عامة باعتبار النية أساساً
في كل عمل ، وأن ثواب العمل على قدر ما يتوفر فيه من إخلاص وبعد عن الشوائب ، =

«فقال يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات ثلاثاً ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهي هجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته في دنيا يطلبها ، أو امرأة يخطبها ،
فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه^(١) ثم رفع يديه فقال : اللهم انقل عنا الوباء ثلاثاً ،
فلما أصبح قال : أتيت هذه الليلة بالحي ، فإذا بعجوز سوداء مليبة^(٢) في يدي
الذي جاء بها فقال : هذه الحي فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها بحم .

وأخرج الزبير أيضاً حدثني محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن
هشام بن عروة عن أبيه قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فجاءه
إنسان قدم من ناحية طريق مكة فقال : له هل لقيت أحداً ؟ قال : لا يا رسول الله إلا
امرأة سوداء عريانة نائرة الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك
الحي ولن تعود بعد اليوم أبداً »^(٣) .

باب الآية في وضع البركة فيها

أخرج الشيخان عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ، ودعوت لها في مُدّها وصاعها مثلي
ما دعا إبراهيم لمكة » .

وأخرج المبخاري في تاريخه عن عبد الله بن عباس قال قال النبي صلى الله

عليه وسلم ثم يفرع على هذا أن من أخلص في هجرته ولم يقصد بها إلا وجه الله ونصر رسوله
فهجرته مقبولة مرضية ، وأما من أراد بها حظاً من حظوظ الدنيا من امرأة أو مال
فهذا هو ثواب هجرته ولا ثواب له عند الله .

(١) الحديث إلى هذا القدر مشهور من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) يقال لب فلان فلانا أخذ بتلايبه .

(٣) قد يعقل أن ترى الحي في المنام على هيئة امرأة سوداء الخ أما أن ترى في
الليظة سائرة في الطريق فهذا خيال المحومين .

عليه وسلم « أدعوك^(١) لأهل المدينة مثل مكة ، قال عبد الله : إنا نعرف ذلك إنما ليجزىء المد عندنا والصاع مثل مايجزىء بمكة .

وأخرج الزبير بن بكار في (أخبار المدينة) عن إسماعيل بن النعمان قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال « اللهم اجعل نصف أكراسها مثل مئثلها في غيرها من البلاد^(٢) » .

باب ما وقع عند بناء المسجد من الآيات

وأخرج الزبير بن بكار في (أخبار المدينة) عن نافع بن جبير بن مطعم قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها أمّا^(٣) » .

وأخرج أيضاً عن داود بن قيس أنه بلغه « أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع أساس المسجد حين وضعه وجبرئيل قائم ينظر إلى الكعبة قد كشف ما بينه وبينها »^(٤) .

(١) الخطاب لله عز وجل .

(٢) معناه أنها تأكل في أنصاف بطونها فتشبع كما يشبع غيرها إذا ملأ بطنه .

(٣) المعروف أنه صلى الله عليه وسلم جعل قبلة مسجده إلى بيت المقدس وأنه مفد هاجر كان يصلي قبل بيت المقدس وأنه مكث ستة عشر شهراً كذلك إلى أن أمر بالتحويل إلى الكعبة قبل بدر بشهرين .

وقوله أمّا بمعنى الحمزة وتشديد الهم أي مقابلها .

(٤) ولذا هذا التكلف وجهة مكة معروفة لأهل المدينة وإصابة عين الكعبة

ليس بلام لمن كان بعيداً عنها وهل كل من بنى مسجداً لابد أن يكشف ما بينه وبين الكعبة حتى يراها ؟ أليس هذا هو التنطع الذي قال الرسول في أهله : « هلك المتطعمون » .

وأخرج أيضاً عن ابن شهاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة » .

وأخرج أيضاً عن الخليل بن عبد الله الأزدي عن رجل من الأنصار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأثاه جبرئيل فقال ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ثم قال بيده فانماط^(١) كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الكعبة لايحول دون بصره شئ فلما فرغ قال جبرئيل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها »
هذه مراسيل يشد بعضها بعضاً^(٢)

وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن الشُّمُس بنت النعمان قالت « نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد - مسجد قباء - فرأيت أنه يأخذ الحجر حتى يهصره الحجر^(٣) حتى أسسه ويقول إن جبرئيل هو يؤم الكعبة » .

وأخرج الزبير بن بكار في (أخبار المدينة) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو بنى مسجدى هذا إلى صنعاء كان مسجدى »^(٤) .

(١) أى انزاح .

(٢) بل كلها مراسيل مخالفة للواقع ومخافية لروح الدين ، الذى قام على اليسر ورفع الحرج فهى كلها لاتساوى شروى نفع .

(٣) يقال هصره يهصره هصرأ جذبه وأماله .

(٤) يعنى لو وسعت حدوده حتى بلغت صنعاء لم يخرج بذلك عن نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الزركشى فى (أحكام المساجد) إن صح هذا كان من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم^(١).

باب ما وقع فى صرف القبلة من الخصائص

أخرج ابن سعد عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة فقال يا جبرئيل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود ، فقال جبرئيل إنما أنا عبد فادع ربك وسله ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء فنزات عليه ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ » .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال « ما خالف نبي نبياً قط فى قبلة ولا فى سنة^(٢) إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس من حيث قدم المدينة ستة عشر شهراً ثم تحول إلى الكعبة » .

باب ما وقع فى الأذان^(٣) من الآيات

أخرج أبو داود والبيهقى من طريق ابن أبى لىلى قال : حدثنا أصحابنا أن

(١) الحديث غير صحيح قطعاً ولو فرضت صحته فما وجه كونه من أعلام النبوة ، هل هو إخباره عليه السلام بأن الإسلام سيمتد إلى صنعاء ؟ فلامله قال هذا بعد إسلام أهل اليمن ، بل هو إن صح كان إثباتاً لحكم يتعلق بمسجده والكلام على الغرض والتقدير .

(٢) كيف واقع يقول (ولكل وجهة هو موليها) ويقول (اسكن جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ألا إنها نزعة يهودية من محمد بن كعب ما كنا نود أن يتورط فيها .

(٣) الأذان اسم مصدر من التأذين بمعنى الإعلام وهو فى لسان الشرع النداء

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لقد هممت أن أبعث رجالا في الدور ينادون الناس بحين الصلاة (١) وحتى هممت أن آمر رجالا يقومون على الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة ، فجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله إني لما رجعت لما رأيت من اهتمامك رأيت رجلا كان عليه ثوبين أخضرين فقام على المسجد فأذن ثم قعد قعدة ، ثم قام فقال مثلها ، إلا أنه يقول قد قامت الصلوة ولولا أن تقولوا لقلت كنت يقظان غير نائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أراك الله خيراً فمر بلالا فليثوذن ، فقال عمر : أما إني رأيت مثل الذي رأى ولكني لما سبقت استحيت » (٢) .

وأخرج ابن ماجة عن عبد الله بن زيد قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همَّ بالبوبق وبالناقوس فرأيت في المنام رجلا عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فقلت له يا عبد الله تتبع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت أنادى به إلى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك تقول : الله أكبر الله أكبر فذكر الأذان فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فجاء عمر فقال . والله لقد رأيت مثل الذى رأى وقال عبد الله بن زيد فى ذلك :

== للصلاة بالألفاظ المعروفة ، وقد شرع الأذان فى السنة الثانية من الهجرة وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبدربه رآه فى المنام فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلبه بلالا ، وكانوا قبل ذلك قد فكروا فى شىء يجمعهم للصلاة فأشار بعضهم بأن يتخذوا بوقا كبوق اليهود ، وقال آخرون : بل ناقوسا كناقوس النصارى ، حتى رأى ابن زيد ما رأى .

(١) أى وقتها .

(٢) فى بعض الروايات فخرج عمر يجر رداءه فمراعه إلا أذان بلال فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد طاف بى مثل الذى طاف به .

أحمد الله ذا الجلال وذا الإكرام حمداً على الأذان كثيراً
إذ أتاني به البشير من الله فأكرم به لدى بشيراً
في ليالٍ والى بهن ثلاث كلما جاء زادني توقيراً (١)

وأخرج الطبراني في (الأوسط) عن بريدة أن رجلاً من الأنصار أتاه
آت في النوم فعلمه الأذان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أخبر بمثل ما أخبرت
به أبو بكر (٢) فمروا بلالاً أن يؤذن (٣) .

وأخرج ابن أبي أسامة في مسنده عن كثير بن مرة الحضرمي قال « أول
من أذن بالصلاة جبرئيل في السماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالاً فأخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له : قد سبقك بها عمر .

وأخرج أبو داود في المراسيل عن عبيد بن عمير أن عمر لما رأى الأذان
جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد ورد بذلك ، فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم « سبقك الوحي » (٤) .

(١) ليس في الروايات ما يدل على أنه رأى ذلك في ثلاث ليال متوالية ، ولم
يكن هو ليصبر حتى يماوده الطيف ثلاثاً ، وهو يعلم أن النفوس متلهفة إلى شيء يكون
وسيلة للأعلام بالصلاة .

(٢) هذا وهم كبير من قائله فإن أبا بكر لم يرد له ذكر في روايات الأذان ، ولعله
أراد عمر فسبق وهمه إلى أبي بكر .

(٣) هذا أثر لا يصح لمخالفته الروايات الصحيحة المتقدمة .

(٤) لا تعارض بين هذا وبين رؤية عبد الله بن زيد للأذان لجواز أن يكون
الوحي قد نزل به بعد ذلك ، تأكيذاً لصدق الرؤيا ، فلما جاء عمر كان الوحي قد
سبقه به .

وأخرج البيهقي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال « كان رجل من اليهود إذا سمع المنادي ينادى بالأذان قال : أحرق الله الكاذب . فبينما هو كذلك إذ دخلت جاريته بشعلة من نار فطارت شرارة منها في البيت فالتهمت في البيت فأحرقته » (١) .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر قال (كان ابن أم مكتوم (٢) يتوخى الفجر فلا يحطئة وكان ضريباً » (٣) .

وأخرج مسلم عن سهيل بن أبي صالح قال أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبي فقال إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولي وله حصاص » (٤) .

وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال : « إذا تقولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإذا ذاك لا يضره » (٥) .

(١) هذا غير معقول لأن اليهودي يعلم أنه هو الكاذب وأن كفرهم إنما كان بسببه البغي والحسد ، فكيف إذا يدعوا على نفسه وقد علمت حال رواية الكلبي عن أبي صالح فهي أحد سلاسل الكذب .

(٢) هو عبد الله بن أم مكتوم الذي نزل فيه قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » الآيات وكان أوله من هاجر إلى المدينة هو ومصعب بن عمير وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستخلفه على المدينة إذا خرج لغزو .

(٣) وقد ورد في الصحيح أنه كان لا ينادى حتى يقال له أصبحت أصبحت .

(٤) أي ضرباً كما صرح به في الصحيح .

(٥) قال في النهاية « الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت =

وأخرج البيهقي عن الحسن « أن عمر بعث رجلاً إلى سعد بن أبي وقاص ،
 فلما كان ببعض الطريق عرضت له الغول فأخبر سعداً فقال إنا كنا نؤمر إذا
 تقولت لنا الغول أن ننأى بالأذان فلما رجع إلى عمر عرض له ليسير معه فنأى
 بالأذان فذهب عنه فإذا سكت عرض له فإذا أذن ذهب عنه » .

العرب تزعم أن الغول في القلاة تترأى للناس ، فتقول أى تتلون في صور شق
 وتقولهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله وقيل قوله
 « لا غول » ليس نفياً لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه
 بالصور المختلفة واغتياله فيكون المعنى بقوله « لا غول » أنها لا تستطيع أن تفضل
 أحداً ويشهد له الحديث الآخر « لا غول ولكن السعالى » والسعالى سحرة الجن
 أى ولكن في الجن سحرة لهم تلبس وتخيل .

ذكر المعجزات الواقعة في الغزوات

باب ما وقع في غزوة بدر من الآيات والمعجزات

قال تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ الآيات . وقال ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ الآيات . وقال ﴿ وإذ يريكوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ﴾ الآيات .

وأخرج البخارى والبيهقى عن ابن مسعود ، قال « انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف بن صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ، قال : فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد بن معاذ أنا سعد ، فقال : أبو جهل أتطوف بالكعبة أمنا وقد آوئتم محمداً وأصحابه ؟ فتلاحيا^(١) فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم ، فإنه سيد أهل هذا الوادى ، فقال له سعد : والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك بالشام فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ويسكته ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإنى سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم^(٢) أنه قاتلك ، قال : إياى ؟ قال نعم . قال والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال أخى اليثربى ؟ قالت . وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى . قالت فوالله ما يكذب محمد « فلما خرجوا لبدر وجاء الصريح قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربى ؟

(١) تشاتما وارتفعت أصواتهما .

(٢) كلمة يزعم هنا إنما أريد بها مجرد الخبر ولم يقصد بها الاتهام بالكذب .

تقال فإني إذا لا أخرج فقال له أبو جهل: إنك من أشرف أهل الوادي فسر معنا يوماً أو يومين فسار معهم فقتل .

وأخرج ابن إسحاق والحاكم والبيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس ومن طريق عروة بن الزبير والبيهقي من طريق ابن شهاب قالوا « رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري ^(١) على قريش بمكة بثلاث ليال رؤيا فأصبحت عاتكة فأعظمتها فبعثت إلى أخيها العباس ابن عبد المطلب فقالت له : يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعني ليدخلن على قومك منها شر وبلاء فقال وما هي ؟ قالت رأيت أن رجلاً أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال : انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ^(٢) فأذن الناس ^(٣) فاجتمعوا إليه ثم إن بعيره دخل به المسجد واجتمع إليه الناس ثم مثل ^(٤) به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة فقال انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم إن بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال : انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوى حتى إذا كانت في أسفله ارفضت فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها فقال العباس : والله إن هذه لرؤيا فاكتمها قالت وأنت فاكتمها لئن بلغت هذه قريشاليؤذنتنا نفرج العباس من عندها فلقية الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها ففشا الحديث

(١) كان أبو سليمان حين علم بأن النبي عليه السلام خرج في أصحاب لا اعتراض .
العير قد استأجر هذا الرجل وأرسله إلى أهل مكة يستنفرهم للدفاع عن عيرهم .

(٢) يعني أنه أعاد هذه الكلمة ثلاث مرات .

(٣) يعني استمعوا له .

(٤) يعني وقف منتصباً .

قال العباس: فإني لغادر إلى الكعبة، فإذا أبو جهل قال: يا أبا الفضل متى حدثت هذه النبوة فيكم^(١) قلت وما ذاك؟ قال رؤيا رأيتها عاتكة، أما رضىتم يا بنى عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم، سنترى بكم هذه الثلاث التى ذكرت عاتكة، فإن كان حقاً فسيكون، وإلا كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت فى العرب، فلما كان اليوم الثالث إذا ضمضم بن عمرو بالأبطح على بعيره يخبر أن العير قد عرض لها محمد وأصحابه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا فأصاب قريشا ما أصابها يوم بدر فقالت عاتكة فى ذلك أبياناً .

وأخرج البيهقى من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة بن الزبير قالا « لما نفرت قريش إلى بدر نزلوا الجحفة عشاء وفيهم رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له: جهيم بن الصلت بن مخزومة فوضع جهيم رأسه فأغنى^(٢) ثم فزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الذى وقف على آنفنا؟ فقالوا لا إنك مجنون. قال: قد وقف على فارس آنفنا، فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخترى وأمىة بن خلف فعد أشرافاً من كفار قريش، فقال له أصحابه: إنما لعب بك الشيطان، ورفع الحديث إلى أبى جهل فقال: قد جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غداً من يقتل .»

وأخرج البخارى عن البراء قال: « كنا نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر .»

وأخرج ابن سعد والبيهقى عن ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت . فدعا لهم رسول الله

(١) يتهمكم أبو جهل بالعباس بأن نساء بنى هاشم أصبحن يدعين النبوة .

(٢) نفس ناعسا خفيفا يقال أغنى بإغفاء واللرة منه إغفاء إذا أطرق برأسه .

صلى الله عليه وسلم حين خرج فقال : « اللهم إنيهم حفاة^(١) فاحملهم ، اللهم إنيهم عراة فاكسهم ، اللهم إنيهم جياع فأشبعهم ، ففتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا . وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو بجملين واكتسوا وشبعوا » .

وأخرج^(٢) والحاكم والبيهقي عن علي قال « ما كان معنا يوم بدر إلا فرسان ، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود .

وأخرج البيهقي عن علي قال : « أخذنا رجلين يوم بدر فأفلت أحدهما . وأخذنا الآخر ، فقلنا كم القوم ؟ قال : كثير عددهم شديد بأسهم ، فجعلنا نضربه حتى اتهمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم تنحرون من الجزور ؟ فقال في كل يوم عشراً ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف لكل جزور مائه »^(٣) .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن يزيد بن رومان نحوه وفيه « كم تنحرون كل يوم ؟ قال : يوماً عشراً ويوماً تسعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم بين الألف والتسعمائة » .

وأخرج ابن سعد وابن راهويه وابن منيع والبيهقي عن ابن مسعود قال : « لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم : سبعين ؟

(١) جمع حاف وهو من رقت قدمه من كثرة المشي أو مشى بلا خوف ولا نعل .

(٢) هنا بياض بالأصل ولعل مكانه (أبو يعلى) .

فقد روى ابن كثير عنه قال حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن طي رضي الله عنه قال « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد » الخ .

(٣) قال ابن القيم في (زاد المعاد) :

« وبعث صلى الله عليه وسلم علياً وسعداً والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر فقدموا »

قال أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا كم كنتم ^(١) : قال ألفا ؟ .

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ومن طريق عروة « أن النبي صلى الله عليه وسلم اضطجع يوم بدر وقال لأصحابه : لا تقاتلوا حتى أؤذنكم وغشيه نوم فغلبه ، فاستيقظ وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا ، موقل المسلمين في أعين المشركين حتى طمع بعض القوم في بعض .

وأخرج والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : « لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين » ^(٢) .

وأخرج البيهقي عن علي قال : « لما دنا القوم منا وصافقناهم إذ رجل منهم يسير في القوم على جمل أحمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الأحمر ؟ ثم : إن يك في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر فجاء حمزة فقال هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويأمر

بعبدين لقريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فسألهما أصحابه لمن أنتما ؟ فقالا نحن سقاة لقريش فسكره ذلك أصحابه وودوا لو كانا لعير أبي سفيان ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما أخبراني أين قريش ؟ قالا وراء هذا الكتيب فقال كم القوم ؟ فقالا لا علم لنا فقال كم ينعمون كل يوم ؟ قالا يوما عشرا ويوما تسعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة إلى الألف .

(١) وكذلك رواه بن أبي حاتم وابن جرير .

(٢) وهذا كان قبل ابتداء القتال ليطمع الله بعضهم في بعض وأما بعد التهام الصفوف ، فقد كثراته المسلمين في أعين المشركين ليوقع الرعب والهزيمة في صفوفهم ، ويعملهم على الفرار .

بالرجوع ويقول يا قوم اعصبوها اليوم برأسي^(١) وقولوا جبن عتبة وأبو جهل
يا بى ذلك » .

وأخرج أيضاً نحوه من طريق ابن شهاب ومن طريق عروة وزاد بعد
قوله « الأحمر وإن يطعموه يرشدوا » .

وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ،
قال ليلة بدر « هذا مصرع فلان^(٢) إن شاء الله تعالى غداً ووضع يده على الأرض .
وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً ، ووضع يده على الأرض وهذا مصرع
فلان إن شاء الله تعالى غداً ووضع يده على الأرض ، فوالذى بعثه بالحق ما أخطأوا
تلك الحدود جعلوا يصرعون عليها ثم ألقوا فى القليب وجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني
وجدت ما وعدني ربي حقاً ، قالوا^(٣) يا رسول الله أتكلم أجساداً لا أرواح
فيها^(٤) ؟ فقال : ما أتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا على » .

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب . ومن طريق
عروة بن الزبير « أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما استشار أصحابه فى الخروج إلى

(١) يعنى أنصبوها إلى وحملوني عليها .

(٢) يعنى مكانه الذى يصرع فيه أى يقتل .

(٣) فى بعض الروايات أن الذى قال ذلك هو عمر .

(٤) وفى بعض الروايات أتكلم قوماً قد جحدوا ، أى صاروا جيفة .

(٥) كانت عائشة رضى الله عنها تنكر هذا الحديث وتحتج بقول الله عز وجل
« وما أنت بمسمع من فى القبور » ولكن الإجماع مقدم على النفي ، والله هو الذى
أسمعهم نداء نبيه زيادة فى تبيكينهم وحسرتهم .

بدر^(١) قال : « سيروا على اسم الله فإنى قد رأيت مصارع القوم^(٢) » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال : « لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين يوم بدر ، قال : « كأنكم بأعداء الله بهذه الضلع الحمراء من الجبل يقتلون » .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال : « ما سمعت مناشداً ينشد حقاً له أشد من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل يقول : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد ثم التفت كأن شق وجه القمر ، فقال : كأنما أنظر إلى مصارع القوم عشية^(٣) » .

وأخرج البخارى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قبته يوم بدر « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو يشب فى الدرع ويقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر^(٤) » .

وأخرج مسلم والبيهقي عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين

(١) وذلك أنهم إنما خرجوا للغير ولم يخرجوا للقتال فلم يشأ أن يسير بهم إلا بعد أن يعرف استعدادهم للقتال فقال « أشيروا على أيها الناس » وكان يقصد الانتصار لأنهم إنما بايعوه على الحماية والنصرة داخل المدينة ولم يبايعوه على القتال معه خارجها .

(٢) فى بعض الروايات : « سيروا وأبشروا فوالله لستأنى أنظر إلى مصارع القوم » .

(٣) يعنى آخر النهار .

(٤) وهذا أحد أخبار الغيب التى اشتمل عليها القرآن الكريم فإن الآية من سورة « القمر » وهى مكية وكانت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة .

وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾ . فأمدّه الله بالملائكة قال ابن عباس : فبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس أقدم حيزُوم إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . »

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن علي قال : « لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من من قتال ثم جئت مسرعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنظر ما فعل ، فإذا هو ساجد يقول : (يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم) لا يزيد عليها ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ، ثم رجعت للقتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه ^(١) . »

(١) ليس من المعلوم أن يترك على مكانه في المعركة ثم يأتي لينظر ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه في عريشه يحرسه سعد بن معاذ وجماعة ولم يكن النبي عليه السلام يشتغل أثناء المعركة بالصلاة والدعاء ، فقد فعل ذلك طول ليلة حتى رأى المدد ينزل من السماء فاستبشر واطمأن وإنما كان يشرف على المعركة من عريشه وأخذ كفا من حصباء ورعى بها في وجوه القوم فلم يبق أحد منهم إلا دخل في عينيه منها ، وفي أول المعركة نزل يسوى صفوف أصحابه ويبشرهم بالنصر ويعدم على الصبر الجنة .

وأخرج الواقدي ، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : « رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما وعن يساره أحدهما يقاتلان أشد القتال ثم تلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه » ^(١) .

وأخرج ابن إسحاق ، وابن جرير ، والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس عن رجل من بني غفار قال : « حضرت أنا وابن عم لي بدرأ ، ونحن على شركتنا فإنا في جبل ننظر الواقعة على من تكون الدبرة فننتهب » ^(٢) ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حممة الخيل وسمعنا فيها فارساً يقول أقدم حيزوم فأما صاحبي فأنكشف قناع قلبه فأت مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم انتعشت بعد ذلك » .

وأخرج ابن إسحاق وابن راهويه في مسنده وابن جرير والبيهقي ، وأبو نعيم عن أبي أسيد الساعدي أنه قال بعد ما عى « لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصرى لأخبرتكم بالشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى » ^(٣) .

(١) لم يكن النبي عليه السلام بحاجة يوم بدر لقتال الملائكة عن يمينه وعن يساره فإنه لم يكن مطلوباً من أحد وكان المشركون مشغولين بما أصابهم من الكسرة والهزيمة عن طلبه ، نعم جاء في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال رأيت يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض أحدهما عن يمين رسول الله والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد ما يكون القتال ما رأيتهما قبل ولا رأيتهما بعد فدل ما ذكر هنا تعريف لهذا الحديث فوضع بدل سعد عبد الرحمن وبدل أحد بدرأ .

(٢) أى على من تكون الهزيمة فنختطف مما يتركه من الغنيمة .

(٣) المعروف أن المسلمين لم يروا الملائكة وإنما رأوا آثار فعلهم بالمشركين وأما المشركون فقد وردت آثار بانهم شاهدوا الملائكة على خيول بلق عليهم عمامهم صدر .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس وحكيم بن حزام قال : لما حصر القتال رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يسأل الله النصر ، وما وعده وقال : « اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين ، وأبو بكر يقول والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند أكناف العدو ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر هذا جبرئيل معتمر بعمامة صفراء أخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عنى ساعة ثم طلع على ثناياه النقع ^(٢) يقول : أتاك نصر الله إذ دعوته ».

وأخرج البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : « هذا جبرئيل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » .

وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن علي قال : « بينما أنا أميح ^(٣) من قايب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلاً قط ثم ذهبت ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلاً قط إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة قال : فكانت الريح الأولى جبرئيل عليه السلام ، نزل في ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر عن يمينه ، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة ^(٤) .

(١) جمع كنف وهو الجانب والناحية .

(٢) النقع الغبار المتطاير من حوافر الخيل كما قال تعالى (فأتزن به نقعاً) .

(٣) يقال ماج وامتاح من البئر أخرج منها الماء .

(٤) المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن في قلب المعركة حتى يكون =

وأخرج أحمد والبرزاري ، وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي عن علي قال :
« قيل لي ولأبي بكر يوم بدر قيل لأحدنا معك جبرئيل ، وقيل للآخر معك
ميكائيل ، وإسرائيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف » (١) .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن سهل بن حنيف قال : « لقد
رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده
قبل أن يصل إليه » (٢) .

وأخرج ابن إسحاق ، والبيهقي عن أبي واقد الليثي قال : « إني لأتبع يوم
بدر رجلا من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت
أن غيري قد قتله » .

وأخرج ابن جرير وأبو نعيم عن أبي داود المازني مثله .

وأخرج أبو نعيم عن أبي دارة قال : « حدثني رجل من قومي من بني سعد
بن بكر قال إني لمنهزم يوم بدر إذ أبصرت رجلا بين يدي منهزما فقلت :
ألحقه فاستأنس به فتدلى من جرف ولحقته فإذا رأسه قد زايله » (٣) ساقطا وما رأيت
قربه أحدا » .

له ميجنة وميسرة واسكنه نزل أول للمركة فعدل الصفوف وسواها بقضيب في يده
ثم رجع إلى عربشه يرقب المركة منه وقد أعدت عنده ركابه .

(١) لم يكن أحد من الملائكة مع أحد من الصحابة وإنما كانوا يتخللون المركة
كلها يصيحون بالمشركين ويوسعونهم ضربا بالسياط وبالسيوف .

(٢) وهذا يدل على أن الملائكة باشرت القتال يوم بدر وهو الصحيح لأنه يتفق
مع ظاهر قوله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فتبثوا الذين آمنوا سألني
في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) فإن
الظاهر أنه أمر الملائكة .

(٣) أي فارقه .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال : « كان يؤمئذ يندر ^(١) رأس الرجل لا يدرى من ضربه وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربه » .

وأخرج البيهقي عن الربيع بن أنس قال « كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلهم بضرب فوق الأعناق ، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به » .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : « كانت سماء الملائكة يوم بدر عمام بيض ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراء ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون » .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سهيل بن عمرو قال : « لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معاً يقاتلون ويأسرون » .

وأخرج ابن سعد عن حويط بن عبد العزى قال : لقد شهدت بدرأ مع المشركين فرأيت عبراً رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض ^(٢) .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن خارجة بن إبراهيم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل « من القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم ؟ فقال جبرئيل ما كل أهل السماء أعرف » ^(٣) .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن صهيب قال « ما أدرى كم يد مقطوعة أو

(١) أى يسقط .

(٢) أما القتل فظاهر وأما الأسر فمعناه أنهم كانوا يمسون بالشرك حتى يأتيهم المسلم فيأخذهم .

(٣) كيف لا يعرف جبرئيل كل أهل السماء وهو واجب الطاعة عليهم جميعاً كما قال تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) .

ضربة جائفة^(١) لم يدم كلمها^(٢) يوم بدر قد رأيتهما .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن أبي بردة بن نيار قال «جئت يوم بدر بثلاثة رؤس فوضعتن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أمارأسان فقتلتها ، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه ، فأخذت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك فلان من الملائكة^(٣) .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن ابن عباس قال « كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء^(٤) فذلك قوله تعالى ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن السائب بن أبي حبيش أنه كان يقول « والله ما أسرنى أحد من الناس فيقال فمن ؟ فيقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فيدركنى رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقنى رباطا وجاء عبد الرحمن ابن عوف فوجدنى مربوطاً فنادى فى العسكر من أسر هذا ؟ فليس يزعم أحد أنه أسرنى حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى من أسرك ؟ فقلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذى رأيت فقال أسرك ملك من الملائكة^(٥) .

(١) أى واصله إلى الجوف .

(٢) أى جرحها .

(٣) قلنا إن الصحيح أن المسلمين لم يروا الملائكة وإنما كانوا يشاهدون آثار ضربهم .

(٤) يعنى أن الملك كان يقول لمن يليه من المسلمين إني قد قربت من المشركين فسمعتهم يقولون كذا وكذا يريد به تثبيت المؤمنين .

(٥) القى ورد فى الصحيح أن رجلا من الأنصار أتى بالعباس بن عبد المطلب =

وأخرج الواقدي والحاكم والبيهقي عن حكيم بن حزام قال « لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادى خليص بجاد^(١) من السماء قد سد الأفق وإذا الوادى يسيل مملا فوق في نفسى أن هذا شيء من السماء أيد به محمد صلى الله عليه وسلم فما كانت إلا الهزيمة وهى الملائكة » .

وأخرج ابن راهويه والبيهقي وأبو نعيم بسند حسن عن جبير بن مطعم قال « رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى وقع على الأرض فنظرت فإذا مثل النمل السود مبعوث حتى امتلأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم »^(٢) .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن علي قال « جاء رجل من الأنصار قصير برجل من بنى هاشم ولفظ أبى نعيم بالعباس أسيرا يوم بدر فقال الرجل إن هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق^(٣) ما أراهم فى القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ملك كريم .

وأخرج أحمد وابن سعد وابن جرير وأبو نعيم عن ابن عباس قال « كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو^(٤) وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً = فقال أنا أسرته هذا يارسول الله فقال العباس والله ما أسرنى وإنما أسرنى رجل حسن الوجه عليه ثياب بيض فقال الرجل أنا أسرته يارسول الله فقال له اسكت ذلك ملك كريم أيدك الله به .

(١) البجاد الكساء والغليظ من الصوف .

(٢) لو صح هذا كان معناه أن الإمداد بالملائكة كان أثناء القتال مع أن المعروف أنه كان قبل بدء المعركة ويجوز أن يكون الإمداد جمل قبل القتال وأثناءه .
(٣) هو الذى فيه بياض وسواد .

(٤) قال فى المعارف فى ترجمته (هو كعب بن عمرو من الأنصار وكان قصيراً ذا بطن واسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة خمس وخمسين فى خلافة معاوية .

هو كان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا اليسر كيف أسرت العباس؟ قال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد أعانك عليه ملك كريم». وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال «قلت لأبي يا أبة كيف أسرك أبو اليسر ولو شئت لجعلته في كفك؟ قال يا بني لا تقل ذلك لقد لقيني وهو أعظم في عيني من الخدمة: جبل بمكة».

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد قال حدثنا عبيد بن أوس قال «لما كان يوم بدر أسرت العباس وعقيل بن أبي طالب فلما نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعانك عليهما ملك كريم».

وأخرج ابن سعد عن عطية بن قيس قال «لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من قتال أهل بدر جاء جبرئيل على فرس أنثى حمراء عليه درعه ومعه رمحه فقال يا محمد إن الله بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت؟ قال نعم رضيت فأنصرف»^(١).

وأخرج أبو يعلى عن جابر قال «كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته»^(٢) فلما قضى الصلاة قلنا يا رسول الله رأيناك تبسمت؟ قال مررت بميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار وهو راجع من طلب القوم فضحك إلى فتبسمت إليه»^(٣).

وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي عن علي قال: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا

(١) كلام قصاص لا أصل له ولا دليل عليه .

(٢) وما الذي أراهم تبسمه وهم وراءه ووجهه إلى القبلة ؟

(٣) هو كالحبر الذي قبله خيال قصاص .

وما كان أحدا أقرب إلى المشركين منه» ^(١).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ومن طريق عروة قالاً « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه المشركين فجعل الله تلك الحصباء عظيماً شأنها لم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأت عينيه ^(٢) ويجدون النفر كل رجل منهم منكباً على وجهه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب ، ينزعه من عينيه ووجد ابن مسعود أباً جهل مصروعاً بينه وبين المعركة غير كثير مقتنعاً في الحديد ، واضعاً سيفه على فخذه ليس به جرح ^(٣) ولا يستطيع أن يحرك منه عضواً وهو منكب ينظر إلى الأرض فضربه من قفاه فوضع رأسه ثم سلبه فإذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه خدراً وفي يديه وكتفيه كهيئة آثار السياط فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك ضرب الملائكة » .

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طستٍ فلما اصطف الناس أخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن في وجوه المشركين فذلك قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ الآية ^(٤) .

(١) الذي في الصحيح عن علي أنه قال « كنا إذا اشتد البأس وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . وليس فيه التقييد بيوم بدر وقد عرفت أنه كان يوم بدر في العريش يشرف على المعركة » .
(٢) ومصدق هذا قوله تعالى من سورة الأنفال « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

(٣) بل الصحيح أنه قتل وأن الذي قتله ابنا عفراء غلامان من الأنصار وأن ابن مسعود حين مر به كان يعاني النزاع ، فجز رأسه وذهب يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ففرح به وحمد الله .

(٤) لم تنزل حصيات من السماء وإنما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً

وأخرج ابن إسحاق والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَمَيْرٍ أن المستفتح يوم بدر أبوجهل قال لما التقى الجمعان : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف ، فَأَحْنَهُ ^(١) الغداة فقتل وفيه أنزل الله ﴿ إِن تَسْتَفْجِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ 》 .

وأخرج ^(٢) والبيهقي وأبو نعيم من طريق ابن أبي طاححة عن ابن عباس قال « أقبلت غير أهل مكة تريد الشام ^(٣) فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فأمرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنا فلما سبقت العير وفاتت سائر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة القوم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وبينهم وبين الماء رملة دَحْصَة ^(٤) فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء ^(٥) واتم كذا »

== من حصباء الأرض ورمى به في وجوه القوم وليس الإعجاز في نزولها من السماء ولا يكن في وصولها وهي ملء الكف إلى أعين القوم وهم ألف .

(١) يعني أهل مكة فهو من الحنن بمعنى الهلاك .

(٢) بياض بالأصل ولعل مكانه أحمد .

(٣) هذا التعبير غير مستقيم ولعل تصحيحه « أقبلت غير أهل مكة من الشام تريد مكة » .

(٤) رملة للأقدام .

(٥) لم يوسوس لهم الشيطان بشيء من ذلك والمشركون لم يغلّبهم على الماء بل

بالعكس فقد نزل المسلمون عند أدنى ماء من بدر وغوروا ما وراءه من القاب وكان ذلك بإشارة الحباب بن المنذر فشرّبوا وعطش المشركون .

فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا فأذهب الله عنهم رجز الشيطان^(١) وصار الرمل كذا ذكر كلمة أخبر أنه أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة^(٢) وكان جبرئيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجال بنى مدج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم^(٣) فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اختلط القوم قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال : يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدا فقال له جبرئيل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين *

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة قالا « أنزل الله عليهم في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين بلاء شديدا منهم أن يسيروا^(٤) وكان على المسلمين ديمة خفيفة لبدلهم

(١) قيل المراد به ما أصابهم من الاحتلام ليلة بدر .

(٢) هذا ما دلت عليه آية الأنفال ولكن ورد في آل عمران التصريح بأنهم أمدوا بثلاثة آلاف ثم جعلوا خمسة آلاف ومن المفسرين من ذهب إلى أن الإمداد بالثلاثة والخمسة كان في غزوة أحد وهو بعيد فإنه وارد في معرض الكلام عن بدر .

(٣) يقال إن قريشا حين أرادت الخروج لبدر ذكرت ما بينها وبين كنانة من ثأر ففت ذلك في عضدها فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك سيد كنانة وقال لهم أنا لكم جار وسار معهم فلما رأى للملائكة نزل من السماء نكس على عقيبته وقال « إني برىء منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » .

(٤) يعني أنه كان كثيرا أو حلت منه الأرض وصارت زائقا لا تثبت عليها الأقدام .

المسير والمنزل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مصارعهم إن شاء الله بالغداة .

وأخرج ابن سعد عن عكرمة قال « كانوا يومئذ يميّدون من النعاس ^(١) ونزلوا على كئيب أهيل ^(٢) فطرت السماء فصار مثل الصفا يسمعون عليه سعيًا وأنزل الله ﴿ إذ يغشاكم النعاس ﴾ الآية .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن حكيم بن حزام قال والتقينا يوم بدر فاقتتلنا فسمعت صوتًا وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصى في الطست وقبض النبي صلى الله عليه وسلم قبضة فرمى بها فانهزمنا .

وأخرج البيهقي من وجه آخر عن حكيم بن حزام قال « سمعنا يوم بدر صوتًا من السماء وقع إلى الأرض كأنه صوت حصاة في طست فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فما بقي منا أحد .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن نوفل بن معاوية الديلي قال « انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصى في الطست في أفئدتنا ومن خلفنا وكان ذلك من أشد الرعب علينا ^(٣) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عكرمة في قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ قال ما وقع منها شيء إلا في عين رجل .

وأخرج البيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال « أخذتهم يوم بدر ريح عقيم ^(٤) .

(١) لعله يقصد ليلة بدر حيث غشاهم الله النعاس أمانة منه ليصعبوا نشيطين للقتال .

(٢) يعني رمله غير متماسك .

(٣) لعل ذلك لو صح من أصوات اللائكة وهي تصيح بهم لأنه وقع حصيات من السماء .

(٤) إنما كانت الريح يوم الأحزاب ولم تكن يوم بدر ولو كانت الريح مما سلط عليهم لجاء ذكرها في جملة ماعده الله بما أبلى به المؤمنين يوم بدر .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي من طريقه حدثني خبيب بن عبد الرحمن قال
« ضُربَ خُبَيْبٌ جدى يوم بدر فقال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولأمه ورده فانطبق » .

وأخرج ابن عدى وأبو يعلى والبيهقي من طريق عاصم بن عمر بن قتادة
عن جده قتادة بن النعمان « أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته
فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدا به فغمز
حدقته براحتة فكان لا يُدْرَى أى عينيه أصيبت » . وأخرجه البيهقي من وجه
آخر عن قتادة مثله . وزاد بعد براحتة وقال « اللهم اكسه جمالا » .

وأخرج ابن سعد عن زيد بن أسلم « أن عين قتادة بن النعمان أصيبت
فسالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أصح
عينيه وأحسنهما » .

وأخرج أبو نعيم من طريق عبد الله بن أبي صعصعة عن أبي سعيد الخدري
عن أخيه قتادة بن النعمان ^(١) قال : « أصيبت عيناى يوم بدر فسقطتا على
وجنتى فأنتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فأعادها مكانهما وبزق فيهما
فعادتا تبرقان » .

وأخرج الحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن معاذ بن رفاعة بن رافع بن مالك
عن أبيه قال : « رميت بسهم يوم بدر ففقت عيني فبصق فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما آذانى منها شيء ^(٢) » .

(١) كان قتادة أخا لأبي سعيد الخدري لأمه وكان من الرماة المدودين وهذا
الحديث مخالف لما سبقه من الروايات فهو يزعم أن عينيه معا أصيبتا وكل الروايات
إلما تذكر عينا واحدة والصحيح كذلك أن عين قتادة أصيبت يوم أحد لا يوم بدر .
(٢) وكذلك رواه الإمام ابن القيم في « زاد المعاد »

وأخرج الواقدي حدثني عمر بن عثمان الحجبي عن أبيه عن عمته قالت :
 « كان عكاشة بن محصن ^(١) قال انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل وقاتلت به حتى هزم الله
 المشركين فلم يزل عنده حتى هلك » . وأخرجه البيهقي وابن عساكر .

وقال الواقدي حدثني أسامة بن زيد الليثي عن داود بن الحصين عن رجال
 من بني عبد الأشهل عدة قالوا : « انكسر سيف سلامة بن أسلم بن حريش
 يوم بدر فبقي أعزل لاسلح معه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً
 كان في يده من عراجين ابن طاب ^(٢) فقال اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم
 يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد » . أخرجه البيهقي .

وقال ابن سعد أنا علي بن محمد عن أبي معشر عن زيد بن أسلم ويزيد
 ابن رومان وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وغيرهم « أن عكاشة بن محصن
 انقطع سيفه يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلاً من شجرة فعاد
 في يده سيفاً صارماً صافي الحديد شديد المتن » .

وأخرج الشيخان من طريق قتادة عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم
 وقف على قتلى بدر في الركي ^(٣) فجعل يناديهم يا فلان ابن فلان هل يسركم أنكم
 أطعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، قال عمر يا رسول الله ماتكم
 من أجساد لا أرواح فيها ؟ قال : والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لما أقول

(١) هو عكاشة بن محصن بن حرنان من أسد خزيمة بدرى يكنى أبا محصن
 وكان من أجمل الرجال وهو الذي بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة من غير
 حساب وقتل بيزاخة في خلافة أبي بكر .

(٢) ابن طاب نوع من النخل .

(٣) يعني القلب .

منهم قال قتادة أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة « (١) » .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن الزهري قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم اكفني نوفل بن خويلد (٢) ثم قال من له علم بنوفل ؟ فقال على أنا قتلته يا رسول الله فكبر وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه » (٣) .

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت : « ما كان بعد نزول قوله تعالى ﴿ وذُرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النِّعْمَةِ وَمَهْلَهْم قَلِيلًا ﴾ إلا قليل حتى أصاب الله نريشاً بالوقعة يوم بدر » .

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وجمع من قریش في مجالسهم فقالوا . أيكم يقوم إلى جزور بني فلان فيأتى بسلاها (٤) فيضعه بين كتفيه إذا سجد فانبعث أشقى القوم (٥) »

(١) وهذا هو الحق ولا عبرة بتكذيب عائشة لذلك فإنه شيء لم نره كما أنكرت بوله قائماً وهو ثابت من حديث حذيفة لكن يجب أن يعلم أن هذا أمر مخصوص به وهو من جهة معجزاته وكان هؤلاء أئمة الكفر وصناديد الشرك وقد وقفوا في وجه الإسلام دهرًا طويلاً وناووا دعوته أشد المناوئة فلا غرو أن يسمعهم الله عز وجل صوت رسوله كما قال قتادة توبيخاً وتصغيراً الخ

(٢) هو أخو خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها

(٣) الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد هزيمة المشركين من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجد قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قتله عبد الله ثم أتى النبي عليه السلام فقال قتلوه فقال آله الذي لا إله إلا هو فرددها ثلاثاً ثم قال الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده

(٤) أي بما يخرج من بطنها من القاذورات

(٥) يعني عقبة بن أبي معيط وقد قتله النبي يوم بدر صبراً .

فجاء به فوضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهى جويرية فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلاته قال : اللهم عليك بقريش ثلاثاً ، ثم سعى اللهم عليك بعمر وبن هشام - يعنى أبا جهل - وعُتْبَةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمّية بن خلف وعُتْبَةَ بن أبى مُعَيْط وعمارة بن الوليد قال ابن مسعود فاقد رأيتم صرعى يوم بدر .

وأخرج أحمد والبيهقى عن ابن عباس قال : « لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له عليك بالعر لیس دونها شيء ، فناداه العباس وهو أسير فى وثاقه إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أنجز لك ما وعدك .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشَّعْبِيِّ أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقعدة معه حتى يغيب فى الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك أبو جهل يعذب إلى يوم القيامة ^(١) » .

وأخرج ابن أبى الدنيا والطبرانى فى (الأوسط) عن ابن عمر قال : « بينا أنا أسير بجنات بدر ، إذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فنادانى يا عبد الله اسقنى ، فلا أدري أعرف اسمى أودعانى بدعاية العرب ، وخرج رجل من تلك الحفرة فى

(١) يجب أن يعلم أن عذاب الكفار فى قبورهم هو من أمور الغيب التى لا نحس ولا نشاهد ، وكيف يطبق بشر رؤية مثل هذا المنظر المقطع ثم لا يصعق من ساعته فنحن نعلم أن أبا جهل وأشباهه يعذبون فى قبورهم ولكننا لا ندرك كيفية ذلك ولا حقيقته ككل أخبار التى وردت بها النصوص تؤمن بها ولا نخوض فى كيفيةها .

يده سوط فناداني يا عبد الله لاتسقه فإنه كافر ثم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرة
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال لي أوقد رأيتك؟ قلت نعم ، قال: ذاك
عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة^(١) .

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب . ومن طريق
عروة قالاً : «أذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين^(٢) فلم يبق في المدينة
منافق ولا يهودي إلا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر ، وكان ذلك يوم الفرقان يوم
فرق الله بين الشرك والإيمان ، وقالت اليهود تيقنا أنه النبي الذي نجد نعمة في
التوراة ، والله لا يرفع راية بعد اليوم إلا ظهرت^(٣) » .

وأخرج البيهقي عن عطية العوفي قال : سألت أبا سعيد الخدري عن قول
الله عز وجل ﴿ آلم غلبت الروم ﴾ الآية . قال : كانت فارس غلبت الروم ،
ثم غلبت الروم فارس ، بعد ذلك التقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركوا
العرب يوم بدر والتقت الروم وفارس فنصرنا على المشركين ونصر أهل الكتاب
على المجوس ، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب

(١) وهذه أيضاً كالتى قبلها بل أعد نكراً لما كان ليت أن يبعث من قبره قبل
النفخ في الصور ثم يطلب من حى أن يسقيه من ماء الدنيا ثم يخرج إليه الملك
الموكل بعذابه فيقول له لا تسقه .

فهذه كلها كما نهبنا سابقا حكايات خيالية من وضع القصاص لا أصل لها .

(٢) لم يظهر النفاق بالمدينة إلا بعد غزوة بدر فإن عبد الله بن أبى وأخوانه
كانوا قبلها على الشرك الصريح فلما رأوا قوة الإسلام يبدروا قالوا هذا أمر قد توجه
فدخلوا فيه ظاهراً وأضرموا الكفر والعدواة .

(٣) بل المعروف أن اليهود ظهر حسدهم للمسلمين بعد بدر حتى قال بعضهم وهم
بجو قينقاع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم
بالتقاتل فإذا لقيتنا علمت أننا نحن الناس فأنزله الله فيهم (قل للذين كفروا ستنقلبون
ونحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .

على المجوس فذلك قوله تعالى ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ (١).
وأخرج ابن سعد عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في قبة يوم
بدر فقال: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» فقال:
عمير بن الحمام: بَخِ بَخِ (٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخ بخ؟ (٣) قال رجاء
أن أكون من أهلها، قال فإنك من أهلها فانتحل تمرات من قرنه فجعل يلو كهن (٤)
ثم قال والله لئن بقيت حتى ألو كهن إنها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل حتى قتل.

وأخرج (٥) والبيهقي عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الأسارى يوم بدر «إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فأدبتموهم واستمتعتم بالفداء
واستشهد منكم بعدئذهم» (٦) وكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة.

وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن ابن عباس أن عتبة بن أبي معيط دعا
النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فقال: «ما أنا بأكلي حتى تشهد أن لا إله إلا
الله وأنى رسول الله فشهد بذلك فلقية خليل له فلامه على ذلك فقال ما يبئرى
صدور قريش منى؟ قال: أن تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه ففعل فلم يزد

(١) وقيل إن انتصار الروم على الفرس كان عام الحديبية وما ذكر عن أبي سعيد
هو الصحيح الذى يتفق مع ظاهر الآية.

(٢) كلمة معناها حسن حسن.

(٣) وفي رواية «ما حملك على قول بخ».

(٤) أى يعضفون.

(٥) بياض بالأصل.

(٦) لا يعقل أن يصدر هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لو علم أن
أخذ الفداء سيرتب عليه قتل سبعين من أصحابه لما أقدم على أخذه ولكن يمكن أن
يكون الوحي قد أعلمه بذلك بعد أخذ الفداء ونزول الآية بعقاب النبي صلى الله
عليه وسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم على أن مسح وجهه وقال : إن وجدتكَ خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً ، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج ، وقال : قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقى صبراً فقالوا لك : جمل أحر لا يدرك ، فلو كانت الهزيمة طُرَتْ فخرج معهم ، فلما هزم المشركون وحلَّ به جمعه في جُدَدٍ ^(١) من الأرض ، فأخذ سيراً فضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنقه صبراً ^(٢) وقال العباس حين أخذ منه الفداء : لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال : كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل؟ وُقِّت لها : إن قتلتُ فقد تركتكَ غنية ما بقيت فقال : أشهد أن الذي تقول قد كان وما اطلع عليه إلا الله . .

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن الزُّهْرِي وجماعة ، أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عندى ما أفدى به قال : فأين المثل الذي دفنته أنت وأم الفضل ؟ فقلت لها : إن أصبت في سفرى هذا فهذا المال لِبَنِي الفضل وعبد الله وقُتِم ، فقال والله إنى لأعلم أنك رسول الله ، والله إن هذا الشيء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل » .

وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة به وصححه .

وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن مقسم ^(٣) عن ابن عباس .

(١) جمع جدة وهى الطريق .

(٢) قتله بعرق الظبية قبل أن يدخل المدينة .

(٣) هو مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . وإتمناه

قيل له مولى ابن عباس للزومه إياه وانقطاعه إليه .

وقد روى كذلك عن أم سلمة سمعاً .

وأخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق عن سمع عكرمة عن ابن عباس .

وأخرجه ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : لما أمر
توفل بن الحارث بيدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « افد نفسك يا توفل
تقال مالى شئ أفدى به نفسي قال افد نفسك من مالك الذى بحِجْدَةٍ ، قال أشهد
أنك رسول الله ففدى نفسه بها » .

وأخرج ابن إسحاق وابن سعد وابن جرير والحاكم والبيهقي وأبو نعيم
من طريقه حدثني الحسين بن عبد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال :
حدثني أبو رافع قال : كنا آل العباس قد دخلنا الإسلام وكنا نستخفي بإسلامنا
وكنتم غلاماً للعباس ، فلما سارت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر جعلنا نتوقع الأخبار ، فقدم علينا « الجُسيان » الخزاعي بالخبر فوجدنا
في أنفسنا قوة وسرنا ما جاءنا من الخبر من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فوالله إني لجالس في ضُمَّة زمزم وعندى أم الفضل ، إذ أقبل الخبيث أبو لهب
بِشَرٍّ يجر رجله قد كَبَتَهُ الله وأخزاه لما جاءه من الخبر حتى جلس على طُنْبِ
الحجرة ، وقال له الناس : هذا أبو سفيان بن حرب ^(١) قد قدم واجتمع عليه الناس ،
فقال أبو لهب : هلم إليّ ، فعندك الخبر ، فجاء حتى جلس فقال : والله ما هو
إلا أن لقينا القوم فمحنهم أكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاءوا والله مع
ذلك ما امت الناس لقينا رجلاً بيضاء على خيل بُلْقِي ، لا والله ما تبقى شيئاً ،
قال : فرفعت طُنْبَ الحجرة فقلت : تلك والله الملائكة ، وقام أبو لهب يجر
رجليه ذليلاً ورماه الله بالْعُدْسَةِ ، فوالله ما مكث إلا سَبْعاً حتى مات ، فلقد تركه

(١) هكذا وجد في النسخ وهو خطأ فإن أبا سفيان بن حرب لم يشهد وقعة

بيدر ، بل كان مع العير ولعل محمته سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

ابناه في بيته ثلاثاً ما يدفناه حتى أنتن ، وكانت قريش تتقي العدة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لها رجل من قريش : ويحك ألا تستحيان أن أبا كما قد أنتن في بيته لا تدفناه ، فقالا : إنما نخشى عدوى هذه القرحة ، فقال : انطلقا فانا أعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رصموا عليه الحجارة .

وأخرج الشيخان عن عروة قال : « أعتق أبو لهب ثوبية^(١) فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله في النوم بشر خيبة ، فقال له ماذا القيت ؟ قال : لم ألق بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه بعثاتي ثوبية وأشار إلى الثمرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع . »

وأخرج البيهقي عن الواقدي قال : « قالوا : كان مُبَاثُ بْنُ أَشِيمِ الكِنَانِي يقول : شهدت مع المشركين بدرًا وإني لأنظر إلى قلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيني وكثرة من معنا من الخيل والرجال ، فانهزمت فيمن هزم . فلقد رأيتني أنظر إلى المشركين في كل وجه وإني لأقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فلما كان بعد الخندق وقع في قلبى الإسلام فتقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فسلمتُ فقال لى : يا قباث ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ؟ فقلت : أشهد أنك رسول الله وإن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ، وما تَزَمَزَمْتُ به^(٢) إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلو لا أنك نبي ما أطلعك الله عليه فعرض على الإسلام فأسلمت . »

(١) يقال إنه أعتقها حين بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا ورد أنه يخفف عنه العذاب يوم الاثنين .

(٢) يعنى ما أجربته على شفى ولا حركت به لسانى .

وأخرج الطبراني عن أبان بن سلمان عن أبيه سلمان قال : « كان إسلام قباث بن أشيم الليثي أن رجالا من العرب أتوه فقالوا إن محمداً خرج يدعو إلى غير ديننا ، فقام قباث حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له اجلس يا قباث فأوجم^(١) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل لو خرجت نساء قريش بأكتها^(٢) ردت محمداً وأصحابه ؟ فقال قباث : والذي بعثك بالحق ما تحرك به لساني ولا ترمزمت به شفتاي وما سمعه مني أحد وما هو إلا شيء هَجَسَ في نفسي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله وأن ما جئت به الحق » .

وأخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم عن موسى بن عقبة وعن عروة بن الزبير قالا : « لما رجع وفد المشركين إلى مكة أقبل عُيمِر بن وهب الجحفي حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحَجْر ، فقال صفوان : قبح العيش بعد قتلي بدر قال أجل ، والله ما في العيش خير بعدهم ولولا دينٌ عليّ لأجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئاً لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه إن لي عنده علة أعتل بها أقول قدمت على ابني هذا الأسير ففرح صفوان بقوله وقال عليّ دينك وعيالك أسوة عيالي في النفقة ، لا يسعني شيء ويمجز عنهم فحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فصُقِلَ وَسُمِّ وقال عمير لصفوان اكتمني أياما فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل هو وعمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣) فقال رسول الله

(١) أي أسكت مهتما حزينا .

(٢) يعني أكمة بدر وهو المكان المرتفع .

(٣) ما نظن أن عمرو هو الذي أشار بقتل أسارى بدر وعدم أخذ الفداء منهم كان ينتظر على عمير أن يقدم المدينة بغير أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يعاجله بضربه عمرية تورده حياض اللنية ، ولاكنها مراسيل لا حجة فيها ورحم الله أحمد بن حنبل فقد كان يقول : ثلاثة لا أصل لها ، السير والمغازي وللإحلام .

صلى الله عليه وسلم لعمر تأخّر ثم قال ما أقدمك يا عمير ؟ قال قدمت على أسيرى عندكم قال اصدقنى ما أقدمك ؟ قال ما قدمت إلا فى أسيرى قال فماذا شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر ففرع عمير وقال ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت له بقتلى على أن يعول بنيك ويقضى دينك والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، إن هذا الحديث كان بينى وبين صفوان فى الحجر لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره ، فأخبرك الله به فأمنت بالله ورسوله ثم رجع إلى مكة فدعا إلى الإسلام^(١) فأسلم على يده بشر كثير . ثم أخرجه البيهقي والطبراني من طريق ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير فذكره نحوه . وأخرجه أبو نعيم عن الزهري نحوه . وأخرجه ابن سعد وأبو نعيم عن عكرمة فهذه طرق مرسلّة . وأخرجه الطبراني وأبو نعيم من طريق أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك موصولا بسند صحيح .

أخرج البيهقي عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو كان المطعم حياً ثم كلمنى فى هؤلاء^(٢) لأطلقهم له - يعنى أسارى بدر - قال سفيان وكانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد^(٣) وكان أجزى الناس باليد » . وأخرج أبو نعيم عن جبير بن مطعم قال « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) عجبا كيف كان يسكت أهل مكة على داعية إلى الإسلام بينهم وقلوبهم لا تزال تقتر حقدًا وغيظًا على الإسلام الذى ذهب بسادتهم وأشرافهم ؟ وهم كذلك يسبيل إعداد العدة للأخذ بثأر قتلى بدر والكن الوضعاء لا يدرون ما يقولون .

(٢) وفى رواية هؤلاء الثقلى لو هبتم له .

(٣) وهذه اليد هى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أرسل إليه ليدخل فى جواره فخرج هو وبنوه وهم فى شكنتهم يحيطون برسول الله حتى دخل المسجد ثم ساروا معه حتى دخل بيته فكان يود أن يجزيه على تلك اليد بأحسن منها .

« كلمه في أسارى بدر فوافقته يصلى بأصحابه فسمعتة يقول « إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع » فكأنما صدع قلبي .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع فاستقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدى مشوى فقالت الحمد لله يا محمد الذى سلمك كنت نذرت لله نذراً إن قدمت المدينة سالماً لأذبحن هذا الجدى ولأشوينه ولأحمله إليك لتأكل منه ، فاستنطق الله الجدى فقال يا محمد لا تأكلنى فإنى مسموم » (٤) .

فائدة

اشتمل هذا الباب على أكثر من سبعين معجزة كما يدرك بالتأمل .

فائدة

سئل السبكي ، عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبرئيل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ، فأجاب ، بأن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجراها الله فى عباده والله سبحانه هو فاعل الجميع وقال الزمخشري ، فى قوله تعالى « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين » ، فإن قلت ، فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخنديق ؟ فقال « فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » ، وقال : « بألف من الملائكة مردفين » « بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، « بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، قلت : إنما كان يكفى

(١) هذا وهم كبير فقصه الشاة المسمومة لم تكن ببدر وإنما كانت بخيبر ولم يكن النبي بعد قد بادأ اليهود بشر حتى ترتكب اليهود به ذلك .

ملك واحد فقد أهلك مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة، ولكن الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلاً عن حبيب التجار وأولاده من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يؤته أحداً، فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله ﴿ وما أنزلنا ﴾ ﴿ وما كنا منزلين ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا ملك وما كنا نفعله بغيرك » انتهى .

باب ما وقع في غزوة غطفان من المعجزات

قال الواقدي حدثني محمد بن زياد حدثنا زيد بن أبي عتاب (ح) وحدثني الضحاك بن عثمان وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر وغيرهم ، قالوا « بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم رجل منهم يقال له دعثور بن الحارث ^(١) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس فهزمت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وعسكر به وأصابهم مطر كثير فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه وقد جعل وادي أمر بينه وبين أصحابه ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون فقالت لدعثور وكان سيدها وأشجعها قد أمكنك محمد وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوثَ أصحابه لم يُغثَ حتى تقتله فاختر سيفاً من سيوفهم صارماً ثم أقبل حتى قام على رسول الله صلى الله

(١) ذكر البيهقي أنه غورث بن الحارث من بني محارب ،

عليه وسلم بالسيف مشهوراً فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال الله ودفع جبرئيل في صدره فوق السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه وقال من يمنعك مني ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا أكتثر عليك جمعا أبداً فأعطاه سيفه ثم أدبر ثم أقبل فقال والله لأنت خير مني فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحق بذلك منك فأتى قومه فقالوا أين ما كنت تقول والسيف في يدك ؟ قال قد كان والله ذلك رأيي ، ولكنني نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع في صدرى فوقعت لظهرى وعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » الآية . أخرجه البيهقي . وقال قد روى في غزوة ذات الرقاع قصة أخرى مثل هذه فإن كان الواقدي قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة فإنهما قصتان ^(١) .

باب ما وقع في غزوة بني النضير من المعجزات

وهي الجلاء الذي كان مكتوباً عليهم في التوراة وغير ذلك

قال يعقوب بن سفيان أنبأنا ، أبو صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن

(١) بل الظاهر أنها قصة واحدة وأنها كانت بغزوة ذات الرقاع التي كانت بعد الخندق والحديث رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع - قال وكنا إذا أتينا على شجرة ظليمة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وأخذه فأخترطه وقال لرسول الله تخافني ؟ قال لا قال فمن يمنعك مني ؟ قال الله يمنعني منك قال فهدده أصحاب رسول الله فأغمد السيف وعلقه وفي بعض الروايات سقط السيف من يده فأخذه الرسول عليه السلام وقال من يمنعك مني يا أعرابي ؟ فقال كن خير آخذ فذهب عنه فذهب إلى قومه وقال لهم جئتكم من عند خير الناس .

« ابن شهاب قال » كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر^(١) فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهى السلاح وأجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام^(٢) فكانوا ينزعون ما أعجبهم من سقف فيحملونه على الإبل وأنزل الله فيهم (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض) إلى قوله : (وليخزى الفاسقين) ، والجلاء أنه كان كتب عليهم فى التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما ساط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أخرجه البيهقي ثم أخرجه موصولا من طريق آخر عن الزهري عن عروة عن عائشة وقال ذكر عائشة فيه غير محفوظ ، قات : أخرج هذه الطريق الموصولة عن عائشة الحاكم وقال صحيح .

وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ ، يقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار^(٣) كانا ذوى حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرها وبقي منها صدقته التى فى أيدي بنى فاطمة .

(١) هذا وهم كبير فإن التى كانت بعد بدر بنحو ثمانية أشهر هى غزوة بنى قينقاع الذين كانوا يسكنون المدينة فحاصرهم خمسة عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه وشفع فيهم عبد الله بن أبي الحنف فأطلقهم له وأما غزوة بنى النضير فكانت فى السنة الثالثة بعد مقتل القراء ببيت معونة .

(٢) قيل نزلوا بأذرعات .

(٣) هما أبودجانة وسهل بن حنيف .

وأخرج الشيخان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أن أموال بنى النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عُدَّة في سبيل الله عز وجل .»

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق موسى بن عقبة عن الزهري ومن طريق عروة بن الزبير قالاً «خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم في عقل السِّكَلَاءِ بَيْنَ (١) فقالوا اجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بجاحتك فجلس ومن معه من أصحابه في ظل جدار ينتظرون أن يصلحوا أمرهم فلما خلوا والشیطان معهم اثتمروا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تجدوه أقرب منه الآن ، فقال رجل منهم إن شئتم ظهرت فوق البيت الذى هو تحته فدليت عليه حجراً فقتلته وأوحى الله إليه فأخبره بما اثتمروا به من شأنه فقام ورجع أصحابه (٢) ونزل القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ الآية فلما أظهره الله على خيانتهم أمرهم أن يخرجوا من ديارهم إلى حيث شاؤا فلما سمع المنافقون ما يراد بإخوانهم وأولياهم من أهل الكتاب أرسلوا إليهم فقالوا لهم إنا معكم محيانا ومماتنا إن قوتلتم فلكم علينا النصر وإن أخرجتم لن نخلف عنكم فلما وثقوا بأمان المنافقين عظمت

(١) كانا رجلين من بنى عامر من رهط عامر بن الطفيل قتلها عمرو بن أمية الضمري انتقاماً لقتل القراء بماء بنى عامر ولم يعرف أن معهما عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه وأخبره بما فعل قال «لقد قتلت قتيلين لأدينيهما» فخرج عليه السلام إلى بنى النضير يستعينهم في عقل الرجلين لما بينه وبينهم من الحلف .

(٢) المعروف أنه قام وحده ومشى وطن أصحابه أنه ذهب يقضى حاجة فلما أبطأ عليهم رجعوا إلى المدينة .

عَرَّسَهُمْ وَمَنَّاهُمْ الشَّيْطَانُ الظُّهُورُ فَنادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنا والله لا نخرج ولئن قاتلتنا لقاتلتك فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم دورهم وقطع نخلمهم وحرقها وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين ، فلم ينصروهم وألقى الله في قلوب الفريقين الرعب فلما يئسوا من المنافقين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان عرض عليهم قبل ذلك فقاضاهم على أن يجليهم ولهم ما أفلت الإبل إلا السلاح .

وأخرج أبو نعيم نحوه من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما .
وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد وغيرهما وفي رواية يزيد فجأوا إلى رَعَى عظيمة ليطرحوها عليه فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبرئيل فاقامه من ثمم ونزلت الآية .

وقال الواقدي حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فطاف بمنزلهم فرأى خرابها فأتى بني قريظة فقال رأيت اليوم عبراً رأيت إخواننا خالية^(١) بعد العز والجلد والشرف والعقل قد تركوا أموالهم وخرجوا خروج ذل والتوراة ما سلب هذا على قوم قط الله بهم حاجة فأطيعوني وتعالوا تتبع محمداً فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيثبان أبو عمرو وابن جواس وهما أعلم يهود جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدميه ثم أمرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا ودفناهما بحرتنا هذه فقال الزبير بن باطاقد قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي أنزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا فقال له كعب بن أسد^(٢) فما يمنعك من

(١) هكذا في النسخة وامل محنتها : رأيت دار إخواننا خالية .

(٢) وهو سيد بني قريظة .

أتباعه؟ قال أنت. قال كعب ولموما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير أنت صاحب عقدنا وعهدنا فإن أتبعته اتبعناه وإن أبيت أيدنا فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فتقاولا في ذلك إلى أن قال كعب ما عندى فى أمره إلا ما قلت ما تطيب نفسى أن أصير تابعا . أخرجه البيهقى وأبو نعيم .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبى الزبير عن جابر قال لما رابط النبي صلى الله عليه وسلم بنى النضير وطلال المكث عليهم أنه جبرئيل وهو يغسل رأسه فقال عفا الله عنك يا محمد ما أسرع ما مللتم والله ما نزعنا من لأمتنا شيئا منذ نزلت عليهم قم فشد عليك سلاحك والله لأدقنهم كما تدق البيضة على الصفا فنهضنا إليها ففتحناها .

باب

ما وقع فى قتل كعب بن الأشرف^(١) من المعجزات

أخرج ابن اسحاق وابن راهويه وأحمد والبيهقى عن ابن عباس قال « مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد^(٢) ثم وجههم وقال انطلقوا

(١) قال ابن القيم فى (زاد المعاد) « وكان رجلا من اليهود . وأمه من بنى النضير وكان شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبب فى أشعاره بنساء الصحابة .

فلما كانت وقعة بدر ذهب إلى مكة وجعل يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال ، فقال صلى الله عليه وسلم . من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فأنتدب له عدي بن مسعدة وعياذ بن بشر وأبو نائلة واسمه سلمان بن سلامة بن وقش الأشهل وهو أخو كعب من الرضاع . والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبيس بن جبر أحد بنى حارثة .

(٢) هو مقبرة أهل المدينة .

على اسم الله اللهم أعنهم يعنى الذين أرسلهم إلى قتل كعب بن الأشرف .

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني عبد الله بن المعقب أن الحارث ابن أوس في قتل كعب بن الأشرف أصابه بعض أسيافهم فجرح في رأسه ورجله فاحتملوه فجاءوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقل على جرحه فلم يؤذه . قال البيهقي . وكذا أخرجه الواقدي بأسانيده .

باب

ما وقع في غزوة أحد^(١) من الآيات والمعجزات

أخرج الشيخان عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي^(٢) إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب وأريت في رؤياي هذه أني قد هزرت سيفا فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هزرتة أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ورأيت فيها أيضا بقرأ^(٣) والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا بعد يوم بدر .

وأخرج أحمد والبخاري والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال « لما جاء

(١) قال ابن كثير في البداية « كانت في شوال سنة ثلاثة من الهجرة قاله الترمذي وقادة وموسى بن عقبة ومالك .

(٢) أى ظني .

(٣) في بعض الروايات بقرأ مذبوها في سلكك للمدينة فأولتها نفرا من أصحابي يقتلون .

المشركون يوم أحد كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم بالمدينة
 يقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا تخرج بنا يا رسول الله نقاتلهم
 أحد ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصابه أهل بدر فما زالوا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يا رسول الله أقم فالرأى رأيك
 فقال ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه
 وكان مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قبل أن يلبس الأداة إني
 رأيت أنى فى درع حصينة^(١) فأولتها المدينة وأنى مردف كبشًا فأولته كبش
 الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فلل فأولته فلا فيكم^(٢) ورأيت بقرا تذبح
 فبقروا لله خير .

وأخرج أحمد والبخاري والحاكم والبيهقي عن أنس أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال رأيت فيما يرى النائم كأنى مردف كبشًا وكان ظبة^(٣) سيفي
 انكسرت فأولت أنى أقتل كبشًا لقوم وأولت كسر ظبة سيفي قتل رجل من
 عترتي فقتل حمزة وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة وكان صاحب اللواء
 وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال « يقول رجال
 كان الذى رأى بسيفه الذى أصاب وجهه »^(٤) .

وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن سعيد بن
 المسيب قال وكان أبى بن خلف قال حين افتدى^(٥) والله إن عندى لفرسا أعلفها

(١) الرواية المحفوظة « إني رأيت أنى أدخل يدي فى درع حصينة » .

(٢) وفى رواية أنه رأى فى سيفه ثلثة فأولها بأن رجلا من أهل بيته يقتل .

(٣) ظبة السيف طرفه والجمع ظبابة .

(٤) كيف وقد أوله هو بمقتل رجل من أهل بيته وهو حمزة .

(٥) يعنى حين دفع الفداء يوم بدر .

كل يوم فُرْقًا من ذرة ولا قتلان عليها محمدًا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال بل أنا أقتله إن شاء الله فأقبل أبيّ متقنعا في الحديد على فرسه تلك يقول
 لا نجوت إن نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله قال موسى
 ابن عقبة قال سعيد بن المسيب فاعترض له رجال من المؤمنين ^(١) فأمرهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم نخلوا طريقة وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة
 أبي بن خلف من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بجرته فوقع أبي عن
 فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد فكسر ضلع من أضلاعه فني ذلك نزل
 ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ^(٢) فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور
 فقالوا ما جزعك؟ إنما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنا أقتل أباي ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذى الحجاز
 لما أتوا أجمعون فمات أبي قبل أن يقدّم مكة ^(٣). قال البيهقي ورواه أيضا عبد
 الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب. قلت: أخرجه
 من هذا الطريق ابن سعد وأبو نعيم ثم أخرج البيهقي وأبو نعيم عن عروة بن
 الزبير مثله ولم يذكر فكسر ضلعا من أضلاعه ولا نزول الآية.

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق قال: ذكر الزهري «أن أبي بن خلف
 أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا محمد لا نجوت إن نجوت، فقال القوم

(١) قيل إن الذي استقبله مصعب بن عمير فقتله أبي.

(٢) المعروف أن تلك الآية نزلت في غزوة بدر قبل أحد فلا يعقل أن يراد
 بها تلك الرمية لأبي بن خلف وإنما الصحيح أن المراد بها ما سبق من رميه عليه
 السلام بكف من الحصباء في وجوه المشركين فلم يبق أحد منهم إلا أصاب عينيه
 منه شيء.

(٣) مات في الطريق بمكان يقال له: سرف

يا رسول الله يعطف عليه رجل منا؟ فقال دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، قال بعض القوم كما ذكر لي فانتفض بها فانتفضه ^(١) تطائراً عنه تطائر الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأ ^(٢) منها عن فرسه مراراً وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف به . وأخرجه أيضاً من طريقه عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك به . ومن طريقه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه به . وأخرجه أيضاً من طريق معمر عن مقسم به . وفيه قال والله لو لم يصبنى إلا بريقه ^(٣) لقتلني أليس قد قال أنا أقتله . قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف ببطن رابع فأني لأسير ببطن رابع بعد هوي ^(٤) من الليل إذا نار تأجج لي فهبتهما وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يحتذ بها يصيح العطش وإذا رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف ^(٥) . وقال ابن إسحاق حدثني ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم من علمائنا أن رجلاً من المشركين خرج يوم أحد فدعا إلى البراز ^(٦) وهو على جمل فقام إليه الزبير فوثب إليه وهو على بعيره فاستوى معه

(١) يعني وثب بها وثبة شديدة .

(٢) ترنح ومال .

(٣) يعني لويصق على .

(٤) يعني بعد مضي جزء منه .

(٥) لقد مرت قصة مشابهة لهذه في غزوة بدر ، وكان الذي رآه ابن عمر هناك هو أبو جهل فليت ، شمري لماذا اختار الوضاعون شخصية ابن عمر ليدسبوا إليها كلتا القصتين .

(٦) يعني البارزة وهي أن يخرج شخص من أحد الجيشين ويطلب أن يخرج =

على رحله ثم عانقه فاقترلا فوق البعير جميعاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى بلى حضيض الأرض مقتول فوق المشرك ووقع الزبير عليه فذبحه بسيفه» -
أخرجه البيهقي .

وأخرج أحمد والبخارى والنسائي عن البراء قال «جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير ووضعهم
موضعا وقال: إن رأيتمونا تَحْطَفُنَا الطير فلا تبحروا حتى أُرسل إليكم فهمزموهم
قال فأنا والله رأيت النساء يَشْدُدْنَ على الجبل وقد بدت أسْوَقُهُنَّ^(١) وخلا خيلهن
رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر
أصحابكم فما تنتظرون ؟ وقال عبد الله بن جبير فنسيتم ما قال لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا والله لنائين الناس فلنصيب من الغنيمة فلما أتوهم
صُرِفَتْ وجوههم فأقبلوا منهمزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى آخرهم فلم
يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين
ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً»^(٢) .

وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس قال «ما نُصِرَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى موطن كما نُصِرَ يوم أحد^(٣) فأنكروا ذلك فقال ابن عباس بينى وبينه

= إليه رجل من الجيش الآخر وكانت غزوة بدر قد ابتدأت بالمبارزة وأما أحد
فلا تعرف أنها كانت كذلك .

(١) جمع ساق وهى ما بين السكبين إلى الركبة .

(٢) ولهذا قال الله تعالى (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم

أنى هذا)

(٥) وصدق جبر الأمة فإن جيش للمشركين وكانت عدته ثلاثة آلاف وعدد =

من انكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم^(١) بإذنه) . قال ابن عباس والحس القتل حتى إذا فشلت الآية وإنما عني بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً في العسكر ينتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهم هكذا وشبك أصابع يديه وانتشبوا^(٢) فلما أخلت الرماة تلك الخلعة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا^(٣) وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وصاح الشيطان : قتل محمد فلم يشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين^(٤) تعرفه بتكفيه^(٥) إذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم

المسلمين سبعة لم ينل منهم أكثر من قتل سبعين ثم رجع فرحاً بهذا النصر الهزيل فخلو لأحيائه الله لدينه وأنيبه وللمؤمنين لاساق المفركون جميع للمسلمين أسرى موثقين في الجبال أولاً فتحملوا المدينة وسبوا ما فيها من النساء والأطفال ولهذا ورد أن للمشركين فكروا في الرجوع واقتنعوا المدينة ولما علموا أن المسلمين ساروا في طلبهم ألقى الله الرعب في قلوبهم فرجعوا إلى مكة .

(١) أى تقتلونهم يقال حسه يحسسه حساً يعنى قتله فأبطل حسه .

(٢) يعنى دخل بعضهم في بعض .

(٣) يعنى اشتبهوا فساكنوا يقتلون المسلم ظناً أنه من المشركين كما فعلوا بوالد

حذيفة بن اليمان .

(٤) لم يعرف أن السعدين كانا معه في ذلك الوقت وإنما كان معه طلحة بن عبيدالله

وأبو دجانة .

(٥) يعنى في مشيئه وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح

بأعلى صوته يا معشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليه

بيده أن اسكت .

يصبنا ما أصابنا فرقى حولنا وهو يقول : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول مرة أخرى اللهم ليس لهم أن يعلونا .

وأخرج الشيخان عن سعد أبي وقاص قال رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعني جبرئيل وميكائيل . ثم أخرج البيهقي عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وقال مراده أنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به^(١) وقال الواقدي عن شيوخي في قوله تعالى : ﴿ إلى إن تصبروا وتتقوا ﴾ الآية ، قال لم يصبروا وانكشفوا فلم يمدوا . أخرجه البيهقي .

وأخرج البيهقي عن عروة قال : « كان الله وعدم على الصبر والتقوى أن يدمهم بمحسة آلاف من الملائكة مسومين ، وكان قد فعل ، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة » .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن شيوخي قالوا : « لما انهزم المشركون انطلق الرماة ينتهبون فكر عليهم المشركون فقتلوه وانقضت^(٢) صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وحالت الريح^(٣) فصارت دبوراً ، وكانت قبل ذلك صبا^(٤) » ونادى إبليس إن محمداً قتل ، واختلط المسلمون فصاروا

(١) لأن قتال الملائكة مشروط بالصبر والتقوى كما قال تعالى (إلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) .

(٢) أى اختلت واضطربت .

(٣) يعنى محاولات من ربح نصر إلى هزيمة .

(٤) وفى الحديث الصحيح « نهزت بالصبأ وأهلكك عاد بالدور » .

يقتلون على غير شعار^(١) ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون به من العجلة والدَّهَش ، وقتل مصعب بن عمير فأخذ اللواء مَلَكٌ في صورة مُصْعَب^(٢) وحضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل .

وأخرج الطبراني وابن مندة وابن عساكر من طريق محمود بن لبيد قال : قال الحارث بن الصمة : «سألني النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف^(٣) فقلت رأيتُه إلى جنب الجبل فقال إن الملائكة تقاتل معه ، قال الحارث : فرجعت إلى عبد الرحمن فأجد بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت ؟ قال : أما هذا وهذا فأنا قتلتها ، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله .»

وأخرج ابن سعد عن محمد بن شرحبيل العبدري قال : « حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾^(٤) الآية ثم قطعت يده اليسرى فجأنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره^(٥) وهو يقول ﴿وما محمد إلا رسول﴾

(١) أى علامة يتميز بها للمسلم من غيره .

(٢) المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتل مصعب دفع اللواء إلى علي

ابن أبي طالب .

(٣) لقد جرح عبد الرحمن في غزوة أحد جروحا كثيرة .

(٤) بعيد جدا أن يجري على لسان مصعب مثل هذا القول في تلك الشدة وهو

يقاتل عن لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن إشاعة مقتله عليه السلام قد حدثت بعد وإنما أرفج بها المنافقون بعد مقتل مصعب .

(٥) المعروف أن هذا إنما حدث من جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة

وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله أبدله بذراعيه جناحين طار بهما إلى الجنة ولهذا لقب بجعفر الطيار ، وأما مصعب فلم يحفظ عنه هذا .

الآية ، ثم قتل فسقط اللواء . قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك وقال ابن سعد أنا الواقدي حدثني الزبير بن سعيد النوفلي عن عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مصعب بن عمير اللواء فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقدم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك فقال : لست بمصعب ، فعرف أنه ملك أيده . » وقال ابن أبي شبة في المصنف حدثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة ، حدثني محمد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن : يا رسول الله : ألم يقتل مصعب ؟ قال : بلى ، ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه » ^(١) .

وأخرج الواقدي وابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص قال : « لقد رأيتهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد فظننت أنه ملك . »

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحاق قال : « لما كنا يوم أحد انكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد يرمي بين يديه وفتى ينبل له كلما ذهب نبله أتاه بها قال ارم أباً إسحاق ^(٢) فلما فرغوا نظروا من الشاب ؟ فلم يروه ولم يعرف . وقال ابن إسحاق ذكر الزهري قال : علت عالية قریش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) هذه كلها أخبار لا أصل لها وهي من خيالات القصص كما بينها غير مرة .

(٢) الذي ورد في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي كان يناوله النبل ويقول له ارم فذاك أبي وأمي ، فجمع له أبويه يوم أحد .

« اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل » . أخرجه البيهقي وأخرج عن عروة نحوه .

وأخرج النسائي والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن طلحة أصيبت أنامله فقال حسن ^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء » .

وأخرج الطبراني عن طلحة قال : « لما كان يوم أحد أصابني السهم فقلت حسن ، فقال لو قات بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك » .

وأخرج الدارقطني في الأفراد عن طلحة أنه لما أصيبت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « حسن فقال : لو قلت بسم الله لرأيت بناءك الذي بنى الله لك في الجنة وأنت في الدنيا » .

وأخرج الشيخان عن أنس أن عمه أنس بن النضر قال يوم أحد : « والذي نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أحد وإنها لريح الجنة » ^(٢) .

وقال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله

(١) هي بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أمضه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوها .

(٢) كان أنس منذ فاته وقعة بدر وهو يتشوق إلى لقاء المشركين فلما كانت غزوة أحد وفر المسلمون أقبل أنس فلقبه سعد بن معاذ مدبراً فقال له إلى أين يا سعد ، والذي نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد ونظر إلى المشركين فقال اللهم إنى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ونظر إلى المسلمين فقال اللهم إنى أعترف إليك مما يصنع هؤلاء ثم أقبل على المشركين وظل يقاتل حتى قتل ودهسته سنابك خيل المشركين ووجد بجسمه نحو من سبعين ضربة ولم يعرفه أحد إلا أخته بينان أصبعه .

عليه وسلم قال : « إن حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته قالت : خرج حين سمع الهامة ^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة » . أخرجه البيهقي وأخرجه السراج في مسنده والحاكم وصححه وأبو نعيم من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده به . وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد به . وأخرجه ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه بلفظ « إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة » قال أبو أسيد الساعدي فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه تقطر ماء وفيه أن امرأته قالت رأيت كأن السماء فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقالت هذه الشهادة ^(٢) .

وأخرج أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص « أن سعد بن معاذ لما مات بعد الخندق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً فإنه لينقطع شمع الرجل فما يرجع ويستطرداؤه فما يلوى عليه وما يعيجه ^(٣) أحد على أحد فقالوا يا رسول الله إن كدت لتقطعنا، قال : « خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله كما سبقتنا إلى غسل حنظلة ^(٤) » وأخرج ابن سعد نحوه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد وأخرج أبو يعلى والبزار والحاكم وأبو نعيم عن أنس بن مالك قال :

(١) هي صوت النفير إلى القتال .

(٢) كل هذا حشو وزيادة في القصة لا لزوم له .

(٣) أى يعطف ويميل .

(٤) اقد كان غسل الملائكة حنظلة بسبب خروجه جنبا فما هو يا ترى سبب غسلها بعدا ؟ ولماذا أراد الرسول أن يقول طي سعد هذه الفضيلة ؟ اكتملت أخبار أبي نعيم وكفى .

افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج فقال الخزرجيون منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وأبى وزيد وأبو زيد وقال الأوس منا من اهتزله العرش سعد بن معاذ ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ومنا من حمته الذبّر عاصم بن ثابت ومنا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : « قتل حمزة جنباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غسلته الملائكة » (١) .

أخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة » .

وأخرج الشيخان عن جابر قال : « لما قتل أبى يوم أحد بكى عمتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تبكيه أو لم تبكيه » (٢) فزال الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن زيد بن ثابت قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع (٣) وقال إن رأيته فأقرأه مني السلام وقل له كيف تجددك ؟ فأصبتته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة

(١) لاندري ممن وقع هذا الوم فوضع بدل حنظلة حمزة ، أما إن كان الراوى قد أراد أن حمزة هو أيضاً قتل جنباً فغسلته الملائكة فقد خرجت المسألة من حد الوم إلى الاقراء والكذب .

(٢) الرواية المحفوظة تبكيين أو لا تبكيين بأو التي للتسوية وهى التي تتفق مع قوله « فزال الملائكة الخ » .

(٣) كان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة ، وهو الذى آخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

سحابين طعنة برمح وضربة بسيف وَرَمِيَّةٍ بِهِمْ ، فقال ، قل له يا رسول الله أجدني
أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خالص إلى
رسول الله عليه وسلم صلى الله وفيكم شُفْرُ (١) يَطْرِفُ وفاضت نفسه .

قال البيهقي وذكر الواقدي في قصة خَيْشَمَةَ أَبِي سَعْدِ بْنِ خَيْشَمَةَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ
أَحَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ أَخْطَأْتَنِي وَقَعَةً بِدَرٍ وَكُنْتُ وَاللَّهُ حَرِيصًا
عَلَيْهَا حَتَّى سَاهَمْتَ ابْنِي فِي الْخُرُوجِ فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرَزَقَ الشَّهَادَةَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي
الْبَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَيَقُولُ الْحَقُّ بِنَا
تَرَاقَيْنَا فِي الْجَنَّةِ فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا وَقَدْ وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتَ
مَشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ فَادَعِ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ ،
فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَتَلَ بِأَحَدٍ شَهِيدًا .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ يَقُولُ قَبْلَ أَحَدِ أَيَّامٍ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَى الْعَدُوَّ
غَدًا فَيَقْتُلُونِي » (٢) ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأَذْنِي ثُمَّ تَسْأَلُنِي بِمِ ذَاكَ؟ فَأَقُولُ
خَفِيكَ فَلَمَّا التَّمَوَا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَهُ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُبْرِئَ اللَّهُ آخِرَ
قَسَمِهِ كَمَا أَبْرَأُوهُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَا مَعْمَرُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَحْشِيِّ
أَنَا أَشْيَاخُنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ ،
وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَسِييًّا مِنْ نَخْلٍ فَرَجَعَ فِي يَدِ

(١) الشهر واحد الأشفار وهو حرف جفن العين الذي يثبت عليه الشعر .

(٢) ليس هذا من قبيل تمنى الموت المنهى عنه ، وإنما هو تمنى لنيل منصب

الشهادة فهو كقوليه عليه الصلاة والسلام « لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ

ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل » .

عبدالله سيفاً^(٢)، أخرجه البيهقي، وقال ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال «أصابت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدهما^(٣)»، أخرجه ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم وقد تقدم موصولاً وأن ذلك كان يوم بدر، وأخرجه أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة أنه أصابت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت».

وأخرج البيهقي من طريق أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان وكان أخاه لأمه أن عينه ذهبت يوم أحد فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردها فاستقامت. قال البيهقي وذكر الواقدي مثله وزاد وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر.

وأخرج أبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان «أنه أصيبت عينه يوم أحد فوقعت على وجنته فردها النبي صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أصح عينيه وأحدهما».

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال «كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهماً ندرت^(١) منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ورد هذا في غزوة بدر بالنسبة لمكاشة بن حصن فلعلهما واقعتان.

(٢) هذا هو الصحيح أن عين قتادة أصيبت يوم أحد أما ما رواه المصنف

سابقاً من أنها أصيبت في بدر فهو وهم.

(٣) أى خرجت وبرزت.

فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال : « اللهم إني قتادة كما وقى نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا » .

وأخرج أبو يعلى من طريق عبد الرحمن بن الحارث بن عبيدة عن جده قال : « أصيبت عين أبي ذر يوم أحد فبرق فيها النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أصح عينيه ^(١) » .

وأخرج الواقدي والبيهقي عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول « شهدت أحدا فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه ^(٢) » ولقد رأيت عبد الله بن شهاب ^(٣) يقول يوم أحد دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ^(٤) ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته أحلف بالله إنه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلف إلى ذلك » .

وقال عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري وعن عثمان الجزري عن مقسم أن

(١) لعل هذا أيضا مما وقع فيه الوهم بوضع أبي ذر مكان قتادة فإننا لا نجد لأبي ذر رضى الله عنه ذكرا في هذه الفروقة .

(٢) لقد أبلى بعض الصحابة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم البلاء حين صار هدفا لسهام المشركين منهم طلحة بن عبيد الله الذى ظم يتلقى السهام عنه حتى خر صريعا بين يديه وأصاب سهم منها ذراعه فثملها ومنهم أبو دجانة الذى شتمس عليه فكانت تقع السهام في ظهره .

(٣) هو عبد الله بن شهاب الزهري أحد بني زهرة وهو عم محمد بن مسلم ابن شهاب ويقال إنه هو الذى شج النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) المعروف أن الذى قال ذلك هو أبي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته وشج وجهه فقال : « اللهم لا يحل عليه الحول حتى يموت كافراً فما حال عليه الحول حتى مات كافراً » ^(١) أخرجه البيهقي .

وأخرج أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : « الذي دمي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قثمة ^(٢) رجل من هذيل فسلط الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله » .

وأخرج الخطيب في تاريخه عن محمد بن يوسف القرياني قال : « بلغني أن الذين كسروا رباعية النبي صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم صبي فنبتت له رباعية ^(٣) » .

وأخرج البيهقي عن عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالكا أبا أنى سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له مجه ^(٤) فقال والله لا أجه أبداً ثم أدبر يقاتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد » .

وأخرج البيهقي عن الشافعي قال « كان من الممنون عليهم بلا فدية يوم بدر أبو عزة الجمحي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناته وأخذ عليه عهداً أن

(١) كيف يتفق هذا مع ما ورد من أنه عليه الصلاة والسلام لما قال « كيف يفلح قوم خضبوا وجهه بنبيهم بالدم » فنزل قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء) .

(٢) ذكر في (زاد المعاد) أن اسمه عمرو بن قثمة .

(٣) ما ذنب هؤلاء الصبيان حين يولدون مثله بدون ثنايا فلا ينبغي التعويل على مثل هذه البلاغات .

(٤) أي اطرحه من فك والقائل له ذلك هو النبي عليه الصلاة والسلام نفسه .

لا يقاتله فأخفـه^(١) وقاتله يوم أحد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت
فما أسر من المشركين رجل غيره فأمر به فضربت عنقه :

وأخرج البيهقي عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «أما
إن المشركين لن يصيبوا منا مثلاً أبداً» .

وأخرج ابن سعد عن الواقدي عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن » .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال : « لما قتل حمزة
يوم أحد أقبلت صفية^(٢) تطلبه لا تدري ما صنع ؟ فلقيت علياً والزبير فقالت
ما فعل حمزة ؟ فأرياهما أنهما لا يدريان فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني
أخاف على عقابي » فوضع يده على صدرها ودعا لها فاسترجعت^(٣) وبكت » .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي أنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف بن
محمد قال : بلغني أن هنداً ابنة عتبة بن ربيعة جاءت يوم أحد وكانت نذرت
لئن قدرت على حمزة لتأكلن من كبده فجاءوا بحمزة^(٤) من كبده حمزة فأخذتها
تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبلغها فلفظتها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
فقال : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً^(٥) .

(١) يعني خانه ونقض عهده .

(٢) هي صفية بنت عبد المطلب أخت حمزة وعمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأم الزبير حواري رسول الله .

(٣) يعني قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) هي القطعة من اللحم .

(٥) لقد أسلمت هند يوم الفتح وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعفا عنها .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن شيوخه قال : كان سويد بن الصامت قد قتل زيادا أباً مجذراً في وقعة التقوا فيها فظفر المجذر بسويد فقتله وذلك قبل الإسلام فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد ومجذر بن زياد وشهدا بدرأ فجعل الحارث يطلب مجذراً يقتله بأبيه فلا يقدر عليه فلما كان يوم أحد وجل المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه ف ضرب عنقه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره أن الحارث بن سويد قتل مجذراً بن زياد غيلة وأمره أن يقتله فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء في ذلك اليوم ، في يوم حار فدخل مسجد قباء فصلى به وسمعت به الأنصار فجاءت تسلم عليه وانكروا إتيانه في تلك الساعة وفي ذلك اليوم حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفة مؤرسة^(١) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا حُوييم بن ساعدة فقال قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله غيلة فقال الحارث قد والله قتلته وما كان قتلي إياه رجوعاً عن الإسلام ولا ارتياباً فيه ولكنه حمية من الشيطان وأمر وكلت فيه إلى نفسي وأنى أتوب إلى الله ورسوله^(٢) مما عملت وأخرج ديتيه أو أصوم شهرين متتابعين أو أعتق رقبة حتى إذا استوعب كلامه قال قدمه يا عويم فاضرب عنقه فقدمه فاضرب عنقه^(٣) فقال حسان بن ثابت :

(١) أى مصبوغة بالورس .

(٢) لا تكون التوبة إلا إلى الله عز وجل فإنها عبادة لا تنبغي إلا لله وقد ورد أن النبي عليه السلام قال لرجل تب فقال الرجل اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي عليه السلام عرف الحق لأهله .

(٣) من المعلوم أن القصاص هو حق أولياء القتل ويسقط بغفوم ورضام بالدية ولم يذكر هنا أنهم تقدموا بطلب القصاص ، وقد ذكر أن الحارث شهد بدرأ وكان النبي يعفو عن أهل بدر كما فعل مع حاطب بن أبى بلتعة وكيف يقدم بدرى على قتل مؤمن عمداً أخذاً بنار أبيه الشريف ، كل ذلك يدل على سقوط هذه القصص وتهاونها .

يا حار في سِنَّةٍ من نوم أَوْلَيْكُمْ أم كنت ويحك مُغْتَرًّا بمجربيل
 أم كيف بابن زياد حين تقتله مَغْرَّةً في فضاء الأرض مجهول

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال أُخْرِجَ أَبِي من قبره في خلافة معاوية فَأَتَيْتُهُ فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء فواريته^(١).

وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن جابر قال : « اسْتُصْرِحْنَا إلى قتلنا يوم أحد وذلك حين أجرى معاوية العين فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رَطَابًا تُنْتَنِي أطرافهم على رأس أربعين سنة وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاحَةُ قدم حمزة فانتشبت دما^(٢) ، وأخرجه البيهقي من طريق أخرى ، ومنها طريق الواقدي عن شيوخه وفيه فوجد عبد الله والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانتشبت الدم فردت إلى مكانها ، فسكن الدم قال جابر فرأيت أَبِي في حفرته كأنه نائم وَالنَّمِرَةُ التي كفن فيها كما هي والحزبل^(٣) على رجله على هيئته وبين ذلك ست وأربعون سنة وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاحَةُ رِجْلَ رجل منهم فانتشبت دما . فقال أبو سعيد الخدري : لا ينكر بعد هذا منكر ولقد كانوا يحفرون التراب يحفروا نُثْرَةً من تراب فاح عليهم ريح المسك .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لشهداء أحد « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله فاتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم

(١) لانظن أن معاوية يعمد إلى المكان الذي دفن فيه شهداء أحد فيجري منه عين ماء حتى يضطر أهلهم إلى نقلهم من حفرتهم وهو يعلم ما للشهداء من حرمة عند الله عز وجل .

(٢) أي انفجرت دما .

(٣) هو الرباط الذي تربط به الرجلان فضم أحدهما إلى الأخرى أسفل الكفن .

عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه» (١).

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي من طريق العطاء بن خالد الخزومي حدثني عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأحد وقال: «اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأنه من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه» (٢)، قال العطاء وحدثتني خالتي أنها زارت قبور الشهداء قالت وليس معي إلا غلامان يحفظان عليّ الدابة فسلمت عليهم فسمعت ردّ السلام وقالوا والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضاً (٣)، قالت فأقشعررت ورجعت.

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي من وجه آخر عن العطاء قال حدثتني خالتي فذكر نحوه.

(١) ورد في الصحيح أنه عليه السلام كان يخرج إلى شهداء أحد فيصلي عليهم ويدعو لهم ولكن لم يصح عنه أنه أمر أحداً بزيارتهم وأما إخباره بأنهم يردون السلام على من سلم عليهم فذلك ليس خاصاً بهم فقد ورد في أحاديث ضعيفة أنه مامن أحد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام.

(٢) لو صحت مثل هذه الأحاديث فهي من أمور الغيب التي تؤمن بها ولا تعرف كيفيتها فإن الميت من المعلوم أنه قد بطل حسه وأخرس لسانه فلا ندرى كيف يردون السلام على من سلم عليهم.

(٣) لا ندرى أي هؤلاء هو الكاذب العطاء أم خالته أم من روى عنهم، فإننا نعلم يقيناً أن الميت لا يتكلم وأن الآيات التي قرأها المشركون على الرسول نعتاً أن تكلمهم الموتى فلم يجيبهم إلى ذلك ولما وقف الرسول على تنبؤ بدر وكلمهم قال له عمر أنكم قوما قد جيفوا؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون والعجب من المحدثين يروون عن امرأة لا يدرون حالها ولا شفع لها لعدم إلا أنها خالة العطاء.

وأخرج البيهقي عن الواقدي أن فاطمة الخزاعية قالت : « زرت قبر حمزة فقلت السلام عليك يا عم رسول الله فسمعتُ كلاماً رَدَّ عَلَيَّ وعليكم السلام ورحمة الله (١) » .

وأخرج ابن مندة عن طلحة بن عبيد الله قال : « أردت مالى بالغابة فأدركنى الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام (٢) فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : « ذاك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلهم فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذى كانت فيه (٣) » .

وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه والبيهقى عن ابن عباس قال : « ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملوك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى المانعة هى المنجية (٤) » .

(١) وهكذا دخل المؤلف فى أحاديث النساء لأنه لم يجد من يشهد لفريقته من الرجال العقلاء .

(٢) هو والد جابر ومن شهداء أحد .

(٣) الذى فى الصحيح أنه عليه السلام قال « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة تأكل من ثمرها وتشرب من أنهارها » .

(٤) كل الأحاديث التى فيها أن الميت يقرأ أو يرد السلام أو يرى زائريه

لا يصح منها شيء .

باب ما وقع في حمراء الأسد من الآيات

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم « أن أبا سفيان قال لركب من عبد القيس يريدون المدينة بلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الرجعة إلى أصحابه لنستأصلهم ^(١) فلما مر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه « حسبنا الله ونعم الوكيل » فأنزل الله في ذلك « الذين قال لهم الناس » الآيات ^(٢) .

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال : لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » فقالها محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله تعالى « لم يمسه » : قال قدم رجل من المشركين من بدر فأخبر أهل مكة بنحو محمد فرعبوا فجلسوا .

باب ما وقع في غزوة الرّجيع من الآيات

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هل بلغت بأبي سفيان السفاهة إلى حد أن يخبر عدوه بعزمه على الرجوع فيستعد لملاقاته أم الحزم أن يباغته ؟

(٢) الصحيح أن هذه الآيات نزلت في غزوة بدر الصغرى حيث كان النبي عليه السلام قد واعد أبا سفيان عليها ولكن أبا سفيان بدا له أن لا يخرج فأرسل نعيم بن مسعود الأشجعي إلى المدينة ليخوف النبي عليه السلام وأصحابه من الخروج ويقول لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولهذا قال سبحانه (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء) يعني أنهم اتجروا ببدر وربحوا ولم يلقوا حرباً :

سرية عيننا^(١) وأمر عليهم عاصم بن ثابت فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفَانَ ومَكَّة ذَكِرُوا لِحَى مِنْ هُدَيْلٍ فَتَبِعُوهُمْ بِقَرَبٍ مِنْ مِائَةِ رَاةٍ فَاقْتَصَوْا آثَارَهُمْ^(٢) حَتَّى لَحِقُوهُمْ فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَدَّ فِدٍ^(٣) وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فَقَالُوا لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا فَقَالَ عَاصِمٌ أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْنَا نَبِيكَ فَرَمَوْهُمْ بِالْغَبْلِ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ وَرَجُلٌ آخَرٌ فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فَنَزَلُوا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلَوْا أَوْتَارَ قِسِيَّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَعَقَلُوهُ وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنُ نُوفَلٍ وَكَانَ خَبِيبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ فَكَثَّ عَنْدهُمْ أُسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى^(٤) مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَعِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ قَالَتْ فَفَعَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ فَزَعَتْ فَزَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى فَقَالَ اتَّخَشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خَبِيبٍ لَقَدْ رَأَيْتَهُ يَأْكُلُ مِنْ قُطْفِ عَنَبٍ وَمَا عَمَكَةُ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رَزَقًا رَزَقَهُ اللَّهُ فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ قَالَ دَعُونِي أَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ فَرَكَعَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَأَقْتُلْهُمْ بَدَدًا^(٥) وَلَا تَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا^(٦) وَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ يَوْمَ أُصِيبَ

(١) السرية الجيش الصغير ومعنى عيننا أنها أرسلت للاستطلاع وتحسس الأخبار والعين الجاسوس

(٢) يعنى اتبعوا مواقع أقدامهم

(٣) القدف الجبل الصغير الجمع قدافد

(٤) يعنى شفرة ليستعد بها أى يخلق عاتته

(٥) أى منفردين متشتتين

(٦) فى بعض الروايات أن خبيبا حين قدم لئضرب عنقه قال له بعضهم ايسرك

فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُصَيْبُوا خَبْرَهُمْ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بَشْيَءَ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيماً مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئاً .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ وَمِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ نَحْوَهُ وَزَادَ « أَنْ خَبِيباً قَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَجِدُ رَسُولاً إِلَى رَسُولِكَ فَبَلَّغَهُ عَنِ السَّلَامِ فَجَاءَ جَبْرُئِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ذَلِكَ فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي قَتَلَ فِيهِ عَلَيْكَ السَّلَامُ خَبِيبٌ قَتَلَهُ قُرَيْشٌ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ : « كَانَتْ هَذِيلٌ حِينَ قَتَلُوا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ أَرَادُوا رَأْسَهُ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَاقَةِ بَنْتِ سَعْدٍ وَقَدْ كَانَتْ نَذَرَتْ حِينَ أُصِيبَ ابْنَاهَا بِأَحَدٍ لَنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِهِ لَتَشْرِبَنَّ فِي قَحْفِهِ ^(١) الْخَمْرَ فَمَنْعَتَهُمُ الدَّبْرُ فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالُوا دَعُوهُ حَتَّى يَمْسِيَ فَيَذْهَبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ ^(٢) فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ وَكَانَ عَاصِمٌ أَعْطَى اللَّهَ عَهْداً لَا يَمَسُ مَشْرُكاً وَلَا يَمَسُهُ مَشْرُكٌ أَبَداً فِي حَيَاتِهِ فَمَنْعَهُ اللَّهُ فِي وَفَاتِهِ مِمَّا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ .

أَنْتَ كُنْتَ فِي أَهْلِكَ الْآنَ وَإِنْ عَمَدَ مَكَانُكَ تَضْرِبُ عَنْقَهُ ؟ فَقَالَ لَهُمُ وَاللَّهِ مَا يَسِرُّنِي أَنِّي أَكُونُ فِي أَهْلِي وَعَمَدَ هُنَا تَمِصِيهِ شَوْكَةٌ ثُمَّ قَالَ شِعْرًا :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَإِنْ يَشَأْ يَبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مَزْمَعِ

(١) يَعْنِي الْجَمْعَةَ

(٢) أَعْلَاهُ يَعْنِي السَّيْلَ .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن بُرَيْدَةَ بْنِ سَفْيَانَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ فذَكَرَ الْقِصَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَذَكَرَ فِيهَا فَأَرَادُوا لِيَجْتَزُّوا^(١) رَأْسَهُ لِيَذْهَبُوا بِهِ إِلَيْهَا فَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا^(٢) مِنْ دَبْرٍ فَحَمَمَتْهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجْتَزُّوا رَأْسَهُ وَذَكَرَ فِي شَأْنِ خَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ يَبْلُغُ رَسُولَكَ عَنِّي السَّلَامَ فَبْلُغْ رَسُولَكَ مِنِّي السَّلَامَ، فَزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَئِذٍ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَصْحَابُهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ؟ قَالَ أَخُوكُمْ خَيْبٌ يَقْتُلُ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَى الْخَشَبَةِ اسْتَقْبَلَ الدَّعَاءَ قَالَ رَجُلٌ: فَلَمَّا رَأَيْتَهُ يَدْعُو لِبَدَتِ بِالْأَرْضِ، فَلَمْ يَحُلْ الْحَوْلَ وَمِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي لَبِدَ بِالْأَرْضِ.

وقال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نعيم عن مَآوِيَةَ مَوْلَاةَ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إِهَابٍ قَالَتْ «حَبَسَ خَيْبٌ بِمَكَّةَ فِي بَيْتِي فَلَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَإِنْ فِي يَدِهِ لِقِطْفًا مِنْ عَنَبٍ أَكْثَرُ مِنْ رَأْسِهِ يَا أَكَلْ مِنْهُ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَوْمُئِذٍ حَبَّةُ عَنَبٍ». وأُخْرِجَهُ ابْنُ سَعْدٍ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ عَنْ مَآوِيَةَ.

وأخرج ابن أبي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ مِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أُمِيَةِ الضَّمَرِيِّ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ جَدِّهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَيْنًا وَحَدَّهُ قَالَ «جِئْتُ إِلَى خَشْبَةِ خَيْبٍ فَرَقِيتُ فِيهَا وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعَيُونَ فَأُطْلِقُهَا فَوْقَ الْأَرْضِ فَانْتَبَذْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ التَفْتُ فَلَمْ أَرَ خَيْبًا فَكَأَنَّمَا ابْتَلَعَتْهُ الْأَرْضُ فَلَمْ يَذْكُرْ خَيْبٌ

(١) أَلْهَمَهَا لِيَجْتَزُّوا بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ مِنَ الْحَزْ، بِمَعْنَى الْقَطْعِ وَأَمَّا الْاجْتِزَازُ فَمَعْنَاهُ حُلُقِ الرَّأْسِ وَلَيْسَ مَرَادًا هُنَا.

(٢) الرَّجُلُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْجَرَادِ أَوْ النَّحْلِ أَوْ نَحْوَهُمَا وَهُوَ مَعْنَى الدَّبْرِ أَيْضًا.

رَمَّةً حَتَّى السَّاعَةِ» ^(١).

وأخرج أبو يوسف في (كتاب اللطائف) عن الضحاك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل القداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلا نَشَاوَى ^(٢) فَأَنْزَلَاهُ فَحَمَلَهُ الزَّبِيرُ عَلَى فَرَسِهِ وَهُوَ رَطِبَ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ فَغَنَدِرَ ^(٣) بِهِمُ الْمَشْرُكُونَ فَلَمَّا لَحَقُوهُمْ قَذَفَهُ الزَّبِيرُ فَاِبْتِاعَتْهُ الْأَرْضُ فَسُمِيَ بِلَيْعِ الْأَرْضِ».

وقال الواقدي حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه . وحدثني عبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون قالوا «كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أجد من يغتال محمداً فإنه يمشى في الأسواق فيدرك ثأرنا فأتاه رجل من العرب فقال إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله فأبى هاد بالطريق خربت» ^(٤) ومعى خنجر مثل خافية النسر، قال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك ^(٥) فأبى لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه ^(٦) إلى محمد قال العربي : لا يعلم به أحد فخرج ليلاً على راحلته فسار خمسا وصباح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال لأصحابه : إن هذا الرجل

(١) ذكر ابن القيم في زاد اللعاد أن عمرو بن أمية الضمري احتمل خبيبا بخشبته ليلاً فذهب به فدفعه .

(٢) جمع نشوان يعني سكارى .

(٣) هو بكسر الدال للعجمة يعني علم .

(٤) الحرب الماهر بخفيات السبل للفرقة في المفازة .

(٥) يعني أكنتم قصدك ولا تتحدث به إلى أحد .

(٦) يقال نَمَى الحديث ينميه يعني بلغه .

ريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد ، ثم قال له اصدقني ما أنت وما أقدمك ؟
فإن صدقتني نفعتك الصدق وإن كذبتني فقد اطلعتُ على ماهممتَ به قال فآمن ؟
قال : فأنت آمن فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فقال قد آمنتك فاذهب حيث
شئت وخير لك من ذلك ، قال وما هو ؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وأني
رسول الله فأسلم ثم قال : والله ما كنت أفرقُ الرجال ^(١) فوالله ما هو إلا أن رأيته
فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ماهممت به مما سبقت به الركبان ،
ولم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنت على حق ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعمر بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا
سفيان بن حرب فإن أصبنا منه غِرَّةً فاقتلاه فخرجا قال عمرو فقال لي صاحبي
هل لك أن تأتى البيت فتطوف به أسبوعاً ^(٢) وتصلى ركعتين فقلت إني أعرف
بمكة من الفرس الأبلق ، وإنهم إن رأوني عرفوني فأبى أن يطيعني فأتينا فطفنا
أسبوعاً وصلينا ركعتين ، فلقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وأخبر أباه فَنَذِرَ
بنا أهل مكة فقالوا . ما جاء عمرو في خير وكان عمرو رجلاً فاتكاً في
الجاهلية فحشد أهل مكة وتجمعوا فهربنا وخرجوا في طلبنا فدخلت غاراً
فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبون وَعَمِيَ الله عليهم الطريق أن
يهتدوا لراحتنا فقال صاحبي : هل لك في خييب تنزله ؟ فاشتدت فأنزله « .
أخرجه البيهقي .

(١) يعني أخافهم .

(٢) يعني سبعة أشواط .

باب

ما وقع في قصة يبر مَعُونَة^(١) من الآيات

أخرج البخارى من طريق هشام بن عروة قال أخبرنى أبى قال « لما قتل الذين بئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا ؟ وأشار إلى قتيل فقال له هذا عامر بن فُهَيْرَة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم خَبَرَهُمْ فَنَعَاهُمْ^(٢) فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضىنا عنك ورضيت عنا فأخبرهم عنهم . »

وأخرج مسلم والبيهقي عن أنس « أن ناساجأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) كانت هذه الغزوة في صفر من السنة الرابعة وسببها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد فقال يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم فقال إنى أخاف عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فبعث معه أربعين رجلا وقيل: سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحره بنى سليم فأرسلوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر رجلا فطعن بالحرية من خلفه فقال : فزت ورب السكة ثم استنفر عدو الله قومه بنى عامر لقتال الباقيين فلم يجيبوه لأجل جوار أبى براء واستنفر بنى سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان فجاء واحق أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار .

(٢) يعنى أعلم أصحابه بقتلهم .

فقالوا ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرسينا عنك ورضيت عنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، إن إخوانكم قد قتلوا فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك فرسينا عنك ورضيت عنا .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فلم نلبث إلا قليلا حتى قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن إخوانكم قد لؤوا المشركين واقتطعوه فلم يبق منهم أحد ، وإنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد رضينا ورضى عنا ربنا فأنا رسولهم إليكم أنهم قد رضوا ورضى عنهم . »

وقال الواقدي حدثني مصعب بن ثابت عن أبي الأسود عن عروة قال « خرج المذنب بن عمرو ^(١) فذكر القصة وقال فيها قال عامر بن الطفيل لعمر بن أمية هل تعرف أصحابك ؟ قال نعم فطاف فيهم يعني في القتلى وجعل يساله عن أنسابهم قال هل تفقد منهم من أحد قال أفقد مولى لأبى بكر يقال له عامر بن فهيرة قال كيف كان فيكم ؟ قلت كان من أفضلنا قال ألا أخبرك خبره ؟ طعنه هذا برمح ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علوا في السماء حتى والله ما أراه وكان الذي قتله رجل من كلاب يقال له جبار بن سلمى ذكر أنه لما طعنه سمعه يقول فزت والله قال فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي فاخبرته بما كان وأسلمت ودعاني إلى الاسلام ما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة ومن رفعه إلى السماء علوا

(١) الصحيح أنه المذنب بن محمد كان هو وعمر بن أمية الضمري في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة فزلا المذنب فقاتل المشركين مع أصحابه حتى قتل وأسر عمرو بن أمية الضمري فلما أخبر أنه من مضر جز عامر بن الطفيل ناصيته واعتقه عن رقة كانت على أمه .

قال وكتب الضحاك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين». أخرجه البيهقي وقال: يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ليجتمع مع رواية البخاري السابقة عن عروة فإن فيها ثم وضع^(١) فقدرونا في مغازي موسى بن عقبة في هذه القصة قال فقال عروة لم يوجد جسد عامر فيرون أن الملائكة، وارت ثم أخرج البيهقي رواية عروة موصولة عن عائشة بلفظ لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ولم يذكر فيها ثم وضع^(٢) فقويت الطرق وتعددت لمواراته في السماء^(٣): وقال ابن سعد أنا الواقدي حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارتته^(٤).

باب

ما وقع في غزوة ذات الرقاع من الآيات والمعجزات

أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبيل نجد فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة^(٥)»

-
- (١) وهذا هو الصحيح أنه وضع ودفن في الأرض فإن الله يقول (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) وليس في السماء مقبرة يدفن فيها أهل الأرض.
- (٢) لكنها مذكورة في رواية البخاري وهي زيادة ثقة يجب قبولها.
- (٣) لا قويت الطرق ولا تعددت ولا هو أمر مقبول في نفسه بل الله أكرم به برفع الملائكة إياه من بين يدي عدوه ثم نزلت به فوارته في الأرض.
- (٤) ليس في حديث عائشة أن الملائكة وارتته في السماء،
- (٥) يعني وقت القيلة؟

يومًا بواد كثير العِصاه^(١) فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العِصاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سُمْرَاة فعلق بها سيفه فمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فحُثْنَاهُ فإذا عنده أعرابي جالس فقال إن هذا اختط سيفي^(٢) وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتنا^(٣) فقال لي من يمنعك مني؟ فقلت: الله فشام السيف^(٤) وجلس ثم لم يعافيه .

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي من وجه آخر عن جابر قال « قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفة^(٥) بنخل^(٦) فرأوا من المسلمين غِرَّةً فجاء رجل منهم يقال له غَوْرَث بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني؟ قال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني؟ قال كن خير آخذ فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس ثم ذكر صلاة الخوف^(٧) .

(١) جمع عصه وهو الشجر .

(٢) يعني جرده من غمده .

(٣) يعني مجردا من غمده .

(٤) يعني أغمده وفي رواية لمسلم : فهذه أصحاب رسول الله فأغمد السيف وعلقه .

(٥) يعني بنى محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٦) هو موضع بنجد على مسيرة يومين من المدينة .

(٧) هذا يدل على أن تلك الغزوة كانت بعد الخندق فإن صلاة الخوف لم تكن شرعت يومها بدليل أن المشركين حبسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة العصر حتى غابت الشمس يوم الخندق . والظاهر أن أول صلاة صلاها بالخوف كانت بعسفان عام الحديبية وكان على المشركين يومئذ خالد بن الوليد ثم صلاها بعد ذلك في غزوة ذات الرقاع التي كانت بعد الخندق والحديبية .

وأخرج أبو نعيم من وجه ثالث عن جابر قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صَفَرٍ فقال (١) تحت شجرة وعلق سيفه بها فجاء أعرابي فسلَّ السيف فقام به على رأسه فقال يا محمد من يمنعك مني ؟ فاستيقظ فقال الله فأخذه واجف (٢) فوضع السيف وانطلق . »

وأخرج البيهقي من وجه آخر عن جابر قال « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بنخل فهم به المشركون ثم قالوا دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أحب إليهم من ابنائهم فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة الخوف » وأخرجه مسلم باقظ « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جُهينة فقاتلوا قتالا شديدا فلما صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لا تقطعنا ثم قالوا إنهم ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد فآخبر جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى صلاة الخوف . »

وأخرج أحمد والبيهقي عن أبي عياش الزُّرقي قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصاينا الظهر فقال المشركون لقد كانوا على حال لو أردنا لأصبنا غرة فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر (٣) وذكر الواقدي بإسناده عن خالد بن الوليد في قصة إسلامه قال « فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان فقتل بازائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر إمامنا فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا (٤) فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . »

(١) يعني نام نومة القيلولة ، (٢) أي رعب وفزع ؟

(٣) هذا يشهد لما قلنا من أن أول صلاة صلاها للخوف كانت عام الحديبية بعسفان ؟

(٤) أي لم يصل هذا الهم إلى حد العزم

وأخرج مسلم والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع حتى نزلنا وادياً أفيحاً^(١) فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته واتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحدهما فأخذ بفص من أغصانها وقال انقادي بإذن الله فانقادت معه كالبعير الخشوش^(٢) الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بفص من أغصانها فقال انقادي على بإذن الله فالتأمتا . قال جابر فجلست أحدث نفسي فحانت مني لقطة^(٣) فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا ، ثم أقبل فلما انتهى إلى قال : يا جابر هل رأيت مقامى؟ قلت نعم يا رسول الله قال فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامى فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك . قال جابر : فقممت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلق لى فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرحهما حتى إذا قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ، ثم لحقت فقلت قد فعلت يا رسول الله فعند ذلك قال إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه^(٤) عنهما مادام الغصنان رطبين فأتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ناد بوضوء فقلت : ألا وضوء ألا وضوء؟ قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الأنصار يبذر لرسول الله

(١) يعني واسعاً .

(٢) يعني الذي جعل في أنفه الخشاش .

(٣) يعني نظرة .

(٤) أى يخفف .

صلى الله عليه وسلم الماء فقال لى انطلق إلى فلان الأنصارى فانظر فى هل أشجابه (١) من شىء (٢) فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة فى عزلاء (٣) شَجَبَ منها لو أنى أفرغهُ لَشَرِبَهُ يابِسُهُ فَأَتَيْت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال اذهب فأتنى به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشىء لا أدري ماهو؟ ويفمزه بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر نادِ بِجَفْنَةٍ (٤) فقلت يا جَفْنَةُ الرَّكْبِ فَأَتَيْت بها تُحْمَلُ فوضعت بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها فى الجفنة وفرق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب على وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه فقارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملاءى وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع فقال عسى الله أن يطعمكم فأتيننا سيف البحر فالتقى دابة فَأَوْرَيْنَا على شِقْطِهَا النار فشوينها وطبخناها وأكلنا وشبعنا (٥) قال جابر فدخلت أنا وفلان

(١) الأشجباب : جمع شجب وهو السقاء الذى قد أخلق وصار غنا .

(٢) لعل صحة العبارة فانظر هل فى أشجابه من شىء بتقديم هل .

(٣) هى بفتح العين المهملة وسكون الزاى فم القرية .

(٤) أى اطلب لنا جفنة وهى الأناء الواسع .

(٥) إنما كان ذلك فى سرية أبى عبيدة بن الجراح ولم يكن فى ذات الرقاع فى الصحيحين من حديث جابر قال « بعثنا النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح ترصد عبرا لقريش فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الحبط فسمى جيش الحبط فنحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهأ فالتقى إلينا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر وادها منه حتى ثابت منه أجسامنا وصلحت وأخذ أبو عبيدة فلما فنظر إلى أطول رجل فى الجيش وأطول رجل غمل =

وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها (١) ما يرانا أحد حتى خرجنا وأخذنا ضلعاً من أضلاعها فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب فدخل تحته ما يطأطأ رأسه» (٢) .

وأخرج البراز والطبراني في (الأوسط) وأبو نعيم عن جابر قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحجرة وَاَقِمَ عرضت امرأة بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان ، ففتح فاه فبرز فيه ، وقال : أخس عدو الله ، أنا رسول الله ثلاثاً ثم قال : شأنك بابنك لن يعود إليه شيء مما كان يصيبه ، فلما رجعنا جاءت المرأة فسألها عن ابنها . فقالت : ما أصابه شيء مما كان يصيبه . ثم ذكر قصة الشجرتين وقصة غورث بن الحارث وقال فيها فارتعدت يده حتى سقط السيف من يده قال ثم رجعنا حتى إذا كنا بمهبط الحرة أقبل جمل يُرْقِلُ (٣) فقال أتدرون ما قال هذا الجمل ؟ هذا جمل يستعديني على سيده يزعم أنه كان يحرق عليه منذ سنين وأنه أراد أن ينجره اذهب يا جابر إلى

== ومرتحمته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا للمدينة أمينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا؟ فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكل .

(١) المراد بها وقب العين وهو عظمها المستدير .

(٢) وهكذا أورد المؤلف هذه الرواية الطويلة وغيرها من التافيق والخلط وإغراق الخيال مالا يبعد على مثل أبي نعيم ومن العجب أنه أراد أن يروج له بأنه ما أخرجه مسلم وليس في مسلم من ذلك إلا حديث أبي موسى أنهم ساروا في تلك الغزوة حتى انتقبت أقدامهم فكانوا يلقون عليها الحرق فلماذا سميت غزوة ذات الرقاع .

(٣) الأرقال أو الرقل ضرب من العدو

صاحبه فأت به فقلت لأعرفه قال إنه سيدلك عليه نخرج بين يدي مُعْتَقاً^(١) حتى وقف بي على صاحبه فجئت به قال وكانت غزوة الرقاع تسمى غزوة الأعاجيب^(٢).

وأخرج الشيخان عن جابر قال « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فأبطأ جملي وأعياني فأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماشأناك؟ قلت أبطأ جملي وأعياني وتخلف فحجته بمحجته ثم قال اركب فركبت فلتقد رأيتني أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بني ثعلبة^(٣) وخرجت على ناضح لي فأبطأ على حتى ذهب الناس فجعلت أرقبه ويهمني شأنه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الناس فقال ما شأنك؟ قلت أبطأ على جملي قال اذهب معي فكأنه نفث فيها ثم مج من الماء في نحري ثم ضربني بالعصا فوثب فقال اركب قلت إني أرضى أن يساق معنا قال اركب فركبت فوالذي نفسي بيده لقد رأيتني وإني أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إرادة أن لا يسبقه » .

وأخرج أبو نعيم من وجه آخر عن جابر نحوه وزاد ثم قال « اركب بسم الله فما ركبت دابة قبله ولا بعده أوسع ولا أوطأ منه إن كان لينطاق بي فأكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه » .

(١) معنقاً من أهلق البعير، إذا سار العنق يعني أسرع في سيره كما في قول الشاعر * يانا ق سيري عنقا فسيحاً * هنا موضع ما بين القوسين .

(٢) ولكن من هذه الأعاجيب ما هو صحيح أورده الشيخان كقصة غورث ورجل جابر ومنها ما هو مخترع كقصة الشجرتين والقبرين الذين يعدان الخ (إلى سليمان فاستريحوا) ومن العجيب أن الوضاعين اختاروا في هذه الغزوة شخصية جابر بن عبد الله لأنهم يعلمون أنه كان له فيها شأن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروا أنهم إذا نسبوا إليه ما زادوه من غرائب وحكايات فإنها تروج وتجد من يصدقها

(٣) هي غزوة ذات الرقاع غزاها بنفسه في جمادى الأولى من السنة الرابعة يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان

وأخرج أحمد عن جابر قال « فقدت جملي في ليلة ظلماء فمررت على رسول الله صلى الله عليه فقال مالك ؟ قات فقدت جملي قال ذاك جملك اذهب فخذ فذهبت نحو ما قال فلم أجده فرجعت إليه فقال مثل ذلك فذهبت فلم أجده فرجعت إليه فانطلق معي حتى أتينا الجبل فدفعه إلى فبينما أنا أسير وكان جملا فيه قطاف ^(١) قلت لهف أُمى أن يكون لى إلا جمل قطوف فلحق بى فقال ما قلت ؟ فأخبرته ف ضرب عجزا للجمل بسوط فانطلق أوضع ^(٢) جمل ركبته قط وهو ينازعنى خطامه » .

وأخرج الواقدي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال « لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم غزوة ذات الرقاع جاء عُلْبَةُ بن زيد الحارثي بثلاث بيضات أداحي ^(٣) فقال يا رسول الله وجدت هذه البيضات في مَهْ حَص ^(٤) نام فقال دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات فعملتهن ثم جئت بهن في قصعة فجعلت أطلب خبزا فلا أجده فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى إلى حاجته والبيض في القصعة كما هو ثم قام فأكل منه عامة أصحابه ثم رحلنا مُبَرِّدين ^(٥) » .

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى أُمّار فقال لرجل : ماله ضرب الله عنقه ؟ فسمعه الرجل فقال يا رسول الله في سبيل الله فقال في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله » .

(١) القطاف ضيق الخطو وبطؤه .

(٢) من الإيضاع وهو سرعة السير وفي الحديث « ليس البر بالإيضاع » .

(٣) جمع الأدحي وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة .

(٤) اسم مكان من الفحص وهو عشاها الذي تبيض فيه .

(٥) يرمى في وقت انكسر فيه حر النهار .

غزوة بني أنمار هي غزوة ذات الرقاع .
وأخرجه الحاكم وصححه ، وقال في بعض مغازيه وقال في آخره فقتل
يوم اليمامة .

باب

ما وقع في غزوة الخندق ^(١) من الآيات والمعجزات

أخرج البيهقي عن قتادة قال : « ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم الأحزاب : لن يفزوك المشركون بعد اليوم ، فلم تغزهم قريش
بعد ذلك ^(٢) .

وأخرج البخاري عن سليمان بن صرد قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الأحزاب ^(٣) وفي لفظ حين أُجِّلِي عنه الأحزاب « الآن نفزوهم

(١) قال ابن القيم في (الزاد) وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح
القولين إذ لا خلاف أن أحدا كانت في شوال سنة ثلاث وواعد المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه لأجل جذب تلك السنة
فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه « وسميت غزوة الخندق لأن سلمان
الفارسي رضى الله عنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر خندق يحول بين
العدو وبين المدينة فبادر إليه المسلمون وعمل فيه الرسول بنفسه ، وكان الخندق
أمام سلع وطلع جبل خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار .

(٢) وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فإن قريشا بعد أن هزمها الله
في تلك الموقعة وردّها بغيطها لم تنل خيرا لم تفكر بعدها في غزو المدينة أبداً .

(٣) المراد بالأحزاب القبائل التي تهزبت على المسلمين في تلك الغزوة واستجابات
لإغراء زعماء اليهود الذين خرجوا يؤيدونهم على القتال . وهم قريش وغطفان
وبنو سليم وبنو أسد ، وفزارة وأشجع وبنو مرة ، حتى كان عدة من وافي الخندق
من المشركين نحو ما من عشرة آلاف .

ولا يغزونا نسير إليهم»^(١)

وأخرج أبو نعيم حديث جابر مثله .

وأخرج البخارى عن جابر بن عبد الله قال : « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية^(٢) شديدة فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبتنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِغُول^(٣) فضرب فعاد كشيها أهيل^(٤) ، فقلت يا رسول الله إيدن لى إلى المنزل ففعل فقلت لامرأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عندى شعير وعَنَق^(٥) فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة^(٦) ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت طُئِم^(٧) لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلا ن قال : كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير طيب قال : قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال : قوموا فقام المهاجرون والأنصار ، فلما

(١) وقد سار المسلمون إليهم فى السنة التى بعدها عام الحديبية ولكنهم لم يخرجوا لقتال ، بل لأداء العمرة وساقوا البدن أمامهم علامة على حسن نيتهم ولما صدم المشركون عن البيت وقع صلح بينهم على أن يرجعوا من قابل فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يؤدون فيها نسكهم ثم كان المسير الأعظم إليهم يوم فتح مكة فى السنة الثامنة حيث دخل الرسول وأصحابه وكانت عدتهم عشرة آلاف مكة طافرين منصورين .

(٢) هى القطعة الصلبة السحاء من الصخر التى لاتعمل فيها المعاول وجمعها كدى .

(٣) وهو ما يسمى بالمسعاة أو الفأس وجمعها معاول .

(٤) يعنى رملا ناعما .

(٥) هى الشاة الصغيرة التى لم تبلغ ستة أشهر .

(٦) هى القدر التى يطبخ فيها .

(٧) تصغير طعام يقصد أنه طعام قليل لا يكفى إلا واحد أو اثنان .

دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألت؟ قلت نعم فقال: ادخلوا ولا تضاغظوا^(١) فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويعرف حتى شبعوا وبقي بقية قال: كلوا هذا وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة .

أخرجه البيهقي وزاد في آخره « فلم يزل نأكل ونهدي يومنا أجمع » . وأخرجه أيضاً من وجه آخر وزاد ، « فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك » .

وأخرج الشيخان من وجه آخر عن جابر قال : لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خصاً شديداً^(٢) فأنكفأت إلى امرأتى فقلت هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خصاً شديداً فأخرجت إلى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن^(٣) فذبحتها وطحنت الشعير ثم وایت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئته فساررتة فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحننا صاعاً من شعير فتعال أنت ونقرمك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً^(٤) فجيهاً بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدرن برمتكم ، ولا تخبرن عجبتكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدّم الناس فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، فأقسم بالله لقد أكلوا وهم ألف حتى

(١) أي ولا تتزاحموا .

(٢) الخمس الجوع .

(٣) هي الشاة التي تربي في البيت .

(٤) السور أصله بقية الشراب في الإناء والمراد به هنا الطعام القليل .

تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لَتَغِطُ^(١) كما هي وإن عجبتنا ليخبز كما هو .
وأخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الله بن مغيث بن أبي بردة الأنصاري
قال « أرسلت أم عامر الأشهلية بقعبة^(٢) فيها حَيْسٌ^(٣) إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في قبته وهو عند أم سلمة^(٤) فأكلت أم سلمة حاجتها ، ثم خرج
بالبقية ، فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشاءه ، فأكل أهل
الخنديق حتى قَهَلُوا^(٥) » . وهي كما هي . مرسل .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر من طريق عبيد الله بن علي بن أبي رافع
عن أبي رافع قال : « أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بشاة
في مِكَتَلٍ فقال : يا أبا رافع ناولني الذراع فناولته ثم قال : ناولني الذراع فناولته
ثم قال : ناولني الذراع فقلت يا رسول الله هل للشاة إلا ذراعان ؟ فقال : لو سكت
ساعة لناولتنيه ما سألتك^(٦) .

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر أيضا من وجه آخر عن عبد الله بن علي
ابن أبي رافع أن جدته سلمى أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى

(١) أي تفور بالحم .

(٢) القعبة والقعب هو الإناء الذي يشرب فيه .

(٣) هو نوع من الطعام يتخذ من المرق والسويق أو نحو ذلك .

(٤) لا ندرى كيف كان الرسول عليه السلام في قبته وكان عند أم سلمة ولم
نعرف أن الرسول ضربت له يوم الخندق قبة بل كان يشارك أصحابه في حراسة الخندق
ولو كانت له قبة لم تكن معه فيها أم سلمة ولا غيرها من زوجاته فإن النساء في هذه
الغزوة جعلن في أطعم حسان بن ثابت ووكل حسان بحر استمن وطلى كل حال فهو
مرسل لا حجة فيه .

(٥) يعني شبعوا وفضوا حاجتهم معه .

(٦) هذا خبر تلوح عليه أمارات الوضع إذ لا يعقل أن يأمره الرسول بأن يناوله
ذراعا ثلاثة من الشاة وأبست البركة في أن يكون للشاة أذرع كثيرة ولسكن البركة
في أن تقدم الذراع الواحدة للعديد الكثير فكيفهم كما حصل في برمة جابر .

أبى رافع بشاة يوم الخندق فصلاها^(١) أبو رافع وجعلها في مكتل ثم انطلق بها «
 وذكر مثله .

وأخرج أبو القاسم البغوى في معجمه عن معاوية بن الحكم قال « كنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب رجل أخى على بن الحكم جدار
 الخندق فدَمَمَها^(٢) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها وقال : بسم الله فما آذاه
 منها شيء . » .

وأخرج أبو نعيم من طريق أبي عبد الرحمن الخُمَلَى عن عبد الله بن عمرو
 ابن العاص « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم الخندق فتناول
 الفأس فضرب به ضربة : فقال ، هذه الضربة يفتح الله بها كنوز الروم ، ثم
 ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز فارس ، ثم ضرب الثالثة
 فقال : هذه الضربة يأتى الله بأهل اليمن أنصاراً وأعواناً . » .

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق قال : حدثت عن سلمان قال :
 « ضربت في ناحية من الخندق فعطف على^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 رأيته أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب
 به ضربة فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة
 أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قلت يا رسول الله ما هذا
 الذى رأيت يلمع ؟ قال : أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن
 الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق ،

(١) يعنى شواها ، يقال شاة مصلبة أى مشوية .

(٢) يعنى أسالت منها الدم .

(٣) أى أقبل نحوى .

فحدثني من لا إله إلا الله عن أبي هريرة أنه كان يقول في زمن عمر وزمن عثمان وما بعده: افتتحوا ما بداركم فوالذي نفسي بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا والله تعالى قد أعطى محمداً مفاتيحها^(١).

وأخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن سلمان.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم نحوه من طريق عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب^(٢).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن البراء بن عازب قال «عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها للعاول، فشكونا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآها أخذ المعول وقال: بسم الله، وضرب ضربة فكسر ثلثها. فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر إلى قصورها الحجر، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ثم ضرب الثالثة فقطع الحجر فقال الله أكبر

(١) يعني أبو هريرة بذلك قوله عليه السلام فيما رواه هو عنه «بينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت في يدي» ثم قال أبو هريرة ولقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم ثلاثون.

(٢) لا شك أن حديث الضربات الثلاث لتلك الكدية التي عرضت في الخندق وإساءة النور منها صحيح واختلاف الروايات هنا لا يضر والجمع فيها ممكن وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك - الآية) أن المنافقين قالوا في غزوة الخندق ألا ترون أن محمداً يبشر أصحابه بملك فارس والروم، وإن أحدهم ليخاف أن يذهب إلى الغائط وحده فنزلت الآية

أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة ^(١) .

وأخرج ابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي وأبو نعيم من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال (خرجت لنا من الخندق صخره بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة ^(٢) أضاء ما بين لابتي المدينة ^(٣) حتى لكان مصباحاً في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر فقلنا يا رسول الله قد رأيناك تضرب فيخرج منها برق كالوج ورأيناك تكبر فقال أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها وأضاء لي في الثانية قصور الحمير ^(٤) من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فقال المنافقون يخبركم محمد أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزل ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ .

(١) وقد ورد في حديث خباب بن الأثر « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » وكان ذلك بمكة قبل الهجرة .

(٢) يعني لمع منها نور ولهذا ذكر الفعل بعده .

(٣) يعني حرثها .

(٤) هو من إضافة الموصوف إلى الصفة أي للقصور الحمير .

وأخرج أبو نعيم عن أنس قال : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
بعموله ضربة فبرقت بركة فخرج نور من قبل اليمن ثم ضرب أخرى فخرج نور
من قبل فارس ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل الروم فعجب سلمان من
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أرأيت؟ قلت نعم قال: لقد أضأت
لي المدائن وإن الله بشرني في مقامى هذا بفتح اليمن والروم وفارس).

وأخرج أبو نعيم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخندق فحفر فصادف حجراً فضحك فقليل لم ضحك يارسول الله ؟
فقال ضحك من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في الكهول ^(١) يساقون إلى
الجنة وهم كارهون ^(٢).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثني سعيد بن ميناء
عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتني أمي بتمر في طرف
ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق فمررت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنادانى فأتيته فأخذ التمر منى في كفيه فما ملأهما وبسط ثوبا فثره عليه
فقتسأقط في جوانبه ثم أمر أهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه وجعل يزيد حتى
صدروا عنه وإنه ليستقط من أطراف الثوب ^(٣).

(١) أى في القبول .

(٢) وفي بعض روايات هذا الحديث (يعجب ربك من قوم يقادون إلى
الجنة في السلاسل) وقد ورد أنه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرد
منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على كتف سلمان وقال (لو نيط الإسلام بالتراب لئاله رجال من قوم هذا)
يعنى فارس .

(٣) معجزته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ونبع الماء ونحوها قد اشتهرت
بوكثر رواياتها حتى صارت في حكم المتواترة .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن رجلا من آل المغيرة قال لأقتلن محمداً
فأوثب فرسه في الخندق فوق فاندقت رقبته فقالوا يا محمد إدفعه إلينا نواره وندفع
إليك ديتة فقال (ذروه فإنه خبيث خبيث الدية .

وأخرج البيهقي عن قتادة قال : أنزل الله تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء
وزلزلوا) قال فلما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله .
وأخرج الشيخان عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) ^(١) .

وأخرج أبو نعيم وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال (لما كان ليلة الأحزاب
جاءت الشمال إلى الجنوب فقالت أنطلقى فانصرى الله ورسوله فقالت الجنوب
إن الحرة لا تسرى بالليل فأرسل عليهم الصبا فأطفا نيرانهم وقطعت أطنابهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) .

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا) قال يعني ريح
الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى أكفأت قد ورم على أفواهها
ونزعت فساطيطهم حتى أظفنتهم ^(٢) (وجنوداً لم تروها) يعني الملائكة قال :
ولم تقاتل الملائكة يومئذ .

وأخرج البيهقي عن حذيفة بن اليمان قال (لقد رأيتنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وآر ^(٣) فقال رسول الله صلى

(١) الصبا بفتح الصاد وألف مقصورة والدبور بفتح الدال نوعان معروفان
من الريح وكثيرا ما ينفخ الشعراء بريح للصبا في أشعارهم .

(٢) يعني حملتهم على الظعن وهو الارتمال .

(٣) أى وبرد كما قال الشاعر :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح باعلام ريح صر

صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟ فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ^(١) ثم قال يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ففضيت كأنما أمشي في حمام ورجعت كأنما أمشي في حمام ثم أصابني البرد حين فرغت ^(٢) وأخرجه من وجه آخر عن حذيفة وزاد فقلت يا رسول الله ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد قال : انطلق فلا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلى ^(٣) ثم أخرجه من طريق ثالثة عن حذيفة وفيه فقامت فقال إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأخرجت فقال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قرأ في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد منه شيئاً فدخلت العسكر فإذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إني لأسمع صوت

(١) وهذا أمر مشكل جداً فكيف يدعوه النبي عيه السلام فلم يجبه منهم أحد مع علمهم بوجوب ذلك وتعيينه كما نطق القرآن بذلك في قوله « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » وقوله من سورة النور « تجملوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » ويمكن أن يعتذر عنهم بأن الرسول عليه السلام لم يوجه الأمر إلى شخص بعينه حتى يتعين عليه إجابته ولكن قال الأرجل فانتظر كل منهم أن يكفيه أخوه ذلك لاسيما مع ما كانوا فيه من شدة الفزع بسبب حصار العدو وتغير الجو إلى ظلمة وريح وبرد شديد أو لعلمهم فقهوا أن الأمر على سبيل الذنب ولم يكن عزيمة فترخصوا في القعود وفي اختياره صلى الله عليه وسلم لحذيفة بالذات دليل على مبلغ ثقته عليه السلام بقوة إيمانه .

(٢) لأنه لما كان في حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظه الله عز وجل من البرد فلما فرغ منها عاوده ما كان يجده من من البرد .

(٣) الظاهر أن قوله حتى ترجع إلى متعلق بمحذوف صرح به بعض الروايات وهو قوله لحذيفة « ولا تحدث في القوم حدثاً حتى تأتيني » .

الحجارة في رحالهم وفرشهم والريح تضربهم بها^(١) ثم رجعت فلما انتصف في الطريق إذا أنا بنحو من عشرين فارساً معتمين^(٢) فقالوا أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم فرجعت فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القرو جعلت أقرقف^(٣) وأنزل الله « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » ثم أخرجه من طريق رابعة عن حذيفة بهذه الزيادة وقال « وأخذتهم ريح شديدة فتحملوا^(٤) وإن الريح لتغلبهم على بعض امتعتهم وأنه لما رجع مر بخيل على طريقه فخرج له فارسان منهم ثم قالاً: ارجع إلى صاحبك فأخبره أن الله قد كفاه إياهم بالجنود والريح ثم أخرجه من طريق خامسة عن حذيفة وفيه فقال هل أنت ذاهب ؟ فقال والله ما بي أن أقتل^(٥) ولكني أخشى أن أوسر فقال إنك لن تؤسر وفيه فبعث الله عليهم تلك الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفأته والحديث أخرجه الحاكم وصححه أبو نعيم

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الأحزاب من يأتيني بخبر القوم جعله الله رفيقاً في الجنة ثلاثاً فلم يجبه أحد فنادى يا حذيفة^(٦) فأجابه فقال ما سمعت صوتي ؟ قال بلى قال فما منعك أن تجيبني ؟ قال البرد قال لا برد عليك قال فذهب عني البرد فذهب فأتاه بخبر القوم فلما رجع عاد البرد إليه كما كان يجده .

(١) وقد ورد في الحديث لا تسبوا الريح فإنها حبة من جنود الله .

(٢) أي لابسى العمام .

(٣) أي أراعد من شدة البرد .

(٤) يعني حملوا امتعتهم للرحيل .

(٥) يعني لا أخشى ذلك ولا أبالي به .

(٦) وفي بعض الروايات أنه قال « أنفكم حذيفة ؟ » وهي منقبة عظيمة له

رضي الله عنه .

أخرج الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم^(١) .

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن جبير قال : لما كان يوم الخندق أتى جبرئيل ومعه الريح^(٣) فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى جبرئيل^(٤)

(١) الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو يمتظر حتى إذا مالت الشمس قال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم يقول اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وظاهر أنه ليس في هذا دعاء على الأحزاب وإنما هو يدعو الله الذي هزم الأحزاب أن يهزم هؤلاء وأن ينصره عليهم » فال مؤلف هنا حرف الحديث تحريفاً خطيراً .

(٢) وروى مالك في الموطأ عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

(٣) لا ندري كيف أتى جبرئيل بالريح وهل هي شيء يمسك ويؤتي به والذي في القرآن أن الله أرسلها عليهم وهي جند من جنوده يرسلها على من يشاء بالرحمة تارة وبالعذاب تارة أخرى .

(٤) الظاهر من حديث حذيفة المتقدم أن النبي عليه السلام لم يعلم بنزول الملائكة

ألا أبشروا ثلاثاً^(١) فأرسل الله عليهم الريح فهتكت القباب وكفأت القصور
ودفنت الرجال وقطعت الأوتاد ، فانطلقوا إلا يلقى أحد على أحد وأنزل الله
تعالى ﴿ إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تزوها ﴾
وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب قال : حصر النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الأحزاب وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خالص إلى كل امرئ منهم الكرب
وحتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك
اللهم إنيك إن تشألا تعبد^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن جابر بن عبد الله قال : دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد الأحزاب يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء فاستجيب
له يوم الأربعاء بين الصلاتين الظهر والعصر فعرفنا البشر في وجهه قال جابر
فلم ينزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت تلك الساعة من ذلك اليوم ، فدعوت
الله فاعرف الإجابة .

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن شيوخي أن عمرو بن عبد ود جعل
يدعو يوم الخندق هل من مبارز ؟ فقال علي بن أبي طالب : أنا أبارزه فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه وعمه وقال : « اللهم أعنه عليه » ، ثم برز

== ولا بما حدث في عسكر المشركين إلا بعد أن ارتحلوا .

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم منزله ووضع سلاحه جاءه جبريل عليه
السلام يأمره بالمسير إلى بني قريظة ويقول له أن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد .

(١) المعروف أن هذه الحكمة إنما قالها النبي عليه السلام حين نقضت قريظة
العهد الذي بينها وبينه واشتد ذلك على أصحابه فقال لهم أبشروا فإن النصر قريب .

(٢) المعروف أن هذه الكلمات إنما قالها النبي عليه السلام يوم بدر كما تقدم
ولا مانع أن يكون قالها هنا أيضاً إن صح الأثر .

له ودنا أحدهما من صاحبه ، وثارت بينهما غيرة وضربه على قفله وولى أصحابه هاربين .

وأخرج أبو نعيم عن عروة وعن ابن شهاب قالاً : أن نعيم بن مسعود جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن قريشاً تحزبوا عليه وأنهم بعثوا إلى قريظة أنه قد طال ثَوَاؤُنَا^(٧) وأجذب ماحولنا ، وقد أحببنا أن نعاجل محمداً وأصحابه فنستريح منه فأرسلت إليهم أن نعم ما رأيتم فإذا شئتم فابعثوا بالرهن ثم لا يجسكم إلا أنفسكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعيم بن مسعود . « فإنهم قد أرسلوا إلى يدعوننى إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى ديارهم وأموالهم » . فخرج نعيم عامداً إلى غطفان فقال : إني ناصر لكم ، وقد اطلعت على غدر يهود فاعملوا أن محمداً لم يكذب قط وإني سمعته يقول : إن بنى قريظة قد صالحوه على أن يرد إخوانهم من بنى النضير إلى ديارهم وأموالهم^(٨) .

(١) أى إقامتنا .

(٢) المحفوظ من قصة نعيم أنه جاء إلى النبي عليه السلام فأسلم وعرض عليه المساعدة فقال خذل عنا فإن الحرب خدعة فذهب إلى قرش وقال لهم لقد جئت بنى قريظة فوجدتهم قد ندموا على ما كان من تقضهم العهد الذى بينهم وبين محمد وقد عزموا أن يرسلوا إليكم يطلبون رهائن منكم يقدمونها إلى محمد ليرضى عنهم ثم ذهب نعيم إلى بنى قريظة وقال لهم إن قريشاً ملت مقامها وإنها ستطالب إليكم أن تعاجلوا بالحرب وإنى أخشى إذا حلت بها الهزيمة أن ترحل وتدعكم وإنى أرى أن تطلبوا منهم رهائن حتى تستوثقوا من بقائهم إلى جانبكم ومعنى هذا أن طلب قريش من قريظة المبادرة بالحرب وطلب قريظة الرهائن من قريش إنما كان بتدبير نعيم بن مسعود نفسه وقد نفع الله بحيلته المسلمين فإن قريشاً لما طلبت من قريظة المبادرة بالحرب وردت قريظة بطلب الرهائن تأكد عند كل منها صدق كلام أب نعيم ففت ذلك في عضد قريش وقوى عزمها على الرجوع إلى مكة .

قال أبو نعيم فيه دلالة على أن مسلمهم وكافرهم كانوا عالمين بأن محمداً صادق لم يكذب قط .

وأخرج ابن عدى والبيهقي وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال : كانت المودة التي جعل الله بينهم تزويج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين^(٩) .

وأخرج الطحاوي أن الله حبس الشمس للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر .

وحكى النووى عنه في شرح مسلم أن رواه ثقات .

تم بحمد الله الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى

وأوله « باب ما وقع في غزوة قريظة من الآيات »

(١) لا يعقل أن يقول هذا ابن عباس فإنه يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متزوجاً من أم حبيبة قبل نزول الآية بزمان طويل والآية إنما تنعقد عن جعل في المستقبل وإنما المودة هي مودة الإسلام وأخوته .

فهرست

الجزء الأول من كتاب «الخصائص الكبرى»

ص

١-٤ مقدمة هامة للمصحح

٥ مقدمة للمؤلف

٩ باب خصوصية النبي (ص) بكونه أول النبيين في الخلق إلخ .

١١ فائدة للسبكي والرد عليها

١٤ لطيفة أخرى للسبكي والرد عليها أيضاً

١٧ باب خصوصيته بكتابه اسمه الشريف النخ والرد على ذلك .

٢٠ باب في أحاديث باطلة والرد عليها

٢١ باب ذكره في الأذان . . . إلخ وبيان جنابة للتساهلين من أهل الحديث

٢٢ باب خصوصيته بأخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به

٢٣ باب دعاء إبراهيم عليه السلام به

٢٤ باب إعلام الله به إبراهيم

٢٥ » » » » موسى

٢٦ » ذكره في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة

٧٣ باب اختصاصه بذكر أصحابه في الكتب السابقة .

ص

٩٠ باب ما وجد على الحجارة القديمة من نقش اسمه

٩٢ باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بطهارة نسبه

٩٨ باب رؤيا عبد المطلب

٩٩ ما وقع في حمله صلى الله عليه وسلم من الآيات وما فيه من خيالات

١٠٧ باب كيف فعل ربك بأصحاب القيل عام ولادته

١٠٩ باب ما وقع في حفر عبد المطلب زمزم من الآيات

١١٣ باب ما ظهر في ليلة مولده من المعجزات والخصائص والتعليق عليها

١٣٢ باب الآية في ولادته مختونا

مقطع السرة وبيان أنه لم يصب ذلك

١٣٣ باب مناغاته للقمر وهو في مهده وبيان بطلانه

١٣٤ باب كلامه في المهد والرد على ذلك

١٣٤ » ما ظهر في زمان رضاعه من الآيات

ص

ض

١٧٧ باب الاستشفاء ببوله

١٧٨ » جاء في صفة خلقه

١٩٠ » اختصاصه بكثرة الأسماء .

والرد على ما فيه من مبالغات

١٩٣ باب اختصاصه بما سمى به من

أسماء الله تعالى والرد على ذلك

١٩٤ باب اختصاصه باشتقاق اسمه

الشريف الشهير من اسم الله تعالى

وبيان عدم صحته

١٩٥ باب ما ظهر من الآيات عند قدومه

مع أمه المدينة

١٩٦ باب ما وقع عند وفاة أمه من

الآيات

١٩٨ باب استسقاء أهل مكة بحجده

وهو معه وسقيهم ونقد الحديث

في ذلك

٢٠٠ باب ما كان النبي يذهب في حاجة

لجده إلا أنجح فيها

٢٠١ باب معرفة عبد المطلب بشأن النبي

صلى الله عليه وسلم

٢٠٤ باب ما ظهر من الآيات وهو في

كفالة عمه أبي طالب

٢٠٦ باب سفر النبي مع عمه أبي طالب

إلى الشام

٢١٣ باب استسقاء أبي طالب به

٢١٤ » جاء يهود إلى أبي طالب الفخ

والرد على الحديث فيه

١٤٧ ذكر المعجزات والخصائص في

خلق الشريف - ما جاء في خاتم

النبوة

١٥١ باب المعجزة والخصائص في عينيه

الشريفتين

١٥٣ باب الآيات في فقه الشريف وريقه

وأسنانه

١٥٦ باب الآيات في وجهه الشريف

١٥٧ باب الآية في إبطه الشريف

١٥٧ » » » لسانه »

١٥٨ » ما جاء في قلبه الشريف

١٦٣ » الآية في حفظه من الثاؤب

١٦٤ » » » سمعه الشريف

١٦٤ » » » صوته »

١٦٥ » » » عقله »

١٦٦ » » » عرقه »

١٦٩ » » » طوله »

١٦٩ » » » أنه لم يكن يرى له

ظل وإبطال ذلك

١٧٠ باب الآية في شعره الشريف

١٧١ » » » دمه

١٧١ » » » قدمه »

١٧٢ » » » مشيه

١٧٢ » » » نومه

١٧٣ » » » جماعه

١٧٥ » » » حظه من الاحتلام

١٧٥ » المعجزة في بوله وغائطه

ص

٢١٤ باب اصطرع أبو طالب وأبولهب
والرد على ذلك

٢١٥ باب أن أبا طالب لا حضرته الوفاة الخ
٢١٧ باب اختصاصه بحفظ الله إياه
في شبابه

٢٢٤ باب خصوصيته بتعظيم قومه له
في شبابه الخ

٢٢٦ باب ما ظهر من الآيات في سفره
لخديجة مع ميسرة

٢٢٧ باب الآية في نسكاه خديجة
رضي الله عنها

٢٢٨ باب ما وقع عند المبعث من المعجزات
والخصوصيات

٢٥٢ باب ما سمع من السكهان والأصوات
بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
عند بعثته

٢٧٢ باب تنكس الأصنام عند بعثته
وما جرى على كسرى والرد على ذلك

٢٧٤ باب حراسة السماء من استراق
السمع بالمبعث الشريف

٢٧٩ باب إعجاز القرآن واعتراف
مشركي قريش بإعجازه

٢٨٨ فصل أجمع العقلاء على أن كتاب
الله معجز

٢٩٢ فصل قال القاضي عياض

٢٩٣ فصل لو كان القرآن في إهاب
الخ وبيان بطلان الحديث

٢٩٣ باب ما كان يظهر عند الوحي من
الآيات

ص

٢٩٧ باب اختصاصه برؤية جبريل
في صورته التي خلق عليها

٣٠١ ذكر المعجزات والخصائص الواقعة
بمكة فيما بين المبعث والهجرة

٣٠١ باب سعى الشجرة إليه

٣٠٣ باب در الجذعة بالابن

٣٠٥ باب رؤيا خالد بن سعيد بن العاص

٣٠٦ باب معجزته في الجفنة التي أطعم
منها أربعين رجلا

٣٠٩ باب نبع الماء من الأرض

٣١٠ باب دعائه لأبي طالب بالشفاء

٣١٠ باب استسقاء أبي طالب به

٣١١ باب رؤية حمزة جبرائيل
عليه السلام وبيان بطلانه

٣١٢ باب انشقاق القمر

٣١٤ باب ما خصه الله به من وعده إياه
بالعصمة من الناس

٣١٥ باب عصمته إياه من أبي جهل

٣١٨ باب ستره بالحجاب عن عين
العوراء بنت حرب

٣١٩ باب عصمته من الخزوميين

٣٢١ باب عصمته من النضر

٣٢١ باب عصمته من الحنم

٣٢٢ باب الآية في مصارعة ركانة
وبيان ما فيه من خيالات

٣٢٦ باب ما وقع في إسلام عثمان بن عفان
رضي الله عنه

٣٢٨ باب ما وقع في إسلام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

ص

- ٣٧٧ باب خصوصيته بالإسراء
 ٣٧٨ حديث أنس
 ٣٩٢ حديث أبي بن كعب
 ٣٩٢ حديث بريدة
 ٣٩٣ حديث جابر
 ٣٩٣ حديث حذيفة
 ٣٩٤ حديث سمرة وسهل بن سعد
 ٣٩٥ حديث شداد بن أوس
 ٣٩٦ حديث صهيب
 ٣٩٧ حديث ابن عباس
 ٤٠٧ » ابن عمر وابن عمرو
 ٤٠٤ » ابن مسعود
 ٤٠٣ » عبدالله بن أسعد بن زرارة
 ٤٠٩ » عبدالرحمن بن قرط التاملي
 ٤٠٩ » علي بن أبي طالب
 ٤١١ » عمر بن الخطاب
 ٤١١ » مالك بن صعصعة
 ٤١٤ » أبي أيوب
 ٤١٥ » أبي ذر
 ٤١٧ » أبي سعيد
 ٤٢٣ » أبي سفيان
 ٤٢٦ » أبي ليلى
 ٤٢٧ » أبي هريرة
 ٤٣٦ » عائشة رضي الله عنها
 ٤٣٨ » أسماء
 ٤٣٨ » أم هانئ
 ٤٤٣ » أم سلمة
 ٤٤٥ » المراسيل

ص

- ٣٣٤ باب ما وقع في إسلام ضامد
 ٣٣٥ باب ما وقع في إسلام عمرو
 بن عبد القيس
 ٣٣٦ باب ما وقع في إسلام الطفيل
 بن عمرو الدوسي من الآيات
 ٣٣٩ باب ما وقع في إسلام عثمان
 بن مظعون
 ٣٤٠ باب إسلام الجن وما ظهر في ذلك
 من الآيات
 ٣٥١ حديث هامة بن هيم بن لاقيس
 ابن إبليس والرد عليه
 ٣٥٥ باب قصة الروم وما ظهر فيها
 من الآيات
 ٣٥٧ باب امتعانهم إياه بالسؤال
 ٣٥٩ باب ما ظهر عند أذى المشركين
 له من الآيات
 ٣٦٤ باب الآية في صرف شتم المشركين
 عنه
 ٣٦٥ باب قوله تعالى إنا كفيناك
 المستهزين
 ٣٦٦ باب دعائه على ابن أبي لهب
 ٣٦٩ باب دعائه على قريش بالسنة
 ٣٧١ باب التي عميت من السمات ورد
 عليها بصيرها وتضعيف الحديث
 في ذلك
 ٣٧١ باب ما وقع في هجرة الحبشة
 من الآيات
 ٣٧٤ باب ما وقع في قصة الصحيفة من
 الآيات

س

۴۴۷ باب فوائد

٤٤٩ باب ما وقع في تزويجه عائشة
من الآيات

٤٠٠ باب الآية في نكاحه سودة بنت زمعة

٤٥٠ باب ما وقع في إسلام رفاة

٥١ باب ما وقع في عرضه نفسه
على القمائل

٤٥٧ باب ما وقع في الهجرة من الآيات.
٤٥٨ باب اجتماع اليهود بالنبي لما
قدم المدينة.

٤٨١ باب رفع الوباء والحمى والطاعون
عن المدينة معجزة له

٤٨٣ باب الآيه في وضع البركه فيها .

٤٨٤ باب ما وقع عند بناء المسجد من الآيات

ص

٤٨٦ باب ما وقع في صرف القبلة من
الخصائص

٤٨٦ باب ما وقع في الأذان من الآيات

٤٩١ باب ما وقع في غزوة بدر من الآيات

٥٢١ فائدة عن السبكي

٥٢٢ باب ما وقع في غزوة غطفان

٥٢٣ » » » » في النصير

٥٢٣ » » » قتل كعب بن الأشرف

٥٢٧ باب ما وقع في غزوة أحد

٥٤٩ » » » حمراء الأسد

٥٤٩ » » » غزوة الرجيع

» » » ٥٥٥ قصة بئر معونة

» » » ٥٥٧ غزوة ذات الرقاع

« غزوة الخندق » ٥٦٥ » » »

تم بحمد الله ، وجميل توفيقه ، وحسن معونته طبع الجزء الأول من كتاب
« الخصال الكبرى ، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب » .

ويليه الجزء الثانى ، وأوله « باب ما وقع فى غزوة قريظة من الآيات » .

والله المستعان على الإتمام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلی اللہ علی محمد عبد اللہ ورسولہ وعلی آلہ وصحبہ وسلم .

مدیر المؤسسة

محبت علی صبح المذنی

غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٧

٩ يونية
سنة ١٩٦٧